الكتاب : جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع
تأليف : السيد أحمد الهاشمي بك
بر مدارس فؤاد الأول . وولي ّ العهد بشبرا بمصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الكتاب : جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع
تأليف : السيد أحمد الهاشمي بك
مدير مدارس فؤاد الأول . وولي ّ العهد بشبرا بمصر

(/١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حمداً لمن خص ّ سيَّد الرُّسل بكمال الفصاحة بين البَدو والحضَر وانطقه ُ بجوامع الكلم فأعجزه بُلغاء رَبيعة ومُضر ، وانزل عليه الكتاب المُفحِم بتحدَّيه مصاقِع بُلغاء الأعراب، وأكمله أسرار البلاغة وفَصلَ الخطاب ، ومنحه ُ الأسلُوب الحكيم (١) في جوامع كلِمه ، وخص ّ السّعادة الأبدية بمتابعة آثاره وحِكَمِه ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه «جواهر البلاغة» الذين نظموا لآلئ البديع في عُقود الإيجاز والإطناب ، فَفُهنا بعد اللّكن «بجواهر الإعراب» ونطقنا «بميزان الذهب» وطرزنا سطور الطروس «بجواهر الأدب» فصار لنا «فرد العقيلة» باب النّسب (وبعد) فإنّ العلوم َ أَرفع ُ المطالب ، وأنفع المآرب ، وعلم البلاغة من بينها أجلُّها شأناً ، وأبينها تبيانا ، إذ هو الكفيل بإيضاح حقائق التنزيل ، وإفصاح دقائق التأويل ، وإظهار «دلائل الاعجاز» ورفع معالم الإيجاز ، ولاشتغالي بتدريس البيان بالمدارس الثانوية ، كانت البواعث داعية إلى تاليف كتاب «جواهر البلاغة» جامعاً للمهمات من القواعد والتطبيقات . وأسأل المولى جل شأنه أن ينفع بهذا الكتاب ، وهو المُوفّق للحق والصّواب.

المؤلف

السيد أحمد الهاشمي

تمهيد

لما وضع «علم الصرف» للنظر في أبنية الألفاظ
ووضع علم النحو للنظر في إعراب ما تركب منها

---

(١) . الأسلوب الحكيم والسعادة الأبدية. وجواهر البلاغة. وجواهر الاعراب وجواهر الأدب ، وميزان الذهب.

والمفرد العلم . الواردة في هذه الخطبة أسماء بعض كتب مطبوعة لمؤلف هذا الكتاب. وغيرها من القواعد الأساسية للغة العربية. ومختار الأحاديث النبوية والحكم المحمدية. والسحر الحلال في الحكم والأمثال.

(١/١)

وضع «البيان (١) » للنظر في أمر هذا التركيب ، وهو ثلاثة علوم :
(العلم الأول) ما يحترز به عن الخطأ في تأديه المعنى الذي يريده المتكلم لإيصاله إلى ذهن السامع ، ويسمى «علم المعاني».
(العلم الثاني) ما يحترز به عن التعقيد المعنوي . أي عن أن يكون الكلام غير واضح الدلالة على المعنى المراد ، ويسمى «علم البيان» (العلم الثالث) ما يراد به تحسين الكلام ويسمى (علم البديع) فعلم البديع تابع لهما إذ بهما يعرف التحسين الذاتي ، وبه يعرف التحسين العرضي.
والكلام باعتبار «المعاني والبيان» يقال إنه :
«فصيح» من حيث اللفظ . لأن النظر في الفصاحة إلى مجرد اللفظ دون المعنى.

---

(١) . علم البيان في اصطلاح المتقدمين من ائمة البلاغة يطلق على فنونها الثلاثة من باب التسمية الكل باسم البعض . وخصه المتاخرون بالعلم الباحث عن المجاز والاستعارة. والتشبية والكناية . والغرض منه صوغ الكلام بطريقة تبين ما في نفس المتكلم من المقاصد ، وتوصل الاثر الذي يريده إلى نفس السامع.

(٢/١)

«وبليغ» من حيث اللفظ والمعنى جميعاً . لأن البلاغة ينظر فيها إلى الجانبين (١) .
وأما باعتبار البديع فلا يقال إنه فصيح ولا بليغ ، لأن البديع أمر خارجي يراد به تحسين الكلام لا غير.
إذا تقرر ذلك ، وجب على طالب البيان أن يعرف قبل الشروع فيه معرفة معنى «الفصاحة والبلاغة» لأنهما محوره ، وا ٍليها مرجع أبحاثه.

---

(١) . وبيان ذلك أن الفصاحة تمام آلة البيان فهي مقصورة على اللفظ لأن الآلة تتعلق باللفظ دون المعنى . فإذن هي كمال لفظي توصف به الكلمة والكلام. والبلاغة إنما هي انهاء المعنى في القلب فكأنها مقصورة على المعنى ، ومن الدليل على أن الفصاحة تتضمن اللفظ. والبلاغة تتناول المعنى. أن الببغاء يسمى فصيحا ولا يسمى بليغا ، إذ هو مقيم الحروف وليس لها قصد إلى المعنى الذي يؤديه . وقد يجوز مع هذا أن يسمى الكلام الواحد فصيحاً بليغاً إذا كان واضح المعنى سهل اللفظ جيد السبك غير مستكره فج ، ولا متكلف وخم ، ولا يمنعه من أحد الاسمين شيء لما فيه من ايضاح المعنى وتقويم الحروف. واعلم أن الفصيح من الألفاظ هو الظاهر البين ، وا ٍنما كان ظاهراً بيناً لأنه مألوف الاستعمال ، وا ٍنما كان مألوف الاستعمال بين

النابهين من الكتاب والشعراء لمكان حسنه ، وحسنه مدرك بالسمع ، والذي يدرك بالسمع انما هو اللفظ لانه صوت يتألف من مخارج الحروف . فما استلذه السمع منه فهو الحسن ، وما كرهه فهو القبيح . والحسن هو الموصوف بالفصاحة . والقبيح غير موصوف بالفصاحة ، لأنه ضدها لمكان قبحه.

(٣/١)

فهما الغاية التي يقف عندها المتكلم والكاتب ، والضالة التي ينشدانها وما عقد أئمة البيان الفصول. ولا بوبوا الأبواب ، إلا بغية أن يوقفوا المسترشد على تحقيقات ، وملاحظات ، وضوابط ، إذا روعيت في خطابه. أو كتابه. بلغت الحد المطلوب من سهولة الفهم ، وا يجاد الأثر المقصود في نفس السامع ، واتصفت من ثم بصفة الفصاحة (١) والبلاغة.

مقدمة (٢)

(في معرفة الفصاحة والبلاغة)

الفصاحة

---

(١) . يرى الإمام عبد القاهر الجرجاني وجمع من المتقدمين أن الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة . ألفاظ مترادفة لا تتصف بها المفردات ، وا نما يوصف بها الكلام بعد تحري معاني النحو فيما بين الكلم حسب الأغراض التي يصاغ لها.

وقال أبو هلال العسكري في كتاب الصناعتين . الفصاحة والبلاغة ترجعان إلى معنى واحد : وا ن اختلف أصلاهما. لأن كل واحد منهما انما هو الابانة عن المعنى والاظهار له. وقال الرازي في نهاية الإيجاز . وأكثر البلغاء لا يكادون يفرقون بين الفصاحة والبلاغة : وقال الجوهري في كتابه الصحاح . الفصاحة هي البلاغة.

(٢) . مقدمة مشتقة من قدم اللازم ، وهذه مقدمة كتاب لأنها ألفاظ تقدمت أمام المقصود لارتباط له بها وانتفاع بها فيه . بخلاف مقدمة العلم فهي معان يتوقف الشروع عليها . كبيان حد العلم المشروع فيه. وموضوعه. وغايته.

واعلم أن علوم البلاغة أجل العلوم الأدبية قدراً . وأرسخها أصلا. وأبسقها فرعا وأحلاها جنى. وأعذبها وردا. لانها العلوم التي تستولي على استخراج درر البيان من معادنها. وتريك محاسن النكت في مكامنها. (ولولاها لم تر لسانا يحوك الوشي ، ويلفظ الدر ، وينفث السحر ، ويريك بدائع الزهر ، وينثر بين يديك الحلو اليانع من الثمر) فهي الغاية التي تنتهي إليها أفكار النظار ، واللالئ التي تتطلبها غاصة البحار لهذا كانت منزلتها تلو العلم بتوحيد الله تعالى.

(٤/١)

الفصاحة : تطلق في اللغة على معان كثيرة . منها البيان والظهور قال الله تعالى : (وأخي هارون هو أفصح مِنِّي لساناً) أي أبين منِّي منطقاً وأظهر منِّي قولاً .

ويقال : أفصح الصبي في منطقه. إذا بان وظهر كلامه.

وقالت العرب : أفصح الصبح. إذا أضاء ، وفصح أيضا.

وأفصح الأعجمي : إذا أبان بعد أن لم يكن يُفصح ويُبين.

وفصح اللحان. إذا عبر عما في نفسه. وأظهره على وجه الصواب دون الخطأ.

والفصاحة : في اصطلاح أهل المعاني ، عبارة عن الألفاظ البينة الظاهرة ، المتبادرة إلى الفهم ، والمأنوسة الاستعمال بين الكتاب والشّعراء لمكان حسنها.

وهي تقع وصفا للكلمة ، والكلام ، والمتكلّم ، حسبما يعتبر الكاتب اللفظة وحدها. أو مسبوكة مع أخواتها.

فصاحة الكلمة

١. خلوصها من تنافر الحروف : لتكون رقيقة عذبة. تخف على اللسان ، ولا تثقل على السمع ، فلفظ «أسد» أخف من لفظ «فدوكس».

٢. خلوصها من الغرابة ، وتكون مألوفة الاستعمال.

٣. خلوصها من مخالفة القياس الصرفي ، حتى لا تكون شاذة.

٤. خلوصها من الكراهة في السمع (١) .

أما «تنافر الحروف»؛ فهو وصف في الكلمة يوجب ثقلها على السمع. وصعوبة أدائها باللسان : بسبب كون حروف الكلمة متقاربة المخارج . وهو نوعان :

---

(١) . ففصاحة الكلمة تكونها من حروف متآلفة يسهل على اللسان نطقها من غير عناء ، مع وضوح معناها ، وكثرة تداولها بين المتكلمين وموافقتها للقواعد الصرفية ومرجع ذلك الذوق السليم ، والالمام بمتن اللغة ، وقواعد الصرف . وبذلك تسلم مادتها وصيغتها. ومعناها من الخلل . و اعلم أنه ليس تنافر الحروف يكون موجبه دائما قرب مخارج الحروف. إذ قربها لا يوجبه دائما . كما أن تباعدها لا يوجب خفتها . فها هي كلمة «بفمي» حسنة ، وحروفها من مخرج واحد وهو الشفة ، وكلمة «ملع» منتافرة ثقيلة ، وحروفها متباعدة المخارج ، وأيضاً ليس موجب التنافر طول الكلمة وكثرة حروفها.

١. شديد في الثقل . كالظش (للموضع الخشن) ونحو : همخع «لنبت ترعاه الإبل» من قول أعرابي :

* تركت ناقتي ترعى الهمخع*

٢. وخفيف في الثقل . كالنقنقة «لصوت الضفادع» والنقاخ «للماء العذب الصافي» ونحو : مستشزرات «بمعنى مرتفعات» من قول امرئ القيس يصف شعر ابنة عمه :

غدائره مستشزرات إلى العلا تضل العقاص في مـُثنَّى ومرسل (١)

ولا ضابط لمعرفة الثقل والصعوبة سوى الذوق السليم ، والحس الصادق الناجمين عن النظر في كلام البلغاء وممارسة أساليبهم (٢)

---

(١) . «الغدائر» الضفائر ، والضمير يرجع إلى (فرع) في البيت قبله (والاستشراز) الارتفاع (والعقاص) جمع عقيصة وهي الخصلة من الشعر (والثنى) الشعر المفتول (والمرسل) ضده . أي ابنة عمه لكثرة شعرها بعضه مرفوع ، وبعضه مثنى ، وبعضه مرسل ، وبعضه معقوص : أي ملوي.

(٢) . الألفاظ تنقسم إلى ثلاثة أقسام . قسمان حسنان ، وقسم قبيح ، فالقسمان الحسنان : أحدهما ما تداول استعماله السلف والخلف من الزمن القديم إلى زماننا هذا ولا يطلق عليه أنه وحشي ، والآخر ما تداول استعماله السلف دون الخلف ، ويختلف في استعماله بالنسبة إلى الزمن واهله . وهذا هو الذي يعاب استعماله عند العرب لأنه لم يكن عندهم وحشيا وهو عندنا وحشي.

ولا يسبق وهمك إلى قول قصراء النظر بأن العرب كانت تستعمل من الألفاظ كذا وكذا . فهذا دليل على أنه حسن ، بل ينبغي أن تعلم أن الذي نستحسنه نحن في زماننا هذا ، هو الذي كان عند العرب مستحسناً ، والذي نستقبحه هو الذي كان عندهم مستقبحا . والاستعمال ليس بدليل على الحسن ، فاننا نحن نستعمل الأن من الكلام ما ليس بحسن ، وا ٍنما نستعمله لضرورة ، فليس استعمال الحسن بممكن في كل الأحوال . واعلم أن استحسان الألفاظ واستقباحها لا يؤخذ بالتقليد من العرب لانه شيء ليس للتقليد فيه مجال، وا ٍنما هو شيء له خصائص وهيئات وعلامات إذا وجدت علم حسنه من قبحه . ألا ترى أن لفظة (المزنة) مثلا حسنة عند الناس كافة من العرب وغيرهم ، فاذا استعملتها العرب لا يكون استعمالهم إياها مخرجا لها عن القبح ، ولا يلتفت إذن إلى استعمالهم إياها بل يعاب مستعملها ويغلظ له النكير حيث استعملها . فلا تظن ان الوحشي من الألفاظ ما يكرهه سمعك ويثقل عليك النطق به وانما هو الغريب الذي يقل استعماله ، فتارة يخف على سمعك ولا تجد به كراهة ، وتارة يثقل على سمعك وتجد منه الكراهة ، وذلك في اللفظ عيبان كونه غريب الاستعمال وكونه ثقيلا على السمع كريها على الذوق. وليس وراءه في القبح درجة أخرى ، ولا يستعمله إلا أجهل الناس ممن لم يخطر بباله شيء من معرفة هذا الفن أصلا. انتهى عن المثل السائر . بتصرف.

واما غرابة الاستعمال ، فهي كون الكلمة غير ظاهرة المعنى ، ولا مألوفة الاستعمال عند العرب الفصحاء ، لان المعول عليه في ذلك استعمالهم.

والغرابة قسمان :

القسم الاول : ما يوجب حيرة السامع في فهم المعنى المقصود من الكلمة : لترددها بين معنيين أو أكثر بلا قرينة.

وذلك في الألفاظ المشتركة كـ«مسرّج» من قول رؤبة بن العجاج :

ومقلةً وحاجباً مزججا وفاحماً ومرسنا مسرّجا (١) .

فلا يعلم ما أراد بقوله «مسرّجا» حتى اختلف أئمة اللغة في تخريجة.

فقال«ابن دريد»يريد ان انفه في الاستواء والدقة كالسيف السريجي.

وقال «ابن سيده» يريد انه في البريق واللمعان كالسراج (٢) .

فلهذا يحتار السامع في فهم المعنى المقصود لتردد الكلمة بين معنيين بدون «قرينة» تعين المقصود منهما.

فلأجل هذا التردد ، ولأجل أن مادة (فعل) تدل على مجرد نسبة شيء لشيء ، لا على النسبة التشبيهية :

كانت الكلمة غير ظاهرة الدلالة على المعنى. فصارت غريبة.

وأما مع القرينة فلا غرابة . كلفظة «عزّر» في قوله تعالى : (فالذين امنوا وعزروه ونصروه) فانها مشتركة بين التعظيم والإهانة.

ولكن ذكر النصر قرينة على ارادة التعظيم.

القسم الثاني : ما يعاب استعماله لاحتياج إلى تتبع اللغات وكثرة البحث والتفتيش في المعاجم «قواميس متن اللغة المطولة» :

---

(١) . «مزججا» مدققا مطولا (فاحما) شعرا اسود كالفحمة (مرسنا) بكسر الميم وفتح السين كمنبر . او بفتح الميم وكسر السين كمجلس . ومعناه انفاذا لمعان كالسراج أو ذا صقالة واحد يداب كالسيف السريجي أي المنسوب إلى سريج وهو قين حداد تنسب إليه السيوف في الدقة والاستواء.

(٢) . أي ولفظة مسرج غير ظاهر الدلالة على ما ذكر ، لأن فعل إنما يدل على مجرد النسبة ، وهي لا تدل على التشبيه ، فاخذه منها بعيد . لهذا أدخل الحيرة على السامع في فهم المعنى المقصود من الكلمة لترددها

«أ»فمنه ما يعثر فيها على تفسير بعد كدّ . وبحث . نحو : تكأكأتم «بمعنى اجتمعتم» من قول عيسى بن عمرو النَّحوي :

مالكم تكأكأتم ()اعليّ ، كتكأكئكم على ذي جنة (٢) إفر نقعوا عنّي (٣) . ونحو (مشمخر) في قول :

بشر بن عوانة. يصف الأسد :

فخر مدرّجاً بدم كأني هدمت به بناء مشمخرا

«ب» ومنه ما لم يعثر على تفسيره نحو (جحلنجع) من قول ابي الهميسع

من طمحة صبيرهاجحلنجع (٤) لم يحضها الجدول بالتنوع

واما (مخالفة القياس) فهو كون الكلمة شاذّة غير جارية على القانون الصرفي المستنبط من كلام العرب؛ بأن

تكون على خلاف ما ثبت فيها عن العرف العربي الصحيح (٥) مثل (الأجلل) في قول أبي النجم :

ألحمد للهالعلي الأجلل الواحد الفرد القديم الأوّل

فإن القياس (الأجل) بالادغام ، و لا مسوّغ لفكّه وكقطع همزة وصل «اثنين» في قول جميل :

---

(١) . اجتمعتم.

(٢) . جنون.

(٣) . انصرفوا . وقال ذلك حين سقط عن دابته فاجتمع الناس حوله.

(٤) . الطمحة النظرة ، والصبير السحاب المتراكم . وقبله

إن تمنعي صوبك صوب المدمع ... يجري على الخد كضئب الثعثع

الضئب الحب والثعثع اللؤلؤ . قال صاحب القاموس ذكروا جحلنجع ولم يفسروه ، وقالوا كان ابو الهميسع من أعراب مدين ، وكنا لا نكاد نفهم كلامه .

(٥) . ما استثناه الصرفيون من قواعدهم المجمع عليها وان خالف للقياس «فصيح» فمثل (آل وماه) أصلها أهل وموه . أبدلت الهاء فيهما همزة ، وابدال الهمزة من الهاء وا ٍن كان على خلاف القياس إلا أنه ثبت عن الواضع . ومثل (أبي يأبى) بفتح الباء في المضارع والقياس ، كسرها فيه لأن فعل بفتح العين لا يأتي مضارعه على يفعل بالفتح إلا إذا كان عين ماضيه او لامه حرف حلق كسال ونفع ، فمجيئ المضارع بالفتح على خلاف القياس ، الا ان الفتح ثبت عن الواضع . ومثل (عور يعور) أي فالقياس فيهما عار يعار بقلب الواو ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ، فتصحيح الواو خلاف القياس إلا أنه ثبت عن الواضع.

(٨/١)

ألا لا أرى إثنين أحسن شيمةً على حدثان الدَّهر منّى ومن جمل (١)

ويستثنى من ذلك ما ثبت استعماله لدى العرب مخالفاً للقياس ولكنه فصيح.

لهذا لم يخرج عن الفصاحة لفظتا (المشرق والمغرب) بكسر الراء ، والقياس فتحها فيهما ، وكذا لفظتا (الملُمدهُن)والقياس فيهما مِفْعَل بكسر الميم وفتح العين . وكذا نحو قولهم (عَوِر) والقياس عارَ : لتحرك الواو وانفتاح ما قبلها.

واما (الكراهة في السمع) فهو كون الكلمة وحشية ، تأنفها الطباع وتمجها الاسماع ، وتنبو عنه ، كما ينبو عن سماع الأصوات المنكرة.

(كالجرشى . للنفس) في قول أبي الطيب المتنبي يمدح سيف الدولة

مبارك الإسم أغرُّ اللقب ... كريم الجرشَّى شريف النَّسب

وملخَّص القول . أن فصاحة الكلمة تكون بسلامتها من تنافر الحروف ومن الغرابة. ومن مخالفة القياس. ومن الابتذال. والضعف.

فاذا لصق بالكلمة عيب من هذه العيوب السابقة وجب نبذها واطراحها.

تطبيق (١)

ما الذي أخل بفصاحة الكلمات فيما يأتي :

قال يحيى بن يعمر : لرجل حاكمته امراته إليه «أئن سالتك ثمن شكرها وشبرك ، اخذت تطلها وتضهلها (٢) .

---

(١) – الشيمة الخلق ، والحدثان نوائب الدهر ، وجمل فرسه.

(٢) . الشكر الرضاع و الثبر النكاح وتطلها تسعى في بطلان حقها وتصهلها تعطيها الشيء القليل.

وقال بعض أمراء العرب ، وقد اعتلت أمّه ، فكتب رقاعاً وطرحها في المسجد الجامع بمدينة السلام : صين امرؤ و َر َع َا ، دعا لامراة انقحلة (١) مقسئنة (٢) قد منيت بأكل الطرموق (٣) فأصابها من أجله الاستمصال (٤) بأن يمن الله عليها بالاطرعشاش (٥) والابرغشاش أسمع جعجعة (٦) . ولا أرى طحنا . الاسفنط (٧) . حرام . وهذا الخنشليل (٨) صقيل ، والفدوكس مفترس (٩) .

يوم عصبصب وهلوف ، ملأ السجسج طلا (١٠) .

أمنًا أن تصرّع عن سماحٍ وللآمال في يدك اصطراع (١١)

وقال الفرزدق :

واذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم خ ُضع َ الر َّقاب نواكس الأبصار (١٢)

و قال أبو تمّام :

قد قلت لمّا اطلخمَّ الأمر وانبعثت عشواء تاليةً غيساً دهاريسا (١٣)

وقال شمر :

---

(١) . يابسة.

(٢) . مسنة عجوز.

(٣) . ابتليت باكل الطين.

(٤) . الإسهال.

(٥) . البرء . وكذا معنى ما بعده.

(٦) . جعجعة غير فصيحة لتنافر حروفها ، وهو مثل يضرب لمن يقول ولا يفعل.

(٧) . الاسفنط الخمر.

(٨) . الخنشليل السيف.

(٩) . الفدوكس الأسد ، فكل من هذه الألفاظ الثلاثة وحشية غير مألوفة.

(١٠) . شديد البرد فيهما . والسجسج الارض التي ليست بسهلة ولا صلبة.

(١١) . أراد : أنهم امنوا أن يغلبه غالب يصرعه عن السماع ويمنعه منه وأما قوله (وللآمال في يدك اصطراع) فمعناه تنافس وتغالب وازدحام في يده . يريد كثرة نواله وكرمه. واستعماله للفظة الاصطراع بهذا المعنى بعيد.

(١٢) . فقد جمع (ناكس) على (فواعل) شذوذا وهذا لا يطرد إلا في وصف لمؤنث عاقل لا لمذكر كما هنا إلا في موضعين (فوارس وهوالك) والناكس : مطأطئ الرأس.

(١٣) . قال صاحب المثل السائر . ان لفظ (اطلخم) من الالفاظ المنكرة التي جمعت الوصفين القبيحين في انها غريبة ، وانها غليظة في السمع كريهة على الذوق ، وكذلك لفظة (دهاريس) واطلخم : أي اشت وعظم ، والعشواء الليلة المظلمة ، والغبسة جمع اغبس وغبسا : وهي الشديدة الظلام مثلها . والدهاريس جمع دهريس وهي الدواهي.

(١٠/١)

واحمق ممن يكرع الماء قال لي ... دع الخمر واشرب من نقاخ مبرّد (١)

يظل بموماة ويمسى بغيرها جحيشا ويعرورى ظهور المسالك (٢)

فلا يبرم الأمر الذي هو حالل ولا يُحللُ الأمر الذي هو يبرم (٣)

مقابل في ذرا الاذواء منصبه عيصاً فعيصاً وقدموساً فقدموسا

وقال أبو تمام :

نعم متاع الدنيا حباك به أورع لا جيدر ولا جبس

وقال امرؤ القيس :

رب جفنة (٤) مثعنجرة ، وطعنة مسحنفرة ، وخطبة مستحضرة وقصيدة محبّرة ، تبقى

---

(١) – الماء العذب الصافي

(٢) – المومأة المفازة الواسعة ، ويقال للمستبد برأيه جحيش ، ويقال اغروري الفرس ركبها عريانا– وان لفظة جحيش من الألفاظ المنكرة القبيحة – وبالله العجب – أليس أنها بمعنى فريد ، وفريد لفظة حسنة رائقة ، ولو وضعت في هذا البيت موضع جحيش لما اختل شيء من وزنه ، فتأبط شراً لأنه ملوم من وجهين في هذا الموضع ، أحدهما أنه استعمل القبيح ، والآخر أنه كانت له مندوحة عن استعماله فلم يعدل عنه.

(٣) – العيب في هذا البيت من حيث فك الادغام في (حالل ويحلل) بلا مسوغ وهو شاذ ومخالف للقياس الصرفي ومخالف للكلام العربي الصحيح

(٤) – يريد بقوله جفنة صحفة كبيرة ملأى تشبع عشرة ، والمثعنجرة السائلة ، والمسحنفرة الماضية بسرعة ،

وطعنة متسعة ببلد أنقرة ، وهو كلام امرىء القيس لما قصد ملك الروم ليستنجده على قتلة أبيه ، فهوته بنت الملك وبلغ ذلك القيصر فوعده أن يتبعه بالجنود إذا بلغ الشام ، أو يأمر من بالشام من جنوده بنجدته – فلما كان بأنقرة بعث إليه بثياب مسمومة فلما لبسها تساقط لحمه فعلم بالهلاك – فقال رب الخ.

(١١/١)

غداً بأنقرة . أكلت العرين ، وشربت الصّمادح (١) إني إذا أنشدت لاحبنطى (٢) نزل بزيد داهية خنفقيق (٣) وحل به عنقفير. لم يجدمنها مخلصاً. رأيت ماء نقاخا (٤) ينباع (٥) من سفح جبل شامخ. إخال أنك مصوون (٦) . البعاق (٧) ملأ الجردحل

فان يك بعض الناس سيفا لدولة ففي الناس بوقاتٌ لها وطبولُ (٨)

نقيٌّ تقيٌّ لم يكثر غنيمة بنكهة ذي القربى ولا بحقلّد

إن بني للئام زهده ... مالي في صدورهم من مودده (٩)

رمتني مي ّ بالهوى رمى ممضغ من الوحش لوطٌ لم تعقه الأوالس (١٠)

بعينين نجلاوين لم يجر فيهما ضمان وجيدٍ حلى الدر ّ شامس (١١)

علمي إلى علمك كالقرارة في المثعنجر (١٢) .

أن ّ بعضاً من القريض هراءٌ ليس شيئا وبعضه إحكام

فيه ما يجلب البراعة والفهـ م وفيه ما يجلب البرسامُ (١٣)

ومن الناس من تجوز عليهم شعراء كأنها الخاز بازُ (١٤)

تمرين (١)

١. فرّق بين التنافر في الكلمة ، وفي الكلام ، واذكر السبب ؟

٢. اذكر مثالا للتعقيد اللفظي ، وبين سبب هذا التعقيد ، ثم ازله ؟

٣. قد يلازم تنافر الحروف الغرابة ، وقد تنفرد الغرابة عن التنافر. وضح ذلك بامثلة مبتكرة ؟

---

(١) يريد اللحم والماء الخالص

(٢) احبنطي انتفخ بطنه .

(٣) دهياء .

(٤) عذبا .

(٥) يتبع ويسيل .

(٦) مصوون : شاذة وليست فصيحة لمخالفتها للقياس الصرفي .

(٧) البعاق مطر السحاب ، والجرد حل الوادي – وليستا فصيحتين لغرابتهما .

(٨) بوقات مزامير – والقياس في جمعه أبواق .

(٩) القياس مودة بالادغام.

(١٠) لوط لازق والاوالس النياق .

(١١) ضرب من القلائد.

(١٢) المثعنجر لنمظة متنافر والمعنى إن علمي مقيس إلى علمك كالغدير الصغير موضوعا في جانب البحر

(١٣) القريض الشعر ، والهراء الكلام الفاسد الذي لا نظام له ، وأحكام جمع حكم ، والمراد الحكمة ، وابرسام بفتح الباء وكسرها التهاب الصدر .

(١٤) الخازباز صوت الذباب – وتجوز : تروح وتقبل .

(١٢/١)

٤. كل كلام بليغ يكون فصيحا ولا عكس. اشرح هذه العبارة واستشهد عليها بما يحضرك ؟

تمرين (ب)

ميِّز الكلام الفصيح من غير الفصيح في كل ما يأتي ، وبين السبب :

(١) كلما قربت النفس من المال شبراً ، بعدت عن الفضيلة ميلا.

(٢) شكت امرأة صمعمعة الرأس (١) ، متعثكلة الشعر ، درد بيساحلَّت بها.

(٣) ... نم وا ِن لم أنم كراى كراكا شاهدت الدمع ، ان ذاك كذاكا

(٤) ... فأصبحت بعد خطِّ بهجتها كاز قفراً رسومها (٢) قلما.

(٥) ... وازور مَّ َن كان له ُ زائراً وعاف عافى العُرف عر ِفاذَه.

... وأكرم ُ من غ َمام عند م َحل فتى ٍ ي َحيِى بمدحته الكراما. (٤)

(أشكوك كُوكك ، كي ينفكَّ عن كنفي ولا ينيخ على الركَّاب كَلكله. (٥)

سأل كوفيٌّ خياطاً عن فرس ومُهر فقدَّه ُ ما فقال :

«يا ذا النِّصاح (٦) وذات السَّمِّ الطاعن بها في غير وغى لنير ِداً :

هل رأيت الخيفانة القبَّاء ، يتبعها الحسن المُرهف.

(٩) كتب أحدهم لصديقه يقول :

يا أحبَّ« صواحبي وأعز َزهم على ّ ، يؤلمني أن أُصبح مقَصوباً عنك هذا الإقصاي ، وانت ، من ٍّ ِى بمنزلة الروح من الجسد».

تمرين

(١) أي ّ أجزاء هذين البيتين غير فصيح :

(أ) ... أصبحت ُكالثوب اللّبيس قد أخلقت جدَّاتُه منه فعاد مذالا.

(ب) ... رمتني مي ّ بالهوى رمى َ م َضغ من الوحش أو لوطٍ لم تعقه ُ الأوالس.

تطبيق

ما الذي أخلّ بفصاحة الكلمات فيما يلي :

يا نفسُ صبراً كل حيٍ لاق ... وكل إثنين إلى افتراق

---

(١) الرأس الصمعمعه : الصغيرة.

(٢) الرسوم آثار الديار .

(٣) أزور : أعرض وعاف : كره. وعافى العرف : طالب المعروف .

(٤) للمغفور له أحمد شوقي ، والمحل : الجدب.

(٥) أناخ بكلكله : هبط بمقدم صدره ، وينسب البيت للمرحوم الشيخ حمزة فتح الله .

(٦) النصاح : الخيط ، وذات السم الابرة ، والخيفانة : الفرس الطويلة ، والقباء ، الدقيقة الخصر الضامرة ، والحاسن : الجميل : والمرهف : المستريح ..

(١٣/١)

أبعد بعدتَ بياضاً لا بياض له ... لأنت أسودُ في عيني من الظُّلم (١)

مهلاً أعازلَ قد جرَّبتِ من خلقي ... إتسعَ الفتقُ على الرَّافِع (٢)

تشكو الوجى من أظلَلٍ وأظلّ ... غداتئذٍ أو هالك في الهوالك (٣)

أذّى أجودُ لأقوامٍ وان ضنُوا

من طول إملالٍ وظهرٍ مُذلِلٍ (٤)

(١) وقال ابن جحدر :

حلَفتُ بما أرفلت حَوله ... هَمَرجَلةٌ خُلُقها شَبظَمُ (٥)

---

(١) أ – لابن الرومي – واللبيس : الملوس والاخلاق : البلى ، والجدة : صفة الثوب الجديد : والمذال : الممتهن ..

لا ذَسبَ اليومَ ولاَ خُلَّة ... ب– اللوط : الخفيف السريع – والأوالس : النوق السريعة.

فأيقنتَ أذّى عند ذلك ثائِر ... (١) الظلم : الليالي الثلاث آخر الشهر ، ولا بياض له ، لاحسن له – قاله المتنبي يخاطب الشيب له وخالف القياس في الاسود : لأنه لا يبني اسم تفضيل من نحو سود وحمر.

(٢) الحلة الصداقة : والفتق الشق ، والراقع مصلح الفنق – وقد خالف القياس في إتسع : حيث قطع همزة الوصل.

(٣) هوالك فواعل – لا يطرد في وصف العاقل كما هنا ..

(٤) الوجى الجفا : والأظلل باطن خف البعير – وخالف القياس بفك الادغام..

تنبيهات : الأول من عيوب فصاحة اللفظة المفردة كونها مبتذلة – أي عامية ساقطة للقالق والشنطار ونحوهما والابتذال ضربان :

(١) ما استعمله العامة ولم تغيره عن وضعه ، فسخف وانحطت رتبته ، واصبح استعماله لدى الخاصة معيباً ، كلفظة البرسام في قول المتنبي.

إن بعضاً من القريض هراء ليس شيئاً وبعضه إحكام

فيه ما يجلب البراعة والفهم وفيه ما يجلب البرسام

وكلفظة الخاز باز في قوله :

ومن الناس من تجوز عليهم شعراء كأنها الخازباز

(٥) ما استعملته العامة دالا على غير ما وضع له ، وليس بمستقبح ولا مكروه كقول المتلمس :

وما شَبرقَت من تَنُوفِيَّةٍ ... وقد أتناسى الهم عند احتضاره بناج عليه الصيعرية مكدم

وكقول أبي نواس :

اختصم الجود والجمال فيك فصارا إلى جدال

فقال هذا يمينه لي للعرف والبذل والنوال

وقال هذاك وجهه لي للظرف والحسن والكمال

فافترقا فيك عن تراض كلاهما صادق المقال

فوصف في الأول : البعير بالصيعرية ، وهي مختصة بالنوق ، وفي الثاني : الوجه بالظرف وهو في اللغة مختص بالنطق للفالق والشنطار – ونحوهما.

(الثاني) لا تستعمل الألفاظ المبهمة إذا كان غرضك التعيين واحضار صورة الشيء ، أو المعنى المراد في الذهن .

(الثالث) لا تستعمل اللفظ المشترك الامع قرينة تبين المراد من معانيه المشتركة

(٢) الأرقال : الاسراع : الهمرجلة ، الناقة السريقة ، الشيظم ، الطويل الجسيم من الابل والخيلن شبرقت – قطعت – التنوفية والتنوفة المفازة : الوحي ، الصوت الخفي – زيزيزم : حكاية أصوات الجن.

(١) الهبق ، الظليم (ذكر النعام) شام البرق نظر إليه أين يقصد ، واين يمطر واستعمل هنا للنظر إلى الأفرخ ، النأى ، البعد.

(٢) الدمية ، الصورة المنقوشة المزينة فيها حمرة كالدم ، تضرب مثلا في الحسن المرمر ، الرخام ، الآجر ما يبنى به – القرمد ، بفتح القاف ما يطلى به للزينة ، وقيل حجارة لها خروق يوقد عليها فتنضج ويبنى بها ، وقيل الخزف المطبوخ.

بها مِن وَحَى الجِنِّ زيز يزَم

(٢) وقال ذو الرُّمة :

ى إذا الهَبقُ أمسى شامَ أفرُخَهُ ... وهُن لا مُؤيِسٌ نأياً ولا كتَبُ (١)

وقال أبو نواس :

يا مَن جَفاني وملأَّ ... ذَسيتَ أهلا وسَهلا

تدريب (١)

ما الذي أخلَّ بفصاحة الكلمات فيما يلي ؟

(١) قال الذّابغة الذُّبياني :

ميَةٍ في مَرمَرٍ مَرفُوعة ... بُذِيَت بآجرٍ يُشادُ بقَرمَد (٢)

(٢) وقال أبو تمَّام :

لكَ هَضبةُ الحِلم التي لو وَازَنَت أجَأَ اُذا ثَقُلَت وكان خفيفا

وحلاوة الشّيم التي لو مَازَجَت ... خُلُقَ الزَّمَان الفَدمِ عَاد ظَرِيفا (٣)

(٣) وقال المُتنبي :

يُوَسِّطه المَفاوزَ كلَّ يوم ... طِلاّبُ الطّالبِين لا الانتِظارُ

تدريب (٢)

ما الذي اخلَّ بفصاحة الكلمات فيما يأتي ؟

(١) يَلقَى بشكَّه باسِلٍ ... يخشى الحوادِث حازم مُستَعدد (٤)

(٢) وأصبح مَبيضَّ الضَّريب كأنه ... على سَرَوات البَيت قُطن مُندفِ (٥)

(٣) فأيقَنت أُنّى عند ذلك ثائرٌ ... غداتئذٍ أو هالِكٌ في الهوَالك (٦)

---

(١) النصاح : الخيط ، وذات السم الابرة ، والخيفانة : الفرس الطويلة ، والقباء ، الدقيقة الخصر الضامرة ، والحاسن : الجميل : والمرهف : المستريح ..

(٢) الدمية ، الصورة المنقوشة المزينة فيها حمرة كالدم ، تضرب مثلا في الحسن المرمر الرخام ، الآجر ما يبنى به – القرمد ، بفتح القاف ما يطلى به للزينة ، وقيل حجارة لها خروق يوقد عليها فتنضج ويبنى بها ، وقيل الخزف المطبوخ..

(٣) الهضبة : الرابية ، أجأ ، جبلن. القدم – الغليظ الجافي – وصف الشيم بالحلاوة وهي خاصة بالعينين – ووصف خلق الزمان بالظرف وهو خاص بالنطق.

(٤) الشكة : الخصلة ، الباسل ، الشجا ..

(٥) قائلة الفرزدق. الضريب الشبيه والمثيل ، سروات البيت ، أعاليه ، مندف مندوف : من قولهم ندف القطن ضربه بالمندف .

(٦) الثائر الذي لا يبقى على شيء حتى يدرك ثأره.

) ومَلمُ ومَ ةٍسيَفيَّةٍ رَبعيَّةٍ ... يَصيح الحصا فيها صِياح اللقائِقِ (١)
)والقى بطلغبرط بَعاعَهُ ... نُزول اليماني ذو العياب المُحمل (٢)
) ليس التَّعَللُ بالآمالِ من أربى ... ولا القُنُوع بضنكِ العيشِ من شيمي (٣)
ى القنوعو
فصاحة الكلام
فصاحة الكلام : سلامته بعد فصاحة مفُرداته ممَّا يُبهم معناه ويحول دون المراد منه (٤)

---

(١) قائلة المتنبي ، ملمومة ، كتيبة مجتمعة ، سيفية ، نسبة لسيف الدولة ، ربعية نسبة إلى ربيعة : قبيلته ، اللقالق ، جمع لقلقة وهي صوت اللقلاق (طائرا) أو هي كل صوت في اضطراب وحركة.

(٢) قائله امرؤ القيس ، الغبيطن الأرض المطمئنة ، وقبل الواسعة المستوبة يرتفع طرفاها ، البعاع. ثقل السحاب من المطر : يقال مع السحاب بيع بعا وبعاعا ، إذا ألح بمكان ، والقى عليه بعاعه أي ثقله ، العياب جمع عيبة وهي ما يجعل فيه الثياب ، يقال جعل الرجل خير متاعه في عيبته ، والمحمل يروى بكسر الميم على جعل اليماني رجلا – وبفتحها على جعله جملا – والمعنى أن هذا المطر نزل بهذا المكان ولم يبرح كما نزل الرجل في ذلك الموضع ، وضمير ألقى يرجع إلى السحاب فيما قبله..

(٣) القنوع ، المسئلة ، يقال قنع قنوعا ، إذا سأل –والمراد القناعة .

(٤) المراد بفصاحة الكلام تكونه من كلمات فصيحة يسهل على اللسان النطق بها لتآلفها ، ، ويسهل على العقل فهمها لترتيب ألفاظها وفق ترتيب المعاني.

ومرجع ذلك الذوق السليم والالمام بقواعد النحو ، بحيث يكون واضح المعنى ، سهل اللفظ ، حسن السبك– ولذلك يجب أن تكون كل لفظة من ألفاظه واضحة الدلالة على المقصود منها ، جارية على القياس الصرفي ، عذبة سلسلة ، كما يكون تركيب الكلمات جار يا على القواعد النحوية خاليا من تنافر الكلمات مع بعضها ، ومن التعقيد فمرجع الفصاحة سواء في اللفظة المفردة ، أو في الجمل المركبة إلى أمرين (مراعات القواعد – والذوق السليم) وتختلف فصاحة الكلام أحيانا باختلاف التعبير عما يدور بالنفس من المعاني اختلافا ظاهرا ، فتجد في عبارات الأدباء من الحسن والجودة ما لا تجد في تعبير غيرهم ، مع اتحاد المعنى الذي يعبر عنه ، ويختلف الأدباء أنفسهم في أساليبهم : فقد يعلو بعضهم في أسلوبه ، فتراه يسيل رقة وعذوبة ، ويصل إلى القلوب فيبلغ منها ما يشاء أن يبلغ ، وذلك نوع من البيان يكاد يكون سحرا ، وقد يكون دون هذه المنزلة قليلا أو كثيرا – وهو مع ذلك من فصيح القول وحسن البيان.

–وتتحقَّق فصاحته بخلُوه من ستة عيوب (١) تنافر الكلمات مجتمعة (٢) ضعف التأليف (٣) التعقيد اللفظي (٤) التعقيد المعنوي (٥) كثرة التكرار (١) (٦) تتابُع الإضافات.

الأول –تنافُر الكلمات مُجتمعة أن تكون الكلمات ثقيلة على السمع من تركيبها مع بعضها ، عَسرة النّطق مُجتمعةً على اللّسان (وإن كان كل جزء منه على انفراده فصيحاً) والتنافر يَحصُل : إمّا بتجاوُز كلمات تقاربة الحروف وإمّا بتكرير كلمة واحدة.

(١) ومنه شديد الثّقل : كالشطر الثاني في قوله :

وَقبرُ حرب بمكان قفرٌ وَليس قَرب قبر حربٍ قبرُ (٢)

(ب) ومنه خفيف الثّقل كالشطر الأول في قلو أبي تمَّام :

كريمٌ متى أمدَحهُ والورى معي : وإذا ما لمته لمته وحدي (٣)

---

(١) (كثرة التكرار : وتتابع الاضافات) أقول الحق – أن هذين العيبين قد احترز عنهما بالتنافر. على أن بعضهم أجازهما لوقوعهما في القرآن كما في قوله تعالى «ونفس وما سواها» الآيات – وفي قوله تعالى «ذكر رحمت ربك عبده زكريا»

(٢) حرب بن أمية : قتله قائل هذا البيت ، وهو هاتف من الجن صاح عليه (وقفر) خال من الماء والكلأ ، وقبر اسم ليس مؤخر ، وقرب خبرها مقدم – قبل إن هذا البيت لا يمكن إنشاده ثلاث مرات متوالية ألا ويغلط المنشد فيه ، لأن نفس اجتماع كلماته وقرب مخارج حروفها ، يحدثان ثقلا ظاهراً ، مع أن كل كلمة منه لو أخذت وحدها ما كانت مستكرهة ولا ثقيلة .

(٣) أي هو كريم ، وإذا مدحته وافقني الناس على مدحه ، ويمدحونه معي ، لإسداء إحسانه إليهم كاسدائه إلى ، وإذا لمته لا يوافقني أحد على لومه ، لعدم وجود المقتضى للوم فيه – وآثر لمته على هجوته مع أنه مقابل المدح إشارة إلى أنه لا يستحق الهجو ولو فرط منه شيء فإنما يلام عليه فقط ، والثقل في قوله «أمدحه» لما بين الحاء والهاء من التنافر ، للجمع بينهما : وهما من حروف الحلق – كما ذكره الصاحب اسماعيل بن عباد ..

الثاني – «ضعف التأليف»أن يكون الكلام جارياً على خلاف ما اشتُهر من قوانين النحو المعتبرة عند جُمهور العلماء – كوصل الضميرين ، وتقديم غير الأعراف منهما على الأعرف– مع أنه يجب الفصل في تلك الحالة – كقول المتنبي :

خَلتِ البلادُ من الغزالة ليلَها فأعاضها اللهُ كي لا تحزنا

وكالإضمار قبل ذكر مرجعه لفظا ورُتبة وحكما في غير أبوابه (١) نحو

ولو أن مَجداً أخلدَ الدهرَ واحداً من الناس أبقى مجده الدهر (مطعما) (٢) .

الثالث – «التعقيد اللفظي» وهو كون الكلام خفي ّ الد ّلالة على المعنى المراد به – بحيث تكون الألفاظ غير م ُرتبة على وفق ترتيب المعاني.

---

(١) المجموعة في قول بعضهم

ومرجع الضمير قد تأخرا لفظاً ورتبة وهذا حصرا

في باب نعم وتنازع العمل ومضمر الشأن ورب والبدل

ومبتدأ مفسر بالخبر وباب فاعل يخلف فاخبر

واعلم أن ضعف التأليف ناشى ، من العدول عن المشهور إلى قول له صحة عند بعض أولى النظر – أما إذا خالف المجمع عليه كجر الفاعل ورفع المفعول ففاسد غير معتبر ، والكلام في (تركيب له صحة واعتبار) .

(٢) فان الضمير في من (مجده) راجع إلى (مطعما) وهو متأخر في اللفظ كما يرى ، وفي الرتبة لأنه مفعول به ، فالبيت غير فصيح لمخالفته قواعد النحو .

ومطعم أحد رؤساء المشركين وكان يدافع عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ومعنى البيت أنه لو كان مجد الانسان سببا لخلوده في هذه الدنيا لكان (مطعم ابن عدي) أولى الناس بالخلود لأنه حاز من المجد ما لم يحزه غيره – على يد صاحب الشريعة ..

(١٨/١)

(وينشأ ذلك التّعقيد من تقديم أو تأخير أو فصل بأجنبي بين الكلمات التي يجب أن تتجاور ويتصل بعضها ببعض) ( ) وهو مذموم : لأنه ي ُوجب اختلال المعنى واضطرابه ، من وضع ألفاظه في غير المواضع اللا ّئقة بها – كقول المتنبي

جفخت وهم لا يجفخون َ بهابهم شيم ٌ على الحسَب الأغر دلائل (٢)

أصله جفخت (افتخرت) بهم شيم َ دلائل على الحسب الأغر هم لا يجفخون بها.

الرابع – «التعقيد المعنوي» وهو كون التركيب خفي ّ الدّلالة على المعنى المراد (٣) – بحيث لا يفهم معناه إلاّ بعد عناء وتفكير طويل.

وذلك لخلل في انتقال الذهن من المعنى الأصلي إلى المعنى المقصود بسبب إيراد اللوازم البعيدة ، المفتقرة إلى وسائط كثيرة ، مع عدم ظهور القرائن الد ّالة على المقصود بأن يكون فهم ُ المعنى الثاني من الأول بعيداً عن الفهم ع ُرفا (٤) كما في قول عبّاس بن الأحنَف.

---

(١) وذلك كالفصل بأجنبي بين الموصوف والصفة ، وبين البدل والمبدل منه وبين المبتدأ والخبر ، وبين المستثنىوالمستثنى منه ، مما يسبب ارتباكا واضطراباً شديداً .

(٢) فلفظة جفخت مرة الطعم ، وا ٍذا مرت على السمع اقشعر منها : ولو استعمل (المتنبي) عوضا عن جفخت (فخرت) لاستقام البيت ، وحظى في استعماله بالأحسن .

(٣) بحيث يعمد المتكلم إلى التعبير عن معنى فيستعمل فيه كلمات في غير معناها الحقيقي ، فيسىء اختيار الكلمات للمعنى الذي يريده ، فيضطرب التعبير و يلتبس الأمر على السامع نحو : نشر الملك السنته في المدينة ، يريد جواسيسه و الصوان نشر عيونه.

(٤) فالمناط في الصعوبة عدم الجريان على ما يتعاطاه أهل الذوق السليم ، لا كثرة الوسائط الحسية ، فانها قد تكثر من غير صعوبة ، كما في قولهم : فلان كثير الرماد كناية عن المضياف – فان الوسائط كثيرة فيه ولكن لا تعقيد..

(١٩/١)

سأصلبُ بُعد الدار عنكم لتقربُوا وتسكبُ عيناي الدُّموع لتجمُدا (١)

جعلَ سكبَ الدُموع كناية عمّا يلزم في فراق الأحبَّة من الحزن والكمد : فأحسن وأصابَ في ذلك ، ولكنَّه أخطأ في جعل جمود العين كنايةً عمَّا يوجبه التَّلاقى من الفرح والسُرُور بقُرب أحبتّه ، وهو خفىّ وبعيدٌ – ( )٢إذ لم يعرف في كلام العرب عند الدُّعاء لشخص بالسرور (أن يقال له جُمدت عينك) أو لا زالت عينك جامدةً بل المعروف عندهم أنّ جمود العين إنّما يكنى به عن عدم البكاء حالة الحزن ، كما في قول الخنساء.

أعيني جودا ولا تجمُدا ألا تبكيانِ لصَخر النَّدى

وكما في قول أبي عطاء يرثى ابن هُبيرة :

---

(١) تسكب بالرفع عطف على أطلب ، وبالنصب عطف على بعد : من قبيل عطف الفعل على اسم خالص من التأويل بالفعل ، والمراد طلب استمرار السكب : لا أصله لئلا يلزم تحصيل الحاصل ..

(٢) ووجه الخفاء والبعد : أن أصل معنى جمود العين جفافها من الدموع عند إرادتها منها ، والانتقال منه إلى حصول السرور بعيد ، لأنه يحتاج إلى وسائط بأن ينتقل من جمود العين إلى انتفاء الدمع منها ، حال إرادة البكاء ، ومنه إلى انتفاء الدمع مطلقاً ، ومنه إلى انتفاء الحزن ونحوه «فان ذلك هو السبب غالبا في الدمع» ومن انتفاء الحزن ونحوه إلى السرور – ولا يخفى أن الشاعر قد طوى وحذف جميع هذه الوسائط فأورث بطء الانتقال من المعنى الأصلي الحقيقي إلى المعنى المراد – وخالف حينئذ أسلوب البلغاء ، فنشأ من ذلك التعقيد المعنوي واعلم أن الشاعر أراد أن يرضى بالبعد والفراق ، ويعود نفسه على مقاساة الأحزان والأشواق ، ويتحمل من أ جلها حزنا يفيض من عينيه الدموع ، ليتوصل بذلك إلى وصل يدوم ، ومسرة لا تزول – على حد قول الشاعر :

ولطالما اخترت الفراق مغالطا واحتلت في استثمار غرس ودادي.
ورغبت عن ذكر الوصال لأنها تبنى الأمور على خلاف مرادي..

(٢٠/١)

ألا إنَّ عيناً لم تجدْ يومَ واسط عليك : بحارى دمعها لجمود (١)
وهكذا كل الكنايات التي تستعملها للأغراض ويُغيرها المتكلم ، ويريد بها أغراضاً أخرى تعتبر خروجاً عن سُنن العرب في استعمالاتهم ويُعدّ ذلك تعقيداً في المعنى : حيث لا يكون المراد بها واضحاً.
الخامس – «كثرة التكرار» (٢) : كون اللفظ الواحد : اسماً – كان أو فعلاً – أو حرفاً.
وسواء أكان الاسم : ظاهراً أو ضميراً ، تعدّد مرَّة بعد أخرى بغير فائدة – كقوله :
إنّي وأسطارٍ سُطرن سَطراً لَقائلٌ يا نصرُ نصرُ نصراَ
وكقول المتنبي :
أقِل أنل اقطع اجمل علَّ سل أعد زد هشَّ بش تفضَّلْ أدِنِ سُرَّ صل
وكقول أبي تمَّام في المديح :
كأنَّه في اجتماع الهِمَّةُ في كلِّ جارحةٍ من جسمِهِ رُوحُ
السادس – تتابع الإضافات : كون الاسم مضافا إضافةً مُتداخلة غالباً ، كقول ابن بابك :
لِمَن جَرعا حَومةِ الجَندَلِ لسجعي فأنتِ بمرأى من سُعادَ ومَسمع (٣)
وملخص القول : إنَّ فصاحة الكلام تكون بخُلوِّه من تنافر كلماته ومن ضعف تأليفه ، وتعقيد معناه ، ومن وضع ألفاظه في غير المواضع اللائقة بها.
تطبيق
بين العيوب التي أخلَّت بفصاحة الكلام فيما يأتي ؟

---

(١) أي لبخيلة بالدموع .
(٢) المراد بالكثرة ههنا ما فوق الوحدة –فذكر الشيء ثانيا تكرار ، وذكره ثالثاً كثرة ، وانما شرطت الكثرة لأن التكرار بلا كثرة لا يخل بالفصاحة –وإلا لقبح التوكيد اللفظي .
(٣) ففيه إضافة حمامة إلى جرعا وهو تأنيث الأجرع وهو المكان ذو الحجارة السود ، أو مكان الرمل الذي لا ينبت شيئا «وجرعا» مضاف إلى «حومة» وهي معظم الشيء «وحومة» مضاف إلى «الجندل» بسكون النون وهو الحجر ، والمراد به هنا مكان الحجارة ، فهو بمعنى الجندل بفتح النون وكسر الدال – وقوله «فأنت بمرأى من سعاد ومسمع ، أي أنت بحيث تراك سعاد وتسمع كلامك – يقول : اسجعي يا حمامة أرض قفرة سبخة ، فان سعاد تراك وتسمعك .

(٢١/١)

لك الخير ُ يغير َ ام َ من غيرك الغنى ... وغيري بغير اللازقيَّة لاحق

وازور َّ م َن كان َ له زائراً ... وعاف َ عافى العُرف عِرفاذُه (١)

أنَّى يكون ُ أبا البرايا آدم ٌ ... وأبوك َ والثَّقَلاَنِ أنت َ محمدُ (٢)

ومن جاهل بي وهُو َ يجهَ ُل ُ جهلة ... ويَجهل عِلمي أنه بي َ جاهل

لهمّ قالقلبيقبلقَ الحَشا ... قَلاقَلَ همّ كلَّهنَّ قَلاقُلُ

وما مِثله ُ في النَّاس إلا مُ َلَّكاً ... أبو أمّ ِه حتى أبوه يقارِبُه (٣)

إلى م َلك ما أمُّه من م ُحَارب ... أبوه ولا كانت كُلَيب ٌ تُصاهره (٤)

ليس َ إلاك َ يا عليُّ هُمام ٌ ... سيَفه ُ دُون َ عَرضِه مسولُ (٥)

---

(١) العيب في تنافر الكلمات – والمعنى انحرف عنه من كان يزوره ، وكره طالب الاحسان معرفته.

(٢) يريد كيف يكون آدم أبا البرايا وأبوك محمد وأنت الثقلان أي الأنس والجن – يعني أنه قد جمع ما في الخليقة من الفضل والكمال – وقد فصل بين المبتدأ والخبر وهما أبوك محمد ، وقدم الخبر على المبتدأ تقديما قد يدعو إلى اللبس في قوله «والثقلان وأنت» على أنه بعد هذا التعسف لم يسلم كلامه من سخف وهذر.

(٣) يريد الفرزدق مدح إبراهيم بن اسماعيل خال هشام بن عبد الملك – وما مثله في الناس حي «أحد» يقاربه «يشابهه» إلا مملكا ، أبو أمه أبوه – فقدم المستثنى على المستثنى منه – وفصل بين مثل وحي وهما بدل ومبدل منه وبين أبو أمه وأبوه وهما مبتدأ وخبر – وبين حي ويقاربه وهما نعت ومنعوت ، ولا يفصل بين كل منهما بأجنبي. والمعنى : وليس مثل إبراهيم في الناس أحد يشبهه في الفضائل إلا ابن اخته هشام – فضمير أمه عائد على المملك ، وضمير أبوه عائد على إبراهيم الخال.

(٤) يريد إلى ملك ابوه ليست أمه من محارب – أي ما أمه منهم .

(٥) فيه ضعف تأليف حيث وضع الضمير المتصل بعد إلا – وحقه وضع المنفصل (إياك).

كَسا حلمه ُ ذا الحلم أثواب ُ سُؤدُد ورقَّى نداه ُ ذا النَّدَى في ذُرا المجد (١)

من يهتدي في الفعل ما لا يهتدى ... في القول حتَّى يَفعل الشعراء ُ (٢)

جزَى بنوه أبا الغَيلاَن عن كِبر ... وحُسن فعلٍ كما يُجزَى سِنمَّار ُ (٣)

وما من فتى ً كنَّا من النَّاس واحداً ... به نَبتغى منهم عَديلاً نُبادله ُ (٤)

لمَا راى طالبوه مُصعباً ذُعِرُوا ... وكاد لو ساعد َ المقدور ُ ينتَصرُ

نشر الملك ألسنته في المدينة... مُريداً جواسيسه.

أي –والصوَّاب «نشر الملك عيونه» (٥)

لو كنت كنت كتمت السَّر كنت كما ... كنَّا وكنت َ ولكن ذَاك َ لم يكن

ألاَ لَيتَ شِعري هل يقولنَّ... زُهيراً على ما جَرَّ من كلِّ جانِب
دانٍ بعيدٍ مُحبٍّ مبغض بَهجٍ ... أغرّ حلو مُر ليّن شَرِس (٦)
... ... لأنت أسودُ في عيني من الظُّلم (٧)

---

(١) أي من كان ديدنه الحلم والكرم حاز السيادة والرفعة – فالضمير في حله لذا الحلم المذكور بعد – فهو المتأخر لفظا ومعنى وحكما – وكذا الضمير في نداه لذا الندى .
(٢) أي يهتدى في الفعل ما لا يهتديه الشعراء في القول حتى يفعل .
(٣) العيب فيه من جهة أن ضمير بنوه عائد على أبا الغيلان وهو متأخر لفظاً ورتبة ، لأنه مفعول ورتبته التأخر عن الفاعل : وسنمار رجل رومي بني قصر الخورنق بظهر الكوفة للنعمان بن امرىء القيس ملك الحيرة ، فلما فرغ منه ألقاه النعمان من أعلاه فخر ميتا لئلا يبني لغيره مثله.
(٤) أي وما من فتى من الناس كنا نبتغى واحداً منهم عديلا نبادله به .
(٥) لأن الذي يتوصل به إلى الاخبار عادة إنما هو العيون – لا الألسنة .
(٦) فيه توالى الصفات ، وذلك مما يحدث في الكلام ثقلا وهذا مما يؤخذ على (المتنبي) .
(٧) والقياس أشد سواداً لانه لا يبنى أفعل التفضيل من الافعال الدالة على الالوان .

(٢٣/١)

وتُسعدني في غَمرَة بعدَ غمرَة ... سبوحٌ لها منها عليها شواهد (١)
ولبست خراسانُ التي كان خالدٌ ... بها أسدِ إذ كَان سيفاً أميرها (٢)
والشمسُ طالعة ليست بكاسِفة ... تبكى عليك نُجومَ الليل والقمر (٣)
أرضٌ لها شَرَفٌ سواها مثلها ... لو كان مثلك في سِواها يوجَدُ
والمجدُ لا يرضى بأن ترضى بأن ... يَرضى المعاشر منك إلابَّالرِّضا
في رفع عَرش الشَّرع مثلك يَشرعُ
ومن لم يذُد عن حوضه بسلاحه ... يُهَدَّم ومن لم يظلم الناس يُظلَم (٤)
تحَيرين فباهِتٌ مُتعَجِّبٌ ... ممَّا يَرى أون ناظرٌ متأمِّلُ (٥)
فأصبحت بعد خطِّ بهجتها ... كأنَّ قفراً رسومها قلَما (٦)
وما أرضَى لمُقلتِهِ بحلم ... إذا انتبهت توهَّمه ابتِشاكا (٧)
فصاحة المتكلم

---

(١) معنى البيت : وتسعدني بالفوز بالغنائم والنجاة في شدة بعد شدة فرس سبوح أي حسنة العدو لا تتعب رابكها ، فكأنها تسبح على الماء .

(٢) خالد – وأسد : علمان – والتعقيد فيه نشأ من تقديم أسد الذي هو جزء مما أضيف إليه إذ.
(٣) أي والشمس ليست بكاسفة نجوم الليل وهي تبكي عليك ، والقمر يبكي عليك أيضاً – ففيه تعقيد نشأ من الفصل بين الصفة التي هي كاسفة ، ومفعولها الذي هو نجوم بحملة «تبكي عليك» .
(٤) فيه تعقيد معنوي ، حيث كنى بالظلم عن المحافظة على الحقوق – وهو بعيد .
(٥) باهت بمعنى مدهوش (لغة رديئة) واللفظ العربي المستغمل بهت الرجل فهو مبهوت .
(٦) أي فأصبحت بعد بهجتها قفرا ، كأن قلما خط رسومها.
(٧) المقلة العين ، والحلم الرؤيا التي يراها النائم ، وابتشاك الكذب ، قال الصاحب لم يسمع الابتشاك في شعر قديم ولا محدث .

(٢٤/١)

فصاحة المتُكلِّم : عبارةٌ عن المَلكة (١) التي يقتدر بها صاحبها على التعبير عن المقصود بكلام فصيح في أيِّ غرضٍ كان.
فيكون قادراً بصفة الفصاحة الثابتة في نفسه على صياغة الكلام مُتمكّناً من التّصرف في ضُروبه بصيراً بالخوض في جهاته ومَذاهبه.
أسئلة على الفصاحة يطلب أجوبتها
ما هي الفصاحة لغة واصطلاحا ؟ ما الذي يوصف بالفصاحة
ما الذي يخرج الكلمة عن كونها فصيحة ؟
ما هي فصاحة المفرد ؟ ما هو تنافر الحروف ، وإلى كم ينقسم ؟..
ما هي الغرابة وما موجبها ؟ ما هي مخالفة القياس ؟ ما هي الكراهة في السمع ؟
ما هي فصاحة الكلام وبما تتحقق ؟ ما هو تنافر الكلمات ، وما موجبه وإلى كم يتنوَّع ، ما هو ضعف التأليف ؟ ما هو التعقيد ؟ وإلى كم ينقسم ؟
ما هو كثرة التكرار ؟ ما هو تتابع الاضافات ؟ ما هي فصاحة المتكلم ؟
البلاغة

---

(١) أي كيفية وصفة من العلم راسخة وثابتة في نفس صاحبها يكون قادراً بها على أن يعبر عن كل ما قصده من أي نوع من المعاني كالمدح والذم والرثاء وغير ذلك بكلام فصيح ، فاذاً المدار على الاقتدار المذكور سواء وجد التعبير أو لم يوجد – وأن من قدر على تأليف كلام فصيح في نوع واحد من تلك المعاني لم يكن فصيحاً –وانه لا يكون فصيحاً إلا إذا كان ذا صفة من العلم راسخة فيه وهي المسماة «بالملكة» يقتدر بها على أن يعبر عن أي معنى قصده بكلام فصيح أي خال عن الخلل في مادته «وذلك بعدم تنافر كلماته» وعن الخلل في تأليفه «وذلك بعدم ضعف تأليفه» وعن الخلل في دلالته على المعنى التركيبي

«وذلك بعدم التعقيد اللفظي والمعنوي» فان كان شاعراً اتسع أمامه ميدان القول في جميع فنون الشعر – من نسيب وتشبيب ومديح وهجاء ووصف ورثاء وعتاب واعتذار وأشباه ذلك وا ٍن كان ناثراً حاك الرسائل المحلاة ، والخطب الممتعة الموشاة ، في الوعظ ، والارشاد ، والحفل والأعياد.

(٢٥/١)

البلاغة في اللغة (الو ُصول والأنتِهاء) يقال بلغ فلان مراده – إذا وصل إليه ، وبلغ الركب المدينة – إذا انتهى اليها (١)

---

(١) البلاغة هي تأدية المعنى الجليل واضحاً بعبارة صحيحة فصيحة : لها في النفس أثر خلاب ، مع ملاءمة كل كلام للموطن الذي يقال فيه ، والاشخاص الذين يخاطبون والبلاغة مأخوذة من قولهم ، بلغت الغاية إذا انتهيت اليها ، وبلغتها غيري – والمبالغة في الشيء الانتهاء إلى غايته – فسميت البلاغة بلاغة لأنها تنهى عن المعنى إلى قلب السامع فيفهمه ، وسميت البلغة بلغة لأنك تتبلغ بها ، فتنتهي بك إلى ما فوقها –وهي البلاغ أيضاً ويقال : الدنيا بلاغ ، لأنها تؤديك إلى الآخرة ، والبلاغ أيضاً التبليغ – ومنه : هذا بلاغ للناس – أي تبليغ – ويقال بلغ الرجل بلاغة إذا صار بليغاً ، كما يقال نبل الرجل نبالة إذا صار نبيلا – قال أعرابي : البلاغة التقرب من البعيد ، والتباعد من الكلفة ، والدلالة بقليل على كثير – وقال عبد الحميد بن يحيى – البلاغة تقرير المعنى في الأفهام من أقرب وجوه الكلام – وقال ابن المعتز البلاغة البلوغ إلى المعنى ولم يطل سفر الكلام – وقال العتابي : البلاغة مد الكلام بمعانيه إذا قصر ، وحسن التأليف إذا طال – وقال عبد الله ابن المقفع : البلاغة لمعان تجري في وجوه كثيرة – فمنها ما يكون في الاشارة ، ومنها ما يكون في =

الحديث ، ومنها ما يكون في الاستماع ، ومنها ما يكون في الاحتجاج ، ومنها ما يكون شعراً ، ومنها ما يكون ابتداء ، ومنها مايكون جواباً ومنها ما يكون خطباً ، ومنها ما يكون رسائل ، فعامة هذه الأبواب الوحي فيها والاشارة إلى المعنى ابلغ –والايجاز هو البلاغة ، فالسكوت يسمى بلاغاً مجازاً – وهي في حالة لا ينجع فيها القول ، ولا ينفع فيها إقامة الحجج – إما عند جاهل لا يفهم الخطاب أو عند وضيع لا يرهب الجواب ، او ظالم سليط يحكم بالهوى ، ولا يرتدع بكلمة التقوى وا ٍذا كان الكلام يعرى من الخير ، أو يجلب الشر فالسكوت أولى ، وقال الرشيد : البلاغة التباعد من الاطالة ، والتقرب من البغية ، والدلالة بالقليل من اللفظ ، على الكثير من المعنى قال أحد الأدباء : ابلغ الكلام ما حسن إيجازه ، وقل مجازه ، وكثر إعجازه ، وتناسبت صدوره وأعجازه.

(٢٦/١)

و َ مبلغ الشيء منتهاه

وبلغ الرجل بلاغة فهو بليغ : إذا أحس َن التّعبير عمّا في نفسه وتقع البلاغة في الاصطلاح : وصفا للكلام ، والمتكلّم فقط ولا توصف «الكلمة» بالبلاغة لقصورها عن الرسول بالم ُ تكلّم إلى غرضه ، ولعدم السّماع بذلك.

بلاغة الكلام

البلاغة في الكلام : مطابقته لما يقتضيه حال الخطاب (١) – مع فصاحة ألفاظه «مفردها ومركبها».

والكلام البليغ : هو الذي ي ُصور ّه المتُكلّم بصورة تناسب ُ أحوال المخاطبين.

وحال الخطاب «ويسمى بالمقام» هو الأمر الحامل للمتكلم على أن ي ُورد َ عبارته على صورة مخصوصة دون أخرى.

والم ُ قتضَ ى – ويسمى الاعتبار الم ُ ناسب» هو الصورة المخصوصة التي ت ُور َ د ُ عليها العبارة.

---

(١) مقتضى الحال – هو ما يدعو إليه الأمر الواقع ، أي ما يستلزمه مقام الكلام واحوال المخاطب من التكلم على وجه مخصوص ، ولن يطابق الحال إلا إذا كان وفق عقول المخاطبين ، واعتبار طبقاتهم في البلاغة ، وقوتهم في البيان والمنطق – فللسوقة كلام لا يصلح غيره في موضعه ، والغرض الذي يبنى له ، ولسراة القوم والأمراء فن آخر لايسد مسده سواه – من أجل ذلك كانت مراتب البلاغة متفاوتة ، بقدر تفاوت الاعتبارات والمقتضيات ، وبقدر رعايتها يرتفع شأن الكلام في الحسن والقبح ، ويرتقي صعداً إلى حيث تنقطع الاطماع ، وتخور القوى ، ويعجز الانس والجن أن يأتو بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ، وتلك مرتبة الأعجاز التي تخرس عندها ألسن الفصحاء لو تاقت إلى العبارة : وقد عرف بالخبر المتواتر أن القرآن الكريم نزل في أرقى العصور فصاحة ، وأجملها بلاغة ولكنه سد السبل أمام العرب عند ما صاح عليهم صيحة الحق ، فوجفت قلوبهم ، وخرست شقاشقهم ، مع طول التحدي وشد النكير (وحقت للكتاب العزيز الكلمة العليا) .

مثلاً – المدح – حال يدعو لا يراد العبارة على صورة الإطناب وذكاء المخاطب – حال يدعو لإيرادها على صورة الإيجاز فكلٌ من المدح والذكاء «حال ومقام» وكلٌ من الإطناب والإيجاز «مقتضَ ى» وا ٍيراد الكلام على صورة الاطناب (١) أو لايجاز ُ «مطابقة للمقُتضَ ى» وليست البلاغة (٢)

---

(١) فان اختلاف هذه الظروف يقتضي هيئة خصوصية من التعبير – ولكل مقام مقال ، فعلى المتكلم ملاحظة المقام أو الحال : وهو الأمر الذي يدعوه إلى أن يورد كلامه على صورة خاصة تشاكل غرضه ، وتلك الصورة الخاصة التي يورد عليها تسمى المقتضى – او الاعتبار المناسب ، فمثلاً الوعيد والزجر

والتهديد مقام يقتضي كون الكلام المورد فيه فخما جزلا والبشارة بالوعد ، واستجلاب المودة ، مقام يتطلبه رقيق الكلام ولطيفه ، والوعظ مقام يوجب البسط والاطناب ، وكون المخاطب عاميا سوقيا ، أو أمراً شريفاً ، يوجب الاتيان بما يناسب بيانه عقله.

(٢) لأن البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع ، فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك ، مع صورة مقبولة ، ومعرض حسن –وا ٍنما جعلنا حسن المعرض وقبول الصورة شرطا في البلاغة ، لأن الكلام إذا كانت عبارته رثة ، ومعرضه قلا ، لم يسم بليغاً وا ٍن كان مفهوم المعنى ، مكشوف المغزى. فعناصر البلاغة إذاً (لفظ ومعنى ، وتأليف للألفاظ) ، يمنحها قوة وتأثيراً وحسنا ، ثم دقة في اختيار الكلمات والأساليب ، على حسب مواطن الكلام و مواقعه ، موضوعاته وحال السامعين ، والنزعة النفسية التي تتملكهم وتسيطر على نفوسهم – فرب كلمة حسنت في موطن ، ثم كانت مستكرهة في غيره – ورب كلام كان في نفسه حسنا خلايا ، حتى إذا جاء في غير مكانه ، وسقط في غير مسقطه ، خرج عن حد البلاغة ، وكان غرضا لسهام الناقدين..

(٢٨/١)

إذاً مـ ُ نحصرة في إيجاد معان جليلة ، ولا في اختيار ألفاظ واضحة جزيلة ، بل هي تتناول مع هذين الأمرين ثالثاً (هو إيجاد أساليب مـ ُ ناسبة للتأليف بين تلك المعاني والألفاظ) مما يـ ُكسبها قوَّة وجمالا وملخص القول إنَّ الأمر الذي يـ َحمل ُ المـ ُ تكلّم على إيراد كلامه في صورة دون أخرى : يـ ُسمى «حالا»وا ٍلقاء الكلام على هذه الصُّورة التي اقتضاها الحال يـ ُسمى «مقتضـ َى»والبلاغة هي مـ ُ طابقة الكلام الفصيح لما يقتضيه الحال.

بلاغة المتكلم

بلاغة المتكلم : هي مـ َ لَكة في النَّفس (١)

---

(١) أي أن الهيئة والصفة الراسخة الثابتة في نفس المتكلم يمكنه بواسطتها أن يعبر عن المعاني التي يريد إفادتها لغيره بعبارات بليغة؛ أي مطابقة لحال الخطاب ، فلو لم يكن ذا ملكة يقتدر بها على التصرف في اغراض الكلام وفنونه بقول رائع ، وبيان بديع بالغاً من مخاطبه كل ما يريد ، لم يكن بليغاً –وا ٍذاً لابد للبليغ : أولا – من التفكير في المعاني التي تجيش في نفسه ، وهذه يجب أن تكون صادقة ذات قيمة ، وقوة يظهر فيها أثر الابتكار وسلامة النظر وذوق تنسيق المعاني وحسن ترتيبها ، فاذا تم له ذلك عمد إلى الالفاظ الواضحة المؤثرة الملائمة ، فألف بينها تأليفاً يكسبها جمالا وقوة.

فالبلاغة ليست في اللفظ وحده ، وليست في المعنى وحده ، ولكنها أثر لازم لسلامة تألبف هذين وحسن انسجامهما ، وقد علم أن البلاغة أخص والفصاحة أعم لانها مأخوذة في تعريف البلاغة – وان البلاغة يتوقف حصولها على أمرين – الأول : الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المقصود ، والثاني : تمييز الكلام الفصيح من غيره – لهذا كان للبلاغة درجات متفاوتة تعلو وتسفل في الكلام بنسبة ما تراعى فيه

مقتضيات الحال – وعلى مقدار جودة ما يستعمل فيه من الأساليب في التعبير والصور البيانية والمحسنات البديعية ، وأعلى تلك الدرجات ما يقرب من حد الاعجاز ، واسفلها ما إذا غير الكلام عنه إلى ما هو دونه التحق عند البلغاء بأصوات الحيوانات العجم وان كان صحيح الاعراب : وبين هذين الطريفين مراتب عديدة.

(٢٩/١)

يقتدر به صاحبها علىتأليف كلام بليغ : مطابق لمقتضى الحال ، مع فصاحته في أي معنى قصده وتلك غاية لن يصل إليها إلاّ من أحاطبأساليبالعرب خبرا وعرف سنن تخاطبهم في منافراتهم ، ومفاخراتهم ، ومديحهم ، وهجائهم وشكرهم ، واعتذارهم ، ليلبس لكل حالة لبوسهاولكل مقام مقال».

أقوال ذوي النبوغ والعبقرية في البلاغة

(قال قدامة : البلاغة ثلاثة مذاهب :

المساواة : وهي مطابقة اللفظ المعني : لا زائداً ولا ناقصاً .

والإشارة : وهي أن يكون اللفظ كاللمحة الدالة.

التذييل : وهو إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد ، ليظهر لمن لم يفهمه ، ويتأكد عند من فهمه (١) .

أولاً – من التفكير في المعاني التي تجيش في نفسه ، وهذه يجب أن تكون صادقة ذات قيمة ، وقوة يظهر فيها أثر الابتكار وسلامة النظر وذوق تنسيق المعاني وحسن ترتيبها ، فاذا تم له ذلك عمد إلى الالفاظ الواضحة المؤثرة الملائمة ، فألف بينها تاليفاً يكسبها جمالا وقوة.

فالبلاغة ليست في اللفظ وحده ، وليست في المعنى وحده ، ولكنها أثر لازم لسلامة تألف هذين وحسن انسجامهما ، وقد علم أن البلاغة أخص والفصاحة أعم لانها مأخوذة في تعريف البلاغة – وان البلاغة يتوقف حصولها على أمرين – الأول : الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المقصود ، والثاني : تمييز الكلام الفصيح من غيره– لهذا كان للبلاغة درجات متفاوتة تعلو و تسفل في الكلام بنسبة ما تراعى فيه مقتضيات الحال – وعلى مقدار جودة ما يستعمل فيه من الأساليب في التعبير والصور البيانية والمحسنات البديعية ، وأعلى تلك الدرجات ما يقرب من حد الاعجاز ، واسفلها ما إذا غير الكلام عنه إلى ما هو دونه التحق عند البلغاء باصوات الحيوانات العجم وان كان صحيح الاعراب : وبين هذين الطريفين مراتب عديدة.

---

(١) نهاية الارب جزء ٧ ص – ٨ .

(٣٠/١)

(٢) وقيل لجعفر بن يحيى : ما البيان ؟ فقال : أن يكون اللفظ محيطاً بمعناك ، كاشفاً عن مغزاك ، وتخرجه من الشركة ، ولا تستعين عليه بطول الفكرةويكون سالماً من التكلّف ، بعيداً من سوء الصنعة ، بريئاً من

التعقيد ، غنياً عن التأمل (١) .

) ومما قيل في وصف البلاغة : لا يكون الكلام يستحقّ اسم البلاغة حتى يُسابِقَ معناهُ لَفظَهُ معناه ، فلا يكون لَفظه إلى سمعك أسبقَ من معناه إلى قلبك (٢)

) وسأل معاوية صُحَاراً العَبديَّ : ما البلاغة ؟ قال : أن تُجيب فلا تُبطيء ، وتُصيبَ فلا تُخطيء (٣) .

) وقال الفضل : قلت لأعرابي ما البلاغة ؟ قال : الايجازُ في غير عَجز ، والاطناب في غير خَطَلٍ (٤) .

) وسُئل ابن المُقفع : ما البلاغة ؟ فقال : البلاغة اسمٌ جَامِعٌ لمعانٍ تجري في وجوه كثيرة : فمنها ما يكون في السكوت ، ومنها ما يكون في الاستماع ، ومنها ما يكون في الاشارة ، ومنها ما يكون في الحديث ، ومنها ما يكون في الاحتجاج ، ومنها ما يكون سَجعاً وخُطباً ، ومنها ما يكون رَسَائل ، فعامَّةُ ما يكون من هذه الأبواب الوحيُ فيها ، والاشارة إلى المعنى ، والإيجاز ، هو البلاغة.

---

(١) نهاية الأرب جزء ٧ ص ٦ .

(٢) من كتاب البيان والتبيين للجاحظ جزء ١ – صحيفة ٩١ .

(٣) نهاية الأرب جزء ٧ ص ٨ ..

(٤) البيان والتبين للجاحظ جزء ١ ص ٩١ .

ا الخُطب فأبين السِّماطين ، وفي إصلاح ذات البَين ، فالإكثار في غير خَطَلٍ ، والاطَالَةَ في غير إملالٍ ، كن في صدر كلامك دليلٌ على حاجتك ، فقيل له : فإن مَلَّ المُستمعُ الاطالَة التي ذكرتَ أنَّها حَقٌّ ذلك الموقف ؟ قال : إذا أعطيتَ كلَّ مقامٍ حَقَّهُ بالذي يجبُ من سياسة ذلك المقام ، وأرضيتَ مَن يَعرف حقوقَ الكلام لما فاتك من رضا الحاسد والعدوّ ، فإنه لا يُرضيهما شيء ، وأما الجاهلُ فَلَستَ منه وليس منك ، وقد كان يقال : رِضاء الناس شيء لا يُنال (١))

أبلغُ الكلام ما سَتَرَ إيجازُهُ ، وقَلَّ مَجَازُهُ ، وكَثُر إعجازُهُ ، وتناسَبت صُدُورُه وأعجَازُه (٢) .

) وسمع خالدُ بنُ صَفوان رجلاً يتكلّم ، ويكثرُ الكلام ، فقال : اعلم (رحمك الله) أن البلاغة ليست بخفَّة اللّسان ، وكثرة الهذيان ، ولكنها بإصابة المعنى والقصد إلى الحُجّة (٣)

) وقال بشرِ بن المعتمر : فيما يجب أن يكون عليه الخطيب والكاتب رسالة من أنفس الرسائل الأدبية البليغة ، جمعت حدود البلاغة وصوّرتها أحسَنَ تصوير ، وسنذكر مع شيء من الإيجاز ما يتصل منها بموضوعنا – قال :

خُذ من نفسك ساعةَ نشاطِكَ ، وفراغِ بالِكَ ، وإفجابتها إيَّاك ؛ فانّ قليلَ تلك الساعة أكرَمُ جَوهَراً ، واشرفُ

سباً ، وأحسّ نجُ في الأسماع ، وأحلى في الصدُّدُور ، واسلمُ من فاحش الخطأ ، وأجلَبُ لكل عَينٍ وغُرَّة : من لفظ شريف ، ومعنى بديع.

واعلم أن ذلك أجدَى عليك : مما يعطيك يَومُكَ الأطولَ والمُطاوَلة والمجاهدة ، وبالتكلُّفِ والمعاودة.

---

(١) البيان والتبيين جزء ١ ص ٩١ ، ٩٢ .

(٢) نهاية الأرب جزء ٧ ص ١١ .

(٣) مختار العقد الفريد ص ٩٨ .

(٣٢/١)

وإيَّاك والتّوعُرَ ؛ فإنّ التّوعر يُسلِمُك إلى التّعقيد ، والتعقيد هو الذي يستهلك معانيكَ ، ويشين ألفاظَك ، ومن أولى مكريماً فَليَلتمس له لفظاً كريماً ، فإن حقَّ المعنى الشريف اللفظُ الشريف ، ومن حقهِّما أن تصونهما عما يفسدهما ويهُجِّنهما....

وكن في ثلاث منازل : فان أولى الثلاث ان يكون لفظكَ رشيقاً عذباً ، وفَخماً سهلاً ، ويكونَ معنك ظاهراً وفلكَشوقريباً معروفاً ، إمَّا عند الخاصة : إن كنت للخاصة قَصَدت ، وإمَّا عند العامة : إن كنت للعامة أرَدت ، والمعنى ليس يشرُف بأن يكون من معاني الخاصة ، وكذلك ليس يَتَّضِعُ بان يكون من معاني العامة ، وإنما مدار الشرف على الصواب ، وإحراز المنفعة ، مع موافقة الحال ، وما يجب لكل مقام من المقال ، وكذلك اللفظُ العامِّي والخاصِّي ، فان أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك ، وبلاغة قلمك ، ولطف مَداخلك ، واقتدارك على نفسك.

على أن تفهم العامة معاني الخاصة ، وتكسوها الألفاظ الواسِعةَ التي لا تلطفُ عن الدّهماءِ ولا تجفُو عن الأكفاء ، فأنت البليغ التام.

فان كانت المنزلة الأولى لا تُواتيك ولا تَعتَريك ، ولا تسنح لك عند أوّل نظرِك ، وفي أوّل تكلّفك ، وتجد اللفظة مَوقِعها ن ولم تصل إلى قرارها وإلى حقَّها : من أماكنها المقسومة لها ، والقافية لم تحُلَّ في مركزهاوفي نصابها ، ولم تصل بشكلها ، وكانت قلقة في مكانها ، نافرة من موضعها ، فلا تُكرهها على اغتصاب الأماكن ، والنّزول في غير أوطانها ، فانك إذا لم تتعاط قرضَ الشعر الموزون ، ولم تتكلّف أختيار الكلام المنثور ، لم يَعبكَ بترك ذلك أحد ، وإن انت تكلَّفته ، ولم تكنحاذقاً مطبوعاً ، ولا مُحكماً لسانك ، بصيراً بما عليك أو مَالَكابك من أنت أقَلُّ عيباً منه ، ورأى من هو دونَكَ أنهُ فوقك.

(٣٣/١)

فإن ابتليتَ بان تتكلّفَ القول ، وتتعاطى الصّنعة ، ولم تسمح لك الطباع في أول وَهلة ، وتَعصى عليك بعد إحالة الفِكرة جفَلاً تولا تضجَر ، ودَعهُ بياض يومك ، أو سوادَ ليلك ، وعاوده عند نشاطك وفراغ بالك

، فإنك لا تعدَمُ الإجابة والمُواتاة ، إن كانت هناك طبيعة ، أو جَرَيتَ من الصناعة على عِرق.

فإن تَمنَّع عليك بعد ذلك من غير حادث شُغلٍ عَرضَ ، ومن غير طول إهمال – فالمنزلة الثالثة أن تتحوّل من هذه الصناعة إلى أشهى الصناعات إليك ، وأخفّها عليك... ؛ لأن النفوس لا تجود بمكنونها مع الرغبَة ، ولا تسمح بمخزونها مع الرَّهبَة ، كما تجُودُ به مع المحبّة والشّهوة. فهكذا هذا.

وينبغي للمتكلم : أن يعرف أقدار المعاني ، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين ، وبين اقدار الحالات؛ فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ولكل حالة من ذلك مقاما حتى يقسِّم أقدار الكلام على أقدار المعاني ، ويقسِّم أقدار المعاني على أقدار المقامات ، واقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات.

وبعدُ ، فأنت ترى فيما قالوه : أن حدّ البلاغة – هو أن تجعل لكل مقام مقالا؛ فتوجز : حيث يحسن الإيجاز ، وتطنب : حيث يجمل الاطناب ، وتؤكد : في موضع التوكيد ، وتقدم أو تؤخر : إذا رأيت ذلك أنسبَ لقولك ، وأوفى بغرضك ، وتخاطب الذكي بغير ما تخاطب به الغبي ، وتجعل لكل حال ما يناسبها من القول ، في عبارة فصيحة ، ومعنى مختار.

ومن هنا عَرَّفَ العلماء «البلاغة»بأنها : مطابقة الكلام لمقتضَى الحال مع فصاحة عباراته.

واعلم : أنَّ الفرق بين الفصاحة والبلاغة : أن الفصاحةَ مقصورةٌ على وصف الألفاظ ، والبلاغةَ لا تكون إلا وصفاً للألفاظ مع المعاني ؛ وأن الفصاحةَ تكون وصفاً للكلمة والكلام ، والبلاغةَ لا تكون وصفاً للكلمة ، بل تكون وصفاً للكلام ، وأن فصاحة الكلام شرط في بلاغته ؛

فكل كلام بليغ : فصيحٌ ، وليس كل فصيح بليغاً ، كالذي يقع فيه الإسهاب حين يجب الإيجاز.

تمرين

بيَّن الحال ومقتضاه فيما يلي :

(٣٤/١)

(١) هنَاء محَا للفواء المُقدما فما عبس المحزونُ حتى تبسَّما

(٢) تقول للرّاضي عن إثارة الحروب (إن الحرب مُتلفةٌ للعباد ، ذهَّابَةٌ بالطّارف والتَّلاد)

(٣) يقول الناس إذا رأوا لِصًّا. أو حريقاً : لصٌّ –حريقٌ .

(٤) قال تعالى (وَإِذَا لاَ نَدرِي أَشَرٌّ بِمَن فِي الأرض ، أم أَرَادَ بِهِم رَبُّهُم رَشَدا)

(٥) يقول راثي البرامكة ..

أُصِبتُ بسَادةٍ كانوا عيوناً بهم نسقى إذا انقطعَ الغَمامُ

ملاحظات

---

(١) الحال هنا هو تعجيل المسرة – والمقتضى هو تقديم الكلمة الدالة على السرور – «وهي كلمة هناء»

(٢) الحال هنا هو إنكار الضرر من الحرب – والمقتضى هو توكيد الكلام .

(٣) الحال هنا هو ضيق المقام – والمقتضى هو الاختصار بحذف المسند إليه والتقدير ، هذا لص ، هذا حريق .

(٤) الحال في (أشر أريد) هو عدم نسبة الشر إلى الله تعالى ، والمقتضى هو حذف الفاعل ، إذ الأصل ، أشر أرادة الله بمن في الأرض.

والحال في (أم أراد بهم ربهم رشداً) هو نسبة الخير إلى الله تعالى ، والمقتضى بقاء الفاعل من غير حذف «أي فعل الارادة جاء مع الشر على صورة المبني للمجهول ، ومع الرشد على صورة المبني للمعلوم ، والحال الداعية إلى بناء الأول للمجهول (التأدب) في جانب الله تعالى بعدم نسبة الشر إليه صراحة ، وا ٍن كان الخير والشر مما قدره الله تعالى وأراده» .

(٥) الحال هنا هو الخوف من (الرشيد) ناكب البرامكة ، والمقتضى حذف الفاعل من اصبت .

(٣٥/١)

(١) التّنافر : يُعرف (بالذوق) السلّيم؛ والحِسّ الصّادق (١) .

(٢) مخالفة القياس : تُعرف (بعلم الصرّف).

(٣) ضعف التّأليف والتّعقيد اللّفظي : يُعرفان (بعلم النحو).

(٤) الغرابة : تُعرف بكثرة (الاطّلاع) على كلام العرب ، والإحاطة بالمفردات المأنوسة.

(٥) التّعقيد المعنوي : يُعرف (بعلم البيان).

(٦) الأحوال ومقتضياتها : تُعرف (بعلم المعاني).

(٧) خلوّ الكلام من أوجه التّحسين التي تكسوه رِقة ولَطافةً بعد رِعايَة مُطابقته : تعرف (بعلم البديع).

فاذاً وجَب عَلَى طالب البلاغة معرفةُ : اللغة والصّرف ، والنّحو ، والمعاني والبيان ، والبديع مع كونه سليم الذوق ، كثير الاطّلاع على كلام العرب ، وصاحب خبرة وافرةٍ بكُتُب الأدب ، ودِرايَة ، تامَّة بعاداتهم وأحوالهم ، واستظهار للجيد الفاخرِ من نَثرهم ونظمهم ، وعلم كامل بالنّابغين من شعراء ، وخطباء ، وكُتاب – ممَّن لَهم الأثر البيّن في اللُّغة والفضلُ الأكبرُ على اللّسان العربي المبين.

---

(١) الذوق : في اللغة الحاسة يدرك بها طعم المأكل – وفي الاصطلاح – قوة غريزية لها اختصاص بادراك لطائف الكلام ومحاسنه الخفية ، وتحصل بالمثابرة على الدرس ، وممارسة كلام أئمة الكتاب ، وتكراره على السمع ، والتفطن لخواص معانيه وتراكيبه – وأيضاً تحصل بتنزيه العقل والقلب عما يفسد الآداب والأخلاق . فان ذلك من أقوى أسباب سلامة الذوق .

أعلم أن (الذوق السليم) هو العمدة في معرفة حسن الكلمات وتمييز ما فيها من وجوه البشاعة ومظاهر الاستكراه ، لأن الألفاظ أصوات ، فالذي يطرب لصوت البلبل ، وينفر من صوت البوم والغربان ، ينبو سمعه عن الكلمة إذا كانت غريبة متنافرة الحروف – ألا ترى أن كلمتي (المزنة والديمة – السحابة الممطرة) كلتاهما

سهلة عذبة يسكن اليهما السمع بخلاف كلمة (البعاق) التي في معناهما فانها قبيحة تصك الأذن وأمثال ذلك كثير في مفردات اللغة تستطيع أن تدركه بذوقك – وقد سبق شرح ذلك

(٣٦/١)

أسباب ونتائج

يحسُن أيضاً بطالب البلاغة أن يعرف شيئاً عن (الأسلوب) الذي هو المعنى المَصُوغُ في الفاظ مؤلَّفة على صورة تكون أقربَ لنيل الغرض المقصود من الكلام ، وأفعلَ في نفوس سامعيه.

وأنواع الأساليب ثلاثة :

(١) «الأسلوب العلمي» وهو أهدأُ الأساليب ، وأكثرها احتياجاً إلى المنطق السَّليم ، والفكر المُستقيم ، وأبعدُها على الخيال الشَّعري ، لأنه يخاطب العقل ، ويُناجي الفكر ، ويَشرَحُ الحقائق العلمية التي ، لا تخلو من غموض وخفاء ، و أظهرُ ميزات هذا الأسلوب «الوضوح» ولا بدَّ أن يبدوَ فيه أثر القوة والجمال ، وقوَّته في سطوع بيانه ، ورصانةِ حُججه ؛ وجَمالَه في سُهُولةِ عباراتهن وسلامة الذّوق في اختيار كلماته ، وحسن تقريره المعنى في الأفهام ، من أقرب وجوه الكلام.

فيجب أن يُعنَى فيه باختيار الألفاظ الواضحة الصريحة في معناها الخالية من الاشتراك ، وأن تُؤلَّف هذه لألفاظا في سُهولة وجلاء ، حتى تكون ثَوباً شفَّافاً للمعنى المقصود ، وحتى لا تصبح مَثاراً للظّنون ، ومجالا للتوجيه والتأويل.

ويحسُن التَّنحي عن المجاز ، ومُحَسنّات البديع في هذا الأسلوب ، إلاّ ما يجيء من ذلك عفواً ، من غير أن يمس أصلا من أصوله ، أو ميزة من ميزاته.

أمّا التَّشبيه الذي يُقصد به تقريب الحقائق إلى الأفهام ، وتوضيحها بذكر مماثلها ، فهو في هذا الاسلوب حسن مقبول.

(٢) «الأسلوب الأدبي» أبرزُ صفاته ، وأظهر مُمَيزاته ، ومنشَأ جماله ، لما فيه من خيال رائع ، وتصوير دقيق ، وتلَمُّس لوجوه الشّبه البعيدة بين الاشياء ، وإلباس المعنوي ثوبَ المحسوس ، وإظهار المحسوس في صورة المعنويِّ.

ومِمَّا يسهّل عليك : أن تَعرِف أنَّ الشعر والنثر الفَنِّي هما مَوطِنا هذا الأسلوب ، ففيهما يَزدهر ، وفيهما يبلغ قِمَّة الفن والجمال.

(٣٧/١)

(٣) «الأسلوب الخطابي» يُبرِزُ قوَّة المعاني والألفاظ ، وقوة الحجّة والبرهان ، وقوة العقل الخصيب ، وهنا يتحدِّث الخطيب إلى إرادة سامعيه لإثارة عزائمهم ، واستنهاض هممهم ، ولجمال هذا الاسلوب ووضوحه ، شأنٌ كبير في تأثيره ، ووصوله إلى قرارة النفوس ، ومِمَّا يزيد في تأثير هذا الأسلوب ، منزلة الخطيب في

نفوس سامعيه ، وقوةُ عارضته ، وسطوعُ حُجّته ، ونبَراتُ صوته ، وحسنُ إلقائه ، ومُحكَمُ إشاراته.

ومن أظهر مُميزات هذا الأسلوب إ التّكرار واستعمال المُترادفات وضربُ الأمثال ، واختيار الكلمات الجزلة ذات الرّنين.

و َيحسن فيه أن تتعاقب ضروب التّعبير – من إخبار ، إلى استفهام ، إلى تعجب ، إلى استنكار ، وأن تكون مواطن الوقف كافية شافية ، ثم واضحاً قَويًّا ويظنّ النّاشئون في صناعة الأدب : أنه كلّما كثُر المجاز ، وكثُرت التّشبيهات ، والأخيلة ، في هذا الأسلوب -زاد حُسنه.

وهذا خطأ بيِّن ، فإنه لا يذهب بجمال هذا الأسلوب أكثر من التّكلُّف ، ولا يفسده شَرٌّ من تَعمُّدِ الصنّاعة.

علم المعاني

الكلامُ البليغ : هو الذي يُصورُه المتكلّم بصورة تناسب أحوال المخاطبين ، وإذاً لابُدّ لطالب البلاغة أن يدرس هذه الأحوال ، ويَعرف ما يجب أن يُصَوَّر به كلامه في كل حالة ، فيجعل لكل مقام مقَالا.

(٣٨/١)

واتفق رجال البيان على تسمية العلم الذي تُعرف به أحوال اللّفظ العربي التي بها يُطابقُ اقتضاء الحال : باسم «علم المعاني (١) » .

تعريف علم المعاني ، وموضوع ، وواضعه

---

(١) قال بعض العلماء – المعاني المتصورة في عقول الناس المتصلة بخواطرهم خفية بعيدة ، لا يعرف الانسان ضمير صاحبه ، ولا حاجة أخيه ، ولا مراد شريكه ، ولا المعاون له على أمره ، الا بالتعابير التي تقر بها من الفهم ، وتجعل الخفي منها ظاهراً والبعيد قريباً ، فهي تخلص الملتبس ، وتحل المنعقد ، وتجعل المهمل مقيداً ، والمقيد مطلقا والمجهول معروفا ، والوحشي مألوفا ، وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الاشارة يكون ظهور المعنى ، والعاقل يكسو المعاني في قلبه ، ثم يبديها بألفاظ عرائس في أحسن زينة ، فينال المجد والفخار ، ويلحظ بعين العظمة والاعتبار ، والجاهل يستعجل في اظهار المعاني قبل العناية بتزيين معارضها ، واستكمال محاسنها ، فيكون بالذم موصوفا ، وبالنقص معروفاً ويسقط من أعين السامعين ، ولا يدرج في سلك العارفين .

واعلم أن الأصل في اللفظ أن يحمل على ظاهر معناه ، ومن يذهب إلى التأويل يفتقر إلى دليل كما جاء في القرآن ، «وثيابك فطهر» فان الظاهر من لفظ الثياب هو ما يلبس ومن تأول ذهب إلى أن المراد هو القلب لا الملبوس ، وهذا لابد له من دليل ، لأنه عدول عن ظاهر اللفظ .

واعلم أيضاً أنه يجب صناعة على معاني المعاني أن يرجح المعاني بحيث يرجح بين حقيقة و مجاز – أو بين حقيقتين ، أو مجازين .

(٣٩/١)

) علم (المعاني أصولٌ وقو َ اعِ د يُ عرف بها أحوال الكلام العربي التي يكون بها م ُ طابقاً لِ مقتضى الحال (١) .بحيث يكون وفق الغ َ ر َ ضِ الذي سيق َ له.

فذكاء المُ خاطب : حال تَ قتضي إيجاز القول فإذا أو َ جزت َ في خطابه كان كلامك مطابقاً لمقتضى الحال ، وغباوته حال تقتضي الإطناب والإطالة فإذا جاء كلامك في مخاطبته مطنباً : فهو مطابق لم ُ قتض َ ى الحال ، ويكون كلامك في الحالين بليغان و َ لو أنك عكست لانتفت من كلامك صفة البلاغة.

---

(١) الحال هو الأمر الداعي للمتكلم إلى إيراد خصوصية في الكلام ، وتلك الخصوصية هي مقتضى الحال – مثلا إن كان بينك وبين مخاطبك عهد بشيء – فالعهد حال يقتضي إيراد الكلام معرفا ، والتعريف هو مقتضى الحال ، فالحال هو ما بعد لام التعليل المذكورة بعد كل خصوصية كقولك في الذكر : ذكر لكون ذكره الأصل وفي الحذف : حذف للاستغناء عنه – وهلم جرا .

(٤٠/١)

(٢) و َ موضوعه اللَّفظُ العربي ، من حيث ُ إفادتُ ه المعاني الثَّواني (١) . التي هي الأغراض المقصودةُ للمتكلّم ، من جعل الكلام مشتملا على تلك اللَّطائف والخصوصيّ ات ، التي بها يُ طابق ُ م ُ قتضى الحال.

(٣) وفائدته : ١معرفة إعجاز القرآن الكريم ، من جهة ماخصَّه الله به من جودة السبْك ، وحُ سن الوصف وبَ راعة التَّراكيب ن ولُطف الإيجاز وما اشتمل عليه من سُ هولة التر َّكيب ، وجزالة كلماتهن وعُ ذوبة ألفاظه وسلامتها – إلى غير ذلك من محاسنه التي اقعدت العربن مناهضته ، وحارت َ عقولهُ م أمام فصاحته وبلاغته.

(ب) والوقوف على أسرار البلاغة والفصاحة : في م َ نثور كلام العرب ومنظومه كي تحتذى َ حذوه ، وتَ نسُ جَ على منواله ، وتَ فرق َ بين جَ يِّد الكلام و َ ردِيئه.

---

(١) أي والمعاني الأول – ما يفهم من اللفظ بحسب التركيب ، وهو أصل المعنى مع زيادة الخصوصيات من التعريف والتنكير : قال بعض أهل المعاني الكلام الذي يوصف بالبلاغة ، هو الذي يدل بلفظه على معناه اللغوي. أو العرفي ، أو الشرعي – ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية على المعنى المقصود الذي يريد المتكلم إثباته أو نفيه – فهناك الفاظ ومعان أول – ومعان ثوان – فالمعاني الأول هي مدلولات التركيب ، والالفاظ التي تسمى في علم النحو أصل المعنى – والمعاني الثواني الاغراض التي يساق لها الكلام ولذا قيل (مقتضى الحال) هو المعنى الثاني ، كرد الانكار ودفع الشك – مثلا إذا قلنا ان زيداً قائم ، فالمعنى الأول هو القيام لزيد ، والمعنى الثاني هو رد الانكار ، ودفع الشك بالتوكيد – وهلم جرا – والذي يدل على المعاني خمسة أشياء : اللفظ ، والاشارة والكتابة ، والعقد ، والحال.

(٤١/١)

(٤) وواضعه الشيخ (عبد القاهر الجُرجاني) المُتوفي سنة ٤٧١ هـ (١) .

---

(١) اعلم أنه لما احتدم الجدل صدر الدولة العباسية ، إبان زهو اللغة وعزها في بيان وجوه اعجاز القرآن ، وتعددت نزعات العلماء في ذلك ولما قامت سوق نافقة للمناظرة بين أئمة اللغة والنحو ، أنصار الشعر القديم الذين جنحوا إلى المحافظة على أساليب العرب ، ورأوا الخير كله في الوقوف عند أوضاعهم وبين الأدباء ..والشعراء أنصار الشعر الحديث الذين لم يحفلوا بما درج عليه اسلافهم وآمنوا بأن للحضارة التي غذوا بلبانها آثاراً ، غدوا معها في حل من كل قديم ولما شجر الخلاف بين أساطين الأدب في بيان جيد الكلام ورديئه دعت هذه البواعث ولفتت أنظار العلماء إلى وضع قواعد وضوابط يتحاكم اليها الباحثون ، وتكون دستوراً للناظرين في آداب العرب (المنثور منها والمنظوم) ولا نعلم أحداً سبق أبا عبيدة بن المثنى المتوفى سنة ٢١١ هـ تلميذ الخليل بن احمد في تدوين كتاب في علم البيان يسمى (مجاز القرأن) كما لا نعرف بالضبط أول من ألف في علم المعاني -وإنما اثر فيه نبذ عن بعض البلغاء كالجاحظ في كتابه «اعجاز القرآن «وابن قتيبة في كتابه «الشعر والشعراء» – والمبرد في كتابه «الكامل» ولكن نعلم أن أول من ألف في البديع (الخليفة عبد الله بن المعتز بن المتوكل العباسي) المتوفى سنة ٢٩٦ هـ وما زالت هذه العلوم تسير في طريق النمو ، حتى نزل في الميدان الامام (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني) المتوفى سنة ٤٧١ هـ فشمر عن ساعد الجد ، ودون كتابية – أسرار البلاغة – ودلائل الاعجاز – وقرن فيهما بين العلم والعمل ، ثم جاء إثر عبد القاهر – (جار الله الزمخشري) ، فكشف في تفسسيره «الكشاف» عن وجوه إعجاز القرآن ، وأسرار بلاغته ، وأوضح ما فيه من الخصائص والمزايا ، وقد ابان خلالها كثيرا من قواعد هذه الفنون – ثم نهض بعده (أبو يعقوب يوسف السكاكي) المتوفى سنة ٦٢٦ هـ فجمع في القسم الثالث من كتابه «المفتاح» ما لا مزيد عليه ، وجاء بعده علماء القرن السابع فما بعده يختصرون ويضعون مؤلفاتهم حسب ما يسمح به مناهج التعليم للمتعلمين في كل قطر من الأقطار حتى غدت أشبه بالمعميات والالغاز .

(٤٢/١)

(٥) واستمداده –من الكتاب الشَّريف ، والحديث النَّبوي وكلام العرب.

واعلم : أنَّ المعاني جمعُ معنىً ؛ وهو في اللغة : المقصود وفي اصطلاح البيانيين –هو التَّعبير باللفظ عمَّا يتَصوَّره الذَهن أو هو الصورة الذهنية ، من حيثُ تقصدُ من اللفظ واعلم انَّ لكل جملة رُكنين مسنداً – ويسمى محكوماً به أو مُخبراً به ومُسنداً إليه ، ويسمى محكوماً عليه أو–مُخبرا عنه وامّا النسية التي بينهما فتُدعى «إسناداً » وما زاد على المسند والمسند إليه من مفعول وحال ، وتمييز ، ونحوها – فهو قيد زائد على تكوينها إلاّ صِلَة الموصول ، والمضاف إليه (١)

«والإسناد انضمام كلمةٍ (٢) إلى مُسند» إلى أخرى (٣)

---

(١) اعلم أن الجمل ليست في مستوى واحد عند أهل المعاني ، بل منها جمل رئيسية وجمل غير رئيسية ، والأولى هي المستقلة التي لم تكن قيداً في غيرها ، والثانية ما كانت قيدا إعرابيا في غيرها ، وليست مستقلة بنفسها.

والقيود هي : أدوات الشرط ، والنفي ، والتوابع ، والمفاعيل ، والحال ، والتمييز وكان وأخواتها ، وان واخواتها ، وظن أخواتها – كما سيأتي :

(٢) أي – وما يجري مجراها .

(٣) أي – وما يجري مجراها – كما سيأتي :

(تنبيه) الاسناد : مطلقاً قسمان حقيقة عقلية ، ومجاز عقلي – فالحقيقة العقلية هي اسناد الفعل أو ما في معناه إلى ما في معناه إلى ما وضع له عند المتكلم في الظاهر من حاله نحو : تجري الأمور بما لا يشتهي البشر ، وأنبت الله النبات ، والمجاز العقلي (ويسمى اسنادا مجازيا ، ومجازاً حكمياً ، ومجازا في الاسناد) هو اسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة من ارادة الاسناد إلى ما هو له نحو – تجري الرياح بما لا تشتهي السفن – وله علاقات شتى – فيلائم الفاعل لوقوعه منه نحو سيل مفعم بفتح العين أي مملوء – فاسناد مفعم وهو مبني للمفعول إلى ضمير السيل وهو فاعل مجاز عقلي ملابسته الفاعلية –ويلائم المفعول به لوقوعه عليه نحو عيشة راضية : فاسناد راضية وهو مبني للفاعل إلى ضمير العيشة وهي مفعول به (مجاز عقلي) ملابسته المفعولية – ويلائم الزمان والمكان لوقوعه فيهما نحو صام نهاره ، وسال الميزاب ، ونهار صائم ، ونهر جار ، ويلائم المصدر نحو جد جده ، ويلائم السبب نحو بني الأمير المدينة – وكما يقع المجاز العقلي في الاسناد يقع في النسبة الاضافية : كمكر الليل . وجرى الانهار ، وشقاق بينهما.

وغراب البين (على زعم العرب) وفي النسبة الايقاعية : نحو (وأطيعوا أمري ولا تطيعوا أمر المسرفين) ، واجريت النهر – وكما يكون في الاثبات يكون في النفي نحو قوله تعالى «فما ربحت تجارتهم» ، وما نام ليلى – على معنى خسرت تجارتهم ، وسهر ليلى قصدا إلى اثبات النفي ، لا نفى الاثبات –ويكون أيضاً في الانشاء كما سبقت الاشارة إليه نحو قوله تعالى «أصلاتك تأمرك» ونحو «ياهامان ابن لي صرحا» ، وليصم نهارك ، وليجد جدك ، وليت النهر جار – وما أشبه ذلك.

وأقسامه باعتبار حقيقة طرفيه ومجازيتهما أربعة – لأنهما أما حقيقتان لغويتان نحو أنبت الربيع البقل – أو مجازان لغويان نحو أحيا الارض شباب الزمان ، إذ المراد باحياء الارض تهييج القوىالنامية فيها ، وا ٍحداث نضارتها بأنواع الرياحين ، والاحياء في الحقيقة اعطاء الحياة ، وهي صفة تقتضي الحس والحركة ، وكذا المراد بشباب الزمان زمان ازدياد قواها النامية ، وهو في الحقيقة عبارة عن كون الحيوان في زمان تكون حرارته الغريزية مشبوبة أي قوية مشتعلة – أو المسند حقيقة لغوية والمسند إليه مجازى لغوي : نحو أنبت البقل شباب الزمان – أو المسند إليه حقيقة لغوية والمسند مجاز لغوي نحو أحيا الارض الربيع ووقوع المجاز العقلي في القرآن كثير : نحو ما تقدم ، ونحو «إ ذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا» ، وينزع عنهما لباسهما ، وأخرجت الأرض أثقالها ، «فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا».

ولا بد له من قرينة صارفة عن ارادة المعنى الاصلي لأن الفهم لولا القرينة يتبادر إلى الحقيقة – والقرينة إما لفظية وا ٍما معنوية فاللفظية كقولك هزم الأمير الجند وهو في قصره ، والمعنوية كاستحالة قيام المسند بالمسند إليه المذكور معه عقلا بمعنى أنه لو خلى العقل ونفسه عد ذلك القيام محالا كقولك محبتك جاءت بي اليك ، لاستحالة قيام المجيء بالمحبة عقلا ، وكاستحالة ما ذكر عادة نحو هزم الأمير الجند لاستحالة قيام هزيمة الجند بالأمير وحده عادة ، وان أمكن عقلا ، وكأن يصدر من الموحد : نحو

أشاب الصغير وأفنى الكبير كر الغداة ومن العشي

فأن صدور ذلك من الموحد قرينة معنوية على أن إسناد أشاب وافنى إلى كر الغداة ومر العشي مجاز ، ثم هذا غير داخل في الاستحالة إذ قد ذهب إليه كثير من المبطلين ولا يجب أن يكون في المجاز العقلي للفعل فاعل يعرف الاسناد إليه حقيقة ، بل تارة يكون له فاعل ، يعرف إسناده إليه حقيقة كما تقدم ، وتارة لا – نحو قوله.

يزيدك وجهه حسنا إذا ما زدته نظراً

فان اسناد الزيادة للوجه مجاز عقلي وليس لها أي الزيادة فاعل يكون الاسناد إليه معروفا حقيقة ، ومثله سرتني رؤيتك وأقدمني بلدك حق لي عليك ، فهذه الأمثلة ونحوها من المجاز العقلي الذي لا فاعل له يعرف الاسناد إليه حقيقة : كما قال الشيخ (عبد القاهر) – وقيل لابد له من فاعل يعرف الاسناد إليه حقيقة ، ومعرفته إما ظاهرة نحو (فما ربحت تجارتهم) أي فما ربحوا في تجار تهم –وا ٍما خفية كهذه الأمثلة والفاعل الله تعالى ، هذا – وقد أنكر (السكاكي) المجاز العقلي ذاهبا إلى أن أمثلته السابقة ونحوها منتظمة في سلك الاستعارة بالكناية فنحو أنبت الربيع البقل يجعل الربيع استعارة عن الفاعل الحقيقي ، بواسطة المبالغة في التشبيه ، ويجعل نسبة الانبات إليه قرينة الاستعارة وسيأتي مذهبه ان شاء الله تعالى في فن البيان عند الكلام على الاستعارة بالكناية .

(تنبيه) ذكر بعض المؤلفين (مبحث المجاز العقلي والحقيقة العقلية) في أحوال الاسناد من علم المعاني. وبعضهم ذكرهما في فن البيان عند تقسيم اللفظ إلى حقيقة ومجاز ولكل وجهة .

(٤٣/١)

«المسند» إليه» و َ جه ٍ ي ُفيد الحكم باحداهما على الأخرى : ثُبوتاً –أو نفياً نحو : الله واحدٌ لا شريك له.

ومواضع المسند ثمانية :

(١) خبر المبتدأ – نحوقار ٌ » من قولك الله قادر ٌ .

(٢) والفعل التام – نحو «حضر» من قولك – حضر الأمير.

(٣) واسم الفعل – نحو «هيهاتو َ ى وآمين َ .

)(والمبتدأ الوصف ُ الم ُستغنى عن الخبر بمرفوعه – نحو «عارف» من قولكأعارف ٌ أخوك قدر َ الإنصاف.

(٥) وَ أخبار النَّواسخ «وذَ ظَائر ُ ها إِنَّ ونظائر ُ ها»
(٦) والمفعول الثاني لظنّ وأخواتها.
(٧) والمفعول الثالث لأرَى وأخواتها.
(٨) والمصدر النّائب عن فعل الأمر – نحو «سعياً في الخير»
وَ مواضع المسند إليه ستة :
(١) الفاعلُ «للفعل التّام أو شبهه» نحو «فؤاد – وأبوه» من قولك حضر فؤادٌ العالم ابوه.
(٢) واسماء النَّواسخ : كان وأخواتها ، وا إِنّ وَ أخواتها – نحو «المطرُ » من قولك –كان المطر غزيراً ، ونحو : إِنّ المطرَ غزير
(٣) والمبتدأ الذي له خبر – نحو «العلم» من قولك : العلم نافع.
(٤) والمفعول الأول لظنّ وأخواتها.
(٥) والمفعول الثاني لأرَى واخواتها.
(٦) ونائب الفاعل – كقوله تعالى (ووضع الكتاب)
ثم إن المسند والمسند إليه يتنوعان إلى أربعة أقسام :
(١) إما ان يكونا كلمتين حقيقة – كما ترى في الأمثلة السالفة.
(٢) وا إِما ان يكونا كلمتين حُكما – نحو «لا إله إلا الله ينجو قائلها من النار» أي توحيدُ الاله نجاة من النار».
(٣) وا إِما أن يكون المسند إليه كلمة حكما ، والمسند كلمة حقيقة نحو «سماعك بالمعيدي خيرٌ من أن تراه» أي «سماعك بالمعيدي خير من رؤيته».
(٤) وا إِمّا بالعكس – نحو «الأمير قربُ قدومه» (١) أي «الأمير قريب قدومه»
ويُسمى المسند – والمسند إليه : ركنى الجملة.

---

(١) ففي الأول يؤول – سماعك بالمعيدي خير – وفي الثاني – الأمير قريب قدومه ، وفي نحو : لا إله إلا الله ينجو قائلها من النار – عدم شريك للمولى نجاة من النار .

وكل ما عداهما يعتبر قيداً زائداً عليها – كما سبق الكلام عليه وينحصر (علم المعاني) في ثمانية أبواب – وخاتمة.

الباب الأول في تقسيم الكلام إلى خبر وا إنشاء

«وفي هذا الباب ثلاثة مباحث»

المبحث الأول في حقيقة الخبر

ألخبر ُ : كلامٌ يحتملُ الصدق والكذب لذاته (١)

وا ِن شئت فقل الخبر ُ هو ما يتحقّق مدلوله ُ في الخارج بدون النطق به» نحو : العلم نافعٌ ، فقد أثبتنا صفة النَّفع للعلم ، وتلك الصِّفة ثابتة له (سواء لفظت بالجملة السابقة أم لم تتلفّظ) لأن نفع العلم أمر ٌ حاصل في الحقيقة والواقع ، وا ِنما أنت تحكى ما اتَّفق عليه الناس قاطبة ، وقضت به الشرائع ، وهدت إليه العقول ُ ، بدون نظر إلى إثبات جديد.

والمراد : بصدق الخبر م ُطابقته للواقع ونفس الأمر

---

(١) أي بقطع النظر عن خصوص المخبر ، أو خصوص الخبر -وا ِنما ينظر في احتمال الصدق والكذب إلى الكلام نفسه لا إلى قائل : وذلك لتدخل الاخبار الواجبة الصدق كأخبار الله تعالى ، وأخبار رسله ، والبديهيات المألوفة – نحو السماء فوقنا – والنظريات المتعين صدقها ، لا تحتمل شكا كاثبات العلم والقدرة للمولى سبحانه وتعالى – ولتدخل الأخبار لواجبة الكذب كأخبار المنبئين في دعوى النبوة .

(٤٥/١)

والمراد بكذبه عدم مطابقته له ، فجملة : العلم نافع –ان كانت نسبتُه الكلاميَّة (وهي ثبوت النفع المفهومة من تلك الجملة) مطابقةً للنسبة الخارجيّة – أي موافقة لما في الخارج والواقع فصدقٌ »وا ِلا «فكذب» نحو «الجهل نافع» فنسبته الكلامية ليست مطابقة وموافقة للنسبة الخارجية (١)

المقاصد والأغراض التي من أجلها يُلقى الخبر

ألأصلُ في الخبر أن يلقى لأحد غرضين

(أ) إما إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة ، إذا كان جاهلا له ، ويسمى هذا النوع «فائدة الخبر» نحو «الدين المعاملة».

(ب) وا ِما إفادة المخاطب أن المتكلم عالم أيضا بأنه يعلم الخبر كما تقولُ : لتلميذ أخفى عليك نجاحه في الامتحان – وعلمته من طريق آخر : أنت نجحت في الامتحان ، ويسمى هذا النوع.

«لازمَ الفائدة» لأ يلزم في كل خبر أن يكون المخبر به عنده علمٌ أو ظَن به.

وقد يخرج الخبر عن الغرضين السابقين إلى أغراض أخرى تستفاد بالقرائن ، ومن سياق الكلام : أهمها :

(١) الاسترحام والاستعطاف ، نحو إني فقير إلى عفو ربي (٢)

(٢) وتحريكُ الهمة إلى ما يلزم تحصيله ، نحو : ليس سواء عالم وجهول.

---

(١) فمطابقة النسبة الكلامية للنسبة الخارجية ثبوتا ونفيا صدق – وعدم المطابقة كذب – فالنسبة التي دل عليها الخبر وفهمت منه تسمى كلامية ، والنسبة التي تعرف من الخارج بقطع النظر عن الخبر تسمى خارجية– فحينئذ هناك نسبتان نسبة تفهم من الخبر ، ويدل عليها الكلام وتسمى النسبة الكلامية – ونسبة

أخرى تعرف من الخارج بقطع النظر عن الخبر وتسمى النسبة الخارجية.

فما وافق الواقع فهو صدق ، وما خالف الواقع فهو كذب .

(٢) فليس الغرض هنا إفادة الحكم ، ولالازم الفائدة ، لأن الله تعالى عليم ولكنه طلب عفو ربه ، ولهذا ترى في الكلام العربي أخبارا كثيرة لا يقصد بها افادة المخاطب الحكم ، ولا أن المتكلم عالم به ، فتكون قد خرجت عن معناها الأصلي السالف ذكره إلى أغراض أخرى.

(٤٦/١)

) وا ٍظهار(٣ الضعف والخشوع ، نحو (رب ّ إني و َهن َ العظم مني ّ).

(٤) وا ٍظهار التحسر على شيء محبوب نحو (رب إني وضعتها أنثى).

(٥) وا ٍظهار الفرح بمقبل – والشماتة بمدبر ، نحو (جاء الحق وزهق الباطل).

(٦) والتوبيخ كقولِ : للعاثر : (الشمس طالعةٌ)

(٧) التَّذكير بما بين المراتب من التَّفاوت – نحو : (لا يستوي كسلان ونشيط).

(٨) التحذير نحو (أبغض ُ الحلال إلى الله الطلاق).

(٩) الفخر نحو : إن الله اصطفاني من قريش

(١٠) المدح كقوله :

فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد ُ منهنَّ كوكب

وقد يجيء لأغراض أخرى – والمرجع في معرفة ذلك إلى الذوق والعقل السليم.

تمرين

عين الأغراض المستفادة من الخبر في الأمثلة الآتية :

(١) قال تعال : «لله ما في السموات وما في الأرض ، وا ٍن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله ؛ فيغفر لمن يشاء ، ويعذب ُ من يشاء ، والله على كل شيء قدير».

(٢) وقال تعالى : «عبس وتولى أن جاءه الأعمى ، وما يدريك لعله يزكَّى ، أو يذكر فتنفعه الذكرى ، أما من استغنى فأنت له تصدى ، وما عليك ألاَّ يزكَّى ! وأما من جاءك يسعى وهو يخشى ، فأنت عنه تلهى».

(٣) وقال صلى الله عليه وسلم : «عدل ساعة في حكومة خير من عبادة ستين سنة».

(٤) وقال : إن أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل أشركه الله في حكمه ، فأدخل عليه الجور في عدله.

(٥) ومن خطبة له عليه السلام بمكة حين دعا قومه إلى الاسلام : إن الرائد لا يكذب أهله ، والله لو كذبت الناس ما كذبتكم ولو غررت الناس ما غررتكم ، والله الذي لا إله إلا هو إني رسول الله إليكم حقاً ، وا ٍلى الناس كافة.

(٦) وقال الشريف الرضي :

جار الزمان فلا راجٍ يرتجى ... للنائبات ولا صديق يـُشقق ُ

وا ٍذا الحليم رمى بسر صديقه ... عمداً فأولى بالوداد الأحمق

(٧) وقال المعري :

عرفت سجايا الدهر ، أما شروره ... فنقدٌ ، وأما خيره فوعود

(٨) وقال :

رأيت سكوتي متجراً فلزمته ... إذا لم يفد ربحا فلستُ بخاسر

(٩) وقال أيضاً :

(٤٧/١)

أرى ولد الفتى عبئاً عليه ... لقد سعد الذي أمسى عقيما

فإما أن يربيهُ عدوا ... وا ٍما أن يـُخلفه يتيما

(١٠) قال ابن حيوس مادحاً :

بني صالح أفسدتم من رميتم ... وأحييتم من أم معروفكم قصدا

وذللتم صعب الزمان لأهله ... فذلَ وقد كان الجماح له وكدا

مناقب ألف الليالي توشـَحت ... بأذيالها لابيضَ منهن ما أسودا

(١١) وقال أبو فراس.

صبرت على اللاواه صبر ابن حـُرَّة ... كثير العدا فيها قليل المـُساعد

منعت حمى قومي وسدت عشيرتي ... وقلـَّدت أهلي غر هذي القلائد

المبحث الثاني في كيفية إلقاء المتكلم الخبر للمخاطب

حيث كان الغرض من الكلام الإفصاح والإظهار ، يجب أن يكون المتكلم مع المخاطب كالطبيب مع المريض ، يشخص حالته ، ويعطيه ما يناسبها.

فحق الكلام : أن يكون بقدر الحاجة ، لا زائداً عنها ، لئلا يكون عبثاً ، ولا ناقصاً عنها ، لئلا يخل بالغرض ، وهو (الإفصاح والبيان) (١)

لهذا – تختلف صور الخبر في اساليب اللغة باختلاف أحوال المخاطب الذي يعتريه ثلاث أحوال :

أولا – أن يكون المخاطب خالي الذهن من الخبر ، غير متردد فيه.

ولا منكر له – وفي هذه الحال لا يؤكد له الكلام ، لعدم الحاجة إلى التوكيد نحو قوله تعالى – «المال والبنون زينة الحياة الدنيا».

ويسمى هذا الضرب من الخبر (ابتدائياً) ويستعمل هذا الضرب حين يكون المخاطب خالي الذهن من مدلول الخبر فيتمكن فيه لمصادفته اياه خاليا (٢)

---

(١) كتب معاوية إلى أحد عماله : فقال : لا ينبغي لنا أن نسوس الناس سياسية واحدة ، لا نلين جميعا ،

فيمرح الناس في المعصية ولا نشتد جميعاً ، فنحمل الناس على المهالك ، ولكن تكون أنت للشدة والغلظة ، واكون أنا للرأفة والرحمة.

وكتب أبو العباس السفاح فقال لأعملن اللين حتى لا ينفع إلا الشدة ولأكرمن الخاصة ما امنتهم على العامة ، ولأغمدن سيفي حتى يسله الحق ، ولأعطين حتى لا أرى للعطية موضعاً .

(٢) عرفت هواها قبل أن اعرف الهوى فصادف قلبا خاليا فتمكنا

(٤٨/١)

ثانياً –أن يكون المخاطب متردداً في الخبر ، طالباً الوصول لمعرفته ، والوقوف على حقيقته فيستحسن تأكيد ()١الكلام المُلقى إليه تقوية للحكم ، ليتمكن من نفسه ، ويطرح الخلاف وراء ظهره ، نحو – إن الأمير منتصرٌ .

ويسمى هذا الضرب من الخبر (طلبياً) ويؤتى بالخبر من هذا الضرب حين يكون المخاطب شاكّاً في مدلول الخبر ، طالباً التثبت من صدقه.

ثالثاً –أن يكون المخاطب منكراً للخبر الذي يراد إلقاؤه إليه ، معتقداً خلافه فيجب تأكيد الكلام له بمؤكد أو مؤكدين أو أكثر ، على حسب حاله من الانكار ، قوة وضعفاً نحو : إن أخاك قادمٌ – أو إنه لقادم – أو والله إنه لقادم أو لعمري : إن الحق يعلو ولا يُعلى عليه.

ويسمى هذا الضرب من الخبر (إنكارياً) ويؤتى بالخبر من هذا الضرب حين يكون المخاطب مُنكرا ، واعلم أنه كما يكون التأكيد في الاثبات ، يكون في النفي أيضاً ، نحو : ما المقتصد بمفتقر ، ونحو : والله ما المُستشير بنادم.

تنبيهات

الأول : لتوكيد الخبر أدوات كثيرة ، وأشهرها إن ، وأن ، ولام الابتداء ، وأحرف التنبيه ، والقسم ، ونونا التوكيد ، والحروف الزائدة(كتفعل واستفعل) والتكرار ، وقد ، وأما الشرطية ، وإنما وإسمية الجملة ، وضمير الفصل ، وتقديم الفاعل المعنوي.

---

(١) المراد بالتأكيد في هذا الباب تأكيد الحكم ، لا تأكيد المسند إليه ولا تأكيد المسند.

واعلم أن الخطاب بالجملة الاسمية وحدها : آكد من الخطاب بالجملة الفعلية – فاذا أريد مجرد الأخبار أتى بالفعلية – وأما أن أريد التأكيد فبالاسمية وحدها – أو بها مع إن أو بهما وباللام ، أو بالثلاثة واقسم ، واعلم أن لام الابتداء هي الداخلة على المبتدأ ، أو اللاحقة لخبر – كما أن السين وسوف لا تفيدان التوكيد إلا إذا كانت للوعد أو الوعيد.

(٤٩/١)

الثاني : يسمى إخراج الكلام على الأضرب الثلاثة السابقة إخراجاً على مقتضى ظاهر الحال (١) وقد تقتضى الأحوال العدول عن مقتضى الظاهر ، ويورد الكلام على خلافه لاعتبارات يلحظها المتكلم (وسلوك هذه الطريقة شعبة من البلاغة).

(١) منها : تنزيل العالم بفائدة الخبر ، أو لازمها ، وبهما معاً –منزلة الجاهلِ بذلك ، لعدم جريه على موجب علمه ، فيلقى إليه الخبر كما يلقى إلى الجاهل به ، كقولك : لمن يعلم وجوب الصلاة ، وهو لا يصلي «الصلاة واجبة» توبيخاً له على عدم عمله بمقتضى علمه وكقولك لمن يؤذي أباه – هذا أبوك.

(٢) ومنها : تنزيل خالي الذهن منزلة السائل المتردد ، إذا تقدم في الكلام ما يشير إلى حكم الخبر كقوله تعالى (وما ابرىء نفسي إن النفس لأمارة بالسوء) فمدخول إن مؤكد لمضمون ما تقدمه ، لإشعاره بالتردد ، فيما تضمنه مدخولها– وكقوله تعالى «ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون»

---

(١) اعلم أن (الحال) هو الأمر الداعي إلى إيراد الكلام مكيفا بكيفية ما سواء أكان ذلك الأمر الداعي ثابتا في الواقع ، أو كان ثبوته بالنظر لما عند المتكلم كتنزيل المخاطب غير السائل منزلة السائل.

(وظاهر الحال) هو الأمر الداعي إلى ايراد الكلام مكيفا بكيفية مخصوصة بشرط أن يكون ذلك الأمر الداعي ثابتاً في الواقع فكل كيفية اقتضاها ظاهر الحال اقتضاها الحال ، وليس كل كيفية اقتضاها لاحال اقتضاها ظاهره.

(٥٠/١)

لما أمر المولى «نوحاً أو ّلا بصنع الفلك ، ونهاه ثانيا عن مخاطبته بالشفاعة فيهم ، صار مع كونه غير َ سائل في مقام السائل المتردد (١) .

هل حكم الله عليهم بالاغراق فأجيب بقوله «إنهم مغرقون»

(٣) ومنها : تنزيل غير المنُكر منزلة المنكر : إذا ظهر عليه شيء من أمارات الإنكار ، كقول حَ َجَ َل بن نضلَة القيسيمن«أولاد عَ َمّ شقيق»

يقٌ جلعارضَةً رُ َمحَهُ إنَّ بني عَ َمك فيهم رماحُ

(فشقيقٌ) رَ َجلٌ لا يُنكر رماحَ بني عمّ َه ، ولكن مجيئه على صورة المعجب بشجاعته ، واضعاً رُ َمحَه على فخذيه بالعرض وهو راكب أو حَ َاملا له عرضاً على كتفه في جهة العدُو بدون اكتراثه به ، بمنزلة انكاره أنَّ لبني عمّ َه رماحا يجد منهم مُ قاوماً له كأنهم كلهم في نظره عُ زلٌ ، ليس مع أحد منهم رمحٌ .

فأكَد له الكلامُ استهزاء به ، وخُوطبَ خطاب التفات بعد غيبةٍ تهكما به ، ورمياً له بالنزق وخرق الرَّأي.

---

(١) أي فصار المقام مظنة للتردد والطلب – وان لم يتردد المخاطب ، ولم يطلب بالفعل ، وذلك لأنه تكاد نفس الذكي إذا قدم لها ما يشير إلى جنس الخبر أن تتردد في شخص الخبر ، وتطلبه من حيث أنها تعلم أن

ا لجنس لا يوجد إلا في فرد من أفراده فيكون ناظراً إليه بخصوصه كأنه متردد فيه كنظر السائل – فقوله – ولا تخاطبني يشير إلى جنس الخبر و انه عذاب – وقوله إنهم مغرقون – يشير إلى خصوص الخبر الذي أشير إليه ضمنا في قوله ولا تخاطبني – وكقول الشاعر.

ترفق أيها المولى عليهم فأن الرفق بالجاني عتاب

فالأصل – أن يورد الخبر هنا خاليا من التوكيد ، لأن المخاطب خالي الذهن من الحكم ، ولكن لما تقدم في الكلام ما يشعر بنوع الحكم أصبح المخاطب متشوقا لمعرفته فنزل منزلة السائل المتردد الطالب ، واستحسن القاء الكلام إليه مؤكدا ، جريا على خلاف مقتضى الظاهر.

(٥١/١)

(٤) ومنها تنزيل المتردد ( )١منزلة الخالي ، كقولك للمُ تردد في قدوم مسافر مع شهرته (قدم الأمير)

(٥) ومنهاتنزيل المتُردد منزلة المنكر ، كقولك للسائل المستبعد لحصول الفرج (إنَّ الفرج لقريب).

(٦) ومنها تنزيل المنكر منزلة الخالي ، إذا كان لديه دلائل وشواهد لو تأملها لارتدع وزال إنكاره ، كقوله تعالى (وا لهكم إله واحد) وكقولك لمن ينكر منفعة الطب (الطب نافع).

(٧) ومنها تنزيل المنكر منزلة المُ تردد ، كقولك لمن ينكر (شرف الأدب) إنكاراً ضعيفا «إن الجاه بالمال : انما يصحبك ما صحبك المال

وامَّا الجاه بالأدب فأنه غير زائل عنك».

---

(١) وفائدة التنزيل وجوب زيادة التأكيد قوة وضعفا ، لأنه نزل المتردد منزلة المنكر ، فيعطي حكمه حينئذ ، وهكذا تفهم في عكسه وهو تنزيل المنكر منزلة المتردد في استحسان التوكيد له ، واعلم أنه إذا التبس اخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر باخراجه على مقتضى الظاهر يحتاج إلى قرينة تعين المقصود أو ترجحه – فإن لم توجد قرينة صح حمل الكلام على كل من الأمرين – وذلك كجعل السائل كالخالي ، وجعل المتردد كالمنكر ، فإن وجدت قرينة عمل بها ، والا صح الحكم بأحدهما.

(٥٢/١)

الثالث : قد يؤكد الخبر لشرف الحكم وتقويته ، مع أنه ليس فيه تردد ولا إنكار ، كقولك في افتتاح كلام (إنّ أفضل ما نطق به اللسان كذا) (١) .

تدريب

بين أغراض الخبر والمقاصد منه فيما يأتي :

) قومي١هُ مُ و قتلوا أميمَ أخي ... فإذا رميتُ يُصيبني سهمي (٢)

(٢) قد كنت عدَّتي التي أسطوبها ... ويدي إذا اشتد الزمان وساعدي (٣)

(٣) أباالمسك أرجو منك نصراً على العدى ... وآمل عزاً يخضب البيض بالدِّم (٤)
(٤) كفجسمي ذُحولا أنني رجل ... لولا مُخاطبتي إياكَ لم ترني (٥)

---

(١) من مزايا اللغة العربية دقة التصرف في التعبير ، واختلاف الأساليب باختلاف المقاصد والأغراض ، فمن العيب الفاضح عند ذوي المعرفة بها (الأطناب) إذا لم تكن هناك حاجة إليه ، «والايجاز والاختصار» حيث تطلب الزيادة ، وقد تخفى دقائق تراكيبها على الخاصة بل العامة ، فقد أشكل أمرها على بعض ذوي الفطنة من نابتة القرن الثالث : إبان زهو اللغة ونضرة شبابها ، يرشدك إلى ذلك ما رواه الثقاة من أن المتفلسف الكندي : ركب إلى أبي العباس المبرد وقال له ، إني لأجد في كلام العرب حشوا ، فقال أبو العباس في أي موضع وجدت ذلك ، فقال أجد العرب يقولون عبد الله قائم ، ثم يقولون : إن عبد الله قائم ، ثم يقولون ، إن عبد الله لقائم ، فالالفاظ متكررة ، و المعنى واحد ، فقال أبو عباس بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ ، فالأول اخبار عن قيامه ، والثاني جواب عن سؤال سائل ، والثالث جواب عن انكار منكر قيامه ، فقد تتكررت الألفاظ لتكرر المعاني ، فما أحار المتفلسف جوابا ومن هذا : نعلم أن العرب لاحظت أن يكون الكلام بمقدار الحاجة ، لا أزيد وا إلا كان عبثاً – ولا انقص والا أخل بالغرض – وهو الأفصاح والبيان .

(٢) اظهار الحسرة على موت أخيه بيد من قرابته.

(٣) اظهار الضعف لكونه أصبح بلا معين .

(٤) الاسترحام بطلب المساعدة وشد الأزر .

(٥) اظهار الضعف بأن نحوله صيره إلى ما وصف .

(٥٣/١)

(١) وأنت الذي ربيّت ذا الملك مرضعا ... وليس َ له أم سواك ولا أب (١)
(٢) ذهب الذين يُعاش في أكنافهم ... وبقيتُ في خلفٍ كجلد الأجرب (٢)
ان كان لا يرجوك إلاّ محسن ... فبمن يلوذ ويستجير المُجرم
أدعوك ربي كما أمرت تضرعا ... فإذا ردَدت يدي فمن ذا يرحم
ظمئتُ وفي فمي الأدبُ المُصفّى ... وضِعتُ وفي يدي الكنزُ الثمين

نموذج في بيان مقاصد وأغراض الأخبار

(١) كان معاويةُ رَضي الله عنه حسن السياسة والتدبير يحلم في مواضع الحلم ويشتد في مواضع الشدة. (٣)
(٢) لقد أدبت بنيك باللين والرفق ، لا بالقسوة والعقاب (٤)
ولما دعوت الصبر بعدك والأسى ... أجاب الأسى طوعاً ولم يجب الصبر

فإن ينقطع الرجاء فإنّه ... سيبقى عليك الحزنُ ما بقى الدهر

(٣) توفى عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ثلاث وعشرين من الهجرة (٥) .

(٤) قال أبو فراس الحمداني : (٦)

ومكارمي عدد النجوم ومنزلي مأوى الكرام ومنزلُ الأضياف

(٥) وقال أبو الطيب : (٧)

وما كل هاوٍ للجميل وفاءَ لا كل فعالٍ له بمتمّمِ

(٦) وقال أيضاً يرثي أخت سيف الدولة : (٨)

غدرت يا موت كم أفنيت من عدد

بمن أصبت وكم أسكت من لجبِ

(٧) وقال أبو العتاهية يرثي ولده عليا : (٩)

بكيتك يا علي بدمعِ عيني ... فما أغنى البُكاءُ عليك شيا

---

(١) افادة المخاطب أن المتكلم عالم بقصته وسابق أعماله ، فالغرض لازم الفائدة .

(٢) التحسر لفقد ذوي المروءة والمصير إلى لئام لا خير فيهم.

(٣) الغرض إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنه الكلام.

(٤) «إفادة المخاطب أن المتكلم عالم بحاله في تهذيب بنيه.

(٥) الغرض إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنه الكلام.

(٦) إظهار الفخر ، فان أبا فراس إنما يريد أن يفاخر بمكارمه وشمائله.

(٧) الغرض إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنه الكلام فان أبا الطيب يريد أن يبين لسامعيه ما يراه في بعض الناس من التقصير في أعمال الخير.

(٨) الغرض إظهار الأسى والحزن .

(٩) إظهار الحزن والتحسر على فقد ولده.

وكانت في حياتك لي عظات ... وانت اليوم أوعظ منك حيّا

إلى الثمانين وبُلغّتها قد أحوجت سمعي إلى ترجمان (١)

(٩) قال أبو العلاء المعري :

ولي منطق لم يرض لي كنه منزلي على أنني بين السماكين نازلُ (٢)

(١٠) قال إبراهيم بن المهدي يخاطب المأمون :

أتيتُ جُرماً شنيعاً ... وأنتَ للعفوِ أهلُ

فَإن عفوتَ فمن ... وا ِن قتلتَ فعدلُ

تطبيق (١) (٣)

أحص المؤكدات في العبارات التالية ، وبيّن ضروب الخبر الثلاثة :

(١) ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل ... عفافٌ وا ِقدامُ وحزمٌ ونائل

(٢) وأنّ مرءا قد سار خمسين حجة ... إلى منهلٍ من ورده لقريب

(٣) ليس الصديق بمن يعيرك ظاهراً ... متبسِّماً عن باطن مُتجهم

(٤) قال تعال : «لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين».

(٥) قال تعالى : «وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا»

(٦) أما الله فانه ما أعهدُ هو توعمي ، لو أنَّ بيتاً يُولد

(٧) إنَّ الذي بيني وبين بني أبي وبين بني عمي لمختلف جدا

(٨) انا إليكم مُرسلون

(٩) وا ِني لصبّار على ما ينو بني وحسبك أن الله أثنى على الصبر

(١٠) وا ِني لقوال لذي البث مرحباً وأهلا إذا ما جاء من غير مرصد

وا ِني لتعتريني مرارة وا ِني لتراكِ لما لم أعوّد

(٣) ولقد نصحتك إن قبلت نصيحتي والنصح أغلى ما يباع ويوهب

(٤) إنَّ الغنيَّ من الرجال مُكرَّمٌ وتراه يُرجى ما لدَيه ويرغبُ

(٥) وما الحداثة عن حلمٍ بمانعةٍ قد يوجد الحلِم في الشبان والشيب

---

(١) إظهار الضعف والعجز .

(٢) الغرض الافتخار بالعقل واللسان.

الرقم ... المؤكدات ... ضرب الخبر

١ ... ألا (أداة استفتاح وتنبيه) ... طلبي

٢ ... إن – قد – اللام في (لقريب) ... إنكاري لزيادة المؤكدات على واحا

٣ ... الباء الزائدة في (بمن) ... طلبي

٤ ... لام القسم – لام التوكيد – نون التوكيد ... إنكاري

٥ ... تكرار جعلنا ... طلبي

٦ ... أما ، إن ، أن ... طلبي لأن كل مؤكدة في جملة

٧ ... أن ، لام الابتداء ... إنكاري لزيادة المؤكدات على واحد

(٣) الغرض الاسترحام و الاستعطاف.

(٨) لما روى القرآن قصة رسل عيسى الذين أرسلهم إلى قومه فانكروا رسالتهم قال لهم الرسل إنا «إليكم مرسلون» فالقوا اليهم الكلام مؤكداً بمؤكدين – فكذبوا فقالوا لهم «إنا اليكم لمرسلون» مؤكدين لهم القول بمؤكد ثالث – فجحدوا – فقالوا لهم «ربنا يعلم إنا اليكم لمرسلون»فزادوا مؤكداً رابعاً وهو القسم.

الرقم ... الجملة ... المؤكدات ... ضروب الخبر

١ ... وانى لصبار ... ان ولام الابتداء ... إنكاري

٢ ... وانى لقوال ... ان ولام الابتداء ... إنكاري

٣ ... وانى لحلو ... = = ... =

واني لتراك ... = = ... =

ولقد نصحتك ... القسم وقد ... =

والنصح أغلى ... الجملة الاسمية ... ابتدائي

٤ ... ان الغنى ... إن – والجملة الاسمية ... طلبي

وتراه يرجى ... ابتدائي

٥ ... فما الحداثة الخ ... الباء الزائدة «بمانعة» ... طلبي

قد ... طلبي

قد يوجد الحلم

تمرين

اذكر أضرب الخبر وأدوات التوكيد :

(١) قال تعالى : «وفي السماء رزقكم وما توعدون ، فورب السماء والأرضإنه لحق مثلَ ما أنكم تنطقون».

(٢) وقال تعالى : «يا أيها النَّاس إنا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليمٌ خبير».

(٣) وقال صلى الله عليه وسلم : «شر الناس الذين يكرمون إتقاء السنتهم».

(٤) وقال علي كرم الله وجهه : مارستُ كل شيءٍ فغلبته ، ومارسني الفقر فغلبني ، إن سترتهُ أهلكني ، وا ِن أذعته فضحني».

(٥) وقال النبي عليه السلام يصف الأنصار : «إنكم لتقلون عند الطمع ، وتكثرون عند الفزع».

(٦) وقال بشار بن بُرد :

خليلي إن المالَ ليس بنافع إذا لم ينل منه أخٌ وصديق

(٧) وقال أبو العتاهية :

قد يُدركُ الراقد الهادي برقدته وقد يخيب أخو الروحات والدّلج (١)

(٨) وقال :

إن البخيل وا ِن أفاد غنى لترى عليه مخايل الفقر

ما فاتني خير امرىء وضعت عني يداهُ مثوبة الشكر

(٩) وقال آخر :

وما لُب اللبيب بغير حظ بأغنى في المعيشة من فتيل

(١٠) وقال آخر :

وللحلم خير فاعلمنَّ مغتبةً من الجهل إلا أن تشمس من ظُلم

(١١) وقال حسان بن ثابت :

---

(١) .الدلج : الظلام

(٥٦/١)

أصون عرضي بمالي لا أدنسه لا بارك الله بعد العرض في المال

أحتالُ للمال إن أودي فأكسبه ولستُ للعرض إن أودى بمحتال

(١٢) وقال الشاعر :

ولم أر كالمعروف : أمّا مذاقه فحلو ، وأما وجههُ فجميلُ

(١٣) وقال صرّدُر :

تذل الرجال لأطماعها كذُل العبيد لأربابها

وأعلمُ أن ثياب العفاف أجملُ زيٍ لمجتابها (١)

(١٤) وقال آخر :

لعمرك ما يدري أمرؤ كيف يتقي إذا هو لم يجعل له الله واقيا

(١٥) وقال سعيد بن حميد في العتاب :

أقلل عتابكَ فالبقاءُ قليلُ ... والدهر يعدل تارةً ويميلُ

ولعل أحداثَ المنية والردى ... يوماً ستصدع بيننا وتحُول

فلئن سبقت لتبكين بحسرةٍ ... وليكثرن على منك عويل

ولئن سبقت – ولا سبقت – ليمضين ... من لا يشاكلُهُ لدى خليل

وليذهبن بهاء كل مروءة ... وليفقدنَّ جمالها المأهول

(١٦) إنّ الحياة لثوبٌ سوف نخلعهُ وكل ثوبٍ إذا ما رث ينخلع

(١٧) ثم إنكم بعد ذلك لميتون.

تطبيق

اذكر اضرب الخبر وبين المؤكدات فيما يأتي :

(١) وعاد في طلب المتروك تاركه إنا لنغفل والأيام في الطلب

الرقم ... الجملة ... المؤكدات ... ضروب الخبر

١٦ ... ان الحياة لثوب ... أن ولام الابتداء ... إنكاري

١٧ ... وكل ثوب الخ ... أمارات الانكار ... ابتدائي

غفلتهم عن الموت تعد من ... ان ولام الابتداء ... إنكاري

١ ... وعاد في طلب المتروك ... ابتدائي

انا لنغفل ... إنكاري

(٢) وجعلنا نومكم سباتاً ، وجعلنا الليل لباساً ، وجعلنا النهار معاشا

(٣) اما دون مصر للغنى متطلب بلى – إن أسباب الغنى لكثير

) فيوم(٤ لنا ويم علينا ويومٌ نساءُ ويومٌ نُسر

(٥) إن من البيان لسحراً وا ِن من الشعر لحكمةً .

(٦) قد يدرك الشرف الفتى ورداؤه خلقٌ .

المبحث الثالث في تقسيم الخبر إلى جملة فعلية وجملة اسمية

---

(١) لابسها .

(٥٧/١)

(أ) الجملة الفعلية : ما تركبت من فعل وفاعل» أو من فعل ونائب فاعل : وهي –موضوعة لأفادة التّجدد والحدوث في زمن معين مع الاختصار (١) نحو : يعيش البخيل عيشة الفقراء ، ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء.

الرقم ... الجملة ... المؤكدات ... ضروب الخبر

٢ ... وجعلنا نومكم الخ ... تكرير جعل ... طلبي

٣ ... أما دون مصر ... حرف التنبيه (أما) ... طلبي

أن أسباب الغنى لكثير ... ان ولام الابتداء ... انكاري

٤ ... يوم لنا ويوم علينا ... التكرير ... طلبي

٥ ... ان من البيان لسحرا ... ان ولام الابتداء ... انكاري

ان من الشعر لحكمة ... ان ولام الابتداء ... انكاري

٦ ... قد يدرك ... قد ... طلبي

ونحو : أشرقت الشمس وقد ولّى الظلامُ هارباً

فلا يستفاد من ذلك إلا ثبوتُ الاشراق للشمس ، وذهاب الظلام في الزمان الماضي.

وتفيد الجملة الفعلية الاستمرار التجدّدي شيئاً فشيئاً بحسب المقام ، وبمعونة القرائن ، لا بحسب الوضع (

(ب) بشرط أن يكونَ الفعلُ مضارعاً ، نحو قول المُتنبي :

تُدبر شرقَ الأرض والغرب كفه وليس َ لها يوما عن المجد شاغلُ

فقرينة المدح تدلّ على أن تدبير الممالك هيُه ، وشأنه المستمر الذي لا يحيد عنه ، ويتجدّد آناً – فآناً .

(ب) والجملة الاسمية : هي ما تركبت من مبتدأ وخبر ، وهي تفيد بأصل وضعها ثبوت شيء لشيء (٣)

---

(١) وذلك أن الفعل دال بصيغته على أحد الأزمنة الثلاثة بدون احتياج لقرينة بخلاف الاسم : فانه يدل على الزمن بقرينة ذكر لفظة : الآن – أو أمس – أو غداً ولما كان الزمان الذي هو أحد مدلولي الفعل غير قار بالذات ، أي لا تجمع أجزاؤه في الوجود كان الفعل مع افادته التقييد بأحد الأزمنة الثلاثة مفيداً للتجدد أيضاً .

(٢) وذلك نظير الاستمرار الثبوتي في الجملة الأسمية نحو (لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم) أي لو استمر على إطاعتكم وقتا فوقتاً لحصل لكم عنت ومشقة .

(٣) فالجملة الاسمية موضوعة لمجرد ثبوت المسند للمسند إليه.

(٥٨/١)

ليس غيرُ –بدون نظر إلى تجدّد ولا استمرار – نحو الأرض متحركة – فلا يستفاد منها سوى ثبوت الحركة للأرض ، بدون نظر إلى تجدّد ذلك ولا حدُوثه.

وقد تخرج الجملة الإسمية عن هذا الأصل ، وتفيد الدوام والاستمرار بحسب القرائن : إذا لم يكن في خبرها فعل مضارع : وذلك بأن يكون الحديث في مقام المدح ، أو في معرض الذم كقوله تعالى (وا إنكَ لعلى خلق عظيم) فسياق الكلام في معرض المدح دال على إرادة الاستمرار مع الثبوت – ومنه قول النضر بن جؤبة يتمدَّح بالغنى والكرم :

لا يألف الدِّرهمُ المضروب صرَّتنا لكن يَمرّ عليها «وهو منطلق»

يُريد أن دراهمه لا ثباتَ لها في الصرة ولا بقاء ، فهي دائما تنطلق منها ، وتمرق مُرق السِّهام من قِسيّها ، لتوَزّعَ على المعوزينَ وأرباب الحاجات.

علم وأنَّ الجُملة الإسمية ى تُفيد الثُبوت بأصلَ وضعها ، ولا الاستمرار بالقرائن ، إلا إذا كان خبرها مفرداً نحو : الوطنُ عزيز ، أو كان خبرها جملة إسمية نحو : الوطن هو سعادتي.

اما إذا كان خبرها فعلا فانها تكون كالجملة الفعلية في إفادة التجدد والحدوث في زمن مخصوص ، نحو : الوطن يسعد بأبنائه – ونحو :

تعيبُ الغانياتُ على شيبي ومن لي أن أمتع بالمشيب

وكقول الآخر :

نروح ونغدو لحاجاتِنا وحاجة من عاش لا تنقضى

أسئلة يطلب أجوبتها

ما هو علم المعاني ؟ ما هو الاسناد ؟ ما هي مواضع المسند والمسند إليه ؟ ما المراد بصدق الخبر وكذبه ؟ مالفرق بين النسبة الكلامية والنسبة الخارجية ؟ ما هو الأصل في إلقاء الخبر ؟ ما هي الأغراض الأخرى التي يلقى إليها الخبر ؟ ما هي أضرب الخبر ؟ ما هي أدوات التوكيد ؟ لماذا يعدل عن مقتضى الظاهر ؟ إلى كم ينقسم الخبر ؟ لأي شيء وضعت الجملة الاسمية والفعلية ؟ هل تفيد الجملة الفعلية والاسمية غير ما وضعتا لأجله ؟

تدريب

بين فائدة التعبير بالجملة الاسمية أو الفعلية في التراكيب الآتية :

(١) قال تعالى«يمحو الله ما يشاءُ ويثبت وعندهُ أم الكتاب»

(٥٩/١)

(٢) نروح ونغدو لحاجاتنا وحاجة من عاش لا تنقضى

(٣) وعلى إثرهم تساقطُ نفسي حسَراتٍ وذكرهُم لي سقام

الرقم ... الجملة ... نوعها ... ما تفيده ... الايضاح

(١) ... يمحو الله ... مضارعية ... الاستمرار التجددي ... محو بعض الخلائق وافناؤها واثبات البعض الآخر مستمر على جهة التجدد.

وعنده أم الكتاب ... أم الكتاب اللوح المحفوظ

(٢) ... اسمية ... الدوام ... والقرينة الاسناد إلى الله

نروح ، ونغدو تساقط ... مضارعية ... الاستمرار التجددي ... القرينة قوله وحاجة من عاش

(٣) ... تساقط ... مضارعية ... الاستمرار التجددي ... القرينة حاية وهي الحزن والاسى

وذكرهم لي سقام ... اسمية ... الاستمرار والدوام

يأتي على الناس زمان لا يُبالي المرء ما أخذ منه – أمن الحلال أم من الحرام.

(٤) أو كلما وَردت عكاظ قبيلةٌ بعثوا إلى عريفهم يتوسم

الرقم ... الجملة ... نوعها ... ما تفيده ... الايضاح

(١) ... يأتي ... مضارعية ... التجدد

(٢) يريد أن كل قبيلة ترد سوق عكاظ تبعث عريفها ورئيسها ليتفرس في وجوه القوم مرة بعد أخرى ، لعله يهتدي إلى معرفتي ، لتأخذ بثأرها منى ، وتنكل بي لأني طالما أوقعت بها ، وأذقتها صنوف المذلة والهوان.

وعكاظ : سوق للعرب كانت تجتمع فيها للتفاخر والتنافر ليلا ، ولتصريف المتاجر نهارا.

الباب الثاني في حقيقة الانشاء وتقسيمه

الإنشاء لغة : الإيجاد ، واصطلاحاً : كلامٌ لا يحتمل صدقاً ولا كذباً لذاته (١) نحو اغفر – وارحم ، فلا ينسب إلى قائله صدق –أو كذب وا إن شئت فقل في تعريف الإنشاء «وهو ما لا يحصل مضمونه ولا يتحقق

إلا تلفظت به» فطلب الفعل في «افعل» وطلب الكف في «لا تفعل» و طلب المحبوب في «التمني» وطلب الفهم في «الاستفهام» وطلب الاقبال في «النداء» كل ذلك ما حصل إلا بنفس الصيغ المتلفظ بها.

---

(١) أي : بقطع النظر عما يستلزمه الانشاء ، فان اغفر – يستلزم خبرا وهو أنا طالب المغفرة منك – وكذا لا تكسل – يستلزم خبرا ، وهو انا طالب عدم كسلك – لكن كل هذا ليس لذاته.

(٦٠/١)

وينقسم الانشاء إلى نوعين : انشاء طلبي – وانشاء غير طلبي ، «فالانشاء غير الطلبي» ما لا يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب– ويكون : بصيغ المدح ، والذم ، وصيغ العقود ، والقسم ، و التعجب والرجاء ، وكذا يكون بربَّ ولعلَّ ، وكم الخبرية. (١)

(١) أما المدح والذم فيكونان : بنعم وبئس وما جرى مجراهما نحو حبذا ، والأفعال المحوّلة إلى فعل نحو طاب عليٌّ نفساً ، وخبث بكر أصلاً.

(٢) وأما العقود : فتكون بالماضي كثيراً ، نحو بعتُ واشتريتُ ووهبتُ وأعتقتُ – وبغيره قليلا – نحو أنا بائع ، وعبدي حرٌّ لوجه الله تعالى.

(٣) وأما القسم : فيكون : بالواو – والباء – والتاء – وبغيرها نحو : لعمرك ما فعلت كذا.

(٤) وأما التّعجب : فيكون قياساً بصيغتين ، ما أفعله –وأفعل به وسماعاً بغيرهما ، نحو : لله دره عالما – كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم.

(٥) وأما الرجاء : فيكون : بعسى – وحرى – واخلولق ، نحو : عسى الله أن يأتي بالفتح.

واعلم أن الانشاء غير الطلبي لا تبحث عند علماء البلاغة ، لأن أكثر صيغه في الاصل أخبارٌ نقلت إلى الإنشاء.

وإنما المبحوث عنه في علم المعاني هو (الإنشاء الطلبي) لما يمتاز به من لطائف بلاغية.

«فالإنشاء الطلبي» هو الذي يستدعى مطلوباً (٢)

---

(١) أما المدح والذم فيكونان : بنعم وبئس . وما جرى مجراهما نحو حبذا ، والأفعال المحوّلة إلى فعل نحو طاب عليٌّ نفساً ، وخبث بكر أصلاً.

(٢) اعلم أنه إذا كان المطلوب غير متوقع كان الطلب (تمنيا) وإن كان متوقعا فاما حصول صورة او في الذهن فهو (الاستفهام) وإما حصوله في الخارج فان كان ذلك الأمر انتفاء فعل –فهو (النهى) وإن كان ثبوته : فاما بأحد حروف (النداء) فهو النداء –وإما بغيرها فهو (الأمر).

وبهذا تعلم أن الطلب هنا منحصر في هذه الأنواع الخمسة لاختصاصها بكثير من اللطائف البلاغية.

(٦١/١)

غير حاصلٍ (١) في اعتقاد المتكلم وقت الطلب.

وأنواعه خمسة ، الأمر ، والنهي ، والاستفهام ، والتمني ، والنداء (٢) وفي هذا الباب خمسة مباحث :

المبحث الأول في الأمر

الأمر : هو طلب حصول الفعل من المخاطب : على وجه الاستعلاء (٣)

مع الالزام – وله أربع صيغ

(١) فعل الأمر – كقوله تعالى «يا يحيى خذ الكتاب بقوة»

---

(١) أي لأنه لا يليق طلب الحاصل ، فلو استعمل صيغ الطلب لمطلوب حاصل امتنع إجراؤها على معانيها الحقيقة ، ويتولد من تلك الصيغ ما يناسب المقام ، كطلب دوام الايمان والتقوى في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله) – وهلم جرا .

(٢) ويكون الانشاء الطلبي أيضا ، بالعرض والتحضيض ، ولكن لم يتعرض لهما البيانيون لأنهما مولدان على الأصح من الاستفهام والتمني – فالأول من الهمزة مع لا النافية في «ألا» والثاني من هل ولو للتمنى مع لا وما الزائدتين في «هلا والا» بقلب الهاء همزة .

وكذا : لولا ولوما – واعلم أن الانشاء الطلبي نوعان – الأول ما يدل على معنى الطلب بلفظه ويكون بالخمسة المذكورة ، و الثاني ما يدل على معنى الطلب بغير لفظه كالدعاء .

(٣) بأن يعد الآمر نفسه عاليا لمن هو أقل منه شأنا ، سواء أكان عاليا في الواقع أولاً. ولهذا نسب إلى سوء الأدب إن لم يكن عالياً واشتراط الاستعلاء بهذا المعنى هو ما عليه الأكثر من الما تريدية_ والامام الرازي – والآمدي من الأشعرية – وأبو الحسن من المعتزلة ، وذهب الأشعري إلى أنه لا يشترط هذا – وبه قال كثير من الشافعية – والأشبه أن الصدور من المستعلى يفيد إيجابا في الأمر ، وتحريما في النهي – وأعلم أن الأمر للطلب مطلقا –والفور والتراخي من القرائن –ولا يوجب الاستمر ار والتكرار في الأصح ، وقيل ظاهر» الفور كالنداء والاستفهام إلا بقرينة – وهو ما اختاره السكاكي – واعلم أيضا أن الأمر يكون استعلاء مع الأدنى ، ودعاء مع الأعلى ، والتماسا مع النظير.

(٢) والمضارع المجزوم بلام الأمر – كقوله تعالى «لينفق ذو سعة من سعته»

(٣) واسم فعل الأمر – نحو «عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم».

(٤) والمصدر النائب على فعل الأمر –نحو سعياً في سبيل الخير وقد تخرج صيغ الأمر عن معناه الأصلي وهو (الإيجاب والالزام) إلى معان أخرى : تستفاد من سياق الكلام ، وقرائن الاحوال.

(١) كالدعاء في قوله تعالى «رب أوزعني أن اشكر نعمتك» (١)

(٢) والالتماس كقولك لمن يساويك – أعطني القلم أيها الأخ.

(٣) والارشاد – كقوله تعالى «إذا تداينتم بدينٍ إلى أجلٍ مسمى فاكتبوه ، وليكتب بينكم كاتبٌ بالعدل».

(٤) والتهديد – كقوله تعالى «اعملوا ما شئتم ، إنه بما تعملون بصير»

(٥) والتعجيز – كقوله تعالى «فأتوا بسورة من مثله»

(٦) والإباحة – كقوله تعالى «وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر»

ونحو : اجلس كما تشاء

(٧) والتسوية – نحو قوله تعالى «اصبروا أو لا تصبروا»

(٨) والاكرام – كقوله تعالى «ادخلوها بسلامٍ آمنين»

(٩) والامتنان – نحو قوله تعالى «فكلوا مما رزقكم الله»

(١٠) والإهانة – كقوله تعالى «كونوا حجارةٍ أو حديداً »

(١١) والدوام – كقوله تعالى «إهدنا الصراط المستقيم»

(١٢) والتمني – كقول امرىء القيس

ألاَ أيها الليل الطويل ألا انجلي بصبح وما الاصباح منك بأمثل

(١٣) والاعتبار – كقوله تعالى «أنظروا إلى ثمره إذا أثمر»

(١٤) والأذن – كقولك : لمن طرق الباب «ادخل»

(١٥) والتكوين – كقوله تعالى «كن فيكون»

(١٦) والتخيير –نحو : تزوج هنداً أو أختها

(١٧) والتأديب – نحو : كل مما يليك

(١٨) والتعجب – كقوله تعالى «أنظر كيف ضربوا لك الأمثال»

تمرين

بيِّن ما يراد من صيغ الأمر في التراكيب الآتية :

فصبراً في مجال الموت صبراً فما نيلُ الخلود بمستاع

فغض الطرف إنك من نُمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

---

(١) والالتماس كقولك لمن يساويك . أعطني القلم أيها الأخ.

فقيلُ زر إن الحياة ذميمة ويا نفسُ جدي إن دهرك هازل

(١) خذ العفو ، وأمر بالعرف ، وأعرض عن الجاهلين

(٢) اسيئى بنا أو أحسني لا ملومة لدينا ولا مقلية إن تقلت

(٣) يا ليلُ طل يا نوم زل يا صبح قف لا تطلع

(٤) عش ما بدا لك سالماً في ظل شاهقة القصور

(٥) واسروا قولكم او اجهروا به إنه عليم بذات الصدور

(٦) ترفق أيها المولى عليهم فإن الرفق بالجاني عتاب

(٧) ارى العنقاء تكبر أن تصادا فعاند من تطيق له عنادا

(٨) خليلي هبا طالما قد رقدتما أجد كما لا تقضيان كرا كما

(٩) أريني جواداً مات هز لا لعلني أرى ما ترين أو بخيلا مخلدا

(١٠) قال تعالى «قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين»

(١١) قد رشحوك لأمرٍ إن فطنت له فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

(١٢) رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري

(١٣) ليس هذا بعشك فادرجي

(١٤) اعمل لدنياك كانك تعيش أبداً ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا

(١٥) فمن شاء فليبخل ومن شاء فليجد كفاني نداكم عن جميع المطالب

يارب لا تسلبني حبها أبداً ويرحم الله عبداً قال آمينا

(١٦) أولئك آبائي فجئى بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

أروني بخيلا طال عمراً ببخله وهاتوا كريماً مات من كثرة البذل

وحسن ظنك بالأيام معجزة فظن شرا وكن منها على حذر

نموذج

بين نوع الإنشاء وصيغته في الأمثلة الآتية

(١) يأيها المتحلى غير شيمته ومن شمائله التبديل والملق

إرجع إلى خلقك المعروف ديدنه إن التخلق يأتي دونه الخلق

(٢) يا أبني إن أردت آية حسن وجمالاً يزين جسما وعقلا

الرقم ... صيغة الأمر ... الغرض منها ... الرقم ... صيغة الأمر ... الغرض منها

(١) ... خذ العفو ... الارشاد ... (٧) ... عاند ... الاهانة

(٢) ... اسيئى بنا ... التسوية ... (٨) ... هبا ... الالتماس

(٣) ... طل – زل ... التمنى ... (٩) ... أريني جوادا ... التعجيز

(٤) ... عش سالما ... الدعاء ... (١٠) ... هاتو بر هانكم ... =

(٥) ... أسروا قولكم ... التسوية ... (١١) ... فاربأ بنفسك ... الارشاد

(٦) ... ترفق ... الدعاء ... (١٢) ... اشرح لي صدري ... الدعاء

(١٣) ... أدرجي ... الاهانة ... (١٥) ... فليبخل ... التخيير

(١٤) ... اعمل لدنياك ... الارشاد ... (١٦) ... جئنى ... التعجيز

رقم المثال ... صيغة الانشاء ... نوعه ... طريقته

١ ... يأيها المتحلى غير شيمته الخ ارجع إلى خلقك المعروف ... طلبي ... النداء

يا ابنتي ان أردت آية حسن فانبذي عادة التبرج ... طلبي ... الأمر

٢

= ... النداء

= ... الأمر

فانبذى عادةَ التبرج نبذا فجمال النفوس أسمى وأعلا

يصنع الصانعون ورداً ولكن وردةُ الروض لا تضارعُ شكلاً

(٣) ياليت من يمنعُ المعروف بمنعه حتى يذوق رجالٌ غب ما صنعوا

(٤) لعمرك ما بالعقل يكتسب الغنى ولا باكتساب المال يكتسب العقل

اسئلة على الانشاء يطلب أجوبتها

ما هو الانشاء لغة واصطلاحاً ؟ إلى كم ينقسم الانشاء ؟ ما هو الانشاء الغير الطلبي ؟ كم أقسام الانشاء الطلبي ؟ ما هو الأمر ؟ كم صيغة للأمر ؟ ما هي المعاني التي تخرج اليها صيغ الأمر عن أصل معناها.

المبحث الثاني في النهي

النهي – هو طلب الكف عن الشيء على وجه الاستعلاء (١) مع الإلزام ، وله صيغة واحدة ، وهي المضارع المقرون بلا الناهية : كقوله تعالى «ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً »وقد تخرج هذه الصيغة عن أصل معناها إلى معانٍ أخر ، تستفاد من سياق الكلام وقرائن الأحوال.

(١) كالدُّعاء – نحو قوله تعالى «ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا»

(٢) والالتماس –كقولك لمن يُساويك – أيها الأخ لا تتوان.

(٣) والارشاد – كقوله تعالى «لا تسالوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم»

(٤) والدوام – كقوله تعالى «ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون»

(٥) وبيان العاقبة – نحو قوله تعالى «ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء».

---

(١) اعلم : أن النهي طلب الكف عن الشيء ، ممن هو أقل شأنا من المتكلم ، وهو حقيقة في التحريم : كما عليه الجمهور – فمتى وردت صيغة النهي أفادت الحظر والتحريم على الفور.

وأعلم أن النهي كالأمر – فيكون استعلاء مع الأدنى ، ودعاءس مع الأعلى ، والتماسا مع النضير .

والتيئيس – نحو قوله تعالى «لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم»

(٧) والتمنى – نحو يا ليلة الأنس لا تنقضي

وكقولهيا-ليلُ طل يا نومُ زلُ يا صبح قف لا تطلع

(٨) والتهديد – كقولك لخادمك –لا تطع أمر ي

(٩) والكراهة – نحو لا تلتفت وأنت في الصلاة.

(١٠) والتوبيخ – نحو لا تنه عن خلق وتأتى مثله

(١١) والائتناس – نحو «لا تحزن إن الله معنا»

(١٢) والتحقير – كقوله :

لا تطلب المجد إن المجد سلمه صعب ، وعش مستريحاً ناعم البال

وكقوله :

دع المكارم لا ترحل لبغيها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

تطبيق

أذكر ما يُراد من صيغ النهى الآتية :

(١) ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون

(٢) فلا تُلزمن الناس غير طباعهم فتتعب من طول العتاب ويتعبوا

ولا تغتر رمنهم بحسن بشاشة فأكثر إيماض البوارق خلب

(٣) فلا تهج إن كنت ذا إربة حرب أخي التجربة العاقل

(٤) لا تعتذروا اليومَ

الغرض ... الغرض

(١) التوبيخ لهم على خلطهم الحق الباطل ... (٣) الارشاد والنصح

(٢) الارشاد إلى حسن الخلق ... (٤) التوبيخ والتفريع

(٥) لا تحسب المجد ثمراً أنت آكله لن تبلغ المجدَ حتى تعلق الصبرا

(٦) لا تحتجب عن العيون أيها القمر

(٧) لا تعرضن لجعفر متشبها بندي يديه فلست من أنداده

(٨) لا تيأسوا أن تستردوا مجدكم فلرب مغلوبٍ هوى ثم ارتقى

ولا تجلس إلى أهل الدنايا فانّ خلائق السفهاء تعدى

المبحث الثالث في الاستفهام

الاستفهام : هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل وذلك بأداة من إحدى أدواته الآتية – وهي :

الهمزة ، وهل ، وما ، ومتى ، وأيان ، وكيف ، وأين ، وأنى ، وكم ، وأي ،

وتقسم بحسب الطلب إلى ثلاثة أقسام :

(أ) ما يطلب به التصور تارة ، والتصديق تارة أخرى ، وهو – الهمزة.

(ب) وما يطلب به التصديق فقط ، وهو – هل.

(جـ) وما يطلب به التصور فقط ، وهو بقية الفاظ الاستفهام الآتية :

الغرض ... الغرض

(٥) التوبيخ والتعنيف ... (٧) التوبيخ والتأنيب

(٦) التمنى ... (٨) استنهاض الهمة بالنصح

١– الهمزة

(٦٦/١)

يطلب بالهمزة أحد أمرين : تصور ، أو تصديق

(١) فالتصور : هو إدراك المفرد (١) نحو أعلّ مسافر أم سعيد ، تعتقد أن السفر حصل من أحدهما ، ولكن تطلب تعيينه ، ولذا يجاب فيه بالتعيين ويقال سعيد مثلاً وحكم الهمزة التي لطلب التصور ، أن يليها المسؤل عنه بها ، سواء – أكان :

(١) مسنداً إليه نحو أأنت فعلت هذا أم يوسف.

(٢) أم مسنداً نحو : أراغبٌ انت عن الأمر أم راغب فيه

(٣) أم مفعولا –نحو : إياي تقصد أم سعيداً.

(٤) أم حالا –نحو : أرا كباً حضرت أم ماشيا.

(٥) أم ظرفا نحو : أيومَ الخميس قدمت أم يوم الجمعة ، ويذكر المسئول عنه في التصور بعد الهمزة ، ويكون له معادل يذكر بعد أم غالباً : وتسمى متصلة.

وقد يستغنى عن ذكر المعادل : نحو : أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم

---

(١) أي ادراك عدم وقوع النسبة وذلك كادراك الموضوع وحده أو المحمول وحده – أو هما معا – أو ذات النسبة التي هي مورد الايجاب والسلب ، فالاستفام عن التصور يكون عند التردد في تعيين أحد الشيئين – أي يتردد المتكلم في تعيين أحد أمرين : نذكر بينهما أم المتصلة المعادلة – وقد تحذف هي وما بعدها اكتفاء بما قبلها – ولا يلي الهمزة غير المستفهم عنه .

والمفرد كما يكون إسما يكون فعلا : نحو اتنتهي عند هذا الحد أم تتمادى ، والاستفهام عن التصديق يكون عن نسبة تردد الذهن فيها بين ثبوتها ونفيها وحينئذ للهمزة استعمالان – فتارة يطلب بها معرفة مفرد ، وتارة يطلب بها معرفة نسبة ، وتسمى معرفة المفرد تصوراً ، ومعرفة النسبة تصديقاً – واعلم أن كل همزة استفهام تستعمل في معناها أو في غيره إن وليها الفعل كان هو المقصودمبعناه ، وا ن وليها الاسم كان هو المراد المقصود ، فان قلت أسافر الأمير ؟ كان الشك في السفر ، وا ذا قلت أسعد سافر ؟ كان السفر مفورضا ، والمستقيم عنه ذات المسافر.

(ب) والتصديق «هو إدراك وقوع نسبة تامة بين المسند والمسند إليه – أو عدم وقوعها» (١) بحيث يكون المتكلم خالي الذهن مما استفهم عنه في جملته ، مصدقا للجواب – إثباتاً «بنعم» – أو نفياً «بلا» وهمزة الاستفهام تدل على التصديق إذا أريد بها النسبة ويكثر التصديق في الجمل الفعلية – كقولك : أحضر الأمير (٢) .

تستفهم عن ثبوت النسبة ونفيها – وفي هذه الحالة يجاب بلفظة : نعم – أو – لا.

ويقل التصديق في الجمل الاسمية نحو : أعلي ّ مسافر.

ويمتنع أن يذكر مع همزة التصديق معادلٌ – كما مثل فإن جاءت «أم» بعدها : قدرت منقطعة (٣) وتكون بمعنى (بل) فتدل على استئناف الكلام بعدها – كقوله :

ولستُ أبالي بعد فقدي مالكا أموتي نلٍ أم هو الآن واقع

ونحو :

هل يسمعن النَّضر إن ناديته أم كيف يسمع ميتٌ لا ينطق

هل

يطلب بها التصديق فقط – أي معرفة وقوع النسبة ، أو عدم وقوعها لا غير – نحو هل حافظ المصريون على مجد أسلافهم.

ولأجل اختصاصها بطلب التصديق لا يذكر معها المعادل بعد أم المتصلة – فلذا.

---

(١) أي ادراك موافقتها لما في الواقع أو عدم موافقتها له – واعلم أن ادراك وقوع النسبة أو عدم وقوعها كما يسمى تصديقا ، يسمى : حكما ، أو إسناداً ، أو إيقاعا وانتزاعا ، أو إيجابا وسلباً.

(٢) أي فقد تصورت الحضور والأمير والنسبة بينهما . وسألت عن وقوع النسبة بينهما ، هل هو محقق خارجا أولا – فاذا قيل حضر ، حصل التصديق ، وكذا يقال فيما بعده ، فالمسئول عنه في التصديق نسبة يتردد الذهن في ثبوتها ، ونفيها كما سبق توضيحه.

(٣) أي : ولا بد من وقوع الجملة بعد أم المنقطعة ، فان وقع بعدها مفرد قدر بجملة نحو أحضر الأمير أم جيشه – أي بل حضر جيشه ، واعلم أنه تلخص مما تقدم أن همزة التصور إن جاء بعدها «أم» تكون متصلة وأن همزة التصديق أو هل : إن جاء بعدهما «أم» قدرت منقطعة وتكون بمعنى بل

(١) امتنع – هل سعد قام أم سعيد : لأن وقوع المفرد وهو سعيد بعد «أم»الو اقعة في حيز الاستفهام دليل على أن أم متصلة ، وهي لطلب تعيين أحد الأمرين –ولابدَّ حينئذ أن يعلم بها أولا أصل الحكم.

(وهل) لا يناسبها ذلك لأنها لطلب الحكم فقط ، فالحكم فيها غير معلوم ، وا ٍلاّ لم يُستفهم عنه بها ، وحينئذ

يؤدي الجمع بين (هل – وأم) إلى التناقض.

لأن (هل) تفيد أن السائل جاهل بالحكم لأنها لطلبه «وأم»المتصلة : تفيد أن السائل عالم به ، وا ٍنما يطلب تعيين أحد الأمرين – فإن جاءت أم كذلك ، كانت منقطعة بمعنى بل التي تفيد الاضراب نحو : هل جاء صديقك أم عدوك.

(ب) وقبح استعمال «هل» في تركيب هو مظنة للعلم بحصول أصل النسبة ، وهو ما يتقدم فيه المعمول على الفعل ، نحو هل خليلا أكرمت فتقديم المعمول على الفعل ، يقتضى غالباً ً حصول العلم للمتكلم وتكون هل لطلب حصول الحاصل وهو عبثٌ .

تنبيهات

الأول – هل كالسين وسوف تُخلّص المضارع للاستقبال ، فلا يقال : هل تصديق ؟ جواباً لمن قال أحبك الآن ، بل تقول له ، أتصدق ؟ ولأجل اختصاصها بالتصديق ، وتخليصها المضارع للاستقبال قوى اتصالها بالفعل لفظاً أو تقديراً نحو هل يجيء علي ّ أو هل علي ّ يجيء ؟ فإن عدل عن الفعل إلى الاسم لابراز ما يحصل في صورة الحاصل دلالة على كمال العناية بحصوله كان هذا العدول أبلغ في إفادة المقصود كقوله تعالى «فهل أنتم شاكرون» فهذا التركيب أدل على طلب الشكر من قولك ، هل تشكرون – وذلك لأن الفعل لازم بعد هل والعدول عنه يدل على قوة الداعي لذلك ، لما ذكر

الثاني – هل نوعان : بسيطة – ومركبة

(٦٩/١)

(أ) فالبسيطة هي التي يستفهم بها عن وجود شيء في نفسه ، أو عدم وجوده ، نحو هل العنقاء (١) موجودة –ونحو : هل الخلّ الوفي موجود.(ب) والمركبة – هي التي يستفهم بها عن وجود شيء لشيء وعدم وجوده له – نحو هل المريخ مسكون ؟ – هل النبات حساس ؟

الثالث (هل) لا تدخل على :

(١) المنفى (٢) ... فلا يقال هل لم يفهم علي

(٢) ولا على المضارع هو للحال ... = = = تحتقر علياً وهو شجاع

(٣) ولا على إن ... = = = ان الأمير مسافر

(٤) ولا على الشرط ... هل إذا زرتُك تكرمني

(٥) ولا على حرف العطف (٣) ... هل فيتقدَّم أو هل ثم يتقدم

(٦) ولا على بعده فعل ... هلبشراً مِنا واحداً نتبعه

بخلاف الهمزة فانها تدخل على جميع ما ذكر

واعلم : أن الهمزة – وهل –يُسأل بهما عما بعدهما –لأنهما حرفان ليس لهما معنى مُستقلا.

الرابع – بقية ادوات الاستفهام موضوعة (للتصور) فقط –فيُسأل بها عن معناها – وهي :

ما ، ومن ، ومتى ، وأيان ، وكيف ، وأين ، واذ ّى ، وكَم ، وأي ، ولهذا يكون الجواب ُ معها بتعيين المسئُول عنه.

ما – ومن

ما موضوعةٌ للاستفهام عن أفراد غير العُقلاء ويُطلب بها :

(أ) إيضاح الاسم : نحو ما العسجد ؟ فيقال في الجواب إنه ذهبٌ .

---

(١) حكى الزمخشري في (ربيع الأبرار) أن العنقاء كانت طائراً وكان فيها من كل شيء من الألوان وكانت في زمن أصحاب الرس تأتي إلى أطفالهم وصغارهم فتخطفهم وتغرب بهم نحو الجبل فتأكلهم ، فشكوا ذلك إلى نبيهم (صالح) عليه السلام فدعا الله عليها فأهلكها وقطع عقبها ونسلها فسميت (عنقاء مغرب) لذلك .

(٢) أي لان هل في الأصل بمعنى قد ، وهي لا تدخل على المنفى ، فلا يقال قد لا يقوم حليل – فحينئذ هي مخصوصة بدخولها على النسب المثبتة ، سواء أكانت جملا فعليه أو اسمية – واعلم أن عدم دخولها على المنفى لا ينافي أنها لطلب التصديق مطلقا سواء في الايجابي والسلبي .

(٣) أي لا نفع هل قبل الحرف العاطف بل تقع بعده دائما.

(ب) أو يُطلب ُ بها بيان حقيقة المسمَّى : نحو : ما الشمس ؟

فيجاب بأنه كوكبٌ نهاريّ

(ج) أو يُطلب ُ بها بيان الصفة نحو : ما خليلٌ ؟ – وجوابه طويل أو قصير : مثلا

وتقع هل البسيطةُ في الترتيب العقلي (١) بين «ما» التي لشرح الاسم ، و «ما» التي للحقيقة

فَمن يجهل ُ معنى البشر مثلا يسأل أولاً «بما» عن شرحه : فيجاب بانسان ، ثم «بهل» البسيطة عن وجوده ، فيجاب بنعم

ثم «بما» عن حقيقته ، فيجاب بحيوان ناطق.

ومَن – موضوعة للاستفهام ويطلب ُ بها تعيين أفراد العقلاء – نحو: من فتحَ مصر ؟ ونحو : من شيد الهرم الأكبر ؟ ونحو : من شيد القناطر الخيرية ؟

متى – وأيَّان

مقوضوعة للاستفهام ، ويطلب ُ بها تَعيين ُ الزَّمان ، سواء أكان ماضيا أو مستقبلا –نحو متى تولَّى الخلافة عمر ُ ؟ ومتَى نحظَى بالحرية.

وأيَّان – موضوعة للاستفهام ويطلب ُ بها تعيين ُ الزَّمان المُستقبل خاصة وتكون في موضع (التهويل والتفخيم) دون غيره كقوله تعالى (يسال ُ أيّان يوم القيامة (٢)).

كيف – وأين – وأنى – وكم – وأي

كيف : موضوعة للاستفهام ويطلب بها تعيين الحال : كقوله تعالى «فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد» وكقوله :

وكيف أخاف الفقر أو أحرم الغنى ورأى أمير المؤمنين جميل

وأين موضوعة للاستفهام ويطلب بها تعيين المكان نحو : أين شركاؤكم وأنى : موضوعة للاستفهام – وتأتى لمعان كثيرة

(١) فتكون بمعنى كيف – كقوله تعالى «يحيي هذه الله بعد موتها».

(٢) وتكون بمعنى من أين كقوله تعالى (يا مريم أنى لك هذا)

(٣) وتكون بمعنى متى – كقولك أنى شئت

---

(١) الترتيب العقلي : هو أن يكون المتأخر متوقفا على المتقدم ، من غير أن يكون المتقدم علة له – وذلك كتقدم المفرد على المركب .

(٢) أي فقد استعملت أيان مع يوم القيامة للتهويل والتفخيم بشأنه – وجواب هذا السؤال (يومهم على النار يفتنون) .

وكم موضوعة للاستفهام : ويطلب بها تعيين عدد مبهم كقوله تعالى (كم لبثتم)

وأيّ موضوعة للاستفهام : ويطلب بها تمييز أحد المتشاركين في أمر يعمهما : كقوله تعالى (أي الفريقين خير مقاما) ويسأل بها عن الزمان والمكان ، والحال ، والعدد ، والعاقل ، وغيره –على حسب ما تضاف إليه «أي» ، ولذا تأخذ «أي» معناها مما تضاف إليه ، فان اضيفت إلى ما تفده (ما) أخذت حكمها ، وإن أضيفت إلى ما تفيده «متى – أو كيف» أو غيرها من الأدوات السابقة أخذت معناها ، وقد تخرج ألفاظ الاستفهام عن معناها الأصلي (وهو طلب العلم بمجهول) فيستفهم بها عن الشيء مع (العلم به) – لأغراض أخرى : تفهم من سياق الكلام ودلالته ومن أهمّ ذلك.

(١) الأمر –كقوله تعالى (فهل أنتم منتهون) أي – انتهوا.

(٢) والنهي كقوله تعالى(أتخشونهم)(فالله أحق أن تخشوه)

(٣) والتسوية تعالى (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون)

(٤) والنفي – كقوله تعالى (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) (٢)

(٥) والإنكار –)(كقوله تعالى (أغير الله تدعون)

(٦) والتشويق كقوله تعالى (هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم).

(٧) والاستئناس كقوله تعالى (وما تلك بيمينك يا موسى)

---

(١) أي : لا تخشوهم فالله أحق أن تخشوه .

(٢) أي ما جزاء الاحسان إلا الاحسان .

(٣) اعلم أن الانكار إذا وقع في الاثبات يجعله نفيا – كقوله تعالى : «أفي الله شك»أي لا شك فيه ، وا ٍذا وقع في النفي يجعله اثباتا ، نحو : قوله تعالى «ألم يجدك يتيما» أي : قد وجدناك ، وبيان ذلك : أن انكار الاثبات والنفي نفى لهما ، ونفى الاثبات نفى – ونفى النفي اثبات ، ثم الانكار قد يكون للتكذيب ، نحو أيحسب الانسان أن يترك سدى – وقد يكون للتوبيخ واللوم على ما وقع . نحو : «اتعبدون ما تنحتون» وهذه الآية من كلام ابراهيم عليه السلام لقومه ، حينما رآهم يعبدون الأصنام من الحجارة.

(٧٢/١)

(٨) والتَّقرير (١) – كقوله تعالى (ألم نشرح لك صدرك)

(٩) والتَّهويل –كقوله تعالى (الحاقَّةُ ما الحاقَّةُ وما أدرا : َ ماالحاقَّة)

(١٠) والاستبعاد –كقوله تعالى (أنَّى لهم الذِّكرى وقد جاءهم رسول مبين) – ونحو : قول الشاعر :

م َن لي بإِنسانٍ إذا أغضبته ُ وجـ َهِلت ُ كان الحلم ُ ر َدَّ جوابه

(١١) والتعظيم – كقوله تعالى «من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه»

(١٢) والتحقير –نحو : أهذا الذي مدحته كثيراً ؟ ؟

(١٣) والتَّعجُّب – كقوله تعالى(ما لهذا الرسول ياكل الطَّعام َ ويَ مشي في الأسواق) – وكقول الشاعر :

خليلي ّ فيما عشتما هل رأيتما قتيلا بكى من حب قاتله قبلي

(١٤) والتهكم نحو : أعقلك يَ ُسوغُ لك أن تفعل كذا

(١٥) والوعيد نحو : (ألم تَ َر كيف َ فعل ربّ ك بعادٍ)

(١٦) والاستنباط كقوله تعالى (متى نصر ُ الله) ونحو : كم دعوتك.

(١٧) والتَّنبيه على الخطأ كقوله تعالى (أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هُ َو خير ٌ)

(١٨) والتَّنبيه على الباطل – كقوله تعالى(أفأنتُ تسمِ ع الصُّم أو تهدى العُ مى)

(١٩) والتَّحسُّر – كقول شمس الدين الكوفي

ما للمنازل أصبحت ُ لا أهلُها أهلي ، ولا جيرانُ ها جيراني

(٢٠) والتَّنبيه على ضلال الطَّريق –كقوله تعالى (فأين تذهبون) والتَّكثير كقول أبي العَ لاء المعرِّي :

صاح هذه قبور ُ نا تلوالأبل َ فأين القبور من عَ هد عَ اد ؟ ؟ واعلم أن كل ما وضع من الأخبار في صورة الاستفهام في الأمثلة السابقة والآتية تجددت له مزية بلاغية ، زادت المعنى روعة وجمالا.

---

(١) ويكون غالبا بالهمزة يليها المقرر به ، كقولك (أفعلت هذا) – إذا أردت أن تقرره بان الفعل كان منه ،

وكقولك أأنت فعلت هذا – إذا أردت أن تقرره بأنه الفاعل ، وكقولك أخليلا ضربت – إذا أردت أن تقرره بأن مضروبه خليل ويكون التقرير أحيانا بغير الهمزة نحو : لمن هذا الكتاب ، وكم لي عليك ؟ ؟

(٧٣/١)

إذا عرفت هذا -فاعرف أيضاً أنّه يستعمل كل من (الأمر، والنهي ، والاستفهام) في أغراض أخرى ، يُرجع في إدراكها إلى الذوق الأدبي ، ولا يكون استعمالها في غير ما وضعت له ، إلا لطريفة أدبية ، تجعل لهذا الاستعمال مزية ، يترقى بها الكلام في درجات البلاغة ؟ ؟

تطبيق

ماذا يراد بالاستفهام فيما يلي ؟ ؟

(١) ألستُم مَن ركِبَ المطايا وأندَى العالمين بُطول راحِ

(٢) أنلهو وأيّامنا تذهبُ ونلعبُ والموتُ لا يلعَبُ

(٣) متى يبلغ البنيان يوماً تمامَه إذا كنت تبنيه وغيرُك يهدمُ

(٤) فعلام يلتمس العدوّ مساءتي مِن بعد ما عرفَ الخلائقُ شاني

(٥) وكيف أخافُ الفقر أو أحرم الغنى ورأى أمير المؤمنين جميل

(٦) وهل نافعي أن تُرفع الحُجبُ بيننا ودُون الذي أمّلتُ منكَ حِجاب

(٧) أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

(٨) ومَن مثلُ كافور إذا الخيل أحجمت وكان قليلا من يقول لها اقدمى

(٩) أفي الحق أن يُشقى الكرامُ ويُحرمُ ما دون الرّضا شاعرٌ مثلي

(١٠) أعندي وقد ما رستُ كل خفية يصدَّق واش أو يخيب سائل

---

(١) التقرير : لان المقام للمدح ، وذلك ابلغ فيه ، ولو أن جريراً قال في مدحه وأنتم خير من ركب المطايا» لكان قوله (خبراً) يحتمل الصدق ولكذب ، ولكنه إذ وضعه في صورة الاستفهام لم يجعله خبراً يشك فيه ، بل جعله حقيقة لا يجهلها أحد ولا ينكرها إذا سئل عنها .

(٢) النهي عن اللعب – ويصح أن يكون للتهكم .

(٣) الانكار – وبيان أن ذلك لن يكون .

(٤) التعجب من عمل لا يجديه نفعا.

(٥) النفي – وذلك أوقع في المدح.

(٦) النفي – وبيان أن ذلك ليس بمفيد .

(٧) التعظيم –وا إكبار شأنه .

(٨) النهي – والتنويه بشجاعته .

(٩) الانكار – وبيان أن ذلك لا ينبغي أن يكون
(١٠) الانكار – وبيان أن ذلك لا ينبغي أن يكون .

(٧٤/١)

(١) فدع الوعيد فما وعيدك ضائري أطنين أجنحة الذباب يضير (١)
(٢) وأمن ذا الذي يدلى بعذر وحجَّة وسيف المنايا بين عينيه مصلت (٢)
(٣) إذا محاسني اللاتي أتيت بها عُدَّت ذنوبا فقل لي كيف أعتذر (٣)
(٤) لا وفيم تنقلنا ركاب ونأمل أن يكون لنا أوان (٤)
فهل لي ان أراك قبيل موتي ولو في النوم يا بنت الكرام

أسئلة على الاستفهام يطلب أجوبتها

ما هو الاستفهام ؟ ما هي أدواته ؟ ما الذي يُطلب بالهمزة ؟ ما هو التصور ؟ ما هو التصديق ؟ ما الفرق بين همزة التصور ؟ وهمزة التصديق – وهل ؟ ماذا يطلب بأدوات الاستفهام غير الهمزة وهل ؟ ماالذي يطلب بمن ؟ ما الذي يطلب بما ؟ ما الذي يطلب بمتى ؟ ماالذي يطلب بكيف ؟ ما الذي يطلب بكم ؟ ما الذي يطلب بأيان ؟ ما الذي يطلب بأنّى ؟ ما الذي يطلب بأيّ ؟

ما هي المعاني التي تخرج اليها أدوات الاستفهام عن معانيها الأصلية.

تمرين

ما هي المعاني التي استعمل فيها الاستفهام في الأمثلة الآتية :

قال تعالى :

(١) «قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور».
(٢) «هل من خالقٍ غير الله يرزقكم»
(٣) «أفبالباطل يؤمنون ، وبنعمة الله عهم يكفرون»
(٤) «ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم ، وهموا بإخراج الرسول ، وهم بدءوكم أوّل مرةٍ تخشَونهم فالله أحقُّ أن تخشوه إن كنتم مؤمنين»
(٥) «أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريقٌ منهم يسمعون كلام الله ، ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون».
(٦) «أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعون »
(٧) «إن الذين كفروا سواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون»
(٨) «أفأصفاكم ربكم بالبنين ، واتخذ من الملائكة إناثاً إنكم لتقولون قولا عظيماً ».

---

(١) التهكم والتحقير .

(٢) التعظيم – وتهويل شأن ذلك الموقف .

(٣) النفي .

(٤) الاستبطاء .

(٧٥/١)

وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر ، وأنفقوا مما رزقهم الله ، وكان الله بهم عليماً »

من ذا «الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له وله أجر كريم »

أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى ، أم من يمشي سويًا على صراط مستقيم»

يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالاً فهدى ، ووجدك عائلا فأغنى».

(١٣) قال أبو نواس :

أنا في ذمة الخصيب مقيم حيث لا تهتدي صروف الزمان

كيف أخشى عليَّ غول الليالي ومكاني من الخصيب مكاني

(١٤) وقال أبو تمام يمدح عبد الله بن طاهر :

يقول في قومس قومي وقد أخذت منا السري وخطى المهرية القود

أم طلع الشمس تبغي ان تؤم بنا فقلت كلاَّ ، ولكن مطلع الجود

(١٥) وقال يفخر بقومه :

مضوا : وكانَّ المكرمات لدَيهم لكثرةِ ما أوصوا بهن شرائعُ

فأيُّ يدٍ في المحل مدَّت فلم تكن لها راحةٌ من جودهم وأصابعُ

(١٦) وقال رجل من الخوراج كان الحجاج قد عفا عنه :

أو قاتل الحجَّاج عن سلطانه بيدٍ تُقرُّ بانها مولاتهُ

(١٧) وقال أبو تمام :

أإلى بني عبد الكريم تشاوست عيناكَ (ويحك) خلف من تتفوَّقُ

ما انشئت للمكرمات سحابةٌ إلا ومن أيديهم تتدفَّقُ

(١٨) وقال المرحوم أحمد شوقي :

لام إِ الخلفُ بينكم إلاما وهذي الضجَّة الكبرى علاما

وفيم يكيدُ بعضكم لبعض وتُبدُون العداوة والخصاما

(١٩) وقال ابن الرومي :

ما كان في فضلاء الناس لي أملٌ فكيف أمَّلتُ خيراً في المجانين

(٢٠) وقال العباس بن الأحنف :

قلبي إلى ما ضرني داعي يُكثرُ أسقامي وأوجاعي

كيف احتراسي من عدُوّي إذا كان عدوِّي بين أضلاعي

(٢١)وقال زُفر بن الحارث :

أيذهب يومٌ واحدٌ اُن أسأته بصالح أيامي وحُسن بلائيا

(٢٢) وقال زياد الأعجم :

فمن أنتم إنا نسينا من أنتم وريحكم من أي ريح الأعاصر

(٢٣) وقال إبراهيم الموصلي :

وآمرةٍ بالبخل قلت لها اقصري فليس إلى ما تأمرين سبيلُ

وكيف أخافُ الفقر أو أحرمُ الغنى ورَأىُ أمير المؤمنين جميلُ

(٧٦/١)

(٢٤) وقال جميل بن معمر :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلةً بوادي القرى إني إذاً لسعيد

وهل ألقيَن سعُدى من الدهر مرة وما رثَّ من حبلِ الصفاء جديدُ

(٢٥) وقال شمس الدين الكوفي :

ما لي وللأيام شتَّتَ خطبُها شملي وخلاَّني بلا خُلاَّن

تمرين

وضِّح الأغراض التي خرج إليها – الأمر – والنهي – والاستفهام في الأمثلة الآتية :

(١) قال ابو الطيب يعاتب رجلاً ظن أنه هجاه ، وكان غيره هو الذي هجاه :

أتنكرُ يابن إسحقٍ إخائي ... وتسبُ ماء غيري من إنائي

أأنطقُ فيك هُجراً بعد علمي ... بانك خيرُ من تحت السماء

وهبني قلت هذا الصبحُ ليلٌ ... أيعمى العالمون عن الضياء

(٢) وقال يخاطب سيف الدولة :

أجزنى إذا أنشدتُ شعراُ فإنما ... بشعري أتاكَ المادحون مُردَّدا

ودَعَ كلَّ صوتٍ غير صوتي فإنني.. أنا الصائح المحكيُّ والآخر الصدَى

(٣)وقال :

عش عزيزاً أو مُت وأنت كريم ... بين طعنِ القنا وخفق البنود

واطلب العزّ في لظىً وذر الذ ... لَّ ولو كان في جنان الخلود

(٤) وقال :

لمَن تطلُب الدنيا إذا لم ترد بها سرورَ محبٍ أو إساءة مجرم

(٥) وقال أبو فراس :

بمن يثقُ الانسانُ فيما ينوبهُ ... ومن أين للحُر الكريمِ صحاب

وقد صار هذا الناسُ إلا أقَلَّهُم ... ذئاباً على أجسادهن ثياب

ججججج

(٦) وقال أبو العتاهية في عبد الله بن معن بن زائدة :

فَصُغ ما كنتَ حَلَّيتَ ... به سيفك خَلخَالاَ

وما تَصنَعُ بالسيف ... إذا لم تكُ قتّالا

(٧) ولابن رشيق

أيها الليل طل بغير جُناح ... ليس للعين راحةٌ في الصبَّاح

كيف لا أبغضُ الصباح وفيه ... بان عنّى نورُ الوجوه الملاحِ

(٨) وقال كثير :

أسيئى بنا أو أحسنى لا مَلُومةً ... لَدَينا وَلا مَقليةً إن تقلَّتِ

فلا يبعدن وصلٌ لعزة أصبحت عاقبة اسبابُه قد توَلَّتِ

(٩) وقال البحتري :

اسلم أبا الصقر للمعروف تصنعهُ والمجدِ تبنيه في ذُهل بن شيبان

(١٠) وقال الفرزدق :

أترجو ربيعٌ أن يجيء صغارُها بخيرٍ وقد أعيا ربيعاً كبارُها

(١١) وقال جرير

(٧٧/١)

قل للجبان إذا تأخّر سرجُهُ هل أنت من شرك المنية ناجي

(١٢) وقال المعرّي :

إفهَم عن الأيام فهي نواطقٌ ما زال يَضربُ صَرفُها الأمثالا

لم يمضِ في دنياك أمر مُعجبٌ إلاّ أرتكَ لما مضى تمثالا

(١٣) وقال :

ما افتخارُ الفتى بثوب جديد وهو من تحته بعرضٍ لبيس

والفتى ليس باللحين وبالتبر ولكن بعزةٍ في النفوسِ

(١٤) وقال المرحوم إسماعيل صبري باشا يرثي طفلا صغيراً :

يا مالىء العين نوراً والفؤادِ هوى ... والبيتِ أنساً ، تمهَل أيها القمرُ

لا تخُل أفقَكَ يخلقك الظلامُ به ... والزم مكانَكَ لا يحلُل به الكدر

المبحث الرابع في التمني

التمني هو طلب الشيء المحبوب الذي لا يُرجى ، ولا يتوقَّع حصوله

(١) إما لكونه مستحيلا – كقوله :

ألا ليتَ الشبّابَ يعودُ يوما فأخبرَه بما فعلَ المشيبُ

(٢) إما لكونه ممكناً غير مطموعٍ في نيله – كقوله تعالى (ياليت لنا مثل ما أوتي قارون)

وإذا كان الأمرُ المحبوبُ مما يرجى حصوله كان طلبه ترجياً

ويعبر فيه «بعسى ، ولعل» كقوله تعالى«لعل الله يُحدثُ بعدَ ذلك أمراً » و «عسى الله أن يأتي بالفتح»

وقد تستعل في الترجي «ليت» لغرض بلاغي (١)

وللتمني أربع أدوات واحدةٌ أصلية – وهي ليتَ وثلاث غيرُ اصلية نائبة عنها – ويتمنى بها لغرض بلاغي : وهي

(١) هل – (٢) كقوله تعالى (فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا) (٣)

---

(١) الغرض هو إبراز المرجو في صورة المستحيل مبالغة في بعد نيله – نحو

فا ليت ما بيني وبين أحبتي من البعد ما بيني وبين المصائب

وقد تستعمل أيضاً للتندم نحو «يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا»

(٢) اعلم أن سبب العدول عن (ليت) إلى «هل» إبراز المتمنى لكمال العناية به في صورة الممكن الذي لا يجزم بانتفائه ، وهو المستفهم عنه .

(٣) لما كان عدم الشفاء معلوما لهم امتنع حقيقة الاستفهام ، وتولد منه التمني المناسب للمقام.

(٧٨/١)

(٢) ولو (١) كقوله تعالى (فلو أن لنا كرةً فنكون من المؤمنين)

(٣) ولعلَّ (٢) – كقوله :

اسربَ القَطا هل من يعير جناحهُ ؟ لعلّي إلى من قد هويت أطيرُ

ولأجل استعمال هذه الأدوات في التمنّي ينُصبُ المضارع الواقع في جوابها.

تمرين

بين المعاني المستفادة من صيغ التمنِّي فيما يأتي

قال تعالى : (فهل إلى خروجٍ من سبيل)

علَّ الليالي التي أضننت بفرقتنا جسمي ستحمى يوماً وتَجمعه

لو ياتينا فيُحدِّثنا –لعلِّي احجُّ فأزورك –ياليتني اتخذتُ مع الرسول سبيلا–هل إلى مردٍ من سبيل ، يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون –لعلّي ابلغُ الأسباب –لو تتلوا الآيات فتشقَّ سمعي –

من قبلِ الكون يشكو دهرهُ ليتَ شعري هذه الدنيا لِمَن ؟ ؟

فليت الليلَ فيه كان شهراً ومرَّ نهارهُ مرَّ السحاب
فليت هوى الأحبة كان عدلا فحمل كل قلبٍ ما أطاقا

المبحث الخامس في النداء

النِّداء هو طلبُ المتكلِّم إقبال المخاطب عليه بحرف نائب مناب «أنادي» المنقول من الخبر إلى الانشاء وأدواته ثمان الهمزة ، وايّ ، ويا ، وآي ، وأيَا و َهيا ، ووا (٣)

وهي في كيفية الاستعمال نوعان

(١) الهمزة وأيّ : لنداء القريب

(٢) وباقي الأدوات لنداء البعيد.

---

(١) وسبب العدول إلى «لو» الدلالة على عزة متمناه وندرته ، حيث أبرزه في صورة الذي لا يوجد ، لأن «لو» تدل بأصل وضعها على امتناع الجواب لامتناع الشرط .

(٢) وذلك لبعد المرجو ، فكأنه مما لا يرجى حصوله ، واعلم أن «هلا ، والا ولوما ، ولولا» ماخوذة من هل ولو» بزيادة (ما) و (لا) عليهما – واصل «ألا – هلا» قلبت الهاء همزة ليتعين معنى التمني ، ويزول احتمال الاستفهام والشرط ، فيتولد من التمني معنى التنديم في الماضي نحو : هلا قمت ، ومعنى التحضيض في المستقبل نحو هلا تقف.

ولا يتمنى : بهل – ولو – ولعل : إلا في المقطوع بعدم وقوعه لئلا تحمل على معانيها الأصلية.

(٣) اعلم أن لفظ الجلالة يختص نداؤه – (بيا)

(٧٩/١)

وقد يُنزلُ البعيد منزلة القريب فينادي بالهمزة وايّ ، إشارةً إلى أنه لشدة استحضاره في ذهن المتكلّم صار كالحاضر معه ، لا يغيب عن القلب ، وكأنه ماثلٌ أمامَ العين – كقول الشاعر :

أسُكانَ نعمانِ الأراكِ تيقَّنوا بأنكُم في ربع قلبي سُكانُ

وقد يُنزل القريب منزلة البعيد –فينادَى بغير «الهمزة ، واي»

إشارةً إلى عُلُوّ مرتبته ، فيجعلُ بعدُ المنزلة كأنه بُعد في المكان كقوله «أيا مولاي»وانت معه للدلالةِ على ان المُنادي عظيمُ القدر ، رفيعُ الشأن.

«ب» أو إشارة إلى انحطاط منزلته ودرجته – كقولك «اياهذا» لمن هو معك.

أوإشارة إلى انّ السامعَ لغفلته وشُرود ذهنه كأنّه غير حاضر كقولك للساهي –أيا فلانُ – وكقول البارودي :

يأيُّها السادر المزور من صلفٍ مَهلاً ، فإنك بالأيّام مُنخَدع (١)

وقد تخرج ألفاظ النّداء عن معناه الأصلي إلى معان أخرى ، تفهمن السِّياق بمعونة القرائن ومن أهمّ ذلك

(١) الإغراء نحو قولك لمن أقبل يتظلَّم : يا مظلومُ .

(٢) والاستغاثة – نحو ، يالله للمؤمنين.

(٣) والندبة – نحو قول الشاعر

فواعجباً كم يدَّعي الفضلَ ناقصٌ ... وواأسفاً كم يظهر النقص فاضل

(٤) والتّعجب – كقول الشاعر

لكيلمن قُبُّرة بمعمرٍ خلاَ لكِ الجوُّ فبيضى واصفرى

(٥) والزجر – كقول الشاعر :

أفؤادي متى المتابُ ألَمَّا تصحُ والشَيبُ فوق راسي المَّا

(٦) والتحسُّر والتَّوجُّع – كقوله تعالى«يا ليتني كنتُ تراباً »

وكقول الشاعر :

أيا قبرَ معن كيف واريت جودَهُ ... وقد كانَالبرمثُهوَ البحر مُترعاً

(٧) والتَّذكر كقوله :

أيا منزلي سلمى سلامٌ عليكما هل الأزمٌن اللاتي مضينَ رواجع

(٨) والتحيرُّ والتضجُّر – نحو قول الشاعر :

ايا مَ نازلَ سلمى أين سلماك من أجل هذا بكيناهاَ بكيناك

ويكثر هذا في نداء الأطلال والمطايا : ونحوها

---

(١) السادر الذاهب عن الشيء ترفعا عنه ، والذي لا يبلالي ولا يهتم بما صنع. المزور : المنحرف ، والصلف الكبر.

(٨٠/١)

(٩) والاختصاص (١) – هو ذكر اسم ظاهر بعد ضمير لأجل بيانه.

نحو قوله تعالى : «رحمةُ الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميدٌ مجيد» ونحو : نحن العلماءَ ورثة الأنبياء :

«أ»إمَّا للتَّفاخر نحو : أنا أكرمُ الضيف أيها الرجل.

«بـو»إما للتَّواضنُحو : أنا الفقيرُ المسكينُ أيّها الرجل ونحو : اللهم اغفر لنا أيَّتها العصابَة (٢) .

تمرين

بين المعاني الحقيقيَّة المستفادة من صيغ النداء – والمعاني المجازية المستفادة من القرائن.

صاح شمّر ولا تزَل ذاكرَ الموت فنسيانُهُ ضلالٌ مُبين

يا لقومي ويا لأمثال قومي ... لأُناسٍ عُتوُّهم في ازدياد

يا للرِّجال ذوي الألباب من نفرٍ ... لا يبرحُ السّفهُ المردي لهم دينا

ايها القلبُ قد قضَيتَ مَرَاماً ... فإلامَ الوجَعُ بالشهَوات

أيا شجر الخابور مَالَك مُورقاً ... كأنكَ لم تجزَع على ابنِ طَريفِ

يا أيها الظالم في فعله ... الظلم مَردُودٌ على من ظَلَم

أريحانة العينين والأنف والحشا ... ألاليت شعري هل تغيرت من بعدي

يا ناقُ سيري عنقاً فسيحاً ... إلى سليمان فنستريحا

حجبوالرعّنياح لأني ... قلتُ يا ريحُ بلِّغيه السلاما

يا ليتني كنتُ صبيًّا مُرضعا ... تحملني الذَّلفاء حولاً أكتعا

يا ليلة لستُ أنسى طيبها أبداً ... كأنَّ كلّ سرور حاضرٌ فيها

يا ليلة كالمسك مَخبرُها ... وكذاك في التشبيه منظرها

أحييتها والبدرُ يخدُمني ... والشمسنأهاها وآمُرها

يا من تذكَرني شمائله ... ريح الشِّمال تنفَّست سحرا

وإذا امتطى قلمٌ أناملَه ... سحر العقول به وما سحرا

يا قلب ويحك ما سمعت لنا صحِ ... لمّا ارتميتَ ولا اتقيت ملاما

---

(١) بيان ذلك ان النداء تخصيص المنادي بطلب إقباله عليك – فجرد عن طلب الاقبال ، واستعمل في تخصيص مدلوله من بين أمثاله بما نسب إليه منها .

(٢) أي : اللهم اغفر لنا مخصوصين من بين العصائب ، فصورته صورة النداء وليس به – إذا لم يرد به إلا ما دل عليه ضمير المتكلم السابق ، ولذا لا يجوز إظهار حرف النداء فيه .

(٨١/١)

يا أعدل الناسإلا في معاملتي ... فيك الخصام وانت الخَصم والحكم

يارحمةَ الله حلّى في منازلنا ... وجَاورِينا فدتك النفس من جار

تنبيهات

الأولوضع الخبرُ موضعَ الإنشاء لأغراضٍ كثيرة ، أهمها :

(١) التفاؤل – نحو هداك الله لصالح الأعمال :

كأنَّ الهدايةَ حصلت بالفعل فاخبَر عنها – ونحو : وفقك الله.

(٢) الاحتراز عن صورة الأمر تأدّباً واحتراماً ، نحو : رحم الله فلانا ونحو : ينظر مولايَ في أمري ويقضي حاجتي.

(٣) والتنبيه على تيسير المطلوبِ لقوة الأسباب كقول الأمير لجنده «تأخذون بنواصيهم وتنزلونهم من صيَاصيهم».

(٤) والمبالغة في الطلب للتنبيه على سرعة الامتثال.

حو:(وا إذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم) لم يقل لا تسفكوا ، قصداً للمُ بالغة في النَّهي ، حتى كأنهم نهو فامتثلوا ثم أخبر عنهم بالامتثال..

(٩) إظهار الرَّغبة-قولك في غائب : رَ زَقني الله لقاءهُ .

الثاني -يُ وضع الانشاء موضع الخبر لأغراض كثيرة

«أ» منها : إظهار العناية بالشيء : والاهتمام بشأنه -كقوله تعالى (قل أمر ربي بالقسط واقيموا وجُ وهكم عند كل مسجد)

لم يقل : وا إقامة وجوهكم ، إشعاراً بالعناية بأمر الصلاة ، لعظيم خَطرها ، وجليل قدرها في الدين.

«ب» ومنها : التحاشي والاحتر مُ ساواة اللَّاحق بالسّابق. كقوله تعالى (قال إني أشهدُ اللهَ ، واشهدوا بريء أنتم تُشركون من دونه) لم يقُل وأُشهدكم تَحاشياً وفراراً مِن مُ ساواة شهادتهم بشهادة الله تعالى.

الثالث الانشاء كالخبر في كثيرٍ ممّا ذكر فيه ، ومما سيُذكر في الأبواب التالية – من الذكر والحذف وغيرهما ، إن شاء الله تعالى.

الثالث الانشاء كالخبر في كثير ممّا ذُكر فيه ، ومما سيُذكر في الأبواب.التالية – من الذكرى والحذف وغيرهما ، إن شاء الله تعالى.

(٨٢/١)

الرابع -يُ ستعمل كل من (الأمر والنهي والاستفهام) في أغراض أخر يرجع في إدراكها إلى الذوق الأدبي ، ولا يكون استعمالُها في غير ما وُ ضعت له إلا لطريقة أدبية تجعل لهذا الاستعمال مزية يترقى بها الكلام في درجات البلاغة ، كما سبق القول.

تطبيق

بين المعاني المستفادة من النِّداء ، وسبب استعمال أداةٍ دون غيرها فيما يلي :

(١) أيا مَنالَ سامي أين سلماك مِن أجل هذا بكيناها بكيناك (١)

(٢) يا نادحَ الشرق قد سكتَّ طويلا وعزيزٌ علينا ألاّ تقولا (٢)

(٣) أيا قبر معنٍ كيف واريت جوده وقد كان منه البرُ والبحر مُترعا (٣)

(٤) يا دُرةً نزعت من تاج والدها فأصبحت حليةً في تارج رضوان

(٥) فيا لائمي دعنيأغالي بقيمتي فقيمةُ كلّ الناسِ ماَ يحسنونه

تطبيق آخر

وضح الاعتبار الدّاعي لوضع كل من الخبر والإنشاء موضع الآخر :

الرقم ... الأداة ... المعنى المستفاد ... سبب إيثار الأداة

١ ... أيا ... التضجر والتحير معاً ... تنزيل المنازل المخاطبة منزلة البعيد لعظم شأنها لديه كون المنادي

بعيد المرتبة حقيقة

٢ ... يا الملحوظة ... = = = ... تنزيل المخاطب منزلة البعيد إشعاراً برفعة شأنه

٣ ... أيا ... التحسر ... تنزيل المنادى منزلة البعيد تنويها بعظم الأمر ورفعة القدر للاشارة إلى أن المخاطب منحط الدرجة.

٤ ... أيا ... التحسر

الطلب ... الطلب

تطبيق آخر

وصح الاعتبار الدَّاعي لوضع كل من الخبر والانشاء موضع الآخر.

(١) قال تعالى (وقضى ربُّك ان لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً.

الرقم ... نوع الكلام ... البيان ... الاعتبار

١ ... الانشاء ... إذا التقدير أحسنوا بالوالدين والمقام للأخبار ... الاهتمام وا إظهار العناية

٢ ... الخبر ... إذ المعنى ليأمن من دخله ... إظهار الحرص على وقوعه

٣ ... = ... المقام للإنشاء إذ الغرض الدعاء له ... التفاؤل بالدعاء

٤ ... = ... المقام للطلب ... لأظهار الحرص على قوعه

---

(١) يريد لعدم وجود سلمى بكيناها وبكينا المنازل – فواو العطف محذوفة .

(٢) صدح الرجل رفع صوته بالغناء .

(٣) المترع أي المملوء .

(٢) قال تعال (ومن دخلهُ كانَ آمنا) وقال الشاعر :

(٣) أتاني أبيت اللَّعن أنك لمتِي وتلك التي أهتمُّ منها وأنصَبُ (١)

(٤) فعاقبني ربِّي قبةُ قرَّت بها عينُ من يأتيك بالحسد

تدريب

بيِّن فيما يلي الغرضَ من وضع الإنشاء موضعَ الخبر وبالعكس.

(١) كل خليلٍ كنتُ خاللتُه لا ترك اللهُ له واضحَه

(٢) قال الله تعالى (وقالَ اركبوا فيها بسمِ الله مجريها)

(٣) تقول لصديقك ، رزقني الله لقاءك – ويقول الشاعر

(٤) لأئمة لامتك يا فضل في الندَى فقلت لها هل أثَّر اللَّومُ في البحر

أتنهَين فضلاً عن عطاياه للورى ومَن ذا الذي يَنهى الغَمام عن القَطر

تمرين

عين الجمل الخرية والإنشائية فيما يأتي : قال الله تعالى :

(١) « آمن الرسولُ بما أنزلَ إليه من ربِّه ، والمؤمنون كلٌّ آمنَ بالله وملائكته وكُتبه ورسُلِه».

(٢) «يمحقُ اللهُ الرِّبا ويُربي الصدَّقات ، والله لا يحبُّ كل كفَّار أثيم».

(٣) «يأيها الذين آمنوا ، أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم»

(٤) قال الرسول صلى الله عليه وسلم :

استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فانَّ كل ذي نعمة محسودٌ .

(٥) ومن وصية عبد الملك بن مروان لأولاده :

يا بني ، كافُّوا كُم ، وابذُلوا معروفكم ، واعفوا إذا قدرتم ولا تبخلوا إذا سئلتم ، ولا تُلحِفوا إذا سألتم ، فان من ضيَّق ضيَّق الله عليه ، ومن أعطى أخلف الله له».

(٦) وقال أبو العلاء المعري :

لا تحلفنَّ على صدق ولا كذب فما يفيدكَ إلا المأثم الحلف

(٧) وقال :

لا تفرحن بما بلغتَ من العلا ... وإذا سبقت فعن قليل تُسبق

وليحذر الدَّعوى اللبيبُ فإنها ... للفضل مهلكة وخطبٌ مُوبقُ

(٨) وقال أبو العتاهية :

بكيتُ على الشباب بدمع عيني فلم يُغن البكاءُ ولا النحيبُ

ألا ليتَ الشبابَ يَعُودُ يوماً ... فأخبرهُ بما فعلَ المَشيب

(٩) وقال :

---

(١) أبيت اللعن كانت تحية الملوك ، ومعناها أبيت أن تفعل شيئاً تلعن به ، اهتم أي أصير ذا هم ، أنصب أي أتعب.

يا صاحبَ الدنيا المحبَّ للهِ الذي لا ينقضى تعبُهُ

(١٠) وقال :

ما أحسن الدنيا وإقبالَها ... إذا أطاع اللهَ مَن نالها

من لم يُؤاس الناسَ من فَضلها ... عَرَّضَ للإدبار إقبالها

(١١) وقال الشاعر :

أراك تؤمِّل حسن الثناء ... ولم يرزقِ الله ذاكَ البخيلا

وكيف يسودُ أخو فطنةٍ ... يمـُن كُثيراً ويـُعطي قليلا

(٢) وقال سعيدُ بن حميد.

وأراك تكلف بالعتاب وودنا ... صافٍ عليه من الوفاء دليل

ولعل أيام الحياة قصيرة ... فعلام يكثر عتبنا ويطول

أسئلة يطلب أجوبتها

(١) عرّف التَّمني ، واذكر ألفاظه

(٢) بين الفرق بين التمنِّي والترجي ، واذكر ألفاظ ثانيهما

(٣) بيّن النّداء ، واذكر أدواته : وقسِّمها من حيث الاستعمال

(٤) متى يـُنزَّل القريب منزلة البعيد ، وبالعكس

(٥) بين المعاني المجازية التي تـُستفاد من ألفاظ النداء.

(٦) بيّن الأغراض الداعية لإيثار الخبر في مقام الانشاء.

(٧) لِمَ يـُوضع الانشاءُ موضع الخبر ؟ ؟

تطبيق عام على الباب الثاني

انا الذائد الحامي الذمار وإنما يدافع عن أحسابهم انا أو مثلي

الجملة الأولى –خبرية اسمية من الضرب الابتدائي ، والمراد بها الفخر وإظهار الشجاعة– المسند إليه (أنا) ، والمسند (الذائد) ، والجملة الثانية خبرية فعلية من الضرب الثالث لما فيها من التوكيد بإنما ، والمراد بها الفخر وإظهار الشجاعة أيضا ، المسند (يدافع) والمسند إليه (أنا).

(وما ربك بظلام للعبيد) – جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث – والمراد بها التوبيخ – المسند إليه (رب) ، والمسند (ظلام).

أنت خرجت عن حدك – جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث – والمراد بها التوبيخ – المسند إليه (أنت) ، والمسند جملة (خرجت).

رب إن قومي كذبون – جملة (رب) انشائية ندائية ، والمراد بها الدعاء ، المسند والمسند إليه محذوفان نابت عنهما ياء النداء المحذوفة – وجملة إن قومي كذبون ، خبرية اسمية من الضرب الثالث ، والمراد إظهار التحسر ، المسند إليه قومي ، والمسند جملة كذبون.

(٨٥/١)

زارنا الغيث – جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائي ، والمراد بها إظهار الفرح – المسند إليه : الغيث ، والمسند : زار ، واتى بها فعلية لافادة الحدوث في الزمن الماضي مع الاختصار.

ذهب عنا الحزن – جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائي ، والمراد بها إظهار الشماتة بمدبر – المسند (ذهب) والمسند إليه (الحزن) – واتى بها فعلية لافادة الحدوث في الزمن الماضي مع الاختصار.

قابلت الأمير – جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائي ، والمرادبها إظهار السرور ، المسند قابل ، والمسند إليه التاء.

أنا ممتثل لأمرك – جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائي والمراد بها إظهار التواضع – المسند إليه أنا ، والمسند ممتثل ، واتى بها اسمية مجرد ثبوت المسند للمسند إليه (إن الله لا يظلم الناس شيئاً) – جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث ، والمراد بها التوبيخ للناس ، والمسند إليه لفظ الجلالة ، والمسند جملة (لا يظلم).

وأتى : بالمسند جملة لتقوية الحكم بتكرار الاسناد ، والجملة الاسمية مفيدة للاستمرار الآن بقرينة الاسناد إلى الله تعالى.

ما جاءنا من أحد – جملة خبرية فعلية من الضرب الثالث والمراد بها فائدة الخبر ، المسند جاء ، والمسند إليه أحد ، وأتى بها فعلية لما تقدم.

أنت نجحت – جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث لما فيها من تقوية الحكم بتكرار الإسناد والمراد بها لازم الفائدة ، المسند إليه أنت والمسند جملة نجحت.

حضر الأمير : جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائي ، والمراد بها أصل الفائدة ، المسند إليه الأمير.

سيحرم المقصر : خبرية فعلية من الضرب الابتدائي ، والمراد بها الذم ، المسند سيحرم ، والمسند إليه المقصر ، وهي تفيد الاستمرار التجددي بقرينة الذم.

(٨٦/١)

ما برح المقصر نادما – جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائي – والمراد بها الذم ، المسند إليه المقصر ، والمسند نادما ، وهي مفيدة للاستمرار بقرينة (ما برح) كلما جئتني أكرمتك : جملة أكرمتك خبرية فعلية من الضرب الابتدائي ، وهي الجملة ، وما قبلها قيد لها ، لأن الشرطية لا تعتبر إلا بجوابها ، المسند أكرم ، و المسند إليه التاء ، وهي مفيدة للاستمرار التجددي : بقرينة كلما

ما مجتهد صاحباك – جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائي ، ولا يقال اسمية لأن الاسم حل محل الفعل – ولذلك رفع ما بعده على أنه فاعله ، والمراد بها الاستمرار بقرينة الذم ، والمسند مجتهد ، والمسند إليه صاحباك ، وقس عليها.

نحو ما مبغوض أنت ، وما حسن فعل أعدائك ، وأقائم أخواك ، وهل منصف أصحابك كلما ذاكر المجتهد استفاد – جملة استفاد : فعلية خبرية من الضرب الابتدائي المسند الشمس طالعة – تقولها للعاثر – جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائي المسند إليه الشمس – والمسند طالعة ، والمراد بها التوبيخ.

الكريم محبوب – جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائي ، المسند إليه الكريم والمسند محبوب ، والمراد بها الاستمرار بقرينة المدح. من يسافر ؟ جملة انشائية استفهامية ، المسند إليه من والمسند جملة يسافر التفتوا – جملة انشائية أمرية ، المسند التفت ، والمسند إليه الواو. لا تتركوا المذاكرة : جملة انشائية نهيية المسند تترك ، والمسند إليه الواو. ليت البخيل يجود : جملة إنشائية تمنية إسمية ، المسند إليه البخيل والمسند جملة يجود.

هل فهمتم ؟ جملة إنشائية استفهامية ، المسند فهم ، والمسند إليه التاء. يا تلاميذ : جملة انشائية ندائية ، المسند والمسند إليه محذوفان تقديرهما : ادعو نابت عنها (يا)

(قل أغير الله أبغي رباً وهو رب كل شيء) – الهمزة الداخلة على لفظ (أغير) ليست للاستفهام الحقيقي ، بل هي للانكار الذي لم يقع على أنه يبغي رباً ، ولكنه وقع على أن يكون المبغى ربا غير الله.

(٨٧/١)

الباب الثالث في أحوال المسند إليه

المسند إليه : هو المبتدأ الذي له خبر ، والفاعل ، ونائبه ، وأسماؤه وأحواله هي النواسخ : الذكر ، والحذف ، والتّعريف ، والتّنكير ، والتّقديم ، والتأخير وغيرها ، وفي هذا الباب عدة مباحث.

المبحث الأول في ذكر المُسند اليه

يذكر المعنى في الكلام خَليقٌ طبعاً بالذكر ، لتأدية المعنى المُراد به ، فلهذا يُذكر المسندُ إليه وجوبا حيث إنّ ذكرهُ هو الأصل ولا مقتضى للحذف ، لعدم قرينة تدلّ عليه عند حذفه

وإلا كان الكلام مُعمًّى مبهماً ،يلتبين المرادُ منه وقد يترجح الذكر وجود قرينة تمكن من الحذف ، حين لا يكون منه مانع ، فمن مُرجحّات الذكر (١)

زيادةُ التقرير والايضاح للسامع – كقوله تعالى (أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) (٢) – وكقول الشاعر

هو الشمس في العليا هو الدهر في السطا

هو البدرُ في النادي هو البحر في الندى

(٢) قلة الثقة بالقرينة : لضعفها أو ضعف فهم السامع

نحو سعدٌ نعم الزعيم : تقول ذلك إذا سبق لك ذكر سعد ، وطال عهد السامع به ، أو ذُكر معه كلام في شأن غيره

(التردّد على المُخاطب : نحو : الله واحدٌ ، ردا على من قال : الله ثالث ثلاثة :

(التلذذُ نحو : الله ربي ، الله حسبي.

---

(١) بيان ذلك أنه إذا لم يوجد في الكلام قرينة تدل على ما يراد حذفه ، أو وجدت قرينة ضعيفة غير مصحوبة بغرض آخر يدعو إلى الحذف ، فلابد من الذكر جريا على الأصل ، وقد تدعو الظروف والمناسبات إلى ترجيح (الذكر) مع وجود قرينة تمكن من (الحذف) وذلك لأغراض مختلفة ، ترجع إلى اساليب البلغاء ، فتجدهم قد ذكروا أحيانا ما يجوز أن يستغنى عنه ، وحذفوا مالا يوجد مانع من ذكره ، فرجحوا الذكر أحيانا ، والحذف أحيانا ، لأسباب بلاغية اقتضت ذلك .

(٢) الشاهد في (أولئك هم المفلحون) حيث كرر اسم الاشارة المسند إليه التقرير والايضاح تنبيها على أنهم كما ثبتت لهم الأثرة والميزة بالهدى فهي ثابتة لهم بالفلاح أيضا .

(٨٨/١)

(٥) التعريض بغباوة السامع : نحو سعيد قال كذا – في جواب : ماذا قال سعيد ؟

(٦) التسجيل على السامع ، ( ) حتى لا يتأتى له الإنكار – كما إذا قال الحاكم لشاهد هل اقر زيد هذا بأن عليه كذا ؟ فيقول الشاهد نعم زيد هذا أقر بأن عليه كذا (٢) .

(٧) التعجب إذا كان الحكم غريباً ، نحو : علي يقاوم الأسد في جواب من قال : هل علي يقاوم الأسد ؟

(٨) التعظيم – نحو حضر يفعل الدولة ، في جواب من قال : هل حضر الأمير ؟

(٩) الإهانة –نحو السَّارق قادم ، في جواب من قال : هل حضر السَّارق ؟

المبحث الثاني في حذف المسند اليه

الحذف خلاف الأصل ، ويكون لمجرَّد الاختصار والاحتراز عن العبث بناء على وجود قرينة تدل على المحذوف – وهو قسمان

«أ» قسم يظهر فيه المحذوف عند الإعراب : كقولهم – أهلا وسهلا فإن نصبهما يدل على ناصب محذوف يقدر بنحو : جئت أهلا ونزلت مكاناً سهلاً – وليس هذا القسم من البلاغة في شيء.

---

(١) أي كتابة الحكم عليه بين يدي الحاكم.

(٢) فيذكر المسند إليه لئلا يجد المشهود عليه سبيلا للانكار بأن يقول للحاكم عند التسجيل ، انما فهم الشاهد أنك أشرت إلى غيري – فأجاب : ولذلك لم أنكر ولم أطلب الاعذار فيه.

(٨٩/١)

«ب» وقسم لا يظهر فيه المحذوف عند الاعراب وإنما تعلم مكانه إذا أنت تصفحت المعنى ، ووجدته لا يتم إلا بمراعاته ، نحو يعطي – ويمنع أي يعطى من يشاء ، ويمنع من يشاء – ولكن لا سبيل إلى إظهار ذلك المحذوف ، ولو أنت أظهرته زالت البهجة ، وضاع ذلك الرونق (١)

ومن دواعي الحذف : إذا دلت عليه قرينة ، وتعلق بتركه غرض من الأغراض الآتية :

(١) ظهوره بدلالة القرائن عليه – نحو : فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم «أي أنا عجوز».

(٢) إخفاء الأمر عن غير المخاطب – نحو أقبل «تريد عليا مثلا».

(٣) تيسر الانكار إن مسَّت إليه الحاجة –نحو (لئيم خسيس) بعد ذكر شخص لا تذكر اسمه ليتأتَّى لك عند الحاجة أن تقول ما أردته ولا قصدته.

(٤) الحذر من فوات فرصة سانحة – كقول منبه الصياد :

غزالٌ «أي هذا غزال»

(٥) اختبار تنبه السامع له عند القرينة – أو مقدار تنبهه –نحو نوره مستفادٌ من نور الشمس – أو هو واسطة عقد الكواكب «أي القمر»في كلّ من المثالين

(٦) ضيق المقام عن إطالة الكلام بسبب تضجر وتوجع – كقوله :

---

(١) وفي هذا القسم تظهر دقائق البلاغة ومكنون سرها ورائع أساليبها ، ولهذا يقول الامام (عبد القاهر الجرجاني) : في باب الحذف : هنه باب دقيق المسلك ، لطيف الماخذ ، عجيب الأمر ، شبيه بالسحر ، فانك ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الافادة أزيد للافادة ، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن ، وهذه جملة قد تنكرها حتى تخبر ، وتدفعها حتى تنظر والأصل في جميع المحذوفات على اختلاف ضروبها أن يكون في الكلام ما يدل عليها ، وا ٍلا كان الحذف تعمية وألغازاً لا يصار إليه بحال – ومن شرط حسن الحذف أنه متى ظهر المحذوف زال ما كان في الكلام من البهجة والطلاوة ، وصار إلى شيء غث لا تناسب بينه وبين ما كان عليه أولا (والقرينة شرط في صحة الحذف) إذا اقترن بها غرض من الأغراض المذكورة.

(٩٠/١)

قال لي كيف أنت قلت عليلٌ سهرٌ دائمٌ وحُزنٌ طويل (١)

(٧) المحافظة على السجع – نحو

من طابت سريرته ، حمدت سيرتُهُ (٢)

(٨) المحافظة على قافية كقوله :

وما المالُ والأهلون إلا ودائع ولابُدَّ يوماً أن تردَّ الودائعُ (٣)

(٩) المحافظة على وزن – كقوله :

على أنني راضٍ بان أحملَ الهوى وأخلص منه لا عليَّ ولاَ ليا (٤)

(١٠) كون المسند إليه معيناً معلوماً «حقيقة» نحو : (عالم الغيب والشهادة) «أي – الله» – أو معلوماً «ادعاء»نحو وهَّابُ الألوف «أي فلان».

(١١) إتباع الاستعمال الوارد على تركه (٥) –نحو : رميةٌ من غير رام «أي هذه رمية» ونحو : نعم الزعيم سعدٌ : أي هو سعدٌ .

(١٢) إظهار أنّ في تركه تطهيراً له عن لسانك ، أو تطهيراً للسانك عنه ، مثال الأول (مُقرٌ للشرائع ، موضحٌ للدّلائل) تريد صاحب الشريعة ومثال الثاني (صمٌ بُكمٌ عُميٌ)

(١٣) تكثيرُ الفائدة نحو : فصبرٌ جميل «أي فأمري صبر جميل».

(١٤) تعيُّنه بالعهديّة – نحو : (واستوت على الجودي (٦)) أي السفينة ونحو «حتى توارت بالحجاب» أي

الشمس

ومرجع ذلك إلى الذوق الأدبي فهو الذي يُوحى إليك بما في القول من بلاغة وحسن بيان

تدريب

بين أسباب ذكر وحذف المسند إليه في الأمثلة الآتية :

---

(١) أي لم يقل أنا عليل لضيق المقام بسبب الضجر الحاصل له من الضنى .

(٢) أي لم يقل حمد الناس سيرته للمحافظة على السجع المستلزم رفع الثانية.

(٣) فلو قيل : أن يرد الناس الودائع : لاختلفت القافية لصيرورتها مرفوعة في الأول منصوبة في الثاني.

(٤) أي لا ع لى شيء ، ولا لي شيء .

(٥) وكذا أيضا الوارد على ترك نظائره مثل الرفع على المدح نحو مررت بزيد الهمام – وعلى الذم نحو رأيت بكراً اللئيم – وعلى الترحم مثل : ترفق بخالد المسكين.

(٦) قيل الجودي هو الجبل الذي وقعت عليه سفينة نوح – وهي معهودة في الكلام السابق في قوله وأصنع الفلك بأعيننا الخ.

(٩١/١)

وا ِنَّدلالي أشر ٌ أريدَ بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً الرئيس كلمني في أمرك – والرئيس أمرني بم ُقابلتك (١) – الأمير نشر المعارف ، وأمن المخاوف) (٢ ُحتال ٌ م ُراوغٌ ( )٢، منضجةٌ للز َّرع ، م ُصلحة للهواء (٤) .

فعباس يص ُدُّ الخطب عن ّا وعباس يجير من استجارا

لق َ فسوَّى ، مقر ّر للشرائع ، موضح للدلائل ن ولو شاء لهداكُم أجمعين (٥) .

وا ِني من القوم الذين هم ُ هم ُ ... إذا مات منهم سيِّد ٌ قام صاحبه

أنا مصدر ُ الكلمِ البوادي ... بين المحاضر والنوادي

أنا فارس ٌ أنا شاعر ٌ ... في كل ملحمة ونادي

إن حلَّ في رومٍ ففيها قيصر ٌ .. أو حل في عرب ففيها تُبع ُ

تُسائلني ما الحبُّ قلت عواطف ٌ ... منو ّعة الأجناس موطنها القلب ُ

تطبيق

وضح دواعي الحذف في التراكيب الآتية :

ملوك ٌ وا ِخوان ٌ إذا ما مدحتهم ... أحكَّم في أموالهم وأقرب ُ

أما والذي أبكى واضح َكَ والذي ... أماتَ وأحيا والذي أمره ُ أمر ُ

)(لسن ٌ إذا صعدَ المنابر أو نضا ... قلما شأى الخطباء والكتاباَ (٦)

) عليل(٢ الجسم ممتنع القيام ... شديد السكر من غير المدام

) أجاج(٣ لا يفلل سلاحك إنما الـ ... منايا بكف الله حيث تراها (٧)

) حريص على الدنيا مضيع لدينه ... وليس لما في بيته بمضيع

) وإني(٤ رأيت البخل يزري بأهله ... فأكرمت نفسي أن يقال بخيل

الرقم ... المحذوف ... السبب

١ ... المسند إليه ... ادعاء العلم به في مقام المدح

٢ ... المسند إليه ... ضيق المقام من التوجع

٣ ... = ... العلم به

٤ ... المسند إليه ... ادعاء العلم به في مقام الذم

٥ ... = ... العلم به

) لو(٦ شئت لم تفسد سماحة حاتمٍ ... كرماً ولم تهدم مآثر خالد

(٧) برد حشاي) إن(٨ استطعت بلفظة ... فلقد تضر إذا تشاء وتنفع

---

(١) تخاطب غبيا .

(٢) جوابا لمن سال ما فعل الأمير ؟ ؟

(٣) بعد ذكر إنسان .

(٤) تعني الشمس .

(٥) أي لو شاء هدايتكم .

(٦) نضا بمعنى جر – شأى ، سبق .

(٧) فلول السيف كسور في حده.

(٨) الحشا ، ما انطوت عليه الضلوع .

(٩٢/١)

(٧) نجوم) سماءٍ كلما غار كوكب ... بدا كوكب تأوى إليه الكواكب

وقد علم القبائل من معد ... إذا قبب بأبطحها بنينا

أنا البطعمون إذا قدرنا ... وأنا المهلكون إذا ابتلينا

وأنَّا المانعون لما اردنا ... وانَّا النازلون بحيث شينا

وانَّا التاركون إذا سخطنا ... وأنا الآخذون إذا رضينا

أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب ، أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر –خلاَّق لما يشاء – الحمد لله الحميد لا-تخاطب السَّفيه اللئيم ، وأحسن إلى الفقير المسكين . ... المحذوف ... السبب

حيوا العروبة في عليا مراتبها وخيرِ فرسانها شيباً وشبّانَا

@٠

الرقم

٦ ... المفعول ... البيان بعد الابهام

٧ ... المفعول ... عدم تعلق الغرض به

تنزيل المعتدى منزلة اللازم

٨ ... المسند إليه ... ادعاء تعيينه في مقام المدح

المبحث الثالث في تعريف المسند إليه

حقُ المسند إليه : أن يكون معرفة ، لأنه المحكوم عليه الذي ينبغي أن يكون معلوماً ، ليكونَ الحكم مفيداً. وتعريفه (٢)

---

(١) أي هؤلاء نجوم .

(٢) اعلم أن كلا من المعرفة والنكرة يدل على معين ، وإلا امتنع الفهم – إلا ان الفرق بينهما أن (النكرة) يفهم منها ذات المعين فقط ، ولا يفهم منها كونه معلوما للسامع وان (المعرفة) يفهم منها ذات المعين ، ويفهم منها كونه معلوما للسامع لدلالة اللفظ على التعيين ، والتعيين فيها – إما بنفس اللفظ من غير احتياج إلى قرينة خارجية كما في العلم واما بقرينة تكلم أو خطاب أو غيبة كما في الضمائر ، واما بقرينة إشارة حسية كما في الاشارة –وإما بنسبة معهودة كما في الأسماء الموصولة ، وأما بحرف وهو المعرف بال والنداء ، واما باضافة معنوية و هو المضاف إلى واحد مما ذكر ، ما عدا المنادى واعلم أنه قدم ذكر (الاضمار) لأنه أعرف المعارف – واصل الخطاب أن يكون لمعين ، وقد يستعمل أحيانا دون أن يقصد به مخاطب معين كقول المتنبي :

إذا انت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

أخرج الكلام هنا في صورة الخطاب ليفيد العموم

(٩٣/١)

إموّا إمّا بالإضمار ، وإما بالاشارة ، وإمّا بالموصولية ، وإمّا بأل ، وإمّا بالإضافة ، وإمّا بالنداء.

المبحث الرابع في تعريف المسند إليه بالإضمار

يُؤتى بالمسند إليه ضميرا – لأغراض :

(١) لكون الحديث في مقام «التكلُّم» كقوله عليه الصلاة والسلام

(انا النبيّ لا كذب ، أنا ابنُ عبد المطّلب)

(٢) أو لكون الحديث في مقام «الخطاب» كقول الشاعر :

وانتَ الذي أخلفتني ما وعدتني وأشمت بي من كان فيك يَلومُ

(٣) أو لكون الحديث في مقام «الغيبة» لكون المسند إليه مذكورا – او في حكم المذكور لقرينة – نحو : هو الله تبارك وتعالى ولابدَّ من تقدّم ذكره.

«أ» إمَّا لفظاً – كقوله تعالى: حتى يحكُم الله بيننا وهو خيرُ الحاكمين».

«ب» وإما معنى – ولئن قيل لكم ارجعوا فارجِعوا هو أزكى لكُم» «أي» «الرجوع».

ونحو اعدلوا هو أقربُ للتقوى» – أي العدل :

«جـ» أو دلت عليه قرينة حال – كقوله تعالى: فلولا إذا بلغت التراقي » «أي الميت».

تنبيهات

الأول : الأصل في الخطاب أن يكون لمشاهدٍ معُين.

نحو أنت استرققتني بإحسانك. وقد يُخاطب :

غيرُ المشاهد إذا كان مستحضراً في القلب نحو «لا إله إلا أنت» – ونحو :

جودى بقربك أبلغ كل أمنيتي أنت الحياة وانتِ الكون أجمعهُ

«وبغير المعين : إذا قُصد تعميمُ الخطاب لكلِّ من يمكن خطابه على سبيل البدل – لا التناول دفعة واحدة – كقول المتنبي :

إذ أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

الثاني : الأصلُ في وضع الضمير عدم ذكره إلا بعد تقدم ما يفسره وقد يعدل عن هذا الأصل : فيقدم الضمير على مرجعه لأغراض كثيرة.

«أ» منها تمكين ما بعد الضمير في نفس السامع لتشوقه إليه كقوله : «هي النفس ما حملتها تتحملُ ».

فأنها لا تعمى الأبصار ونعم رجلا علي – فالفاعل ضمير يفسره التمييز، ويطّرد ذلك في بابى نعم وبئس ، وفي باب ضمير الشأن – نحو قوله تعالى : «هو الله أحد».

(٩٤/١)

«ب» ومنها ادعاء أن مرجع الضمير دائم الحضور في الذهن ، نحو : أقبل وعليه الهيبة والوقار.. ونحو قول الشاعر :

أبت الوصال مخافة الرقباء وأتتكَ تحتَ مدارع الظلماء

ويسمى هذا العدول بالاضمار في مقام الاظهار

الثالث : يوضع الظاهر (سواء أكان علما ، أو صفة ، أو اسم اشارة)

موضع الضمير ، لأغراض كثيرة :

(١) منها إلقاء المهابة في نفس السامع – كقول الخليفة : أمير المؤمنين يأمر بكذا.

(٢) وتمكين المعنى في نفس المخاطب – نحو : الله ربي ولا أشرك بربي أحداً.

(٣) ومنا التلذذ كقول الشاعر :

سقى الله نجداً والسلام على نجد ويا حبذا نجدٌ على القُرب والبعد

(٤) ومنها الاستعطاف – نحو اللهم عبدك يسألك المغفرة (أي أنا أسألك) ويسمى هذا المدلول بالإظهار في مقام الإضمار.

المبحث الخامس في تعريف المسند إليه بالعلميَّة

يُؤتى بالمسند إليه علماً : لإحضار معناه في ذهن السامع ، ابتداء باسمه الخاص ليمتاز عمّا عداه – كقوله تعالى ذكره «يرفَعُ إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل».

وقد يقصد به مع هذا أغراضٌ أخرى تناسب المقام ؟

(١) كالمدح في الألقاب التي تشعر بذلك – نحو : جاء نصر – وحضر صلاح الدين.

(٢) والذَّم والإهانة – نحو : جاء صخر وذهب تأبط شرّا.

(٣) والتَّفاؤل –نحو جاء سُرور.

(٤) والتشاؤم – نحو : حرب في البلد.

(٥) والتبرُّك –نحو : اللهُ أكرمني ، في جواب : هل أكرمك الله ؟

(٦) والتَّلذُّذ – كقول الشاعر :

بالله يا ظبيات القاعِ قُلن لنا ... ليلاي منكنَّ أم ليلى من البشر.

(٧) والكناية عن معنى يصلح العلم لذلك المعنى : بحسب معناه الأصلي قبل العلمية – نحو : أبو لهب فعل كذا.. كناية عن كونه جهنميا لان اللهب الحقيقي هو لهبُ جهنم _ فيصحّ أن يُلاحظ فيه ذلك

المبحث السادس في تعريف المسند إليه بالإشارة

(٩٥/١)

يؤتى بالمسند إليه اسم إشارة : إذا تعين طريقاً لأحضار المشار إليه في ذهن السَّامع ، بأن يكون حاضراً محسوساً ، ولا يَعرفُ المتكلم والسَّامع اسمه الخاص ، ولا مُعيِّناً آخر ، كقولك أتبيع لي هذا مُشيراً إلى شيء لا تعرف له اسما –ولا وصفاً.

أمّا إذا لم يتعين طريقاً لذلك ، فيكون لأغراض أخرى

«أ»بيان حاله في القُرب – نحو : هذه بضاعتنا

«ب» بيان حاله في التَّوسط – نحو : ذاك ولدي

«جـ»بيان حاله في البُعد – نحو : ذلك يوم الوعيد.

(١) تعظيم درجته بالقُرب ، نحو : (إنَّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم). أو تعظيم درجته بالبعد ، كقوله تعالى (ذلك الكتاب لا ريب فيه).

(٢) أو التحقير بالقُرب –نحو : (هل هذا إلا بشرٌ مثلُكم) ؟

أو التَّحقير بالبُعد – كقوله تعالى فذلك الذي يدُعُّ اليتيم»

(٢) وإظهار الاستغراب – كقول الشاعر :

كم عاقلٍ أعيت مذاهبُه وجاهلٍ تلقاهُ مرزوقا

هذا الذي ترك الأوهام حائرة وصيَّر العالم النحرير زنديقا

(٤) وكمال العناية وتمييزه أكمل تمييز – كقول الفرزدق :

هذا الذي تعرفُ البطحاء وَطأته والبيتُ يعرفهُ والحلَ والحَرم

ونحو قوله : هذا أبو الصقر فَرداً في محاسنه.

(٥) والتَّعريض بغباوة المخاطب ، حتى كأنه لا يفهم غير المحسوس ، نحو :

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جريرُ المجامع

(٦) والتنبيه على أن المشار إليه المعقب بأوصاف ، جديرٌ لأجل تلك الأوصاف بما يُذكر بعد اسم الإشارة – كقوله تعالى «أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون» (١)

---

(١) أي فالمشار إليه بأولئك ، هم المتقون ، وقد ذكر عقبه أوصاف هي الايمان بالغيب ، وإقامة الصلاة وما بعدهما – ثم أتى بالمسند إليه اسم إشارة وهو أولئك تنبيها على أن المشار إليهم جديرون وأحقاء من أجل تلك الخصال ، بأن يفوزوا بالهداية عاجلا. والفوز بالفلاح آجلا.

وكثيراً يُشار إلى القريب غير المُشاهد باشارة البعيد ، تنزيلاً للبُعد عن العيان ، منزلة البعد عن المكان نحو : (ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبراً)

المبحث السابع في تعريف المسند إليه بالموصولية

يُؤتى بالمسند إليه اسمُ موصول : إذا تتَّبع طريقاً لاحضار معناه كقولك – الذي كان معنا أمس سافر ، إذا لم تكن تعرف اسمه أمَّا إذا لم يتعين طريقاً لذلك : فيكون لأغراض أخرى.

(١) منها التَّشويق لذلك فيما إذا كان مضمون الصلة حُكماً غريباً – كقوله :

والذي حارَت البريَّة فيه حيَوانٌ مستحدثٌ من جَماد (١)

(٢) ومنها إخفاء الأمر عن غير المخاطب – كقول الشاعر :

وأخذتُ ما جاد الأميرُ به وقضيتُ حاجاتي كما أهوى

(٣) ومنها التَّنبيه على خطأ المخاطب ، نحو : (إنَّ الذين تَدعون من دون الله عبادٌ أمثالكم) – وكقول الشاعر :

إنَّ الذين تُرَونهم إخوانَكم يَشفى غليل صدورهم أن تُصرَعوا (٢)

(٤) ومنها التَّنبيه على خطأ غير المُخاطب – كقوله :

إنَّ التي زعمت فؤادك مـ َلّها خلعت هواك كما خلعت هوى لها

(٥) ومنها تعظيم شأن المحكوم به – كقول الشاعر :

إنَّ الذي سمك السَّماء بني لنا بيتاً دعائمه ُ أعزٌّ وأطولُ (٣)

(٦) ومنها التَّهويل : تعظيماً –أو تحقيراًنحو : فَغشيَ هـ ُم من أليم ما غشيهم) (٤) .

ونحو : –من لم يدرِ حقيقة الحال قال ما قال.

---

(١) يعني تحيرت البرية في المعاد الجسماني .

(٢) أي غطاهم وسترهم من البحر موج عظيم ، لا تحيط العبارة بوصفه.

(٣) أي من تظنون اخوتهم يحبون دماركم فأنتم مخطئون في هذا الظن – ولا يفهم هذا المعنى (لو قيل إن قوم كذا يشفى الخ)

(١) أي ان من سمك السماء بنى لنا بيتا من العز والشرف ، هو أعز واقوى من دعائم كل بيت.

(٤) أي غطاهم وسترهم من البحر موج عظيم ، لا تحيط العبارة بوصفه .

(٩٧/١)

(٧) ومنها استهجان التصريح بالاسم –نحو الذي ربّاني أبى (١)

(٨) ومنها الإشارة إلى الوجه الذي يـ ُبنى عليه الخبر من ثواب أو عقاب كقوله تعالى (الذين آمنوا وعملُوا الصالحات لهم مغفرةٌ ورزقٌ كريم)

(٩) ومنها التَّوبيخ – نحو : الذي أحسن اليك قد أسأت اليه.

(١٠) ومنها الاستغراق – نحو : الذين يأتونك أكرمهم.

(١١) ومنها الإبهام –نحو : لكلّ نفس ما قدَّمت

واعلم انَّ التعريف بالموصوليَّة مبحث دقيق المسلك ، غريب النَّزعة يـ ُوقفكَ على دقائق من البلاغة ، تؤنسـ ُك إذا انتـ َ نظرت َ اليها بثاقب فكرك ، وتثلجُ صدرك إذا تأمَّلتـ َها بصادق رأيكأسرارُ ولطائف التـ َعريف بالموصوليـّة لا يمكن ضبطها ن واعتبر في كل مقام ما تراه مناسباً.

المبحث الثامن في تعريف المسند إليه بأل

يؤتى بالمـ ُسند إليه مـ ُعرّفا (بأل العهدية) أو (أل الجنسية) لأغراض آتية.

أل العهدية

أل العهدية –تدخل على المـ ُسند إليه للإشارة إلى فرمعهود خارجاً بين المـ ُتخاطبين – وعهده يكون :

«أ» إما بتقدم ذكره «صريحاً » كقوله تعالىكما أرسلنا إلى فرعون رسولاً فعصى فرعون الرَّسولَ » –ويـ ُسمَّى عهداً صريحياً.

«ب» وإمَّا بتقدم ذكره «تلويحاً » – كقوله تعالى «وليس الذكر كالأنثى(فالذَّكر) وإن لم يكن مسبوقاً صريحاً

، إلا أنه اشارة إلى «ما» في الآية قبله (ربِّ نذَرتُ لك «ما» في بطني محرَّراً) (٢)

---

(١) أي بأن كان اسمه قبيحاً كمن اسمه (برغوث ، أو جحش ، أو بطة ، أو غيره)

(٢) التحرير هو العتق لخدمة بيت المقدس ، أي – وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت لها ، فطلبها الذكر كان بطريق الكناية في قولها (رب إني نذرت لك ما في بطني محرراً) فان ذلك كان مقصوراً عندهم على الذكور ، فأل في (الذكر) عائدة إلى مذكر بطريق الكناية ، وأل في (الانثى) عائدة إلى مذكور صريحا في قولها (رب إني وضعتها أنثى) – فالعهد الخارجي ثلاثة أنواع – صريحي ، وكنائي ، وعلمي .

(٩٨/١)

فانهم كانوا لا يُحررون لخدمة بيت المقدس إلا الذكور ، وهو المعنى «بما» ويسمى «عهدا كنائياً »

«جوهر» ما بحضوره بذاته نحو : (اليوم أكملتُ لكن دينكم) أو بمعرفة السامع له – نحو : هل انعقد المجلس ويُسمى (عهداً حُضورياً).

أل الجنسية

أل الجنسية : وتسمى (لام الحقيقة) تدخل على المسند إليه لأغراض أربعة :

(١) للاشارة إلى الحقيقة : من حيث هي بقطع النَّظر عن عمومها وخصوصها ، نحو : الإنسان حيوانٌ ناطق.

وتسمى (لام الجنس) لأن الإشارة فيه إلى نفس الجنس ، بقطع النظر عن الأفراد – نحو : الذهب أثمن من الفضة.

(٢) أو للإشارة إلى الحقيقة في ضمن فرد مُبهم ، إذا قامت القرينة على ذلك ، كقوله تعالى «وأخاف أن يأكله الذئب»

ومدخولها في المعنى (كالنكرة) فيُعامل مُعاملتها

وتسمى «لام العهد الذهني».

(٣) أو للإشارة إلى كلِّ الأفراد التي يتناولها اللفظ بحسب اللغة.

«أ» بمعونة قرينة «حالية» نحو : «عالم الغيب والشهادة» أي كل غائب وشاهد.

«ب» أو بمعونة قرينة «لفظية» نحو : إن الانسان لفي خُسر» أي كل انسان – بدليل الاستثناء بعده.

ويُسمى «استغراقاً حقيقياً ».

(٤) أو للاشارة إلى كلّ الأفراد مقيَّداً – نحو : جمع الأمير التُّجار والقى عليهم نصائحه – أي جمع الأمير «تجَّار مملكته» لا تجَّار العالم أجمع .

ويسمى «استغراقاً عرفياً »

تنبيهات

التنبيه الأول – علم مما تقدم أن أل التعريفية قسمان
القسم الأول – لام العهد الخارجي ، وتحته أنواع ثلاثة : صريحي – وكنائي وحضوري.
والقسم الثاني – لام الجنس : وتحته أنواع أربعة : لام الحقيقة من حيث هي – ولام الحقيقة في ضمن فرد مبهم – ولام الاستغراق الحقيقي – ولام الاستغراق العرفي.

(٩٩/١)

التنبيه الثاني – (استغراق المفرد أشمل) من استغراق المثنى ، والجمع ، واسم الجمع لأن المفرد : يتناول كل واحد واحد من الأفراد ، والمثنى إنما يتناول كل اثنين اثنين ، والجمع إنما يتناول كل جماعة جماعة – بدليل صحة (لا رجال في الدار) إذا كان فيها رجل أو رجلان – بخلاف قولك (لا رجل) : فانه لا يصح إذا كان فيها رجل أو رجلان وهذه القضية ليست بصحيحة على عمومها ، وانما تصح في النكرة المنفية ، دون الجمع المعروف باللام – لأن المعروف بلام الاستغراق يتناول كل واحد من الأفراد نحو «الرجال قوامون على النساء» بل هو في المفرد أقوى ، كما دل عليه الاستقراء وصرح به (أئمة اللغة وعلماء التفسير) في كل ما وقع في القرآن العزيز – نحو (أعلم غيب السموات والأرض) – (والله يحب المحسنين) – (وعلم آدم الأسماء كلها) – إلى غير ذلك من آي الذكر الحكيم – كما في المطولات.

المبحث التاسع في تعريف المسند إليه بالإضافة

يؤتى بالمسند إليه معرّفا بالاضافة إلى شيء من المعارف السَّابقة لأغراض كثيرة.
(١) منها أنها أخصر طريق إلى إحضاره في ذهن السامع – نحو : جاء غلامي – فا ، ه أخصر من قولك : جاء الغلام الذي لي.
(٢) ومنها تعذر التعدد : أو تعسره – نحو : أجمع أهل الحق على كذا وأهل مصر كرام .
(٣) ومنها الخروج من تبعة تقديم البعض على البعض – نحو : حضر امراء الجند.
(٤) ومنها التعظيم للمضاف نحو : كتاب السلطان حضر او التعظيم للمضاف إليه – نحو : الأمير تلميذي – أو غيرهما : نحو : أخو الوزير عندي.
(٥) ومنها التحقير للمضاف –نحو : ولدُ اللص قادم
أو التحقير للمضاف إليه نحو : رفيق زيد لصٌ – أو غيرهما : نحو : أخلِلطٍ عند عمرو
(٦) ومنها الاختصار لضيق المقام : لفرط الضَّجر والسآمة – كقول جعفر بن علبة «وهو في السجن بمكة»

(١٠٠/١)

التنبيه الثالث – قد يعرف الخبر بلام الجنس لتخصيص المسند إليه بالمسند المعرف وعكسه «حقيقة» نحو : هو الغفور الودود ، ونحو – وتزودوا فان خير الزاد التقوى أو «ادعاء» للتنبيه على كمال ذلك الجنس في المسند إليه نحو : محمد العالم – أي الكامل في العلم – أو كماله في المسند – نحو الكرم التقوى (أي لا

كرم إلا هي)

هواي مع الر ّكب اليمانين مـ ُصعد جنيب ٌ وجثماني بمكة مـ ُوثق ُ (١)

واعلم أن هيئة التركيب الاضافي : موضوعة للاختصاص المصحّح لأن يقال «المضاف للمضاف إليه ، فاذا استعملت في غير ذلك كانت مجازاً كما في الاضافة لأدنى ملابسة نحو : (مكر ُ الليل) – وكقوله : إذا كوكب ُ الخرقاء لاح َ بسحرة سهيل ٌ » أذاعت غزلها في القرائب (٢)

المبحث العاشر في تعريف المسند إليه بالنّداء (٣)

يـ ُؤتى بالمسند إليه معرفاً بالنداء : لأغراض كثيرة

(١) منها إذا لم يـ ُعرف للمـ ُخاطب عنوان خاص – نحو – يارجل

---

(١) أي – من أهواه وأحبه ذاهب مع ركبان الابل ، القاصدين إلى اليمن ، منضم إليهم ، مقود معهم ، وجسمي مقيد بمكة ، محبوس وممنوع عن السير معهم – فلفظ هواي أخصر من الذي أهواه – ونحوه.

(٢) أضاف الكوكب إلى (الخرقاء) أي المرأة الحمقاء مع انه ليس لها لانها لا تتذكر كسوتها إلا وقت طلوع (سهيل) سحراً في الشتاء – وتفصيل ذلك انه يقال إن المرأة الحمقاء كانت تضيع وقتها في الصيف ، فاذا طلع سهيل وهو كوكب قريب من القطب الجنوبي في السحر وذلك قرب الشتاء ، أحست بالبرد ، واحتاجت إلى الكسوة ، ففرقت غزلها أي قطنها او كتانها الذي يصير غزلا في اقاربها ، ليغزلوا لها بسبب عجزها عن الغزل ما يكفيها لضيق الوقت ، فاضافة كوكب الخرقاء لأدنى ملابسة – وقد جعل الشاعر هذه الملابسة بمنزلة الاختصاص.

(٣) اعلم أن أغلب البيانين لم يثبت (التعريف بالنداء) في تعريف المسند إليه وتحقيق ذلك يطلب من المطولات في علوم البلاغة.

(٢) ومنها الإشارة إلى علّة ما يـ ُطلب منه – نحو : يا تلميذ أكتب الدَّرس

المبحث الحادي عشر في تنكير المسند إليه

يؤتى بالمسند إليه نكرة : لعدم علم المتكلم بجهة من جهات التعريف حقيقةً –أو ادعاءً ، كقولك – جاء هنا رجل يسأل عنك ، إذا لم تـَعرف ما يعينه من علم أو صلة او نحوهما ، وقد يكون لأغراض أخرى.

(١) كالتّكثير ( )١نحو : وا ِن يكذبوك فقد كذبت رسلٌ من قبلك (أي رسلٌ كثيرة)

(٢) والتقليل – نحو : لو كان لنا من الأمر شيء ، ونحو : ورضوان من الله أكبر.

(٣) والتّعظيم والتّحقير – كقول ابن أبي السمط

له حاجبٌ عن كل أمرٍ يشينه ُ وليس له عن طالب العرف حاجب

أي له مانع عظيم ، وكثيرٌ عن كل عيب – وليس له مانع قليل – أو حقير عن طالب الإحسان (٢)

فيحتمل التّعظيم والتّكثير والتّقليل والتّحقير.

(٤) وا إخفاء الأمر نحو : قال رجل إنك انحرفت عن الصَّواب تخفى اسمه ، حتى لا يلحقه أذى

(٥) وقصد الإفراد نحو : ويلٌ أهونُ من ويلين.

«أي ويل واحد أهون من ويلين»

(٦) وقصد النوعية -نحو : لكل داءٍ دواءٌ

(أي لكلّ نوع من الدَّاء نوع من الدواء)

---

(١) اعلم أن الفرق بين التعظيم والتكثير : أن التعظيم بحسب رفعة الشأن وعلو الطبقة – وان التكثير باعتبار الكميات والمقادير -تحقيقا كما في قولك إن له لإبلاً ، وا إن له لغنما –أو تقديراً نحو : ورضوان من الله أكبر – أي قليل من الرضوان أكبر من كل شيء – ويلاحظ ذلك الفرق في التحقير والتقليل أيضا .

(٢) ومنه قوله :

ولله عندي جانب لا أضيعه وللهو عندي والخلاعة جانب

ويحتمل التكثير والتقليل قوله تعالى (إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن)

المبحث الثاني عشر

في تقديم المسند إليه (١)

---

(١) معلوم : أن الالفاظ قوالب المعاني ، فيجب أن يكون ترتيبها الوضعي حسب ترتيبها الطبيعي ، ومن البين أن (رتبة المسند إليه التقديم) لانه المحكوم عليه ، ورتبة المسند التأخير ، إذ هو المحكوم به – وما عداهما فهو متعلقات وتوابع تأتي تالية لهما في الرتبة ولكن قد يعرض لبعض الكلم من المزايا والاعتبارات ما يدعو إلى تقديمها ، وا إن كان من حقها التأخير فيكون من الحسن اذاً تغيير هذا الاصل واتباع هذا النظام ليكون المقدم مشيراً إلى الغرض الذي يؤدي إليه ، ومترجما عما يريد .

ولا يخلو (التقديم) من أحوال أربع =

الأول – ما يفيد زيادة في المعنى مع تحسين في اللفظ وذلك هو الغاية القصوى ، واليه المرجع في فنون البلاغة – والكتاب الكريم هو العمدة في هذا ، انظر إلى قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) تجد ان لتقديم الجار في هذا قد أفاد التخصيص وأن النظر لا يكون إلا لله ، مع جودة الصياغة وتناسق السجع .

الثاني – ما يفيد زيادة في المعنى فقط نحو (بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) فتقديم المفعول في هذا لتخصيصه بالعبادة ، وأنه ينبغي ألا تكون لغيره ، ولو أخر ما أفاد الكلام ذلك.

الثالث – ما يتكافأ فيه التقديم والتأخير وليس لهذا الضرب شيء من الملاحة كقوله

... ... وكانت يدى ملأى به ثم اصبحت ... «بحمد إلهي» وهي منه سليب

فتقديره : ثم أصبحت وهي منه سليب بحمد إلهي.

الرابع – ما يختل به المعنى ويضطرب ، وذلك هو التعقيد اللفظي – أو المعاظلة التي تقدمت ، كتقديم الصفة على الموصوف ، والصلة على الموصول ، أو نحو ذلك من الانواع التي خرجت عن الفصاحة – ومنها قول الفرزدق .

إلى ملك ما أمه من محارب أبوه ولا كانت كليب تصاهره

فتقديره : إلى ملك أبوه ما أمه من محارب ، أي ما أم أبيه منهم ، ولا شك أن هذا لا يفهم من كلامه للنظرة الأولى ، بل يحتاج إلى تأمل وتريث ورفق ، حتى يفهم المراد منه.

(١٠٣/١)

مرتبة المُسند إليه : «التقديم»وذلك لأنَّ مدلوله هو الذي يخطر أولاً في الذهن ، لأنه المحكوم عليه ، والمحكوم عليه سابق للحكم طبعاً فاستحق التقديم وضعاً ، ولتقديمه دواع شتَّى

(١) منها تعجيل المسرَّة – نحو : العفو عنك صدر به الأمر.

(٢) ومنها تعجيلُ المساءة نحو : القصاصُ حكم به القاضي.

(٣) ومنها التشويق إلى المتأخر –إذا كان المتقدِّم مشعراً بغرابة.

كقول ابي العلاء المعري

والذي حارت البرية فيه حيوان مستحدثٌ من جماد (١)

(٤) ومنها التَّلذُّذ – نحو : ليلى وصلت – وسلمى هجرت

(٥) ومنها التَّبرك نحو : اسمُ الله اهتديتُ به.

---

(١) قيل (الحيوان) هو الانسان – و (الجماد) الذي خلق منه هو النطفة . وحيرة البرية فيه هو الاختلاف في إعادته للحشر – وهو يريد أن الخلائق تحيرت في المعاد الجسماني ، يدل لذلك قوله قبله

بان أمر الآله واختلف الناس فداع إلى ضلال وهادي

(١٠٤/١)

(٦) ومنها النَّص على عموم السلب – أو النص على سلب العموم فعمومُ السلب» يكون بتقديم اداة العموم (١) ككلّ – وجميع على أداة النفى –نحو : كل ظالم لا يُفلح – المعنى : لا يفلح أحد من الظلمة ونحو : كل ذلك لم يكن : أي لم يقع هذا – ولا – ذاك ونحو : كل تلميذ لم يقصر في واجبه – «ويسمى شمول النفي» –واعلم : أن (عُموم السلب) يكون النفي فيه لكل فرد وتوضيح ذلك : أنك إذا بدأت بلفظة «كل»

كنتَ قد سلَّطت الكلية على النفي ، وأعملتها فيه – وذلك يقتضي ألا يشذَّ عنه شيء و (سلب العموم) يكون بتقديم أداة النفي على أداة العموم نحو : لم يكن كلّ ذلك ، أي لم يقع المجموع ، فيحتمل ثبوت البعض ويحتمل نفي كل فرد ، لأنَّ النفيَّ يوجه إلى الشمول خاصة ، دون أصل الفعل ويُسمى «نفى الشّمول» واعلم : أن (سلب العُموم) يكون النَّفي فيه للمجموع غالباً كقول المتنبي.

ما كل رأي الفتى يدعو إلى رشدٍ

وقد جاء لعموم النفي قليلا : قوله تعالى (إن الله لا يحب كل مختال فخور) – ودليل ذلك : الذوق والاستعمال

(٧) ومنها إفادة التَخصيص – قطعاً (٢)

---

(١) بشرط أن تكون أداة العموم غير معمولة للفعل الواقع بعدها كما مثل – فان كانت معمولة للفعل بعدها : سواء تقدمت لفظا أو تأخرت ، نحو : كل ذنب لم أصنع – ولم آخذ كل الدراهم ، أفاد الكلام سلب العموم ونفى الشمول غالباَ .

(٢) وذلك يكون في ثلاثة مواضع :

الأول – ان يكون المسند إليه معرفة ظاهرة بعد نفي ، نحو : ما فؤاد فعل هذا .

الثاني – أن يكون المسند إليه معرفة مضمرة بعد نفي ، نحو : ما أنا قلت ذلك.

الثالث – أن يكون المسند إليه نكرة بعد نفي ، نحو : ما تلميذ حفظ الدرس .

(١٠٥/١)

اذا كان المسند إليه مسبوقاً بنفي والمسند فعلا – نحو : ما أنا قلت هذا ولا غيري – أي : لم أقله : وهو مقول لغيري ، ولذا : لا يصحّ أن يقال : ما أنا قلت هذا ولا غيري ، لأن مفهوم (ما أنا قلت) أنّه مقول للغير ، ومنطوق (ولا غيري) كونه غير مقول للغير (فيحصل التناقض سلباً وإيجاباً)

وإذا لم يسبق المسند إليه نفي – كان تقديمه محتملا (١) لتخصيص الحكم به أو تقويته ، إذا كان المسند فعلا (٢) نحو : أنتَ لا تبخل

ونحو : هو يهبُ الألوف ، فأنَّ فيه الإسناد مرتين ، إسناد الفعل إلى ضمير المخاطب : في المثال الأول ، وإسناد الجملة إلى ضمير الغائب : في المثال الثاني.

(٨) ومنها كون المتقدم محطّ الانكار والغرابة – كقوله :

أبعدَ المشيب المُنقضى في الذَّوائب تُحاول وصل الغانيات الكواعب

(٩) ومنها سُلوك سبيل الرُّقى –نحو : هذا الكلام صحيح ، فَصيح ، بلَيغ – فاذا قلت «فصيح» بليغ ، لا يحتاج إلى ذكر صحيح ، وإذا قلت «بليغ» لا يحتاج إلى ذكر فصيح.

---

(١) وذلك في ستة مواضع

الأول – ان يكون المسند إليه معرفة ظاهرة قبل نفي ، نحو فؤاد ما قال هذا .

الثاني – أن يكون المسند إليه معرفة ظاهرة مثبتة ، نحو ع باس أمر بهذا .

الثالث – ان يكون المسند إليه معرفة مضمرة قبل نفي ، نحو انا ما كتبت الدرس .

الرابع – أن يكون المسند إليه معرفة مضمرة مثبتة ، نحو أنا حفظت درسي.

الخامس – أن يكون المسند إليه نكرة قبل نفي ، نحو رجل ما قال هذا

السادس – أن يكون المسند إليه نكرة مثبتة ، نحو تلميذ حضر اليوم في المدرسة واعلم أن ما ذكرناه هو مذهب عبد القاهر الجرجاني وهو الحق ، وخالفه السكاكي .

(٢) فان قيل : لماذا اشترط أن يكون المسند فعلا ، وهل إذا كان المسند وصفا مشتملا على ضمير نحو : أنت بخيل – لم يكن كالفعل في إفادة التقوية.

أقول : لما كان ضمير الوصف لا يتغير : تكلما ، وخطايا ، وغيبة ، فهو شبيه بالجوامد وكانت تقويته قريبة من الفعل ، لا مثلها تماماً .

(١٠٦/١)

)ومنها مراعاة الترتيب الوجودي نحو (لا تأخذه سنةٌ ولا نوم)

تمرين

ما نوع المقدّم ، وما فائدة التقديم في الأمثلة الآتية :

(١) قال الله تعالى:الأمر من قبل ومن بعد »

(٢) وقال تعالى ممّا خطيئاتهم أغرقوا فأدخلُوا ناراً »

(٣) وقال أبو فراس :

إلى الله أشكو انَّنا بمنازل تحكم في آسادهنَّ كلاب

(٤) وقال ابن نباته يخاطب الحسن بن محمد المهلّبي :

ولى همةٌ لا تطلب المالَ للغنى ولكنها منك المودة تطلُب

(٥) وقال أبو نواس :

إني انتجعت العبَّاس ممتدحاً وسيلتي جودُه وأشعاري

عن خبرةٍ جثت لُا مخاطرة وبالدَّلالات يهتدى السَّارى

(٦) وقال الأبيوردي :

ومن نكد الأيام أن يبلغ المنى أخو اللوم فيها والكَريم يخيبُ

(٧) وقال أبو الطيب المتنبي يهجو كافوراً :

من أية الطرقِ يأتي مثلَك الكرَمُ اينَ المحاجمُ يا كافور والجَلمُ

(٨) وقال المعري :

ي وأنعنارست ُ كل خفية يـُصدق ُ واش أو يـُخيَّب ُ سائل ُ

(٩) وقال أيضاً :

إلى الله أشكو أنني كل ليلةٍ إذا نمت ُ لم أعدم خو َ اطر َ أوهام

فإن كان َ شراً فهو لا شكَّ واقع ٌ وا ِن كان َ خيراً فهو أضغاث ُ أحلام

(١٠) وقال أيضاً :

وكالنّار الحياة ُ فمن رماد أواخر ُ ها وأوّلها د ُ خان

(١١) وقال بعض الشعراء في الحث على المعروف :

يد المعروف غنم ٌ حيث ُ كانت تحمَّلها شكور ٌ أو كفور

ففي شكر ِ الشَّكور لها جزاء وعند َ الله ما جحد الكفُور

(١٢) وقال الآخر :

أنلهـ ُ و وايام ُ نا تذهب ُ ونلعب ُ والدّهر ُ لا يلعب ُ

(١٣) وقال محمد بن وهيب يمدح الخليفة المعتصم (وكنيته أبو إسحق) :

ثلاثة تشرق ُ الدُّنيا ببهجتها شمس ُ الضّحى وأبو إسحق والقمر

(١٤) وقال آخر :

ثلاثة يجهل ُ مقدارها الأمن ُ والصّحة ُ والقوت ُ

فلا تثق بالمال من غيرها لو أنَّه د ُر ٌّ وياقوت ُ

(١٥) وقال آخر يهجو بخيلا :

أأنت تجود ُ إنّ الجود َ طبع ٌ ومالك منه ُيا هذا نصيب ُ

(١٦) وقال آخر يستنكر أن يشرب الخمر حين د ُعى لشربها :

(١٠٧/١)

أبعد َ ستين َ قد ناهزتـُها حججاً أحكم ُ الرَّاح في عقلي وجـ ُسماني

(١٧) وقال الآخر :

غافل ٌ أنت َ والليالي حـ َبـ َالَى بصـ ُنوف الرّدى تـَروح ُ وتغدُ و

(١٨) وقال ابن المعـ ُتزّ :

ومن عجب الأيام مغلي شرٍ غضابٍ على سبقي إذا أنا جاريت ُ

يغيظهم فضلي عليهم ونقصهم كانّى قسَّمت ُ الخظوظ فحابيت

المبحث الثالث عشر في تأخير المسند إليه

يؤخر المسند إليه : إن اقتضى المقام ُ تقديم المسند – كما سيجيء ولا نلتمس دواعي للتقديم والتأخير إلا إذا

كان الاستعمال يبيح كليهما.
تطبيق عام على أحوال المسند إليه وما قبله
أمير المؤمنين يأمرك بكذا – جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث ، المراد بالخبر بيان سبب داعي الامتثال ، المسند إليه أمير المؤمنين ، ذكر للتعظيم ، وقدم لذلك والمسند جملة يأمر ، ذكر لأن الأصل فيه ذلك ، وأخر لاقتضاء المقام تقديم المسند إليه وأتى به جملة لتقوية الحكم بتكرار الاسناد (والتعظيم وتقوية الحكم وكون ذكر المسند هو الأصل ولا مقتضى للعدول عنه واقتضاء المقام تقديم المسند اليه) «أحوال» والذكر والتقديم والتأخير «مقتضيات» – والاتيان بهذه الجملة على هذا الوجه «مطابقة لمقتضى الحال»
أنت الذي أعانني – وانت الذي سرني – ذكر (أنت) ثانيا لزيادة التقرير والايضاح فزيادة التقرير والايضاح (حال) – والتكرير (مقتضى) – والاتيان بالجملة على هذا الوجه (مطابقة لمقتضى الحال)
سعيد يقتحم الاخطار ، بعد مدحه ، ذكر سعيد للتعظيم والتعجب ، فالتعظيم والتعجب حال – والذكر مقتضى ، والاتيان بالجملة على هذا الوجه : مطابقة لمقتضى الحال.

(١٠٨/١)

حضر الكريم سعد «بعد : أحضر سعد» ذكر الكريم لتعظيم سعد ومدحه فالتعظيم حال ، والذكر مقتضى والاتيان بالجملة على هذا الوجه : مطابقة لمقتضى الحال علي كتب الدرس «جواب – ما الذي عمل علي ، – ذكر علي للتعريض بغباوة السامع ، وقدم لتقوية الحكم لكون الخبر فعلا ، فالتعريض والتقوية حالان والذكر والتقديم مقتضيان ، والاتيان بالجملة على هذا الوجه : مطابقة لمقتضى الحالين محمود نعم التلميذ «بعد مدح كثير له» – ذكر محمود لقلة الثقة بالقرينة.
وقدم لتقوية الحكم
«ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله» – حذف المسند وهو (خلقنا) – للعلم به خلق الانسان من عجل – حذف المسند إليه وهو الله تعالى للعلم به.
معطى الوسامات والرتب– حذف المسند إليه للتنبيه على تعيين المحذوف ادعا (كالسلطان مثلا).
(ألم يجدك يتيما فآوى) – حذف مفعول آوى للمحافظة على الفاصلة
صاحبك يدعو إلى وليمة العرس – حذف مفعول يدعو للتعميم باختصار.
لا يعطى ولا يمنع إلا الله تعالى – حذف المفعولان لعدم تعلق الغرض بهما.
أهين الأمير – حذف الفاعل للخوف عليه.
(لسان الفتى نصف ، ونصف فؤاده) : قدم نصف الثاني للمحافظة على الوزن.
(ما كل ما يتمنى المرء يدركه) : قدمت أداة النفي على أداة العموم لافادة سلب العموم ونفي الشمول.
جميع العقلاء لا يسعون في الشر – قدمت أداة العموم على أداة النفي لافادة عموم السلب وشمول النفي
«وعلى الله فليتوكل المؤمنون» – قدم الجار والمجرور للتخصيص

ونحن التاركون لما سخطنا ونحن الآخذون لما رضينا

الجملة الأولى خبرية اسمية ، من الضرب الابتدائي – والمراد بالخبر إظهار الفخر والشجاعة ، المسند إليه نحن ، ذكر لأن ذكره الأصل ، وقدم للتعظيم ، وعرف بالاضمار ، لكون المقام للتكلم مع الاختصار ، والمسند التاركون ، ذكر وأخر لأن الأصل ذلك.

وأنت الذي أخلفتنيِ ما وعدتني وأشمت بي من كان فيك يلوم

(١٠٩/١)

جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائي ، والمراد بالخبر التوبيخ ، المسند إليه أنت. ذكر وقدم لأن الأصل فيه ذلك ، وعرف بالاضمار لكون المقام للخطاب مع الاختصار ، والمسند لفظة الذي ، وقد ذكر وأخر لأن الأصل فيه ذلك ، وعرف بالموصولية للتعليل؛ يعني أن إخلاف وعده كان سبب الشماتة واللوم ، وأما جملة أشمت فمعطوفة على جملة أخلفت ووصلت بها لما تقدم ، وعرف المسند إليه وهو الفاعل في يلوم بالاضمار لكون المقام للغيبة مع الاختصار.

ابو لهب فعل كذا – جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث لما فيها من تقوية الحكم بتكرار الاسناد ، والمراد بالخبر أصل الفائدة لمن يجهل ذلك ، المسند إليه أبو لهب ، ذكر وقدم لأن الأصل فيه ذلك ، وعرف بالعلمية للكناية عن كونه جهنميا.

أسئلة على أحوال المسند إليه يطلب اجوبتها

ما هو المسند إليه ؟ – ما هي أحواله ؟ -متى يجب ذكره ؟ ما هي الوجوه التي ترجّح ذكره عند وجود القرينة ، متى يحذف ؟ ما الفرق بين المعرفة والنكرة ؟ لم يُعرف المسند إليه بالاضمار ؟ – ما هو الأصل في الخطاب ؟ – ما الأصل في وضع الضمير ؟ – هل يقدم الضمير على مرجعه ؟ هل الظاهر يوضع موضع الضمير ؟ لم يعرّف المسند إليه بالعلمية ؟ لم يعرف بالاشارة ؟ لم يُعرف بالموصولية ؟ لم يُعرف بأل.. ؟ إلى كم تنقسم أل لم يعرّف بالاضافة ؟ ، لم يعرَّف بالنداء ؟ لأي شيء ينكر المسند إليه ؟ لم يقدّم المسند إليه ؟ ما الفرق بين عموم السلب وسلب العموم ، لِم يؤخر المسند إليه ؟ ؟

الباب الرابع في المسند وأحواله (١)

---

(١) وانما ذكر المسند بعد المسند إليه لأن المسند محكوم به – والمسند إليه محكوم عليه ، والمحكوم به مؤخر عن المحكوم عليه طبعا – فاستحق ذلك الترتيب وضعا.

ومبحث الذكر : لم يتعرض له كثير كأبي هلال العسكري ، والامام عبد القاهر ولعله يتعلق كثيرا بالنحو : لا بالبلاغة.

(١١٠/١)

المسند : هو الخبر ، والفعل التام ، واسم الفعل ، والمبتدأ الوصف المستغنى بمرفوعه عن الخبر ، وأخبار النَّواسخ ، والمصدر النائب عن الفعل وأحواله : هي –الذكر ، والحذف ، والتّعريف ، والتّنكير ، والتقديم والتأخير ، وغيرها – وفي هذا الباب ثلاثة مباحث.

المبحث الأول في ذكر المسند أو حذفه

يُذكر المسند للأغراض التي سبقت في ذكر المسند اليه– وذلك

(١) لكون ذكره هو الأصل ولا مقتضى للعدول عنه

نحو العلم خيرٌ من المال

(٢) وكضعف التّعويل على دلالة القرينة – نحو حالي مستقيم ورزقي ميسور إذ لو حُذف ميسور –لا يدلُّ عليه المذكور»

(٣) وكضعف تنبه السّامع ، نحو (أصلُها ثابتٌ وفرعُها ثابتٌ) (إذ لو حُذف (ثابت) ربما لا يتنبَّه السامع لضعف فهمه)

(٤) وكالرَّد على المخاطب –نحو (قل يُحييها الذي أنشأها أوّل مرَّة) جواباً لقوله تعالى (من يُحيي العظام وهي رميمٌ) ؟ ؟

وكافادة أنه فعلٌ »فيفيد التجدد والحدوث ، ومقيَّداً بأحد الأزمنة الثلاثة بطريق الاختصار أو كإفادة أنه «اسم فيفيد الثبوت مطلقاً ، نحو (يُخادعون الله وهو خادعهم) ، فإن (يخادعون) تفيد التجدد مرَّة بعد أخرى ، مقيداً بالزمان من غير افتقار إلى قرينة تدل عليه – كذكر (الآن – أو الغد).

وقوله (وهو خادعهم) تفيد الثّبوت مطلقاً من غير نظر إلى زمان ويُحذف المسند : لأغراض كثيرة.

(١) منها – إذا دلت عليه «قرينة»وتعلّق كبقرغرض مما مرّ في حذف المسند اليه.

والقرينة «أما مذكورة–قوله تعالى (ولئن سألتهم من خَلَق السَّموات والأرض ليقُولُنَّ الله) أي : خلقهنَّ الله.

«وإما مكقوله تعالى (يُسبِّحُ له فيها بالغدوّ والآصالِ رجالٌ) أي : يسبحهُ رجالٌ – كأنَّه قيل : من يُسبِّحُه ؟

(٢) ومنها الاحتراز عن العبث –نحو (إن الله بريءٌ من المشركين ورسولُه –أي : ورسوله بريءٌ منهم أيضاً.

فلو ذكر هذا المحذوف لكان ذكره عبثاً لعدم الحاجة اليه

(١١١/١)

(٣) ومنها ضيق المقام عن إطالة الكلام : كقول الشاعر :

نحنُ بما عندنا وأنت بما عندك راضٍ والرأيُ مختلف

أي : نحن بما عندنا راضُون – فحذف لضيق المقام»

(٤) ومنها اتّباع ومجاراة ما جاء في استعمالاتهم (الواردة عن العرب) نحو : لولا أنتم لكنا مؤمنين «أي : لولا أنتم موجودون» وقولهم في المثل «رمية من غير رامٍ » (أي هذه رمية)

تمرين

عيّن أسباب الحذف ونوع المحذوف في الأمثلة الآتية :

(١) نحو : «لكم أزكى لكم واطهر والله يعلمُ وأنتم لا تعلمون»

(٢) وقال صلى الله عليه وسلم : علامة المؤمن ثلاثٌ : إذا حدَّث صدق ، وإذا وعدَ وفى ، وإذا اؤتمن لم يخن

(٣) وقال : يقول ابن آدم : مالي مالي ، وإنما لك من مالك ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، او تصدّقت فأبقيت.

(٤) وقال : إن أحبّكم إليَّ وأقربكم مني مجالس يوم القيامة ، أحاسنكم أخلاقاً ، الموطئون أكنافاً ، الذين يألفون ويُؤلفونَ .

(٥) وقال أبو العتاهية :

جزى اللهُ عني صالحاً بوفائه وأضعف أضعافاً لهُ في جزائه

ديقٌ إذا ما جئتُ أبغيه حاجة رجعتُ بما أبغي ، ووجهي بمائه

(٦) وقال ابو نواس :

إذا لم تزر أرض الخصيب ركابُنا فأيَّ فتىً بعد الخصيبِ تزورُ

فتى يشتري حسن الثناء بماله ويعلمُ أنّ الدائراتِ تدُورُ

فإن تولني منك الجميل فأهله وإلا فإني عاذرٌ وشكورُ

(٧) وقال البحتري يمدح الفتح بن خاقان :

رزينٌ إذا ما القوم خفت حُلومُهم وقورٌ إذا ما حادث الدهر أجلباَ

فتى لم يضيع وجه حزمٍ ولم يبت يلاحظ أعجاز الأمور تعقبا

(٨) وقال الشاعر :

من قاس جدواك يوماً بالسُّحب أخطأ مدحك

السُّحبُ تُعطى وتبكي وأنت تعطي وتضحك

(٩) وقال المتنبي :

ولمّا صارودُّ الناس خبًّا جزيتُ على ابتسام يابتسام

وصرتُ أشكُ فيمن أصطفيه لعلمي أنَّه بعضُ الانام

(١٠) وقال :

لولا المشقةُ سادَ الناسُ كلّهُمُ الجودُ يفقرُ والإقدامُ قتّالُ

(١١) وقال أبو فراس :

لا تطلُبنّ دُنوَ دارٍ من خليلٍ أو معاشر

ى لأبقباب المودّ ة أن تزُور َ ولا تُعاشر

تدريب

عيّن أسباب الذكر في الأمثلة الآتية :

(١) قال الله تعالى فويلٌ للذين يكتبون َ الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً ، فويلٌ لهم مما كتبت أيديهم ، وويلٌ لهم مما يكسبون»

(٢) وقال مروان بن أبي حفصة يمدح معن بن زائدة :

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم أُسودٌ لها في بطن خفّان أشبلُ

هم يمنعون الجار حتى كأنما لجارهم بين السِّماكين منزلُ

(٣) وقال السَّموءلُ بن عاديا :

إذا المرءُ لم يدنس من اللؤم عرضُهُ فكل رداءٍ يرتديه جميلُ

وإن هو لم يحمل على النفسضيمها فليس إلى حُسن الثناء سبيل

(٤) وقال أبو العتاهية :

إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ظمئت وأيُّ الناس تصفو مشاربهُ

(٥) وقال الشاعر :

الجدّ يُدني كلَ أمر شاسعٍ والجدّ يفتحُ كل باب مُغلقِ

تمرين

(١) قال الله تعالى وأنّا لا ندري أشرٌ أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربُّهم رشداً ».

(٢) وقال ألم «يجدك يتيماً فآوى ، ووَجدكَ ضالاً فهدى ، ووجدك عائلا فأغنى».

(٣) وقال أما: من أعطى واتّقى وصدَّق بالحُسنى فسنيسرّهُ لليُسرى»

(٩) وقال تعالى إن «الله يأمرُ بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكمَّ تذكَّرون»

المبحث الثاني في تعريف المسند : أو تنكيره

يُعرَّف المسند

(١) لإفادة السامع حُكماً على أمر معلوم عنده بأمر آخر مثله : بإحدى طرق التعريف – نحو هذا الخطيب ، وذاك نقيب الأشراف.

(٢) ولافادة قصره على المسند إليه «حقيقة» نحو (سعد الزعيم) إذا لم يكن زعيم سواه – أو «ادعاءً » مبالغة لكمال معناه في المسند إليه ، نحو : (سعدٌ الوطني) أي الكامل الوطنية ، فيخرج الكلام في صورة توهم أن الوطنية لم توجد إلا فيه ، لعدم الاعتداد بوطنية غيره.

وذلك : إذا كان المسند (معرفاً بلام الجنس) (١)

---

(١) على أن التعريف بلام الجنس لا يفيد أحيانا القصر – كقول الخنساء :

إذا قبح البكاء على قتيل وجدت بكاءك الحسن الجميل

فالخنساء : لا تقصد قصر الجنس على بكاء قتيلها ، ولكنها تريد أن تثبت له ، وتخرجه من جنس بكاء غيره من القتلى – فهو ليس من القصر في شيء

(١١٣/١)

وينكَّر المسند : لعدم الموجب لتعريفه – وذلك

(١) لقصد إرادة العهد – أو الحصر نحو أنت أمير – وهو وزير

(٢) ولاتباع المسند إليه في التنكير – نحو : تلميذ واقف بالباب.

(٣) ولافادة التفخيم نحو : (هُدًى للمتقين)

(٤) ولقصد التحقير – نحو : ما خالد رجلا ذكر.

المبحث الثالث في تقديم المسند : أو تأخيره

يقدّم المسند : إذا وجد باعث على تقديمه كأن يكون عاملاً نحو قام علي أو ممّا له الصدارة في الكلام ، نحو : أين الطريق ؟ ؟

أو إذا أريد به غرض من الأغراض الآتية :

(١) منها التّخصيص بالمسند إليه نحو (لله ملك السموات والأرض).

(٢) ومنها التنبيه من أوّل الأمر على أنه خبر لا نعت – كقوله :

له همم لا منتهى لكبارها وهمَّته الصغرى أجل من الدّهر

له راحة لو أنَّ معشار جودها على البرّ كان البرُّ أندى من البحر

فلو قيل «همم لقصور» أو «راحة» لفات هذا الغرض لكون «له» صفة لما قبله

(٣) ومنها التشويق للمتأخر ، إذا كان في المتقدِّم ما يُشوِّق لذكره كتقديم المسند في قوله تعالى (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب) – وكقوله :

خير الصنائع في الأنام صنيعةٌ تنبو بحاملها عن الإذلال

(٤) ومنها التفاؤل : كما تقول للمريض (في عافية) أنت) وكقوله :

سعدت بغرّة وجهك الأيام وتزينت بلقائك الأعوام

(٥) ومنها – إفادة قصر المسند إليه على المسند ، نحو (لكم دينكم ولي دين) «أي دينكم مقصور عليكم ، ودِيني مقصور عليَّ »

(٦) ومنها المساءة نكاية بالمخاطب : كقول المتنبي :

نكد الدنيا على الحرّ أن يرى عدُوًا له ما من صداقته بُدُّ

(٧) ومنها تعجيل المسرّة للمخاطب ، أو التعجّب ، أو التّعظيم ، أو المدح ، أو الذم ، أو الترحم ، أو الدعاء.

نحو : لله درّك ، وعظيمٌ أنت يا الله. ونعم الزعيم سعدٌ وهل أُمّ جرًا

وبئس الرجل خليل ، وفقير أبوك ، ومبارك وصولك بالسلامة.

(١١٤/١)

ويؤخر المسند لأن تأخيره هو الأصل ، وتقديم المسند إليه أهم نحو : الوطن عزيز.

وينقسم المسند من حيث الأفراد وعدمه إلى قسمين – مفرد وجملة.

فالمسند (المفرد) قسمان –فعل : نحو قدم سعدٌ –واسم : نحو سعدٌ قادم.

والمسند (الجملة) ثلاثة أنواع :

(١) أن يكون سببيا نحو خليل أبوه مُنتصر – أو أبوه انتصر – أو انتصر أبوه.

(٢) وان يُقصد تخصيص الحكم بالمسند إليه نحو أنا سَعيت في حاجتك (أي السّاعي فيها أنا لا غيري)

(٣) وأن يُقصد تأكيد الحكم – نحو : سعد حضر.

وذلك : لما في الجملة : من تكرار الاسناد مرّتين.

ويؤتى بالمسند : ظرفا للاختصار – نحو خليل عندك.

وجاراً ومجروراً – نحو : محمود في المدرسة

تمرين

بين أسباب التقديم والتأخير فيما يأتي :

(١) ما كل ما فوق البسطية كافياً فاذا قنعت فبعض شيء كافي (١)

(٢) وما أنا وحدي قلت ذا الشعر كلّه ولكن شعري فيه من نفسه شعر (٢)

(٣) إذا شئت يوما أن تسود عشيرة فبالحلم سُد لا بالتَّسرع والشتَّم (٣)

---

(١) قدم حرف النفي وهو «ما» على لفظ العموم وهو (كل) ليدل على عموم السلب – والمعنى لا يكفيك جميع ما على الأرض إذا كنت طامعا.

(٢) إذا كان المسند فعلا منفياً ووسط المسند إليه بين الفعل وحرف النفي كما في هذا المثال وهو (ما أنا قلت) دل ذلك على التخصيص ، والمعنى لست القائل لذلك الشعر وحدي ، بل شاركني فيه غيري . ولذلك يعد من الخطأ الذي لا يستقيم معه معنى ، أن تقول ما أنا فعلت هذا ، ولا غيري ، لأن معنى ما أنا فعلت – يفيد من نفسه نفي الفعل عنك وثبوته لغيرك –فقولك ولا غيري ، يكون تناقضاً كما سبق بيانه .

(٣) قدم الجار والمجرور في قوله (بالحلم سد) ليدل على التخصيص – أي أنك تسود بالحلم لا بغيره ، وكذا إذا تقدم الظرف ، وما أشبههما ، مما رتبته التأخير : كما سلف .

(٤) ثلاثة تُشرق الدنيا ببهجتها شمس الضحى وأبو اسحاق والقمر (١)
) أفي(الحق أن يُعطى ثلاثون شاعرا ويُحرم مادون الرّضا شاعرٌ مثلي (٢)
)فكيف وكلٌّ ليس يعدو حمامه وما لامرىء عمّا قضى الله مرحل (٣)
(٧) وقال الله تعالى:بل الله فاعبُد ، وكُن من الشاكرين» (٤)
) بك(اقتدتِ الأيام في حسناتها وشيمتها لولاكَ همٌّ وتكريبُ (٥)
تطبيق عام على أحوال المسند

---

(١) قدم العدد وهو ثلاثة وأخر المعدود ليشوق إليه ، لان الانسان إذا سمع العدد مجموعا يشتاق إلى تفصيل آحاده.

(٢) قدم الجار والمجرور بعد الاستفهام في قوله أفي الحق أن يعطي – ليدل على أن ذلك المقدم هو محط الانكار فتحليل المعنى : أنه لا ينكر الاعطاء ، ولكنه ينكر أن يعد ذلك حقا وصوابا مع حرمانه هو .

(٣) قدم أداة العموم على أداة السلب في قوله (كل ليس يعدو) ليدل على عموم السلب – أي أن الناس واحداً واحداً يشملهم حكم الموت ولا مفر منه .

(٤) قدم المفعول على الفعل في قوله (الله فاعبد) ليدل على التخصيص أي أعبد الله ولا تعبد غيره.

(٥) قدم الجار والمجرور على الفعل في قوله (بك اقتدت) ليدل على التخصيص أي أن الاقتداء كان بك لا بغيرك.

لما صدأت مرآة الجنان ، قصدت لجلائها بعض الجنان – الجملة الشرطية لا تعتبر إلا بجوابها وهو (قصدت). وهي خبرية فعلية من الضرب الابتدائي –والمراد بها أصل الفائدة المسند قصد. ذكر : لأن ذكره الأصل ، وقدم لافادة الحدوث في الزمن الماضي مع الاختصار ، والمسند إليه التاء – ذكر لأن الأصل فيه ذلك – وأخر لاقتضاء المقام تقديم المسند ، وعرف بالاضمار لكون المقام للتكلم مع الاختصار كأنه الكوثر الفياض – جملة خبرية أسمية من الضرب الابتدائي –والمراد بها المدح ، فهي تفيد الاستمرار بقرينة المدح ، والمسند إليه الهاء. ذكر وقدم لأن الأصل فيه ذلك ، وعرف بالاضمار لكون المقام للغيبة مع الاختصار.
والمسند الكوثر ذكر وأخر لأن الأصل فيه ذلك – وعرف بأل للعهد الذهني.
كتاب في صحائفه حكم – التنكير في هذه الجملة للتعظيم
ما هذا الرجل انسانا – نكر المسند «إنسانا» للتحقير
له همم لا منتهى لكبارها – المسند له – قدم لافادة أنه خبر من أول الأمر لانه لو تأخر لتوهم أنه صفة للمسند إليه لانه نكرة

«ولم يكن له كفواً أحد» ، قدم المسند «كفوا» على المسند إليه «أحد» للمحافظة على الفاصلة – على رأى بعضهم ، والمنصوص عليه في كتب التفسير المعتبرة أن التقديم للمبادرة إلى نفي المثل.

زهرة العلم أنضر من زهرة الروضة – جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائي والمراد بها الاستمرار بقرينة المدح ، المسند إليه زهرة العلم ، ذكر وقدم لأن الأصل فيه ذلك ، وعرف بالاضافة إلى العلم لتعظيمه.

والمسند أنضر ذكر وأخر لان الاصل فيه ذلك ، ونكر لتعظيمه.

غلامي سافر ، أخي ذهبت جاريته ، أنا أحب المطالعة – الحق ظهر ، الغضب آخره ندم – أتى بالمسند في هذه المثل جملة لتقوية الحكم لما فيها من تكرار الاسناد

أسئلة على أحوال المسند يطلب أجوبتها

ما هو المسند ؟ – ماهي أحواله ؟ – لأي شيء يذكر المسند لأيّ شيء يحذف ؟ لِم َ يقدم ؟ لِـمَ يؤخر لِمَ – يُعرَّف ؟ –لم ينكّر ؟ – لم يؤتى به جملة ؟.

(١١٧/١)

الباب الخامس في الإطلاق (١) والتقييد

إذا اقتصر في الجملة على ذكر جُزأيها «المسند إليه والمسند»فالحكم (مطلقٌ) وذلك : حين لا يتعلق الغرض بتقييد الحكم بوجه من الوجوه ليذهب السامع فيه كل مذهب ممكن.

وا ِذا زيدَ عليهما شيء ممّا يتعلق بهما –أو بأحدهما ، فالحكم (مقيد) وذلك : حيث يُراد زيادة الفائدة وتقويتها عند السامع ، لما هو معروف من أن الحكم كلما كثرت قيوده ازداد إيضاحا وتخصيصا ، فتكون فائدته أتّم وأكمل ، ولو حُذف القيد لكان الكلام كلأواً غير مقصود نحو : قوله تعالى (وما خَلَقنَا السَّموات والأرض وما بينهُما لاعِبين).

فلو حُذف الحال وهو (لاعبين) لكان الكلام كذباً ، بدليل المشاهدة والواقع.

ونحو : قوله تعالى (يكاد زيتها يضيء) إذ لو حذُف (يكاد) لفات الغرض المقصود ، وهو إفادة المقاربة.

واعلم : أن معرفة خواص التراكيب وأسرار الأساليب وما فيها من دقيق الوضع ، وباهر الصّنع ، ولطائف المزايا ، يسترعى لُبك ، إلى أن التقييد بأحد الأنواع الآتية : يكون لزيادة الفائدة ، وتقويتها عند السامع لما هو معروف من أن الحكم كلما ازدادت قيوده ازداد إيضاحاً وتخصيصاً .

---

(١) الاطلاق والتقييد : وصفان للحكم ، فالأطلاق أن يقتصر في الجملة على ذكر (المسند والمسند إليه) حيث لا غرض يدعو إلى حصر الحكم ، ضمن نطاق معين بوجه من الوجوه – نحو : الوطن عزيز ، والتقييد أن يزاد على المسند والمسند إليه شيء يتعلق بهما ، أو بأحدهما ، مما لو أغفل لفاتت الفائدة المقصودة ، أو كان الحكم كاذباً نحو : الولد النجيب يسر أهله.

(١١٨/١)

والتقييد : يكون ، بالتَّوابع ، وضمير الفصل والنَّواسخ وأدوات الشرط والنفي والمفاعيل الخمسة ، والحال والتمييز – وفي هذا الباب جملة مباحث (١)

المبحث الأول في التقييد بالنَّعت

أما النَّعت : فيؤتى به للمقاصد والأغراض التي يدلّ عليها

(أ) منها –تخصيص المنعوت بصفة تُميزه إن كان نكرة – نحو : جاءني رجل تاجر.

(ب) ومنها – توضيح المنعوت إذا كان معرفة – لغرض

(١) الكشف عن حقيقته ، نحو : الجسم الطويل ، العريض يشغل حيزاً من الفراغ.

(٢) أو التأكيد نحو : تلك عشرة كاملة ، وأمس الدابر كان يوماً عظيماً.

(٣) أو المدح – نحو : حضر سعد المنصور.

(٤) أو الذّم نحو : (وأمرأته حمّالة الحطب).

(٥) أو الترحم نحو : قدم زيد المسكين

المبحث الثاني في التَّقييد بالتوكيد

مـ ّا التّوكيد : فيؤتى به للأغراض التي يدلّ عليها ، فيكون.

(١) لمجرد التقرير ، وتحقيق المفهوم عند الإحساس بغفلة السّامع نحو جاء الأمير الأمير .

(٢) وللتقرير مع دفع توهُّم خلاف الظاهر نحو جاءني الأمير نفسه.

(٣) وللتقرير مع دفع توهم عدم الشمول نحو (فَسَجَدَ الملائكةُ كُلهم أجمعون)

(٤) ولإرادة انتقاش معناه في ذهن السّامع نحو (أُسكن أنتَ وزوجكَ الجنَّةَ)

المبحث الثالث في التقييد بعطف البيان

أمـ ّا عطف البيان : فيؤتى به للمقاصد والأغراض التي يدلّ عليها – فيكون

لمجرد التَّوضيح للمتبوع باسم مختصّ به (٢) نحو أقسم بالله أبو حفص عُمر.

---

(١) اعلم أن التقييد : يكون لتمام الفائدة ، لما تقرر من أن الحكم كلما زاد قيده زاد خصوصية ، وكلما زاد خصوصية زادت فائدته ، لا فرق بين مسند إليه أو مسند أو غيرهما ، كما لا فرق بين تقييده بالتوابع – أو غيرها.

(٢) يكفي في التوضيح : أن يوضح الثاني الأول ، عند الاجتماع ، وإن لم يكن أوضح منه عند الانفراد ، نحو علي زين العابدين ، ونحو : عسجد ذهب.

وللمدح : كقوله تعالى (جَعَلَ اللهُ الكعبَةَ البيتَ الحَرامَ قِياماً للناس) فالبيت الحرام ، عطف بيان : للمدح.

المبحث الرابع في التّقييد بعطف النَّسَق

أمّا عطف النسق : فيؤتى به للأغراض الآتية :

(١) لتفصيل المسند إليه باختصار ، نحو : جاء سعد وسعيد ، فانه أخصر من : جاء سعد ، وجاء سعيد ، ولا يُعلم منه تفصيلُ المسند لأن الواوَ لمطلق الجمع.

(٢) ولتفصيل المسند مع الاختصار أيضاً ، نحو جاءٍ نصرٌ فمنصورٌ (١) أو ثم منصور ، أو جاء الأميرُ حتى الجُند ، لأنّ هذه الأحرف الثلاثة مشتركة في تفصيل المسند إلا أنّ (الأول) يفيد الترتيب مع التعقيب (والثاني) يفيد الترتيب مع التراخي –و(الثالث) يفيد ترتيب أجزاء ما قبله ، ذاهباً من الأقوى إلى الأضعف ، أو بالعكس –نحو مات الناس حتّى الأنبياء.

(٣) ولردّ السامع إلى الصواب مع الاختصار – نحو جاء نصر – لا منصور – أو : لكن منصور.

---

(١) قد تجيء الفاء للتعقيب في الذكر : دون الزمان – إما مع ترتيب ذكر الثاني على الأول : كما في تفصيل الاجمال في قوله تعالى : «ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي» – ونحو قوله تعالى : «ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين»وإما بدون ترتيب : وذلك عند تكرير اللفظ الأول – نحو : بالله – فبالله وقد تجيء ثم للتراخي في الذكر : دون الزمان – إما مع الترتيب المذكور نحو :

ان من ساد ثم ساد أبوه ثم ساد قبل ذلك جده

ونحو : هو الكلب وابن الكلب والكلب جده ولا خير في كلب تناسل من كلب

فان الغرض ترتيب درجات حال الممدوح في البيت الأول ، فابتدأ بسيادته ، ثم بسيادة أبيه ، ثم بسيادة جده ، وإما بدون ترتيب ، نحو : «وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين» .. ولاستبعاد مضمون جملة عن مضمون جملة أخرى ، نحو : «ثم انشأناه خلقا آخر» فنزلوا الترتيب في هذه الأمور منزلة الترتيب الزماني ، المستفاد منها باصل الوضع ، وإذا يكون استعمالها في هذه الأمور مجازاً

(٤) ولصرف الحكم إلى آخر – نحو ما جاء منصور ، بل نصر.

(٥) وللشكّ من المتكلم أو التّشكيك للسّامع ، أو للابهام نحو قوله تعالى : (وإنا أو إياكم لعلى هُدىً أو في ضلالٍ مبين)

(٦) وللاباحة : أو التّخيير –

مثال الأول : تعلّم نحواً أو صرفاً. أو نحو : تعلّم إمّا صرفاً وإمّا نحواً ، ومثال الثاني : تزوج هنداً أو أختها أو نحو : تزوج إمّا هنداً وإمّا أختها

المبحث الخامس في التّقييد بالبدل

أمّا البدل : فيؤتى به للمقاصد والأغراض التي يَدُلّ عليها ويكون : لزيادة التقرير والإيضاح ، لأن البدل

مقصودٌ بالحكم بعد إبهام نحو حضنني اعلي ّ ، في (بدل الكل) ونحو : سافر الجندُ أغلبُه في (بدل البعض)

ونحو : نفعني الاستاذ علمُه (في بدل الاشتمال)

ونحو : وجهك بدرٌ شمسٌ في (بدل الغَلَط) (١)

وذلك : لإفادة المبالغة التي يقتضيها الحال.

المبحث السادس في التقييد بضمير الفصل

يؤتى بضمير الفصل : لأغراض كثيرة

(١) منها التخصيص ، نحو (ألم يعلموا أن الله هو يقبلُ التوبةَ عن عبادِه)

(٢) ومنها تأكيد التخصيص إذا كان في التركيب مُخصِّصٌ آخرُ كقوله تعالى (إن اللهَ هو التواب الرحيم)

(٣) ومنها تمييز الخبر عن الصفة ، نحو : العالِم هو العاملُ بعلمه

المبحث السابع في التقييد بالنّواسخ

التقييد بها : يكون للأغراض التي تؤديِّها معاني ألفاظ النّواسخ كالاستمرار – أو لحكاية الحال الماضية : في «كان» (٢)

وكالتوقيت بزمن مُعين في «ظلّ ، وبات ، وأصبح ، وأمسى ، وأضحى»

وكالمُقاربة : في «كاد ، وكرب ، وأوشك»

وكالتأكيد : في «إنّ وأنّ » – وكالتّشبيه : في «كأنّ »

---

(١) لكن الحق الذي عليه الجمهور : أن بدل الغلط لا يقع في كلام البلغاء.

(٢) فالجملة تنعقد من الاسم والخبر – أو من المفعولين اللذين أصلهما مبتدأ وخبر ويكون الناسخ قيداً – فاذا قلت ، رأيت الله أكبر كل شيء ، فمعناه (الله أكبر كل شيء على وجه العلم واليقين ، وهكذا.

وكالاستدراك : في «لكن» وكالرّجاء : في «لعلّ » –

وكالتمنّي : في «ليت» وكاليقين : في «وجد ، وألفى ، ودَرى ، وعلم» وكالظنّ : في خالَ ، وزعِم ، وحسِب ،

وكالتّحول : في اتخذ ، وجعل وصيَّر.

المبحث الثامن

في التّقييد بالشرط التقييد به :

يكون للأغراض التي تؤديها معاني أدوات الشرط : كالزمان في «متى وأيّان» والمكان : في أين ، وأنَّى ، وحينما – والحال : في «كيفما» لاستيفاء ذلك : وتحقيق الفرق بين تلك الأدوات يُذكر في علم النحو وإنما يفرّق هنا بين (إن وإذا ولو) لاختصاصها بمزايا تُعد من وجوه البلاغة.

الفرق بين إن -وا ِذا – ولو

الأصل عدم جزم وقطع المتكلم بوقوع الشَّرط في المستقبل مع «إن» ومن ثم كثر أن تستعمل «إن» في الأحوال التي يندُ ر وقوعها ووجب أن يتلوها لفظ (المضارع) لاحتمال الشك في وقوعه (١)

بخلاف «إذا» تستعمل بحسب أصلها في كل ما يقطعُ المتكلمُ بوقوعه في المستقبل – ومن أجل هذا لا تُستعمل «إذا» إلاّ في الأحوال الكثيرة الوقوع ، ويتلوها (الماضي) لدلالته على الوقوع والحصول قطعاً – كقوله تعالى (فإذا جاءتهمُ الحسنةُ قالوا لنا هذه ، وا ِن تُصبهم سيئةٌ يطيَّروا بموسى ومن معهُ)

فلكون مجيء الحسنة منه تعالى مُحقَّقاً ذكر هو والماضي مع (إذا) وا ِنما كان ما ذُكر محققاً – لأن المراد بها مُطلقُ الحسنة الشامل لأنواع كثيرة من خَصب ، ورخاء ، وكثرة أولاد ، كما يفهم من التّعريف بأل الجنسية في لفظة «الحسنة»

ولكون مجيء السيئة نادراً ، ذكر هو والمضارع مع (أن) وا ِنما كان ما ذكر نادراً لأن المراد بها نوعٌ قليل : وهو جدب وبلاء كما يُفهم من التّنكير في لفظ «سيئة» الدال على التقليل

---

(١) ولذا : لا يقال إن طلعت الشمس أزرك : لأن طلوع الشمس مقطوع بوقوعه ، وا ِنما يقال إذا طلعت الشمس أزورك – قال أبو تمام

... ... إن يكن في الأرض شيء حسن فهو في دور بني عبد الملك

لو : للشرط في الماضي مع الجزم والقطع بانتفائه ، فيلزم انتفاء الجزاء على معنى أنّ الجزاء كان يمكن أن يقع ، لو وجد الشرط.

ويجب كون جملتيها فعليتّين ماضويتين ، نحو : لو أتقنت عملك لبلغت أملك.

وتسمى «لو» حرف امتناع لامتناع كقوله تعالى (لو كان فيهما آلهةٌ إلا الله لفسدتا) ونحو : (ولو شاءَ لهَداكم أجمعين) أي انتفت هدايته إيّاكم ، بسبب انتفاء مشيئته لها.

تنبيهات

الأول – يُعلم مما تقدم : أن المقصود بالذّات من الجملة الشرطية هو الجواب : فاذا قلت إن اجتهد فريد كافأته ، كنت مخبراً بأنك ستكافئه ، ولكن في حال حصول الاجتهاد ، لا في عموم الأحوال (١)

ويتفرع على هذا : أنها تُعد خبرية أو إنشائية باعتبار جوابها

الثاني –ما تقدَّم من الفرق بين «إن» و «إذا» هو مقتضى الظاهر وقد يخرجُ الكلام على خلافه ، فتستعملُ «إن» في الشرط المقطوع بثبوته أو نفيه – لأغراض كثيرة

«أ» كالتجاهل –نحو قول المعُذر إن كُنتُ فعلتُ هذا فعن خطأ.

«ب» وكتنزيل المخاطب العالم منزلة الجاهل : لمخالفته مقتضى علمه

كقولك للمتكبر توبيخاً له -إن كنتَ من تراب فلا تفتخر

---

(١) قال السكاكي : قد يقيد الفعل بالشرط لاعتبارات تستدعى التقييد به ولا يخرج الكلام تقييده به عما كان عليه من الخبرية والانشائية –فالجزاء إن كان خبرا : فالجمة خبرية نحو إن جئتني أكرمك أي أكرمك لمجيئك ، وا ن كان إنشاء فالجملة انشائية ، نحو إن جاءك خليل فأكرمه ، أي أكرمه وقت مجيئه ، فالحكم عنده في الجمل المصدرة بأن وأمثالها في الجزاء ، وأما نفس الشرط فهو قيد للمسند فيه ، وقد خرجته الأداة عن الخبرية واحتمال الصدق والكذب.

(١٢٣/١)

«جو»كتغليب غير المُتَّصف بالشرط على المتَّصف به : كما إذا كان السفر قطعي الحصول لسعيد ، غير قطعي لخليل ، فتقول ان سافرتما كان كذا (١) وقد تستعمل (إذا) في الشرط المشكوك في ثبوته أو نفيه ، لأغراض.

(أ) منها –الإشعار بأن الشك في ذلك الشرط لا ينبغي أن يكون مشكوكا فيه بل لا ينبغي ألاّ يكون مجزوماً به – نحو إذا كثر المطر في هذا العام أخصب الناس

(ب) ومنها – تغليب المتصف بالشرط على غير المتصف به – نحو إذا لم تسافر كان كذا –وهلم جرًّا من عكس الأغراض التي سبقت

الثالث –لما كانت (إن) و(إذا) لتعليق الجزاء على حصول الشرط في المستقبل وجب أن يكون شرطُ وجزاء كل منهما جملةً فعليةً لفظاً ومعنى ، كقوله تعالى (وا ن يستغيثوا يُغاثوا بماءٍ كالمُهلِ)

ونحو : والنَّفس راغبة إذا رغبَّتها وا ذا تُرد إلى قليلٍ تَقَنعُ

ولا يُعدلُ عن استقبالية الجملة لفظاً ، ومعنى إلى استقباليتها معنى فقط –إلاَّ لدواع غالباً.

«أ» منها – التفاؤل – نحو -إن عشتُ فعلتُ الخير (٢)

---

(١) أي ففيه تغليب لمن لم يقطع له بالسفر على من قطع له به ، فاستعملت (إن) في المجزوم : وهو من قطع له به بسبب تغليبه على من لم يقطع له به – وهذا السبب مساغ لذكر (إن) – واعلم أن التغليب (الذي هو أن يعطى أحد المصطحبين ، أو المتشاكلين حكم الآخر) باب واسع يجري في أساليب كثيرة لنكات عديدة ، سمحت بها المطولات في هذا المقام ، واعلم أيضاً : أن المقصود بالذات من جملتي الشرط والجواب : هو جملة الجواب فقط ، وأما جملة الشرط فهي قيد لها ، فاذا قلت إن زارني سليم أكرمته فالمقصود أنك ستكرم سليما ، ولكن في حال زيارته لك ، فتعد الجملة اسمية أو فعلية أو خبرية أو إنشائية : باعتبار الجواب كما سبق توضيحه مفصلا : فارجع إليه إن شئت

(٢) وقد تستعمل (إن) في غير الاستقبال لفظا ومعنى –وذلك فيما إذا قصد بها تعليق الجزاء على حصول

الشرط الماضي حقيقة كقول أبي العلاء المعري

فيا وطني إن فاتني بك سابق من الدهر فلينعم بساكنك البال

وقد تستعمل (إذا) أيضا في الماضي حقيقة نحو : «حتى إذا ساوى بين الصدفين» وللاستمرار نحو : «وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا» .

(١٢٤/١)

«ب» ومنها -تخيّل إظهار غير الحاصل «وهو الاستقبال» في صورة الحاصل «وهو الماضي» – نحو – إن متُّ كان ميراثي للفقراء.

الرابع – مما تقدم من كون «لو» الشرطية في الماضي : لزوم كون جملتي شرطها وجزائها فعليتين ماضويتين وعدم ثبوتهما.

وهذا هو مقتضى الظاهر – وقد يخرج الكلام على خلافه

فتُستعمل «لو» في المضارع لداعٍ اقتضاها المقام – وذلك

«أ» الاشارة إلى أن المضارع الذي دخلت عليه يقصد استمراره فيما مضى : وقتاً بعد وقت ، وحصوله مرة بعد أخرى –

كقوله تعالى (لو يُطيعكم في كثيرٍ من الأمر لعنتُّم) (١)

«ب» تنزيل المضارع منزلة الماضي (لصدوره عمّن المستقبل عنده)

وكقوله تعالى (ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربِّهم) (٢) في الوقوع، ولم تخلّف في أخباره :

المبحث التاسع في التقييد بالنفي

التقييد بالنفي : يكون لسلب النسبة على وجه مخصوص ، مما تفيده أحرف النفي السبعة – وهي – لا ، وما ، ولات ، وإن ، ولن ، ولم ، ولمّا.

---

(١) أي امتنع عنتكم ، أي وقوعكم في جهد وهلاك بسبب امتناع استمراره فيما مضى على اطاعتكم.

(٢) نزل وقوفهم على النار في يوم القيامة منزلة الماضي : فاستعمل فيه (إذ) ولفظ الماضي وحينئذ فكان الظاهر أن يقال (ولو رأيت) بلفظ الماضي – لكن عدل عنه إلى المضارع تنزيلا للمستقبل الصادر عمن لا خلاف في خبره ، منزلة الماضي الذي علم وتحقق معناه – كأنه قيل : قد انقضى هذا الأمر وما رأيته – ولو رأيته لرأيت أمرا فظيعا

(١٢٥/١)

(فلا) للنفي مطلقاً (ما ، وإن ، ولات) لنفي الحال ، إن دخلت على المضارع و(لن) لنفي الاستقبال و(لم ولما) لنفي المضي إلاّ أنه (بلمّا) ينسحب إلى ما بعد زمن التكلم : ويختص بالمتوقّع – وعلى هذا : فلا

يقال ما يقم خليلٌ ثم قام ، ولا : لمـّا يجتمع النقيضان –كما يقال لم يقم عليٌّ ثم قام ولم يجتمع الضدان ، فلمـّا في النفي تقابل (قد) في الاثبات ، وحينئذ يكون منفيُّها قريباً من الحالفلا يصح لمـّا يجيءُ خليل في العام الماضي.

المبحث العاشر في التقييد بالمفاعيل الخمسة ونحوها

التقييدُ بها : يكون لبيان نوع الفعل ، أو ما وقع عليه أو فيه ، أو لأجله أو بمقارنته ، ويقيد بالحال لبيان هيئة صاحبها وتقييد عاملها ، ويقيَّد بالتمييز لبيان ما خفى من ذات –أو نسبة ، فتكون القيودُ هي محظ الفائدة والكلام بدونها كاذبٌ – أو غير مقصود بالذات – كقوله تعالى (وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين) وقد سبق القولُ في أول الباب مفصلاً ، فارجع إليه إن شئتَ

تنبيهات

الأولىُ–لم ممـّا تقدَّم أن التقييد بالمفاعيل الخمسة ونحوها للأغراض التي سبقت – وتقييدها إذا كانت (مذكورة)

أمـّا إذا كانت محذوفة فتُفيد أغراضاً أخرى

(١) منها – التعميم باختصار كقوله تعالى (والله يدعو إلى دار السلام)

(أي جميع عباده) لأن حذف المعمول يؤذن بالعموم (١) (ولو ذكر لفات غرض الاختصار المناسب لمقتضى الحال)

(٢) ومنها – الاعتماد على تقدمكقوله تعالى (يَمحُو اللهُ ما يشاءُ ويُثبتُ)أي ويثبتُ ما يشاءُ

(٣) ومنها – طلب الاختصارنحو (يغفرُ لمن يشاءُ) أي يغفر الذنوب.

---

(١) أي ما لم يكن تعلق فعل المشيئة بالمفعول غريبا كقوله

فلو شئت أن أبكى دما لبكيته عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

وأعددته ذخراً لكل ملمة وسهم المنايا بالذخائر أولع

فان تعلق فعل المشيئة ببكاء الدم غريب فلذا لم يحذف المفعول ليتقرر في نفس السامع .

(٤) ومنها – استهجانالتصريح به نحو : (ما رأيتُ منه ولا رأى منِّي) أي العورة

(٥) ومنها –البيانُ بعد الابهام – كما في حذف مفعول فعل المشيئة (١)

ونحوها (إذا وقع ذلك الفعل شرطاً فإنّ الجواب يدل عليه ، ويبينُه بعد إبهامه ، فيكون أوقع في النفس ، ويقدر المفعول مصدرا من فعل الجواب ، نحو : (فمن شاء فليؤمن) – أي فمن شاء الإيمان

(٦) ومنها – المحافظة على سجع – أو : وزن

فالأولكقوله تعالى (سيذكَّرُ من يخشى)

إذ لو قيل : يخشى الله – لم يكن على سنن رؤوس الآي السابقة

والثاني – كقول المتنبي :

بناها فأعلى والقنا يقرع القَنا ومَوجُنُايالَمحولها مُتلاطم

أي : فأعلاها

(٧) ومنها – تعيُّن المفعول – نحو رعت الماشية (أي نباتاً)

ومنها –تنزيل المتعدِّي منزلة اللازم لعدم تعلق الغرض بالمعمول ، بل يجعل المفعول منسياً ، بحيث لا يكون ملحوظاً مقدّرا

كما لا يلاحظ تعلق الفعل به أصلا كقوله تعالى(هْيَستوي الذين َ يعلمون والذين َ لا يعلمون) (٣)

الثانيالأصل في العامل أن يَ ُ قدَّم على المعمول

وقد يُعكس : فيقدّم المعمول على العامل لأغراض شتَّى

(١) ومنها – التخصيص نحو (إياك نعبدُ ، وإيّاك نستعين) (٤)

---

(١) هذا التعميم وا إن أمكن بذكر المفعول على صيغة العام ، لكن يفوت الاختصار المطلوب .

(٢) أي ما يرادفها في المعنى كالارادة والمحبة .

(٣) أي فالغرض مجرد إثبات العلم ونفيه ، بدون ملاحظة تعلقه بمعلوم عام أو خاص – والمعنى : لا يستوي من ثبتت له حقيقة العلم ، ومن لم تثبت له ، فلو قدر له مفعول ، وقيل : هل يستوي الذين يعلمون الدين ، والذين لا يعلمونه ، لفات هذا الغرض

(٤) وذلك لان المناسب لقمام عرض العبادة له تعالى تخصيصها به ، لا مجرد الإخبار بأن العبادة له ، فاستفادة التخصيص من التقديم إنما هي بحسب المقام ، لا بأصل الوضع .

(٢) ومنها –رللمخاطب إلى الصّواب عند خطئه في تعيين المفعول نحو : نصراً رأيت –رداً لمن اعتقد أنك رأيت غيره.

(٣) ومنهاكون المتقدم محطّ الأنكار مع التَّعجب نحو : أبعدَ طول التجربة تنخدع بهذه الزّخارف.

(٤) رعايتهم–وازاة رؤوس الآي نحو : (خذُوهُ فغلُوهُ ، ثمّ لجحيم صلُوهُ) وهلمّ جرا من بقية الأغراض التي سبقت.

تطبيق عام على الاطلاق والتقييد

إذا كنت في نعمة فارعها فان المعاصي تزيل النعم

جملة فارعها : انشائية أمرية ، والأمر مستعمل في أصل معناه ، المسند إليه أنت وهي مقيدة بالمفعول به لبيان ما وقع عليه الفعل ، ومقيدة بالشرط للتعليق ، وكانت أداة الشرط (إذا) لتحقق الحصول «فان المعاصي

تزيل النعم» جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث ، والمراد بالخبر التحذير من المعاصي.
المسند إليه (المعاصي) والمسند جملة : تزيل ، وأتى به جملة لتقوية الحكم بتكرار الاسناد ، وقيد بالمفعول به «النعم» لبيان ما وقع عليه الفعل ، والحكم مقيد بأن للتوكيد.
إن اجتهد خليل أكرمته– الجملة «اكرمته» وهي جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائي ، المسند أكرم ، والمسند إليه التاء ، وهي مقيدة بالمفعول به لبيان ما وقع عليه الفعل ، وبالشرط للتعليق ، وكانت أداة الشرط «إن» لعدم الجزم بوقوع الفعل.
وأصابت تلك الربى عين شمس أورثتها من لونها اصفرارا
كلما جال طرفها تركت النا س سكارى وما هم بسكارى
(٢) أي فيكون التقديم : للتبرك والتلذذ وموافقة كلام السامع والاهتمام وضرورة الشعر وغير ذلك – واعلم أن اختلاف الترتيب بين المعمولات.
إما لأمر معنوي : نحو «وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى» فلو أخر المجرور لتوهم أنه من صلة الفاعل ، والمراد كونه من صلة فعله.

(١٢٨/١)

وا ٍما لأمر لفظي : نحو ولقد جاءهم من ربهم الهدى – فلو قدم الفاعل لاختلفت الفواصل لأنها مبنية على الألف – وقد يتقدم بعض المفاعيل على بعض – إما لاصالة في التقدم لفظا : نحو حسبت زيداً كريما ، فإن زيداً وا ٍن كان مفعولا في الحال لكنه مبتدأ في الأصل أو معنى : نحو أعطى زيد عمراً درهماً ، وا ٍن كان مفعولاً بالنسبة إلى زيد لكنه لا يخلو من معنى الفاعلية بالنسبة إلى الدرهم ، والدرهم مأخوذ.
« أصابت تلك الربى» جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائي ، والمراد بالخبر اصل الفائدة – المسند أصاب ، ذكر – لأن الأصل فيه ذلك ، وقدم لافادة الحدوث في الزمن الماضي مع الاختصار ، والمسند إليه عين شمس ، وذكر : لأن الأصل فيه ذلك وأخر : لاقتضاء المقام تقديم المسند وخصص بالاضافة لتعينها طريقا لاحضار معناه في ذهن السامع ، والمضاف إليه (شمس) قيد بالصفة «أورنتها من لونها» لأنها في محل جر صفة شمس للتخصيص ، وقيد الحكم بالمفعول به «تلك» لبيان ما وقع عليه الفعل ، وعرف المفعول به بالاشارة لبيان حاله في البعد ، وقيد المفعول بالبدل «الربي» لتقرير حاله في نفس السامع «تركت الناس سكارى» هي الجملة الرئيسية ، لأن الشرطية لا تعتبر إلا بجوابها ، وهي جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائي ، والمراد بالخبر التفخيم ، المسند إليه الناس ، ذكر وقدم لأن الأصل فيه ذلك ، وعرف بآل للعهد الذهني ، لان المراد بالناس الدين نظروا اليها ، والمسند سكارى ، ذكر وآخر لان الاصل فيه ذلك ، ونكر للتهويل ، والحكم مقيد (بترك) لافادة التحويل ، وبالشرط للتعليق وكانت أداة الشرط (كلما) لافادة التكرار «وما هم بسكارى» جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث ، والمراد بالخبر أصل الفائدة ، والمسند إليه

هم ، والمسند سكارى والحكم مقيد بما لنفي الحال.
لا تيأسن وكن بالصبر معتصما لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

(١٢٩/١)

«لا تيأسن» جملة انشائية نهييه ، والمراد بالنهي الارشاد ، المسند لا تيأس والمسند إليه انت ، و «كن بالصبر معتصما» أصلها :أنت معتصم بالصبر ، وهي جملة انشائية أمرية ، والمراد بالأمر الارشاد ايضاً ، المسند إليه الضمير المستتر في كن والمسند معتصما ، والحكم مقيد «بالصبر» لبيان ما وقع عليه الفعل ، وبالأمر «كن» لافادة التوقيت بالاستقبال.
«لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا» أصلها لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبر – وهي جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائي ، والمراد بالخبر الحث على الصبر ، المسند تبلغ ، والمسند إليه أنت ، والحكم مقيد بلن للنفي في المستقبل ، وبالجار والمجرور لبيان غاية الفعل.
عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب
في البيت جملة إنشائية ، غير طلبية ، وهي إسمية من الضرب الثالث ، لما فيها من تقوية الحكم بتكرار الاسناد – المسند إليه «الكرب» ذكر وقدم لأن الاصل فيه ذلك وعرف بال للعهد الذهني ، وقيد بالنعت «الذي أمسيت فيه» لتوضيحه ، والمسند يكون الخ ، والحكم مقيد بعسى لافادة الرجاء – وأما جملة النعت «الذي أمسيت فيه» فهي جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائي : المسند إليه فيها التاء – والمسند الجار والمجرور والحكم مقيد بأمسى لافادة المساء ، وجملة الخبر (يكون وراءه فرج قريب) جملة خبرية إسمية من الضرب الابتدائي ، المسند إليه فيها (فرج) ذكر لأن الأصل فيه ذلك ، وآخر لضرورة النظم ، وقيد بالنعت (قريب) لافادة القرب ، والمسند وراءه – ذكر لأن الاصل فيه ذلك ، وقدم للضرورة ، والحكم مقيد بالناسخ (يكون) لافادة الاستقبال
... يوشك من فر من منيته في بعض غرائه يوافقها

(١٣٠/١)

أصل الجملة : يوشك من فر من منيته يوافقها في بعض غر ّ اته – وهي جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث ، والمراد بها التيئيس من الخلود في هذه الدنيا ، والمسند إليه (من) ذكر وقدم لأن الأصل فيه ذلك ، وعرف بالموصولية لعدم العلم بما يخصه غير الصلة والمسند جملة يوافقها ، ذكر لأن الأصل فيه ذلك ، واتى به جملة لتقوية الحكم وقيد بالجار والمجرور لبيان زمنه ، والحكم مقيد بالناسخ (يوشك) لافادة المقاربة
... إن الثمانين وبلغتها قد أحوجت سمعي إلى ترجمان
إن الثمانين قد أحوجت ، جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث ، والمراد بها اظهار الضعف – المسند إليه (الثمانين) ذكر وقدم لأن الأصل فيه ذلك ، وعرف بال للعهد الذهني – والمسند (قد أحوجت) ذكر وأخر لأن

الأصل فيه ذلك ، وأتى به جملة لتقوية الحكم – والحكم مقيد بأن ، وقد للتوكيد ، وأما قوله وبلغتها فهي جملة معترضة للدعاء ، وهي جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائي ، المسند إليه التاء ، والمسند بلغ والحكم مقيد بالمفعول به ، لبيان ما وقع عليه الفعل.

أسئلة على الاطلاق والتقييد يطلب اجوبتها

ما هو الاطلاق ؟ ما هو التقييد ؟ متى يكون الاطلاق ؟ متى يكون التقييد ؟ لماذا يقيّد بالنعت ؟ لماذا يقيد بالتوكيد ؟ لماذا يقيد بعطف النسق ؟ لماذا يقيد بالبدل ؟ لماذا يقيد بالمفاعيل الخمسة ؟ لماذا يقيد بالحال ؟ لماذا يقيد بالتمييز ؟ لماذا يقيد بالنواسخ ؟ لماذا يقيد بضمير الفصل ؟ لماذا يقيد بالشرط ؟ ماالفرق بين إن – وا ِذا –ولو ؟ ما المقصود من الجملة الشرطية ؟ هل يمكن ان تستعمل (إن) في مقام الجزم بوقوع الشرط ؟ هل يمكن ان تستعمل (إذا) في مقام الشك ؟ هل يمكن أن تستعمل (لو) مع المضارع ؟ لماذا يقيد بالنفي.

الباب السادس في أحوال متعلقات الفعل

متعلقات الفعل كثيرة منها :

(١٣١/١)

المفعول ، والحال ، والظرف ، والجار والمجرور ، وهذه (المتعلقات) أقل في الأهمية من (ركني الجملة) ومع ذلك فقد تتقدم عليها – أو على أحدهما : فيقدم المفعول لأغراض – أهمها :

(١) تخصيصه بالفعل (٢) مـ ُوافقة المخاطب : أو تخطئته

(٣) الاهتمام بالفعل (٤) التبرّ ك به (٥) التّلذذ به

ويتقدّم كل من الحال ، والظرف ، والجار والمجرور ، لأغراض كثيرة

(١) منها : تخصيصها بالفعل

(٢) ومنها : كونها موضع الانكار

(٣) ومنها : مراعاة الفاصلة : أو الوزن

والأصل في المفعول : أن يـ ُؤخر عن الفعل ، ولا يـ ُقدّم ُ عليه إلاّ لاغراضٍ كثيرة.

(١) منها – لتخصيص –نحو : (إيَّاك نعبد) رداً على من قال : أعتقد غير ذلك

(٢) ومنها – رعاية الفاصلة نحو : (ثم الجحيم صلُّو ّه ُ)

(٣) ومنها –التّبرك نحو : قُرآنا كريماً تلوت ُ .

(٤) ومنها – التلذذ نحو : الحبيب قابلت ُ

والأصل في العامل : أن يقدَّم على المعمول ، كما أن الأصل في المعمول أن تـ ُقدَّم عمدته على فضلته – فيحفظ هذا الأصل بين الفعل والفاعل.

أمـ ّا بين الفعل والمفعول ونحوه : كالظرف ، والجار والمجرور ، فيختلف الترتيب – للأسباب الآتية :

(أ) إمَّا لأمر معنوي نحو (جاء َ مـِن ْ أقصى المدينةِ رجلٌ يسعى) (فلو أخِّر المجرور لتو ُهمِّ أنه من صلة

الفاعل ، وهو خلاف الواقع لأنه صلةٌ لفعله)

(ب) إمّا لأمر لفظي نحو : (ولقد جاءهم من ربهم الهدى)

فلو قُدم الفاعل لاختلفت الفواصلُ ، لأنها مبنية على الألف

(ج) وإما للأهمية نحو : قُتل الخارجيُّ فلانٌ

وأما تقديم الفضلات على بعض : فقد يكون

(١٣٢/١)

(١) للأصالة في التقدم لفظاً – نحو : حسبت الهلال طالعاً فان الهلال وإن كان مفعولاً في الحال ، لكنه مبتدأ في الأصل أو للأصالة في التقدُّم معنى – وذلك كالمفعول الأول في نحو : أعطى الأمير الوزير جائزة ، فإن الوزير : وإن كان مفعولا بالنسبة إلى الأمير ، لكنه فاعل في المعنى بالنسبة إلى الجائزة (١)

(٢) أو لإخلال في تأخيره –نحو : مررت راكباً بفلان فلو أخرت الحال لتُوهّم أنها حال من المجرور ، وهو خلاف الواقع ، فانها حال من الفاعل والأصل في المفعول ذكره ، ولا يحذف إلا لأغراض تقدم ذكرها.

تمرين

لبيان المتقدّم من ركني الجملة ، ومتعلقات الفعل ، وسبب تقدمه

١– قال الله تعالى : (فلله الآخرة والأولى).

٢وكتب ابن المعتز لأحد خُلاّنه : –

قلبي نجيٌّ ذكرك ، ولساني خادمُ شُكرك.

٣– وقال الله تعالى : (الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر).

كل حيٍّ وإن أقام كنوحٍ في أمانٍ من الرَّدى سوف يَفنَى

٥–أنشا يمزق أثوابي يؤدّبني أبعد شيبي يبغي عندي الأدبا

٦–منهومان لا يشبعان : طالب علم ، وطالبُ مال.

٧–عباس مولاي أهداني مظلته يظلّل الله عبّاساً ويَرعاه

الجملة ... نوع المتقدم ... سبب تقدمه

١– لله الآخرة والأولى ... خبر ... تخصيص الخبر بالمبتدأ

٢– قلبي. ولساني ... مبتدأ ... أنه الأصل

٣– الله يبسط الرزق ... مبتدأ ... تخصيصه الخبر

٤– كل حي وان أقام ... مبتدأ ... إفادة التعميم

٥–أبعد شيبي يبغى ... ظرف ... موضع الانكار

٦– منهومان لا يشبعان ... مبتدأ ... التشويق إلى المبتدأ

٧– عباس مولاي ... مبتدأ ... التعظيم

٨ -أنا أكرمتك ، وفي منزلي آويتكَ

لك عندي وعند صحبي أيادٍ سوف تبقى وكل شيء سـَ يفْنى

١٠ما كل ما يتمنَّى المرءُ يدركه تأتي الرياح بما لا تشتهي السـّفنَ

وقال المرحوم حافظ إبراهيم بك في وصف الشمس : -

١١إنّ الشمسُ وما في آيها من معان لمـَ عت للعارفين

---

(١) لأن الجائزة مأخوذة ، والآخذ لها الوزير الذي فيه معنى الفاعلية التي تستدعي حق التقدم .

(١٣٣/١)

حكمةٌ بالغةٌ قد مثـّلت قُدرة الله لقومٍ غافلين

١٢-فمثل عـُلاك لم أر في المعالي ولا تاجاً كتاجك في الجلال

تمرين آخر

١- لشرح معنى التخصيص : واذكر مواضعه في باب التقديم.

٢-أيّ أجزاء الجملة يفيد تقديمه ، التبرك ، أو التلذذ ، أو التعظيم ؟ ومتى يفيد ذلك ؟

٣- ما هي متعلقات الفعل ؟ وما أسباب تقديمها عليه ؟

كيف تشـَوّق كلٍ من المبتدأ والخبر ؟ ومتى يفيد المبتدأ التعميم

الجملة ... نوع المتقدم ... سبب تقدمه

٨- أنا أكرمتك ... مبتدأ ... تخصيصه بالخبر الفعلي

وفي منزلي آويتك ... جار ومجرور ... تخصيصه بالفعل

ومطمئنا قلت لك ... حال ... موضع العناية والاهتمام

نجاتك تحققت ... مبتدأ ... تعجيل المسرة

لك جرائم ... خبر ... التنبيه على أنه خبر لا صفة

٩- لك عندي ... مبتدأ ... للتنبيه على أنه خبر لا صفة

كل شيء سيفنى ... مبتدأ ... افادة التعميم

١٠- ما كل ما يتمنى المرء يدركه ... مبتدأ ... نفي العموم

١١- الشمس وما في آيها حكمة ... مفعول ... الشويق للخبر

١٢- مثل علاك لم أر ... تخصيص المفعول بالفعل

إذا قدمتهُ ؟ ومتى يدل على التخصيص بالخبر ؟

٥-ميـّز المبتدأ الذي جرى في التقديم على أصله من الذي تقدم زائداً ؟ ؟

تدريب

العبارات الآتية تقدم فيها بعض أجزاء الكلام على بعض
أذكر المتقدم – وبين نوعه في كل عبارة :
١– إثنان لا يستغنى عنهما إنسان : العلم والمال.
٢– قال صلى الله عليه وسلم : إخوانكم خولُكم ، جعلهم الله تحت أيديكم.
٣– إليك على بعد المزار وصعبه توازع شوقٍ ما تردُّ عوازبُه.
٤– قال تعالى : «فويلٌ لهم مما كتبت أيديهم وويلٌ لهم مما يكسبون»
قبيح أن يحتاج الحارسُ إلى من يحرسه.
٦– وقال تعالى «كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون ، وبالأسحار هم يستغفرون».
٧– إلى الله كل الأمر في الخلق كلهم وليس إلى المخلوق شيء من الأمر
تمرين
عيّن المتقدم من ركني الجملة أو من متعلقات الفعل ، واذكر سبب تقدمه
١– قال الله تعالى : «وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون».

(١٣٤/١)

الدنيا دارُ عناء ليس لأحد فيها البقاء ، وغدا تسرّ أو تُساء
٣– ألقت مقاليدها الدنيا إلى رجل ما زال وقفاً عليه الجودُ والكرم
٤– وقال الله تعالى : «وله من في السموات والأرض ، كلٌّ له قانتون».
٥– وقال الله تعالى : «قالوا الآن جئت بالحق».
بأي لفظٍ تقول الشعر زعنفةٌ ... بحوزُ عندك لاعُربٌ ولا عجم.
٧– ولأحمد بن يوسف : بالأقلام تُلتمس الأقاليم
٨– أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة : من قال لا إله إلا الله بقلبه خالصاً.
٩– قال الله تعالى إنا «نحنُ نحيي ونميت وإلينا المصير».
١٠– رأى الرسول رجلا نذر أن يمشي فقال : إن الله عن تعذيب هذا نفسه لَغنيّ
١١– يساورني طول الدجى وأساوره ملالٌ رفيقٌ ساهدُ الليل ساهرُه
إختبار للذاكرة
كون أربع جمل : تقدَّم في أولاها (الخبر) ليفيد التشويق إلى المبتدأ.
وتقدم (المبتدأ) في الثانية لتعجيل المسرة ، وتقدم في الثالثة (الحال) لأنه موضع الانكار ، وتقدم (الظرف) في الرابعة لأنه موضع العناية.
الباب السابع في تعريف القصر
القصر : لغة الحبس – قال الله تعالى (حور مقصورات في الخيام) واصطلاحاً : هو تخصيص شيء بشيء

بطريق مخصوص.

والشيء الأول : هو المقصور ، والشيء الثاني : هو المقصور عليه.

والطريق المخصوص لذلك التخصيص يكون بالطرق والأدوات الآتية :

نحو : ما شوقي إلا شاعر ، فمعناه تخصيص (شوقي بالشعر) وقصره عليه ، ونفى صفة (الكتابة) عنه – (ردًّا على من ظن أنَّه شاعر : وكاتب) والذي دلَّ على هذا التخصيص هو النفي بكلمة (ما) المتقدمة ، والاستثناء بكلمة (إلا) التي قبل الخبر.

فما قبل «إلا» وهو «شوقي» يُسمى مقصوراً عليه ، وما بعدها وهو (شاعر) يسمى مقصوراً – (وما – وا ـلاّ) طريق القصر وادواته.

(١٣٥/١)

ولو قلت (شوقي شاعر ٌ) بدون (نفي واستثناء) ما فُهم هذا التخصيص ولهذا : يكون لكل قصر طرفان «مقصور ، ومقصور عليه» يُعرف (المقصور) بأنّه هو الذي يُؤلف مع (المقصور عليه) الجملة الأصلية في الكلام ومن هذا تعلم أن القصر : هو تخصيص الحكم بالمذكور في الكلام ونفيه عن سواه بطريق من الطرق الآتية :

وفي هذا الباب أربعة مباحث

المبحث الأول في طرق القصر

للقصر طُر ُق كثيرة – وأشهرها في الاستعمال أربعة (١)

---

(١) ومن طرق القصر التي ليست مشهورة الاستعمال لفظ : وحده ، أو : فقط. أو : لا غير ، أو : ليس غير ، أو : مادة الاختصاص ، أو : مادة القصر ، أو : توسط ضمير الفصل ، أو : تعريف المسند إليه أو : تقديم المسند إليه على خبره الفعلي أحياناً ، وغير ذلك وهذه الطرق خالية من اللطائف البلاغية وقد أوصلها (جلال الدين السيوطي) في كتابه (الاتقان في علوم القرآن) إلى أربعة عشر طريقا.

أهمها الطرق الأربعة المشهورة الاستعمال – وهي تختلف مع بعضها من أوجه كثيرة .

منها – أن (لا) العاطفة لا تجتمع مع النفي والاستثناء : لأن شرط المنفي بها لا يكون منفيا صريحاً قبلها بغيرها فلا يقول : ما علي ّ إلا مجتهد لا متكاسل – ولذا عيب على الحريري قوله.

لعمرك ما الانسان إلا ابن يومه على ما تحلى يومه لا ابن أمسه

وتجتمع «لا» مع (انما) أو (التقديم) نحو إنما أنا مصري لا سوري ، ونحو المجتهد أكرمت لا المتكاسل ، لان النفي فيهما غير مصرح به .

ومنها – أن الاصل في الحكم مع النفي والاستثناء : أن يكون مجهولا منكرا للمخاطب (أي شأنه أن يجهله المخاطب وينكره) بخلاف (انما) لأن النفي مع الاستثناء لصراحته أقوى في التأكيد من (انما) فينبغي أن

يكون لشديد الانكار ، ونحو : قولك (وقد رأيت شبحاً من بعد) ما هو إلا زيد : لمن اعتقد أنه غيره ، ونحو : (إن أنتم إلا بشر مثلنا) لما كانوا مصرين على دعوى الرسالة مع زعم المكذبين امتناع الرسالة في البشر ، رد المكذبون اصرارهم عليها بقولهم ذلك.

وقد ينزل المعلوم منزلة المجهول لغرض بلاغي ، فيستعمل فيه النفي والاستثناء ، نحو (وما محمد إلا رسول) فقد قصر الله محمدا على صفة الرسالة ونفي عنه أن يظن في أمره الخلود ، فلا يموت أو يقتل .

وهذا معلوم للصحابة ، لكن لاستعظامهم موته ، لشدة حرصهم على بقائه صلى الله عليه وسلم نزلوا منزلة من لا يعلمه وقد ينزل المجهول منزلة المعلوم –نحو (انما نحن مصلحون) لادعائهم أن كونهم مصلحين أمر ظاهر ، ولهذا رد عليهم بقوله (ألا إنهم هم المفسدون) مؤكد بما ترى بالجملة – فالاستثناء لفوته يكون لرد شديد الانكار حقيقة – أو ادعاء ، و «إنما» لضعفها تكون لرد الانكار في الجملة ، حقيقة أو ادعاء – ويكون للقصر (بإنما) مزية على العطف لأنه يفهم منها الحكمان ، أعني الاثبات للمذكور ، والنفي عما عداه معاً ، بخلاف العطف لأنه يفهم منه أولا الاثبات ثم النفي ، أو عكسه ، نحو انما خليل فاهم – خليل فاهم لا حافظ – وأحسن مواقعها التعريض نحو (انما يتذكر أولوا الألباب).

واعلم أن «غير» كإلا : في إفادة القصرين ، وفي امتناع اجتماعه مع لا العاطفة ، فلا يقال : ما على غير شاعر لا منجم ، وما شاعر غير على لا نصر .

(١٣٦/١)

وهي :

أولاً : يكون القصر (بالنفي والاستثناء) (١) ، نحو : ما شوقي إلا شاعر أو : ما شاعر إلاّ شوقي.

ثانياً : يكون القصر (بإنَّما) – نحو : إنّما يخشى الله من عباده العلماء»

وكقوله : إنما يشتري المحامدَ حُرٌّ طاب نفساً لهُنّ بالأثمانِ

ثالثاً : يكون القصر (بالعطف بلا – وبل – ولكن) – نحو : الأرض متحركة لا ثابتة ، وكقول الشاعر :

عُمرُ الفتى ذكرُه لا طولُ مدته وموتُهُ خزيه لا يومُهُ الدَّاني

وكقوله : ما نال في دُنياهُ وان بُغيةً لكن أخو حزم يَجدّ ويَعمَل

رابعاً : يكون القصر (بتقديم ما حقّه التأخير) نحو : إيّاك نعبدُ وإيّاك نستعين – (أي : نخصك بالعبادة والاستعانة)

فالمقصور عليه «في النفي والاستثناء» هو المذكور بعد أداة الاستثناء – نحو : وما توفيقي إلا بالله.

٢–والمقصور عليه : مع (إنَّما) هو المذكور بعدها ، ويكون مؤخرا في الجملة وجوباً ، نحو : إنما الدنيا غُرور.

٣–والمقصور عليه : مع (لا) العاطفة : هو المذكور قبلها والمُقابَل لما بعدها ، نحو : الفخر بالعلم لا بالمال.

٤-والمقصور عليه مع (بَلْ) و(لكنْ) العاطفتين : هو المذكور ما بعدهما ، نحو : ما الفخر بالمال بل بالعلم – ونحو : ما الفخر بالنسَّب لكن بالتقوى.

٥-والمقصور عليه : في (تقديم ماحقُّه التأخير) هو المذكور المتقدّم نحو : على الله توكلنا – وكقول المُتنبِّي :

ومن البليَّة عذل من لا يرعوي عن غَيِّه وخطاب من لا يفهم

ملاحظات

أولاّ – يشترط في كلٍّ من «بل – ولكن» أن تُسبق بنفي ، أو : نهي وأن يكون المعطوف بهما مفرداً ، وألاَّ تقترن (لكن) بالواو.

ثانياً – يشترط في «لا» إفراد معطوفها ، وان تُسبق بإثبات ، وألاّ يكون ما بعدها داخلا في عموم ما قبلها.

---

(١) يكون النفي بغير (ما) كقوله تعالى (إن هذا إلا ملك كريم) كما يكون الاستثناء بغير (إلا) نحو :

... ... لم يبق سواك نلوذ به مما نخشاه من المحن

ثالثاً – يكون للقصر (بإنما) مزيَّة على العطف ، لأنها تفيد الاثبات للشيء ، والنفي عن غيره دفعة واحدة ، بخلاف العطف ، فانه يفهم منه الاثبات أولاّ ، ثم النفي ثانياً – أو عكسه.

رابعاً التقديم : يَدُلّ على القصر بطريق الذَّوق السليم ، والفكر الصائب ، بخلاف الثلاثة الباقية فتدل على القصر بالوضع اللغوي (الأدوات).

خامساً – الأصلُ أن يتأخر المعمول عن عامله إلا لضرورة ومَن يتتبع أساليب البلغاء في تقديم ما حقُّه التأخير : يجد أنهم يريدون بذلك : التخصيص.

المبحث الثاني في تقسيم القصر باعتبار الحقيقة والواقع إلى قسمين

(أ) قصر حقيقي (١) وهو أن يختصَّ المقصورُ بالمقصور عليه بحسب الحقيقة والواقع ، بألا يتعدَّاه إلى غيره أصلا نحو لا إله إلاَّ اللهُ .

(ب) وقصر إضافي – وهو أن يختص المقصور بالمقصور عليه بحسب الإضافة والنسبة إلى شيء آخر معين ، لا لجميع ما عداه ، نحو : ما خليل إلا مسافر : فانك تقصد قصر السفر عليه بالنسبة لشخص غيره ، كمحمود مثلا وليس قصدك أنه لا يوجد مُسافر سواه ، إذ الواقع يشهد ببطلانه.

الرابع – الأصل في (إنما) أن تجيء لامر من شأنه ألا يجهله المخاطب ، ولا

تنبيهات

الأول – الاصل في العطف أن ينص فيه على المثبت له الحكم ، والمنفي عنه الا إذا خيف التطويل – وفي الثلاثة الباقية ينص على المثبت فقط.

الثاني – النفي بلا العاطفة – لا يجتمع مع (النفي والاستثناء) فلا تقول ما محمد الا ذكي لاغبي ، لان شرط جواز النفي (بلا) أن يكون ما قبلها منفيا بغيرها.

ويجتمع النفي بلا العاطفة مع كل من (انما – والتقديم) ، فتقول : انما محمد ذكي لا غبي وبالذكاء يتقدم محمد لا بالغباوة

---

(١) ومنه نوع يسمى بالقصر الحقيقي (الادعائي) ويكون على سبيل المبالغة بفرض أن ما عدا المقصور عليه لا يعتد به.

(١٣٨/١)

والأصل في العطف (بلا) أن يتقدم عليه مثبت ، ويتأخر منفي بعده ، وقد يترك ايضاحه اختصاراً ، مثل : علي يجيد السباحة لا غير ، أي لا المصارعة – ولا الملاكمة ولا غير ذلك من الصفات.

الثالث – الأصل في (النفي والاستثناء) أن يجيء لأمر ينكره المخاطب – أو يشك فيه – أو لما هو منزل هذه المنزلة : ومن الاخير قوله تعالى : (وما أنت بمسمع من في القبور ، إن أنت إلا نذير) ينكره ، وا ٍنما يراد تنبيه فقط ، أو لما هو منزل هذه المنزلة ، فمن الأول قوله تعالى : (إنما يستجيب الذين يسمعون) وقوله تعالى (إنما عليك البلاغ وعلينا الحساب) ومن الثاني قوله تعالى حكاية عن اليهود (إنما نحن مصلحون) فهم قد ادعوا أن إصلاحهم أمر جلي لا شك فيه – وقال الشاعر :

أنا الزائدللحامي الذمار وا ٍنما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي

أسباب ونتائج

الغاية من القصر : تمكين الكلام وتقريره في الذهن – كقول الشاعر

وما المرء إلا كالهلال وضوئه يوافي تمام الشهر ثم يغيب

ونحو : وما لامرىء طول الخلود وا ٍنما يخلده طول الثناء فيخلد

وقد يراد بالقصر بالمبالغة في المعنى – كقول الشاعر :

وما المرء إلا الأصغر ان لسانه ومعقوله والجسم خلق مصور

وكقوله : لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا على

و (ذو الفقار) لقب سيف الامام علي (كرم الله وجهه) ، وسيف العاص بن منبه والقصر : قد ينحو فيه الأديب مناحي شيء ، كان يتجه إلى القصر الاضافي ، رغبة في المبالغة – كقوله :

وما الدنيا سوى حلم لذيذ تنبهه تباشير الصباح

وقد يكون من مرامي القصر التعريض – كقوله تعالى (إنما يتذكر أولوا الألباب) إذ ليس الغرض من الآية الكريمة أن يعلم السامعون ظاهر معناها ، ولكنها تعريض بالمشركين الذين في حكم من لا عقل له.

المبحث الثالث في تقسيم القصر باعتبار طرفيه

ينقسم القصر باعتبار طرفيه (المقصُور والمقصور عليه)
سواء أكان القصر حقيقياً أم إضافياً إلى نوعين :

(١٣٩/١)

(أ) قصر صفة على موصوف : هو أن تحبس الصفة على موصوفها وتختص به ، فلا يتَّصف بها غيره ، وقد يتَّصف هذا الموصوف بغيرها من الصفات.
مثاله من الحقيقي (لا رازق إلا الله)
ومثاله من الإضافي ، نحو : لا زعيم إلا سعد
«بـقصر موصوف على صفة ، هو أن يحبس الموصوف على الصفة ويختص ّ بها ، دون غيرها ، وقد يشاركه غيره فيها.
مثاله من الحقيقي ، نحو : ما الله إلا خالق كلّ شيءٍ (١)
ومثاله من الإضافي ، قوله تعالى (وما محمدٌ إلا رسولٌ (٢) قد خلت من قبله الرسل ، أَفإن مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يُضر ّ الله شيئا).
المبحث الرابع في تقسيم القصر الإضافي
ينقسم القصر الإضافي بنوعيه السابقين (٣) على حسب حال المخاطب إلى ثلاثة أنواع.

---

(١) قصر الموصوف على الصفة في القصر الحقيقي ، لا يكاد يوجد لتعذر الاحاطة بصفات الشيء ، حتى يمكن إثبات شيء منها ونفي ما عداها – ويكثر القصر الحقيقي في قصر الصفة على الموصوف ، بخلاف القصر الاضافي الذي يأتي كثيرا في كل من قصر الصفة على الموصوف ، وقصر الموصوف على الصفة – واعلم أن المراد بالصفة هنا الصفة المعنوية التي تدل على معنى قائم بشيء ، سواء أكان اللفظ الدال عليه جامداً أو مشتقاً ، فعلا أو غير فعل ، فالمراد بالصفة ما يحتاج إلى غيره ليقوم به كالفعل ونحوه وليس المراد بها (الصفة النحوية المسماة بالنعت)
(٢) فقد قصر الله محمداً على صفة للرسالة ، نفى عنه أن يظن في أمره الخلود ، فلا يموت – أو يقتل (٢)
(٣) بخلاف القصر الحقيقي بنوعيه ، إذ العاقل لا يعتقد اتصاف أمر بجميع الصفات أو اتصافه بجميعها إلا واحدة ، أو يتردد في ذلك ، كيف وفي الصفات ما هي متقابلة فلا يصح أن يقصر الحكم على بعضها وينفى عن الباقي : إفراداً – أو قلبا – أو تعيينا وعلى هذا المنوال قصر الصفة على الموصوف ، كما في المطول – وشراح التجريد

(١٤٠/١)

(أ) قصر إفراد – إذا اعتقد المخاطب الشركة ، نحو : إنَّما الله واحدٌ رداً على من اعتقد أنَّ الله ثالث ثلاثة

(ب) قصر قَلب إذا اعتقد المخاطب عكس الحكم الذي تثبته نحو : ما سافر إلا علي ٌ «رداً على من اعتقد ان المسافر خليل لا علي ٌ »

فقد قلبتَ وعكست عليه اعتقاده.

(جـ) قصر تعيين –إذا كان المخاطب يتردّد في الحكم : كما إذاكان متردّدا في كون الأرض متحركةً أو ثابتة ، فتقول له : الأرض متحركة لا ثابتة»رداً على من شكّ وتردد في ذلك الحُكم»

أعلم أنّ القصر بنوعيه يقع بين المبتدأ والخبر ، وبين الفعل والفاعل وبين الفاعل والمفعول ، وبين الحال وصاحبها – وغير ذلك من المتعلقات ، ولا يُقالقصرُ مع المفعول معه.

والقصر من ضروب الايجاز الذي هو أعظم ركن من أركان البلاغة ، إذ أن جملة القصر في مقام جملتين ، فقولك (ما كامل إلا الله) تعادل قولك : الكمال لله ، وليس كاملا غيره.

وأيضاً : القصرُ يحدد المعاني تحديداً كاملاً ، ويكثر ذلك في المسائل العلمية : وما يماثلها.

تطبيق (١)

وضِّح فيما يلي نوع القصر وطريقه

(١) ما الدهرُ عندك إلا روضةٌ أنُفُ يا من شمائلُهُ في دهره زهر (١)

(٢) ليس عارٌ بأن يقال فقيرٌ إنما العار أن يُقال بخيلُ

(٣) وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

(٤) فلمّا أبىَ إلا البكاء رفدتُه بعينين كانا للدّموع على قدر (٢)

(٥) مالنا في مديحه غيرُ نظم للمساعي التي سعاها ووصفُ

الرقم ... الجملة ... نوعه باعتبار المقصور ... نوعه باعتبار الواقع ... طريقه

١ ... ما الدهر... ... موصوف على صفة ... إضافي ... النفي والاستثناء

٢ ... انما العار.. ... موصوف على صفة ... = ... إنما

٣ ... انما الأمم ... موصوف على صفة ... حقيقي – ادعائي ... النفي الاستثناء

٤ ... فلما أبى... ... صفة على موصوف ... إضافي ... = =

٥ ... مالنا... ... = = = ... =

---

(١) روضة أنف ، لم يرعها أحد .

(٢) رفده أعانه ، قدر ، مصدر قدر على الشيء بمعنى اقتدر .

) بك (تجتمع المُلك المُبدَّدُ شمله وصمت قواصٍ منه بعد قواصي (١)
(٢) سيذكرني قومي إذا جدّ جدهم وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر (٢)
(٣) ما افترقنا في مديحه بل وصفنا بعض أخلاقه وذلك يكفي
وقال عليه الصلاة والسلام (ليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدّقت فأبقيت)
تطبيق (٢)
(٤) قال الله تعالى (إنما اللهُ إلهٌ واحدٌ)
(٥) قال تعالى (إن حسابُهم إلاّ على ربِّي لو تشعُرُون) (٣)
(٣) قال تعالى (لله ما في السموات وما في الأرض)
الرقم ... الجملة ... نوعه باعتبار المقصور ... نوعه باعتبار الواقع ... طريقه
٦ ... بك اجتمع ... صفة على موصوف ... إضافي ... تقديم الجاروالمجرور
٧ ... وفي الليلة ... موصوف على صفة ... = ... = = =
٨ ... ما افترقنا ... = = = ... اضافي ... بل
الرقم ... الجملة ... نوعه باعتبار الواقع ... باعتبار المقصور ... باعتبار المخاطب ... طريقه
١ ... إنما الله..... ... إضافي ... موصوف على صفة ... افراد ... إنما
٢ ... إن حسابهم.... ... = ... = = = ... = ... النفي والاستثناء
٣ ... لله ما في السموات ... حقيقي ... صفة على موصوف ... التقديم
(١) المبدد المفرق ، القواصي جمع قاصية ، وهي الناحية البعيدة.
(٤) قال الله تعالى (إن أنتُم إلا تكذبُون)
(٥) فإن كان في لبس الفتى شرَف له فما السيف إلا غمده والحمائل (٤)
(٦) ليس اليتيمُ الذي قد مات والده بل اليتيم يتيم العلم والأدب
(٧) وما شاب رأسي من سنين تتابعَت عليَّ ولكن شيبتني الوقائع
(٨) إن الجديدَين في طول اختلافهما لا يفسُدان ولكن يفسد الناس
(٩) لا يألف العلم إلا ذكي ولا يجفوه إلا غبيّ
(١٠) قد علمت سلمى وجاراتُها ما قطَّر الفارس إلا أنا
(١١) إنما الدنيا هباتٌ وعوارٍ مُستردَّه

---

(١) المبدد المفرق : القواصي جمع قاصية ، وهي الناحية البعيدة.
(٢) جد في أمره اجتهد ، والجد (بكسر الجيم) الاجتهاد ، وضده الهزل ، يفتقد يطلب.
(٣) جد في أمره اجتهد ، والجد (بكسر الجيم) الاجتهاد ، وضده الهزل ، يفتقد يطلب.
(٤) جفن السيف غمده ، والحمائل : جمع حمالة : علاقة السيف

شدَّةٌ بعد رخاءٍ ورخاء بعد شدَّه

(١٢) على الله توكلنا –إنما الأعمال بالنِّيات ، وا ٍنما لكل امرىء ما نوى

الرقم ... الجملة ... نوعه باعتبار الواقع ... باعتبار المقصور ... باعتبار المخاطب ... طريقه

٤ ... إن أنتم... ... إضافي ... موصوف على صفة ... إفراد ... النفي والاستثناء

٥ ... فما السيف.... ... = ... = = ... محتمل ... = =

٦ ... ليس اليتيم... ... = ... صفة على موصوف ... = ... العطف ببل

٧ ... وما شاب ... = ... = = = ... = ... بلكن

٨ ... لا يفسدان ... = ... = = = ... = ... =

الرقم ... الجملة ... نوعه باعتبار المقصور ... باعتبارالواقع ... طريقه

٩ ... لا يألف العلم الا ذكى ... قصر صفة على موصوف ... حقيقي ... النفي والاستثناء

١٠ ... ما قطر الفارس الا أنا ... = ... = ... = =

١١ ... انما الدنيا هبات ... قصر موصوف على صفة ... إضافي ... إنما

١٢ ... على الله توكلنا ... قصر صفة على موصوف ... = ... التقديم

) (ملاحسنُ أوصاف المغنين جمَّة وما قصباتُ السبق إلا لمعبد

) (إلى الله أشكو أنَّ في النفس حاجةً تمُ ر بها الأيام وهي كما هيَ ا

) عند الامتحان يُكرمُ المرءُ أو يُهان.

اختبار للذاكرة

(١) هات جملة تفيد نجاح سعد – وعدم نجاح سعيد – بواسطة إنما

(٢) رد بطريق القصر بأنما على من ظن أن المطر يكثر شتاء في السودان

(أ) من تخاطب بالجملة الآتية ؟ ؟ فيكون القصر (قصر قلب)

(٣) : (ب) من تخاطب بالجملة الآتية ؟ ؟ فيكون القصر (قصر إفراد)

(ج) مَن تُخاطب بالجملة الآتية ؟ ؟ فيكون القصر (قصر تعيين)

وهي (ما أدَّيتُ الاَ الواجبَ علىَّ)

(٤) غيّر الجملة الاتية يحيث تفيد القصر بالعطف.

«بالاختراعات الحديثة ارتقت الامم الغربية»

الرقم ... الجملة ... باعتبار المقصور ... باعتبار الواقع ... طريقه

١ ... ما قصبات السبق الخ. ... قصر صفة على موصوف ... إضافي ... النفي والاستثناء

٢ ... إلى الله أشكو ... = ... حقيقي ... التقديم

٣ ... عند الامتحان يكرم الخ ... قصر صفة على موصوف ... اضافي ... التقديم

(١) إنما نجح سعد لا سعيد
(٢) إنما يكثر المطر في السودان ربيعاً لا شتاء
(أ) إذا كان المخاطب يعتقد أنك أديت غير الواجب عليك
(ب) إذا كان المخاطب يعتقد أنك أديت الواجب وغيره.

(١٤٣/١)

(جـ) إذا كان المخاطب متردداً في تأدية الواجب وغيره
(٤) ارتقت الأمم الغربية بالاختراعات الحديثة لا بغيرها.
تطبيق عملي
(١) لم يبقَ سواك نلُوذ به مما نخشاه من المحن (١)
(٢) إنما يشتري المحامد حُرّ طاب نفساً لهُ ن بالأثمان (٢)
(٣) إنَّما الدُّنيا متاعٌ زائل فاقتصد فيه وخذ منه ودع (٣)
(٤) عُمر الفتى ذكرُه لا طول مدته وموتهُ خزيهُ لا يومهُ الداني (٤)
(٥) ما نال في دُنياه وان بغيةً لكن أخو حزمٍ يجد ويعملُ (٥)
(٦) ومن البلية عذل من لا يرعوي عن غيه وخطاب من لا يفهم (٦)
(٧) بالعلم والمال يبني الناسُ مُلكهمُ لم يبن ملكٌ على جهل وإقلال (٧)
تمرين آخر

---

(١) في هذا البيت إستثناء بغير إلا .
(٢) يقول إن شراء المحامد مقصور على الأحرار ، فهم الذين تطيب نفوسهم ببذل المال في سبيل الحمد ، والذي دل على هذا القصر هو لفظ (إنما) وهذا (قصر صفة) وهي الشراء على (موصوف) وهو الجر.
(٣) فقد قصر الدنيا على صفة من صفاتها ، وهي كونها متعبة لا تدوم لحي ، وهو كما ترى (قصر موصوف على صفة) .
(٤) أي إن حياة الانسان لا تقاس بطول المدة ، ولكن بالذكر الخالد ، وأن الموت لا يكون بمفارقة الحياة ، بل بما يرضي به بعض الأحياء من خزي وهوان ، وقد جاء في كل شطر بقصر ، إذ قصر العمر على الذكر في الشطر الأول ، وقصر الموت على الخزي في الشطر الثاني ، والذي دل على القصر فيهما هو العطف (بلا) في قوله «لا طول مدته» ولا يومه الداني» .
(٥) يقول : إن المهمل لا ينال أمانيهن إنما الذي ينال ما يرجوه هو الحازم الذي يجد ويعمل ، فقصر نيل البغية على أخي الحزم ، وطريق القصر هنا هو العطف «بلكن»
(٦) يقول : إن لوم من لا يرجع عن باطله ، وإن التحدث إلى من لا يعي عنك ولا يفهم : مقصور على

صفة لا يفارقها ، وهي كونه بلاء ونكداً – والذي دل على هذا القصر تقديم الخبر على المبتدأ.
(٧) قصر بناه الملك على العلم والمال بتقديم الجار و المجرور على الفعل .

(١٤٤/١)

عيّن المقصور ، والمقصور عليه ، ونوع القصر وطريقته ، فيما يأتي :
(١) قال الله تعالى ذكره «فإنما أنت مُذكرٌ لست عليهم بمسيطر»
(٢) وقال الله تعالى إنما أنا بشرٌ مثلكم يُوحى إلىَّ أنَّما إلهكم إلهٌ واحدٌ »
(٣) وقال تعالى «إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأُولئك هم الكاذبون»
(٤) قال ابن الرومي :
غلطَ الطبيبُ على غلطةُ مورد عجزتوارده عن الإصدار
والناسُ يلحون الطبيب وا إنما غلطُ الطبيب إصابةُ الأقدار
(٥) قال المتنبي :
والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفةٍ فلعلّة لا يظلمُ
(٦) قال الطرمّاحُ بنُ حَكيمٍ :
وما مُنعت دار ولا عزَّ أهلُها من الناس إلا بالقنا والقنابِلِ
(٧) قال حطّان بن المعلّى :
وا إنما أولادنا بيننا أكبادُنا تَمشي على الأرض
(٨) وقال رجل من بني أسد :
ألا إن خيرَ الودِّ ودٌ تطوعت به النفسُ ، لا ودٌ أتى وهو متعب
(٩) قال ابو تمام :
شاب رأسي وما رايت مشيب الرأس إلا من فضل شيب الفؤاد
وكذاك القلوب في كل بُؤس ونعيم طلائع الأجساد
(١٠) قال المتنبي :
وما أنا إلا سَمهَريٌّ حملته ... فزَينَ معروضاً وراع مُسدّدا
وما الدهر إلا من رُواة قصائدي ... إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدا
(١١) وقال ايضا :
وما الخوفُ إلا ما تخوَّفه الفتى ولا الأمن إلا ما رآه الفتى أمنا
(١٢) وقال أبو فراس الحمداني :
إذا الحل لم بهجرك إلا ملالة فليس له إلا الفراق عتاب
(١٣) وقال ابو العتاهية :

عَلّل النفس بالكفاف وإلاّ طَلَبَت منك فوق ما يكفيها

إنما انت طولَ عمركَ ما عُمّرتَ في الساعة التي أنت فيها

(١٤) قال مهيار :

وما الحرصُ إلا فضلةٌ لو نبذتها لما فاتَك الرزق الذي أنت آكله

(١٥) قال الطغرائي :

وإنما رجل الدنيا وواحدُها من لا يُعولُ في الدنيا على رجل

(١٦) قال الغزّي :

ليس التَّغرب أن تشكو نوى سفرٍ وإنما ذاك فقدُ العزّ في الوَطن

(١٧) وقال أيضاً :

إنما هذه الحياة متاعٌ والسفيهُ الغبيُّ من يصطفيها

(١٤٥/١)

ما مضى فات ، والمؤمَّلُ غيب ولك الساعة التي أنت فيها

(١٨) وقال الأرجاني :

تطلَّعت في يومي رخاء وشدةٍ وناديتُ في الأحياء هل من مساعد

فلم أر فيما ساءني غير شامتٍ ولم أرَ فيما سرني غير حاسد

(١٩) وقال الأبيوردي :

ومن ذَكد الأيام أن يبلُغَ المنى أخو اللوم فيها والكريم يخيب

(٢٠) وقال أيضاً :

ولا تصطَنع إلا الكرامَ فإنهم يجازُونَ بالنَّعماءِ من كان منعما

أسئلة على القصر وأنواعه تطلب أجوبتها

ما هو القصر لغة واصطلاحاً ؟ ؟ كم قسما للقصر ؟ ؟ ما هو القصر الحقيقي ، ما هو القصر الإضافي ؟ – كم قسما للقصر الحقيقي ؟ – كم قسما للقصر الاضافي ، ما مثال قصر الصفة على الموصوف من الحقيقي ؟ – ما مثال قصر الصفة على الموصوف من الأضافي ؟ ما مثال قصر الموصوف على الصفة من الحقيقي ؟ ما مثال قصر الموصوف على الصفة من الإضافي ؟ – كم قسما للاضافي بقسميه ؟ على من يُرد بقصر الأفراد ؟ – على من يرد بقصر القلب ؟ على من يُرد بقصر التعيين ؟ – ما هي طرق القصر المصطلح عليها في هذا الباب ؟ ما أقواها

أيمكن وقوع القصر بين الفعل والفاعل ؟ أيمكن وقوع القصر بين الفاعل والمفعول أيمكن وقوع القصر بين الفعل ومعمولاته ؟ – أيمكن وقوع القصر بين المفعولين ؟ – متى يجب تأخير المقصور عليه ؟ ومتى يكثر

تأخير المقصور عليه ؟ – لماذا يجب تأخير المقصور مع انما ؟ ويكثر مع النفي والاستثناء ؟!
تطبيق عام على القصر وأنواعه والأبواب السابقة

(١٤٦/١)

لا حول ولا قوة إلا بالله – جملتان خبريتان اسميتان من الضرب الثالث لما فيهما من التوكيد بالقصر الذي هو أقوى طرق التوكيد – المسند إليه (حول وقوة) والمسند الجار والمجرور ، ولا نظر لتقديم الخبر لأن ذلك مراعاة لقاعدة نحوية لا يعتبريها أهل المعاني ولا يعدون حذفه ايجازاً ، والحكمان مقيدان بالنفي والاستثناء لافادة القصر – ففيهما (قصر صفة) وهو التحول عن المعاصي ، والقوة على الطاعة على (موصوف) وهو الذات الأقدس ، وهو قصر اضافي طريقه النفي والاستثناء ، ثم ان كان للرد على من يعتقد أن التحول عن المعاصي والقوة على الطاعة بغير الله تعالى فهو قصر قلب ، أو على من يعتقد الشركة فهو إفراد ، أو على من يتردد فهو تعيين.

إياك نعبد وا ٍياك نستعين – جملتان خبريتان فعليتان من الضرب الثالث – المسند نعبد ونستعين ، والمسند إليه الضمير المستتر فيهما – وهما مقيدتان بالمفعولين إياك وقدم المفعولين لافادة القصر – ففيهما قصر (صفة) وهو العبادة والاستعانة على (موصوف) وهو الذات الأقدس ، طريقة تقديم ما حقه التاخير – وهو إضافي ، ثم إن كان للرد على من يعتقد أن المعبود غير الله تعالى – فهو قلب – أو على من يعتقد الشركة فهو إفراد او على من يتردد فهو – تعيين.

إنما شوقي شاعر – فيه قصر موصوف وهو شوقي على صفة وهو الشعر – وطريقه إنما – وهو قلب – وا ٍفراد – أو تعيين – على حسب حال المخاطب.

الله الغفور الرحيم – فيه قصر الصفة وهو المغفرة والرحمة – على موصوف وهو الله تعالى – طريقه تعريف المسند بأل.

وهو : قلب – أو إفراد – أو تعيين علىحسب حال المردود عليه إنما الشجاع علي ّ – فيه قصر صفة وهو الشجاعة على موصوف وهو علي ّ وطريقه إنما.

المرء بآدابه لا بثيابه – فيه قصر الموصوف على الصفة ، قصر قلب بين المسند إليه والمسند. طريقه العطف بلا.

إنما الآله واحد –فيه قصر الموصوف على الصفة ، قصراً حقيقياً – طريقه إنما ، وهو واقع بين المسند إليه والمسند.

(١٤٧/١)

الباب الثامن في الوصل والفصل

تمهيد

العلم ُ بمواقع الجمل ، والوقوف على ما ينبغي أن يـُصنع فيها من العطف والاستئناف ، والتهدي إلى كيفية إيقاع حروف العطف في مواقعها

أو تركها عند عدم الحاجة اليها صعب المسلك ، لا يـُوفّق للصواب فيه إلاّ من أوتى قسطاً موفوراً من البلاغة ، وطبع على إدراك محاسنها ، ور ُزق حظا من المعرفة في ذوق الكلام ، وذلك لغموض هذا الباب ، ودقة مسلكه ، و َعظيم خطره ؟ وكثير فائدته : يدل لهذا ، أنهم جعلوه حدًّا للبلاغة فقد سئل عنها بعض البـُلغاء ، فقال : هي «معرفة الفصل والوصل»

تعريف الوصل والفصل في حدود البلاغة

(١٤٨/١)

الوصل عطف جملة على أخرى بالواو – والفصل ترك هذا العطف (١)

---

(١) إذا توالت الجملتان ، لا يخلو الحال من أن يكون – للأولى محل من الأعراب – أولا ، وان كان لها محل من الاعراب فلا بد من أن يقصد تشريك الثانية لها في حكم الاعراب –أو لا ، فان قصد التشريك عطفت الثانية عليها نحو الله يحيى ويميت –وا ِلا فصلت عنها نحو «قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون الله يستهزىء بهم . لم يعطف قوله الله يستهزىء بهم على ما قبله لئلا يشاركه في حكم المفعولية للقول وهو ليس مما قالوه كما سياتي –وا ِن لم يكن لها محل من الاعراب ، فان كان لها حكم لم يقصد اعطاؤه للثانية وجب الفصل – دفعا للتشريك بينهما – نحو «إنما أنت منذر ولكل قوم هاد» ، «الله يعلم ما تحمل كل أنثى» – لم يعطف (قوله الله يعلم) على ما قبله لئلا يشاركه في حكم القصر فيكون تعالى مقصوراً على هذا العلم – وا ِن لم يكن لها ذلك الحكم نحو : زيد خطيب وعمرو متشرع – أو قصد إعطاء حكمها للثانية نحو إنما زيد كاتب وعمرو شاعر ، وجب الوصل كما رأيت – ما لم تكن إحدى الجملتين مطلقا منقطعة عن الأخرى انقطاعا كاملا بحيث لا يصلح ارتباطهما – أو متصلة بها اتصالا كاملا بحيث لا تصح المغايرة بينهما ، فيجب الفصل لتعذر ارتباط المنقطعتين بالعطف وعدم افتقار المتصلتين إلى ارتباط به ، و يحمل شبه كل واحد من الكمالين عليه فيعطي حكمه – وأعلم أنه لا يقبل في العطف إلا عطف المتناسبات مفردة أو جملا بالواو أو غيرها – فالشرط وجود جهة جامعة بين المتعاطفات ، فنحو الشمس والقمر والسماء والأرض ، محدثة (مقبول) ونحو الشمس والأرنب والحمار ، محدثة (غير مقبول) لكن اصطلاحهم اختصاص الوصل والفصل (بالجمل وبالواو) – فلا يحسن الوصل الا بين الجمل المتناسبة لا المتحدة ولا المتباينة ، والأفضل – واعلم أنه إن وجدت الواو بدون معطوف عليه قدر مناسب للمقام –نحو (أو كلما عاهدوا عهداً) فتقدر (أكفروا وكلما عاهدوا) لأن الهمزة تستدعي فعلا.

(١٤٩/١)

بين الجملتين ، والمجيء بها منثورة ، تستأنف واحدة منها بعد الأخرى

فالجملة الثانية : تأتي في الاساليب البليغة مفصولة أحياناً ، وموصولة أحياناً فمن الفصل ، قوله تعالى «ولا تستوي الحسنة ولا السيئةُ إدفع بالتي هي أحسنُ »فجملة (ادفع) مفصولة عمّا قبلها ، ولو قيل : وادفع بالتي هي أحسن ، لما كان بليغاً.

ومن الوصل قوله تعالى «يأيُها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين» عطف جملة : وكونوا على ما قبلها

ولو قلت : اتقوا الله كونوا مع الصادقين ، لما كان بليغاً

فكلّ من الفصل والوصل يجيء لأسباب بلاغيَّة.

ومن هذا يُعلم أنّ الوصل جمع وربط بين جُملتين (بالواو خاصة) لصلة بينهما في الصورة والمعنى : أو لدفع اللَّبس

والفصل : ترك الربط بين الجُملتين ، إلاّنهما مُتحدتان صورة ومعنى ، أو بمنزلة المتحدتين ، وإمَّا لأنه لا صلة بينهما في الصورة أو في المعنى

بلاغة الوصل

وبلاغة الوصل : لا تتحقق إلا (بالواو) العاطفة فقط دون بقية حروف العطف – لأن (الواو) هي الأداة التي تخفى الحاجة اليها ، ويحتاج العطف بها إلى لُطْفِ الفهم ، ودِقة في الإدراك ، إذ لا تفيد إلاّ مُجردَ الربط ، وتَشريكَ ما بعدها لما قبلها في الحكم نحو : مضى وقت الكسل وجاء زمن العمل ، وقُم واسعَ في الخير.

بخلاف العطف بغير (الواو) فيفيد مع التشريك معاني أخرى – كالترتيب مع التعقيب في (الفاء) وكالترتيب مع التراخي في (ثُمَّ) وهكذا باقي حروف العطف التي إذا عطف بواحد منها ظهرت الفائدة ، ولا يقع اشتباه في استعماله.

وشرط العطف (بالواو) أن يكون بين الجملتين (جامع) كالموافقة : في نحو : يقرا ويكتبُ ، وكالمُضادّة : في نحو : يضحك ويبكي وإنما كانت المضادّة في حكم المؤتلفة ، لأنَّ الذّهن يتصورُ أحد الضدين عند تصور الآخر ، (فالعلم) يخطر على الباب عند ذكر (الجهل) كما تخطر (الكتابة) عند ذكر (القراءة).

(١٥٠/١)

(والجامع) يجب أن يكون باعتبار المسند إليه والمسند جميعاً فلا يقال : خليل قادم ، والبعير ذاهب ، لعدم الجامع بين المسند اليهما كما لا يقال : سعيد عالم ، وخليل قصير ، لعدم الجامع بين المسندين وفي هذا الباب مبحثان.

المبحث الأول في إجمال مواضع الوصل

الوصلُ : عطف جملة على أخرى (بالواو) – ويقع في ثلاثة مواضع (١)

الأول – إذا إتحدت الجملتان في الخبرية والإنشائية لفظاً ومعنى أو معنى فقط (٢) ولم يكن هناك سببٌ

يقتضي الفصل بينهما وكانت بينهما مناسبة تامة في المعنى –فمثال الخبريتين قوله تعالى (إنَّ الأبرار لفي نعيم ()٣، وا ِن الفجار لفي جحيم) ومثال الانشائيتين قوله تعالى (فادعُ واستقم كما أمرت) وقوله تعالى (واعبدوا الله ولا تشركو ا به شيئا) ، وصل جملة «ولا تشركوا» بجملة «واعبدوا» لاتحادهما في الانشاء ، ولأن المطلوب بهما مما يجبُ على الانسان أن يؤدِّيه لخالقه ، ويختصَّه به ومن هذا النوع قول المرحوم شوقي بك :

عالجوا الحِكمة واستشفوا بها وانشدوا ما حلّ منها في السِّير

فقد وصل بين ثلاث جمل ، تتناسب في أنها مما يتعلق بأمر (الحكمة) وبواجب (الشباب) في طلبها ، والانتفاع بها.

ومثال المختلفين ، قوله تعالى (إني أشهدُ اللهَ ، واشهدوا أنى بريءٌ ممّا تشركون)

---

(١) البوصل يقع وجوبا بين جملتين متناسبتين لا متحدتين ولا مختلفتين كما سيأتي تفصيل ذلك.

(٢) المعول عليه اتحادهما في المعنى لأن العبرة به ولا قيمة لاختلاف الصورة اللفظية .

(٣) في هذا الكلام جملتان خبريتان وصلت الثانية بالأولى لأن بين الجملتين تناسباً في الفكر ، فاذا جرى في الذهن حال أحد الفريقين تصور حال الفريق الآخر.

أ ِني:اشهدُ اللهَ وأشهدُ كُم (١) ، فتكون الجملة الثانية في هذه الآية : إنشائية لفظاً ، ولكنّها خبرية في المعنى (٢)

ونحو : إذهب إلى فلان ، وتقول له كذا ، فتكون الجملة الثانية من هذا المثال خبرية لفظاً ، ولكنها إنشائية معنى «أي : وقل له»

فالاختلاف في اللفظ ،لا في المعنى المعُول عليه ، ولهذا (وجب الوصل) وعطف الجملة الثانية على الأولى لوجود الجامع بينهما ، ولم يكن هناك سبب يقتضي الفصل بينهما ، وكل من الجملتين لا موضع له من الإعراب.

الثاني –دفع توهم غير المراد ، وذلك إذا اختلفت الجملتان في الخبرية والإنشائية ،وكان الفصل يُوهم خلاف المقصود (٣) كما تقول مجيباً لشخص بالنفي «لا – شفاه الله (٤)

لمن يسألك : هل برىء عليٌّ من المرض ؟ ؟ فترك الواو يُوهم السَّامع

---

(١) والداعي لذكر الجملة الثانية إنشائية ن ولم نذكر كالأولى خبرية ، لأجل التحاشي عن مساواة شهادتهم بشهادته عز وجل –تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

(٢) اعلم أن صور الجملتين ثمانية – لأنهما (إما خبريتان) لفظا ومعنى –أو معنى لا لفظاً – أو الأولى

جملة خبرية معنى لا لفظاً – أو بالعكس.

(وا ٍما انشائيتان) لفظاً ومعنى – أو معنى لا لفظا – أو الأولى جملة خبرية صورة والثانية إنشائية – أو بالعكس كما مثلنا .

(٣) أما إذا لم يحصل إيهام خلاف المقصود فيجب الفصل نحو سافر فلان سلمه الله .

(٤) فجملة شفاه الله خبرية لفظاً انشائية معنى : والعبرة بالمعنى – واعلم أن الجملة الأولى المدلول عليها بكلمة «لا» جملة خبرية إذ التقدير «لا يره حاصل له» وهكذا يقدر المحذوف بحسب كل مثال يليق به.

(١٥٢/١)

الدُّعاء عليه ، وهو خلاف المقصود ، لأن الغرض الدعاء له» (١)

ولهذا (وجب أيضاً الوصلُ)

وعطف (الجملة الثانية) الدُعائية الإنشائية على (الجملة الأولى) الخبرية المصوَّرة بلفظ «لا» لدفع الإيهام ، وكل من الجملتين لا محل له من الاعراب

الثالث –إذا كان (للجملة الأولى) محلٌ من الاعراب ، وقصد تشريك (الجملة الثانية) لها في الاعراب حيث لا مانعَ ، نحو : علي ّ يقول ، ويفعل (٢)

---

(١) كما حكى : أن (أبا بكر) مر برجل : في يده ثوب ، فقال له : أتبيع هذا : فقال) الرجل «لا – يرحمك الله» فقال أبو بكر «لا تقل هكذا» قل «لا – ويرحمك الله ، وهكذا إذا سئلت عن مريض : هل أبل ؟ ؟ فقل «لا – وشفاه الله» حتى لا يتوهم السامع أنك تدعو عليه ، وأنت تريد الدعاء له ، فالجملة الأولى المدلول عليها بكلمة «لا» خبرية ، والثانية إنشائية في المعنى ، لأنها لطلب الرحمة الشفاء ، وكان الواجب الفصل بينهما ، لولا ما يسببه الفصل من الوهم.

(٢) فجملة (يقول) في محل رفع خبر المبتدأ ، وكذلك جملة : (ويفعل) معطوفة على جملة يقول : وتشاركها بأنها في محل رفع خبر ثان للمبتدأ ، فاشتراك الجملتين في الحكم الاعرابي يوجب الوصل وحكم هذه الجملة حكم المفرد المقتضى مشاركة الثاني للأول في إعرابه والأحسن أن تتفق الجملتان في الاسمية والفعلية ، والفعليتان في الماضوية والمضارعية أي : أن تعطف الاسمية على مثلها ، وكل من الماضوية والمضارعية على مثلها وكذا الاسميتان في نوع المسند من حيث الافراد – والجملة – والظرفية : ولا يحسن العدول عن ذلك إلا لأغراض

«أ» كحكاية الحال الماضية ، واستحضار الصورة الغريبة في الذهن ، نحو : (إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله ، ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون)

«ب» وكافادة التجدد في إحداهما ، والثبوت في الأخرى – نحو :

(أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين) فقد لوحظ في الأولى إحداث تعاطى الحق وفي الثانية الاستمرار على

اللعب ، والثبات على حالة الصبا – ونحو : الصديق يكاتبني وأنا مقيم على وده ، وذلك لأن الدلالة على التجدد تكون بالجملة الفعلية ، وعلى الثبات بالجملة الاسمية – ومثل هذا : يحصل عند إرادة المضي في إحداهما والمضارعية في الأخرى..

(١٥٣/١)

تمرين

وضّح أسباب الوصل في الجمل الآتية :

(١) قال الله تعالى «ولا تجعل يدك مغلولةً إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً »

(٢) وقال تعالى «ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً »

(٣) وقال تعالى «يأيها الناس إنما أنا لكم نذير مُبين ، فالذين آمنوا وعملُوا الصالحات لهم مغفرةٌ ورزقٌ كريمٌ ، والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك أصحاب الجحيم»

(٤) وقال صلى الله عليه وسلم : «اتَّق الله حيثما كُنت ، واتبع السيئةَ الحسنةَ تمحُها ، وخالق الناس بخلُق حسن»

(٥) قال ابو العتاهية :

تأتي المكاره حين تأتي جُملةً وأرَى السرور يجيء في الفلتات

(٦) وقال المتنبي :

وكل امرىء يُولي الجميلَ مُحببٌ وكلُّ مكان يُنبتُ العزَّ طيّب

(٧) وقال المعري :

ولدك وادلُله على رشدٍ ولا تقل هو طفلٌ غيرُ مُحتلم

فربَّ شقٍ براس جرٍّ منفعةً وقس على نفع شق الرأس في القلم

(٨) وقال :

يصونُ الكريمُ العرضَ بالمال جاهداً وذو اللؤم للأموال بالعِرض صائنُ

(٩) وقال مسلم بن الوليد :

يجودُ بالنفس إن ضنّ الجوادُ بها والجودُ بالنفس أقصى غاية الجود

(١٠) وقال أبو نواس :

نسيبك : من ناسبتَ بالودّ قلبه وجارُك من صافيت لا من تصاقب

(١١) وقال الغزى :

إنما هذه الحياة متاعٌ والسفيه الغني منَ يصطفيها

ما مضى فات ، والمؤملُ غيب ولكَ الساعة التي أنتَ فيها

تمرين آخر

بين أسباب الفصل في الأمثلة الآتية :

قال الله تعالى :

(١) «وضرب لنا مثلا ونسي خلقه ُ ، قال من يـُحيي العظام وهي رميم ، قل يـُحييها الذي أنشاها أول مرةٍ »

(٢) وقال تعالى «إن مع العـُسر يـُسراً ، إن مع العـُسر يـُسرا»

(٣) وقال تعالى «إنَّ فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة ً منهم يـُذبح ُ أبناءهم ويستحي نساءهم إنه كان من المفسدين»

(٤) وقال تعالى «إنَّ الذين كفروا سواء ٌ عليهم أأنذرتهـُم ام لم تنذرهم لا يؤمنون ، ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة»

(١٥٤/١)

(٥) وقال تعالى «وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبراً كأن لم يسمعها كأن في أذنية وقراً »

(٦) وقال تعالى «ونبئهم عن ضيف إبراهيم ، إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً ، قال إنا منكم وجلون ، قالوا لا توجل إنا نبشرك بغلام عليم ، قال أبشرتموني على أن مسني الكبر ُ فبم تبشرون ، قالوا بشرناك بالحقِ فلا تكن من القانطين»

(٧) قال أبو العتاهية :

الصمت ُ أجمل ُ بالفتى من منطقٍ في غير حينه

لا خير في حشو الكلام إذا اهتديت إلى عيوبه

كل ُ أمرىء في نفسه أعلى وأشرف من قرينه

(٨) قال أبو تمام :

ليس الكريم الذي يـُعطي عطيته ُ عن الثناء وا ِن أغلى به الثمنا

إن الكريم الذي يعطى عطيته لغير شيء سوى استحسانه الحسنا

لا يستثيب ببذل العـُرف محمدة ولا يمن إذا ما قلد المننا

(٩) وقال المتنبي :

لولا المشقة سادَ الناس ُ كلهم الجود ُ يفقر والإقدام ُ قتال ُ

(١٠) وقال الشريف الرضي :

لا تأمنن عدوا لان جانبه خشونة الصل عقبى ذلك اللين

(١١) وقال المعري :

لا يعجبنك إقبال يريك سناً إن الخلود َ لعمري غاية ُ الضرَّم

(١٢) وقال الخفاجي :

الناس شتى وا ِن عمّ تهم صور هي التناسب بين الماء والآل

(١٣) وقال أبو فراس :

لا تطلبنَّ دُنُوَّ دار من خليل أو معاشر

أبقى لأسباب المودة أن تزور ولا تجاور

(١٤) وقال الحُطيئة :

من يفعل الخيرَ لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

(١٥) وقال أعرابي قتل أخوه ابناً له :

أقول للنفس تأساءً وتعزيةً إحدى يدي أصابتني ولم تُرد

كلاهما خلفٌ من فقد صاحبه هذا أخي حين أدعوه وذا ولدي

(١٦) وقال الغزي :

من أغفل الشعرَ لم تعرَف مناقبِهُ لا يجتني ثمر من غير أغصان

(١٧) وقال ابن شرف :

لا تسأل الناسَ والأيام عن خبرٍ هما يبثانكَ الأخبار تفصيلا

(١٨) ولكل حسن آفة موجودة إن السراج على سناه يُدخن

(١٩)بالعلم والمال يبني الناس ملكُهم لم يبن ملك على جهل وإقلال

(١٥٥/١)

المبحث الثاني في مجمل مواضع الفصل (١)

من حق الجُمل : إذا ترادفت ووقع بعضها إثر بعض : أن تُربط بالواو لتكون على نسق واحد – ولكن قد يعرض لها ما يُوجب ترك الواو فيها : ويسمى هذا فصلا – ويقع في خمسة مواضع.

الأول –أن يكون بين الجملتين اتحادٌ تام : وامتزاج معنوي ، حتى كأنهما أفرغا في قالب واحد ، ويسمى ذلك «كمال الاتصال»

الثاني –يكون بين الجملتين تباينٌ تامٌ : بدون إبهام خلاف المراد ويُسمى ذلك «كمال الانقطاع»

الثالث –أن يكون بين الجملتين رابطة قوية ، ويُسمى ذلك «شبه كمال الاتصال»

الرابع – أن يكون بين الجملة الأولى والثاني (جملةٌ أخرى ثالثة متوسطة) حائلة بينهما

فلو عُطفت الثالثة على «الأولى المناسبة لها» لتوهم أنها معطوفة على «المتوسطة»فيُترك العطف ، ويسمى ذلك «شبه كمال الانقطاع»

الخامس – أن يكون بين الجملتين تناسب وارتباط ، لكن يمنع من عطفهما مانع : وهو عدم قصد اشتراكهما في الحكم ، ويسمى ذلك «التوسط بين الكمالين»

المبحث الثالث

في تفصيل مواضع الفصل الخمسة السابقة

أحياناتتقارب الجمل في معناها تقارباً تاما ، حتى تكون الجملة الثانية كانها الجملة الأولى ، وقد تتقطع الصلة بينهما

إمَّا : لاختلافهما في الصورة ، كأن تكون إحدى الجملتين إنشائية والأخرى خبرية.

وا مّا لتباعد معناهمابحيث لا يكون بين المعنيين مناسبة ، وفي هذه الأحوال يجب الفصل في كل موضع من المواضع الخمسة الآتية – وهي :

الموضع الأول – «كمال الاتصال»وهو اتحاد الجملتين اتحاداً تاماً : وامتزاجاً معنوياً بحيث تنزل الثانية من الأولى منزلة نفسها.

---

(١)الفصل : ترك الربط بين الجملتين : إما لأنهما متحدتان صورة ومعنى ، أو بمنزلة المتحدتين : وا مما لأنه لا صلة بينهما في الصورة ، أو في المعنى .

«أ» بأن تكون الجملة الثانية بمنزلة البدل من الجملة الأولى ، نحو : (واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون أمدكم بأنعام وبنين) (١)

أو«ب»بأن تكون الجملة الثانية بيانا لإبهام في الجملة الأولى كقوله تعالى (فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد) فجملة (قال يا آدم) : بيان لما وسوس به الشيطان اليه.

«جـ» أو : بأن تكون الجملة الثانية مؤكدة للجملة الأولى (بما يشبه أن يكون توكيدا لفظياً أو معنوياً) كقوله تعالى (فمهل الكافرين أمهلهم رويدا) وكقوله تعالى (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا) فالمانع من العطف في هذا الموضع اتحادالجملتين اتحاداً تاماً يمنع عطف الشيء على نفسه «ويوجب الفصل».

الموضع الثاني – «كمال الانقطاع»وهو اختلاف الجملتيت اختلافاً تاماً.

«أ»بأن يختلفا خبراً وانشاء : لفظاً ومعناً ، أو معنى فقط ، نحو : حضر الأمير حفظه الله ، ونحو : تكلم إني مصغ اليك – وكقول الشاعر :

وقال رائدهم أرسوا نزاولها فحتف كل امرىء يجري بمقدار (٢)

---

(١) هذا في بدل البعض – وأما في بدل الكل : نحو قوله تعالى دبل قالوا مثل ما قال الأولون ، قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) فجملة (قالوا آئذا متنا وكنا تراباً) كالبدل المطابق – وأما بدل الاشتمال فنحو قوله أقوله أرحل لا تقيمن عندنا وانلا : فكن في السر والجهر مسلماً فجملة لا تقيمن بمنزلة البدل في جملة (ارحل) بدل اشتمال لأن بينهما مناسبة بغير الكلية والجزئية.

(٢) أي أوقفوا السفينة كي نباشر الحرب ، ولا تخافوا من الموت ، فان لكل أجل كتابا – أي فالمانع من

العطف في هذا الموضع أمر ذاتي لا يمكن دفعه أصلا ، وهو كون إحداهما جملة خبرية ، والأخرى إنشائية ، ولا جامع بينهما .

(١٥٧/١)

«ب» أو : بألا تكون بين الجملتين مناسبة في المعنى ولا ارتباط ، بل كل منهما مستقل بنفسه – كقولك : علي ّ كاتب – الحمام طائر ، فأُنه لا مناسبة بينتاكة علي ّ وطيران الحمام.

وكقوله : إنّ ما المرء بأصغريهِ كل امرىء رهنٌ بما لديه

فالمانع من العطف في هذا الموضع «أمر ذاتي» لا يمكن دفعه أصلا وهو التباين بين الجملتين ، ولهذا وجب الفصل ، وترك العطف.

لأنَّ العطف يكون للربط ، ولا ربط بين جملتين في شدَّة التباعد وكمال الانقطاع.

الموضع الثالث – «شبه كمال الاتصال» وهو كون الجملة الثانية قوية الارتباط بالأولى ، لوقوعها جواباً عن سؤال يفهم من الجملة الأولى فتُفصلُ عنها ، كما يفصل الجواب عن السؤال – كقوله تعالى :

(وما أبرىءُ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء) (١) – ونحو : قول الشاعر

زعم العوازل أنني في غمرة صدقوا ، ولكن غمرتي لا تنجلي

«ط» كأنه سئل : أصدقوا في زعمهم أم كذبوا ؟ ؟ فاجاب : صدقوا» (٢)

---

(١) الجملة الثانية شديدة الارتباط بالجملة الأولى لأنها جواب عن سؤال نشأ من الأولى ، لم لا تبرىء نفسك ؟ ؟ فقال «إن النفس لأمارة بالسوء ، فهذه الرابطة القوية بين الجملتين مانعة من العطف ، فأشبهت حالة اتحاد الجملتين – وبذلك ظهر الفرق بين كمال الاتصال ، وشبه كمال الاتصال.

(٢) وبيان ذلك بعبارة أخرى أنه إذا اجتمعت جملتان : فذلك على خمسة أحوال أولا – أن تكون الثانية بمعنى الأولى ، أو جزءاً منها ، فيجب ترك العطف لأن الشيء لا يعطف على نفسه ، وكذا الجزء لا يعطف على كله .

فيقال حينئذ : إن بين الجملتين كمال الاتصال – ومواضعه :

«أ» أن تكون الثانية توكيداً للاولى –مثل قوله تعالى (ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم)

«ب» أن تكون الثانية بدلا من الأولى – مثل أطعت الله – أديت الصلاة .

«جـ» ان تكون الثانية بياناً للأولى – مثل بثني شكواه ، قال إني لا أجد قوت يومي.

ثانياً – أن تكون الثانية مباينة للاولى تمام المباينة ، فيجب ترك العطف لأن العطف يكون للربط ، ولا ربط بين المتباينين ، فيقال بين الجملتين كمال الانقطاع ، ومواضع ذلك .

«أ» أن تختلفا خبراً وا إنشاء مثل – مات فلان ، رحمه الله .

إلا إذا أوهم ترك العطف خلاف المقصود فيجب العطف نحو لا وشفاك الله «ب»أن تنحدا خبرا وا ٍنشاء ، ولكن لا يوجد بينهما رابط ، مثل القمر طالع – أكلت كثيرا

ثالثاً – أن تكون الجملتان متناسبتين وبينهما رابطة ، ويسمى ذلك التوسط بين الكمالين – وذلك على نوعين «أ» ألا يمنع من العطف مانع فيعطف – مثل اجتهدوا وتأدبوا .

«ب»أن يمنع من العطف مانع وهو عدم قصد التشريك في الحكم ، فيمتنع العطف مثل قوله تعالى (وا ٍذا خلو إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مشتهزئون الله يستهزىء بهم)

رابعا – أن تكون الثانية قوية الرابطة بالاولى ، لانها جواب عن سؤال يفهم من الاولى ، فهذه الرابطة القوية تمنع العطف ، لأنها أشبهت حالة اتحاد الجملتين (ويسمى ذلك (شبه كمال الاتصال) – مثل رأيته مبتسما ، أظنه نجح)

خامساً – أن تكون الأخيرة مناسبة للاولى ، ولا مانع من عطفها عليها ، ولكن يعرض حائل بينهما ، وهو جملة أخرى ثالثة متوسطة ، فلو عطفت الثالثة على الأولى لمناسبة لها ، لتوهم أنها معطوفة على المتوسطة ، فامتنع العطف بتاتا ، وأصبحت الجملتان كأنهما منقطعتان بهذا الحائل – ويسمى ذلك (شبه كمال الانقطاع) ، نحو : قول الشاعر

وتظن سلمى أنني أبغي بها بدلا أراها في الضلال تهيم

واعلم أن التركيب الذي تجاذبت فيه أسباب الوصل وتعاضدت دواعيه قد يفصل إما لمانع من تشريك الجملة الثانية مع الأولى ويسمى قطعا كما سبق ، وا ٍما لجعله جواب سؤال مقدر لأغناء السامع عنه ، أو لكراهة سماعه له لو سأل ، أو لكراهة انقطاع كلامه بكلام السائل ، أو للاختصار ، ويسمى الفصل لذلك استئنافا – كقوله :

في المهد ينطق عن سعادة جده أثر النجابة ساطع البرهان

على تقدير أنه جواب – كيف ينطق ؟ ؟ وهو رضيع لم يبلغ أوان النطق!»

(١٥٨/١)

ونحو : السيف اصدق أنباء من الكتب في حدّه الحدّ بين الجدّ واللعب

فكأنه استفَهم ، وقال : لمَ كان السيف أصدق ؟ ؟ : فأجاب بقوله : في حده : الخ فالمانع من العطف في هذا الموضع وجود الرابطة القوية بين الجملتين فأشبهت حالة اتحاد الجملتين – ولهذا (وجب أيضاً الفصل) الموضع الرابع «شبه كمال الانقطاع»وهو أن تُسبق جملة بجملتين يصحُ عطفها على الأولى لوجود المناسبة لكنوفي عطفها على الثانية فساد في المعنى ، فيُترك العطف بالمرّة : دفعاً لتوهّم أنه معطوف على الثانية – نحو

وتظُن سلمى أنّني أبغى بها بدلاً أراها في الضلال تَهيمُ

فجملة «أُراها»يصحّ عطفها على جملةتظُنُ »لكن يمنع من هذا توهّم العطف على جملة «أبغي بها»

فتكون الجملة الثالثة من مظنونات سلمى مع أنه غير المقصود –ولهذا امتنع العطف بتاتاً (ووجب أيضاً الفصل).

والمانع من العطف في هذا الموضع «أمر خارجي احتمالي» يمكن دفعه بمعونة قرينة» ومن هذا : ومما سبق ، يُفهم الفرق بين كل من «كمال الانقطاع – وشبه كمال الانقطاع»

«الموضع الخامس – التَّوسط بين الكمالين مع قيام المانع»وهو كون الجملتين متناسبتين : وبينهما رابطة قوية – لكن يمنع من العطف مانع ، وهو عدم قصد التشريك في الحكم كقوله تعالى (وإذا خلَوا إلى شياطينهم قالوا إنّا معكم إنّما نحن مستهزئون الله يستهزىء بهم»

فجملة «الله يستهزىء بهم»لا يصح عطفها على جملة إنّا معكم» لاقتضائه أنه من مقول المنافقين : والحال أنه من مقولة تعالى «دعاء عليهم» ولا على جملة «قالوا»لئلا يُتوهم مشاركته له في التقييد بالظرف – وأن استهزاء الله بهم مقيد بحال خُلوّهم إلى شياطينهم والواقع أن استهزاء الله بالمنافقين غير مقيد بحال من الأحوال –ولهذا (وجب أيضاً الفصل)

تنبيهان

(١٥٩/١)

الأول لمّا كانت الحال تجيء جملة ، وقد تقترن بالواو ، وقد لا تقترن فأشبهت الوصل والفصل ، ولهذا يجب وصل الجملة الحالية بما قبلها بالواو إذا خلت من ضمير صاحبتها – نحو جاء فؤاد والشمس طالعة (١)

---

(١) بيان ذلك أن الحال إما مؤكدة – فلا واو : للاتحاد بين الجملتين لأنها مقررة لمضمونها نحو سعد أبوك كريم وإما متنقلة – لحصول معنى حال النسبة (أي نسبة العامل إلى صاحب الحال) فلزم فيها أمران ، الحصول والمقارنة : فالحال المفردة صفة في المعنى ، فلا تحتاج لواو للاتحاد وأما الحال الجملة – فالمضارع المثبت لا يؤتى له بواو للارتباط معنى ، لوجود الحصول والمقارنة معا ، فلا حاجة للربط بها – نحو (وجاءوا أباهم عشاء يبكون) – ونحو ، قدم الأمير تتسابق الفرسان أمامه ، ولا يجوز وجاؤا أباهم عشاء ويبكون ، ولا قدم الامير وتتسابق وهذه إحدى المسائل السبع المذكورة في النحو التي تمتنع فيها الواو

الثانية – الحال الواقعة بعد عاطف نحو (فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون) .

الثالثة – المؤكدة لمضمون الجملة – نحو (هو الحق لا شك فيه ، ذلك الكتاب لا ريب فيه)

الرابعة – الماضي التالي إلا –نحو ما تكلم زيد الا قال خيراً –وقيل يجوز اقترانه بالواو – ما ورد في قوله :

نعم امرؤ هرم لم تعر نائبة إلا وكان لمرتاع وزرا

الخامسة – الماضي المثلو باو ، نحو – لأضربنه ذهب أو مكث – ومنه قول الشاعر

كن للخليل نصيراً جار أو عدلا ولا تشح عليه جاد أو بخلا

السادسة – المضارع المنفي بلا – نحو وما لنا لا نؤمن بالله ، ما لي لا أرى الهدهد – وقوله
لو أن قوما لارتفاع قبيلة دخلوا السماء دخلتها لا أحجب
السابعة – المضارع المنفي بما – كقوله :
عهدتك ما تصبو وفيك شبيبة فما لك بعد الشيب صبا متيماً
وأبعد الجمل في الصلاح للحالية الجملة الأسمية لدلاتها على الثبوت – لا على الحصول والمقارنة ، فيجب فيها الواو – نحو (فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) وقد يكتفى فيها بالضمير ندورا – نحو كلمته فوه إلى في – أي مشافهة – ثم الماضي مثبتا لعدم المقارنة فيحسن معها الواو ، لان الماضي يدل على الحصول المتقدم لا الحصول حال النسبة.
وتجب «قد» تحقيقا أو تقديراً – لتقربه من الحال ، أي لتجعل (قد) الفعل الماضي الدال على حصول متقدم – لا حصول حال النسبة قريبا من حال النسبة ، لا من حال التكلم – إذ اللازم في الحال مقارنتها لزمان النسبة لا لزمان التكلم –وا نما اكتفى بهذا التقريب في صحة الحال وان كان اللازم الاقتران – إما لانه ينزل قرب الحال إلى زمان النسبة منزلة المقارنة مجازاً –وا ما لانه يعتبر قربها في الفعل هيئة للفعل – فاذا قلت جاءني زيد وقد ركب – فكأنك نزلت قرب ركوبه من مجيه منزلة مقارنته له – أو جعلت كون مجيئه بحيث يقرب منه ركوبه هيئة لمجيئه ، وحالا له – قالوا – وتمتنع (قد) مع الماضي الممتنع ربطه بالواو ، وهو التالي إلا والمتلو بأو – لكن في (شرح الرضي) – أنهما قد يجتمعان بعد إلا – نحو ما لقيته إلا وقد أكرمني ، ويلي الماضي المثبت ، الماضي المنفي ، لأنه هيئة للفعل بالتأويل ، لان قولك جاء زيد ليس راكبا – في قوة جاء زيد ماشيا ، فيتحقق الحصول ويستمر غالباً ، فيقارن كذلك فيحسن ترك الواو نظراً إلى تحقق الحصول والمقارنة –ويجوز ذكرها أيضا نظراً إلى كونه ما كان هيئة للفعل الا بعد تأويل –ونظراً إلى كون استمراره أغلبياً لا دائمياً والأحسن في الظرف اُذا وقع حالا ترك الواو نظراً للتقدير بمفرد ، تقول نظرت الهلال بين السحاب ، ومثله الجار والمجرور ن نحو فخرج على قومه في زينته – ونحو أبصرت البدر في السماء – وان جوزوا الواو بتقدير فعل ماض ، وما يخشى فيه التباس
الحال بالصفة أتى فيه بالواو وجوباً ، ليتميز الحال ، فيقال جاء رجل ويسعى – إذا لو قيل : يسعى – لالتبس الحال بالصفة في مثله.

(١٦٠/١)

ويجب فصلها في ثلاثة مواضع
(١) إذا كان فعلها ماضياً تالياً «إلا» – أو وقع ذلك الماضي قبل «أو» التي للتسوية –نحو ما تكلّم فؤاد إلا قال خيراً – وكقول الشاعر
كُن للخليل نَصيراً جارَ أو عدلا ولا تَشحّ عليه جاد أو بخلا
(٢) إذا كان فعلهضارعا مُثباً أو منفياً «بما – أو – لانحو : (وجاءوا أباهم عشاء يبكون) ونحو : (وَما

لنا لا نؤمن بالله) ونحو :

عهدتُ : ما تصبو وفيك شبيةٌ فما لكَ بعد الشيب صبًّا مُتيَّما

(٣) إذا كانت جملة اسمية واقعة بعد حرف عطف – أو كانت اسمية مؤكدة لمضمون ما قبلها – كقوله تعالى (فجاءها بأسنا بياتاً أو هم قائلون) وكقوله تعالى (ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) (١)

---

(١) لما كان قوله (ذلك الكتاب) فيه مظنة مجازفة بسبب ايراد المسند إليه اسم إشارة – والمسند معرفا بال –أكده بقوله (لا ريب فيه) تأكيداً معنويا ، ولما كانت الدعوى المذكورة مع إدعاء عدم المجازفة مظنة استبعاد – أكده بقوله «هدى للمتقين»تأكيداً لفظياً – حتى كأنه نفس الهداية.

(١٦١/١)

الثاني –علم مما تقدّم أن من مواضع الوصل اتفاق الجملتين في الخبرية والانشائية – ولابد مع اتفاقهما من (جهة) بها يتجاذبان ، وأمر (جامع) به يتآخذان ، وذلك (الجامع) : إما – عقلي (١) – أو : وهمي (٢)

---

(١) فالجامع العقلي – أمر بسببه يقتضي العقل إجتماع الجملتين في القوة المفكرة كالاتحاد في المسند : أو المسند إليه – أو في قيد من قيودهما –نحو زيد يصلي ويصوم ويصلي زيد وعمرو .. وزيد الكاتب شاعر ، وعمرو الكاتب منجم ، وزيد كاتب ماهر ، وعمرو طبيب ماهر –وكالتماثل والاشتراك فيهما – أو في قيد من قيودهما أيضا بحيث يكون لاتماثل له نوع اختصاص بهما أو بالقيد – لا مطلق تماثل – فنحو زيد شاعر وعمر وكاتب لا يحسن إلا إذا كان بينهما مناسبة ، لها نوع اختصاص بهما – كصداقة أو أخوة أو شركة أو نحو ذلك – وكالتضايف بينهما ، بحيث لا يتعقل أحدهما الا بالقياس إلى الآخر ، كالأبوة مع البنوة – والعلة مع المعلول – والعلو والسفل – والأقل والأكثر – إلى غير ذلك .

(٢) والجامع الوهمي – أمر بسببه يقتضى الوهم اجتماع الجملتين في المفكرة ، كشبه التماثل الذي بين نحو لوني البياض والصفرة – فان الوهم يبرزهما في معرض المثلين من جهة أنه يسبق إليه أنهما نوع واحد ، زائد في أحدهما عارض في الآخر – بخلاف العقل فانه يدرك أنهما نوعان متباينان داخلان تحت جنس واحد ، هو اللون – وكالتضاد بالذات – وهو التقابل بين أمرين وجوديين بينهما غاية الخلاف – يتعاقبان على محل واحد – كالسواد والبياض – أو التضاد بالعرض كالاسود والأبيض – لأنهما ليسا ضدين لذاتهما لعدم تعاقبهما على محل واحد – بل بواسطة ما يشتملان عليه من سواد وبياض – وكشبه التضاد كالسماء والأرض –فان بينهما غاية الخلاف ارتفاعاً وانخفاضاً ، لكن لا يتعاقبان على محل واحد ، كالتضاد بالذات ، ولا على ما يشمله كالتضاد بالعرض ..

(١٦٢/١)

– أو : خيالي (١)

تمرين آخر

عين أسباب الوصل والفصل في الأمثلة الآتية :

قال الله تعالى :

١– «ما اتخذ الله من ولد ، و ما كان معه من إله ، إذا لذهب كل آلة بما خلق ، ولعلا بعضهم على بعض ، سبحان الله عما يصفون».

٢– وقال الله تعالى «قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ، ويحفظوا فروجهم ، ذلك أزكى لهم ، إن الله خبير بما يصنعون».

٣– وقال تعالى «له مقاليد السموات والأرض ، يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، إنه بكل شيء عليم»

٤– وقال تعالى «يسبح لله ما في السموات وما في الأرض ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن ، والله بما تعملون بصير ، خلق السموات والأرض بالحق وصوركم فأحسن صوركم وإليه المصير ، يعلم ما في السموات والأرض ، ويعلم ما تسرون وما تعلنون ، والله عليم بذات الصدور».

٥– قال أبو العتاهية :

وإذا ابتليت ببذل وجهك سائلا فابذله للمتكرم المفضال

---

(١) والجامع الخيالي – أمر بسببه يقتضي الخيال اجتماع الجملتين في المفكرة ، بأن يكون بينهما تقارن في الخيال سابق على العطف لتلازمهما في صناعة خاصة ، أو عرف عام – كالقدوم ، والمنشار ، والمنقاب – في خيال النجار.

والقلم والدواة ، والقرطاس – في خيال المكاتب.

وكالسيف والرمح ، والدرع – في خيال المحارب – وهلم جرا وللقرآن الكريم اليد البيضاء في هذا الباب – كقوله تعالى (أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الارض كيف سطحت) – فالمناسبة بين الابل والسماء – وبينهما وبين الجبال والأرض غير موجودة بحسب الظاهر ولكنه (أسلوب حكيم) في غاية البلاغة – لانه لما كان لخطاب مع العرب ، وليس في تخيلاتهم إلا الابل ، لأنها راس المنافع عندهم – والأرض لرعيها والسماء لسقيها – وهي التي توصلهم إلى الجبال التي هي حصنهم عند ماتفاجئهم حادثة أورد الكلام على طبق ما في مخيلاتهم .

ما أعتاض باذل وجهه بسؤاله عوضا ولو نال الغنى بسؤال

٦– وقال :

من عرف الناسَ في تصرّفهم لم يتتبع من صاحب زللا
إن أنت كافأتَ من أساء فقد صرتَ إلى مثل سوء ما فعلا

٧- قال أبو تمام :

أولى البرية حقا أن تُراعيهُ عند السرور الذي آساكَ في الحَزنِ
إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا من كان يألفهم في المنزل الخشن

٨- وقال المتنبي :

ذلّ من يغبط الذليل بعيش رب عيش أخفّ منه الحمام
من يهن يسهل الهوانُ عليه ما لجُرحٍ بميت إيلام

٩- وقال :

أفاضلُ الناس أغراض لذا الزمن يخلو من الهم أخلاهم من الفطَن

١٠- وقال أيضاً :

إذا نحن شبهناكَ بالبدر طالعاً بخسناك حقا أنت أبهى وأجمل

١١- وقال بشار :

الشيب كُرهٌ وكرهٌ أن يفارقني إعجب لشيء على البغضاء مودودُ

١٢- وقال ابو نواس :

عليك باليأس من الناسِ إن غنَى نفسك في اليأسِ

وقال المعري :

إن الشبيبة نارٌ إن أردتَ بها أمراً فبادر انّ الدهر مطفيها

وقال الطغرائي :

جامل عدوك ما استطعتَ فانّه بالرفق يُطمعُ في صلاح الفاسد
واحذرِ حسودك ما استطعت فانه إن نمتَ عنه فليس عنك براقد

اسئلة على الوصل والفصل يطلب اجوبتها

ما هو الوصل ؟ – ما هو الفصل ؟ – كم موضعاً للوصل ؟ – كم موضعاً للفصل ؟ – ما هو الجامع العقلي ؟ – ما هو الجامع الوهمي ؟ ما هو الجامع الخيالي ؟ – متى يجب وصل الجملة الحالية بما قبلها ؟ – في كم موضع يجب فصل الجملة الحالية.

تطبيق عام على الوصل والفصل

جربت دهري وأهليه فما تركت لي التجارب في ود امرىء غرضاً

فصلت الثانية ، لشبه كما الاتصال ، فانها جواب سؤال

(يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله).

فصلت الثانية لشبه كمال الاتصال ، فانها جواب سؤال ناشىء مما قبلها.

فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا – عطف الجملة الثانية على الأولى لاتفاقهما في الانشاء ، مع المناسبة التامة بين المفردات ، فان المسند إليه فيهما متحد ، والمسند وقيدهما متقابلان.

(١٦٤/١)

(إن الأبرار لفي نعيم وا ِن الفجار لفي جحيم) –عطف الجملة الثانية على الأولى لاتفاقهما خبراً ، لفظاً ومعنى ، مع المناسبة التامة بين مفرداتها – فان المسندين المقدرين فيهما متحدان ، والمسندان اليهما متقابلان ، وقيدهما الأول متحد ، والثاني متقابل.

أشكر الله على السراء بنجيك من الضراء – لم تعطف الثانية على الأولى لكمال الانقطاع ، فان الأولى انشائية لفظا ومعنى – والثانية عكسها.

اصبر على كيد الحسود لا تضجر من مكائده – لم تعطف الثانية على الأولى لكمال الاتصال ، فانها مؤكدة لها.

أنت حميد الخصال – تصنع المعروف وتغيث الملهوف – فصلت الثانية من الأولى لكمال الاتصال ، فانها بيان لها ، ووصلت الثالثة بالثانية للتوسط بين الكمالين ، مع وجود مانع من الوصل.

تمرين (١)

بين سر الفصل والوصل فيما يلي :

(١) أخطُ مع الدهر إذ ... ا ما خطا وجسر معَ الدهر كما يجري (١)

(٢) لا تدعه إن كنت تنصف نائباً ما هذه الدنيا بدار قرار

(٣) حكم المنية في البرية جاري هو في الحقيقة نائمٌ لا نائب (٢)

(٤) قال لي كيف نأُ قلتُ عليل سهر دائم وحزن طويل (٣)

(٥) قالت بليت فما نراك كعهدنا ليت العهود تجددت بعد البلى (٤)

---

(١) وصل بين الجملتين لاتفاقهما إنشاء ، مع وجود المناسبة وعدم المانع.

(٢) فصل الشطر الثاني عن الأول : لانه توكيد معنوي له – إذ يفهم من جريان حكم الموت على الخلق أن الدنيا ليست دار بقاء ، فأكد ذلك بالشطر الثاني ، فبينهما كمال الاتصال .

(٣) فصل الشطر الثاني عن الاول لاختلافهما خبراً وانشاء ، إذ الثاني خبر ، والاول إنشاء – فبينهما كمال الانقطاع.

(٤) فصل بين قال وقلت – لأن الثاني جواب سؤال – إذ جرت العادة أنه إذا قيل للرجل كيف أنت ؟ ؟ أن يجيب أنا عليل – وكذا بين جملتي سهر دائم وحزن طويل ، فكانه قيل : فما سبب علتك ؟ فأجاب سهر دائم الخ – ففي كل منهما (شبه كمال الاتصال) .

(١٦٥/١)

(٦) وترى الجبال تحسبها جامدة ً (١)

وا ٍنما المرء ُ بأصغريه كل امرىء رهن بما لديه

لا تطلبن بألة لك حاجة قلم البليغ بغير حظ مغزل ُ

(٧) يرى البخيل سبيل المال واحدة إن الكريم يرى في ماله سبلا (٢)

(٨) نفسى له نفسى الفداء لنفسه لكن ّ بعض المالكين عفيف (٣)

(٩) (ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم). (٤)

(١٠) (يدبر الأمر يفصـ ّل ُ الآيات لقوم يعقلون). (٥)

(١١) (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى علمه ُ شديد القوى). (٦)

(١٢) (قالوا سلاماً ، قال سلام). (٧)

(١٣) يهوى الثناء مبَّرز ومقصـ ّر حب ٌ الثناء طبيعة الانسان (٨)

---

(١) بين الشطر الثاني والاول كمال الانقطاع لان أولهما خبر والثاني إنشاء .

(٢) بين جملتي ترى وتحسب كمال الاتصال لأن الثانية بدل اشتمال من الأولى

(٥) بين الشطر الثاني والأول شبه كمال الاتصال لأن الثانية جواب عن سؤال مقدر نشأ من الأولى : كأنه قيل : فما حال الكريم في ماله ؟ ؟ فقال إن الكريم الخ.

(٣) بين نفسي له ، ونفس الفداء (كمال الاتصال) لأن الثانية توكيد لفظي للأولى .

(٤) (إن هذا إلا ملك) –توكيد معنوي لقوله ما هذا بشراً ، إذ مجرى العادة والعرف أنه إذا قيل في معرض المدح : ما هذا بشراً ، وما هذا بآدمي أن يكون الغرض أنه ملك ، فيكنى به عن ذلك ، فبينهما كمال الاتصال.

(٥) بين يدبر ، ويفصل : كمال الاتصال ، لأن الثانية بدل بعض من كل .

(٦) بين قوله وما ينطق عن الهوى ، وقوله إن هو الا وحي يوحى ، كمال الاتصال لأن الثانية توكيد معنوي لأن تقرير كونه وحيا نفي لأن يكون عن هوى .

(٧) بين قالوا ، وقال : شبه كمال الاتصال ، لأن الثانية جواب عن سؤال مقدر كأنه قيل : فماذا قال لهم ! حينئذ ؟ ؟ أجيب بأنه قال سلام – وهكذا الحال في حكاية القصص في كل ما جاء في القرآن الكريم ، والحديث النبوي ، وكلام العرب .

(٨) فصل بين الشطر الثاني والأول ، لأن بينهما كمال الاتصال – إذ الشطر الثاني مؤكد للأول .

(١٤) (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله). (١)

(١٥) (وا ٍذا تتلى عليه آياتنا ولي مستكبراً كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا) (٢)

(٦)ألا من يشتري سهراً بنوم سعيد من يبيت ُ قرير عين (٣)
(٧)فآبوا بالرماح مكسّرات وأبنا بالسيوف قد انحنينا (٤)
(٨)فما الحداثة عن حلم بمانعة قد يوجدا الحلم ُ في الشبان والشيب (٥)
(٩)يقولون إني أحمل الضيّم عندهم أعوذ بربي أن يُضام نظيري (٦)
(١٠) (إنّ الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون). (٧)
(١١)فيا موت ُ زُر إنّ الحياة ذميمة ويا نفس ُ جدّي إن دهرك هازك (٨)

---

(١) فصل جملة يخادعون عما قبلها لأن بينهما كمال الاتصال ، لان هذه المخادعة ليست شيئاً غير قولهم آمنا – دون أن يكونوا مؤمنين ، فهي إذا توكيد معنوي للاولى .
(٢) فصلت جملنا (كأن لم يسمعها – وكأن في أذنيه وقرا) عما قبلهما لانهما كالتوكيد له ، إذ المقصد من التشبيهين واحد ، وهو أن ينفي الفائدة في تلاوة ما تلى عليه من الآيات – فهما من كمال الاتصال.
(٣) فصل الشطر الثاني عن الاول لاختلافهما خبرا وا إنشاء – فبينهما كمال الانقطاع.
(٤) بين جملتي آبوا وابنا ، توسط بين الكمالين لاتفاقهما في الخبرية مع وجود المناسبة .
(٥) بين الشطر الثاني والاول شبه كمال الاتصال ، إذ الثاني جواب سؤال مقدر .
(٦) هذا البيت من حيث عدم عطف أعوذ على ما قبله ، على حد قوله : وتظن سلمى الخ .
(٧) لم تعطف على ما قبلها مع أن بينهما مناسبة في المعنى بالتضاد ، لانها مبينة لحال الكفار ، وما قبلها مبين لحال المؤمنين ، وان بيان حال المؤمنين غير مقصود لذاته ، بل ذكر استتباعا لبيان حال الكفار ، وليس بين بيان حال المؤمنين وحال الكفار مناسبة تقتضي الوصل.
(٨) لم يعطف قوله أن الحياة : على ما قبله لأنه جواب لسئوال مقدر كأنه قيل لماذا تطلب زيارة الموت ؟ ؟ فأجاب إن الحياة ذميمة.

(٢٢) (يذبحون أبناءكم ُ ونكم سُوء العذاب يُذبحون أبناءكم). (١)
(٢٣) (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمُرُّ مرَّ السحاب) (٢)
(٢٤) (يُدبر ُ الأمر يفصل الآيات) (٣)
(٢٥) (ومن يفعل ذلك يلقَ أثاماً يضاعف له العذاب). (٤)

الباب ُ التاسع

في الايجاز والاطناب والمساواة

كلُّ ما يجُول في الصدر من المعاني ، ويَخطُر ببالك معنى منها لا يعدُو التعبير (٥) عنه طريقاً من طرق ثلاث :

أولاً – إذا جاء التعبير على قدر المعنى ، بحيث يكون اللفظ مساوياً لأصل ذلك المعنى – فهذا هو «المساواة» –

وهي الأصل الذي يكون أكثر الكلام على صورته ، والدستور الذي يقاس عليه.

ثانياً – إذا اراد التعبير على قدر المعنى لفائدة ، فذاك هو «الإطناب» فإن لم تكن الزيادة لفائدة فهي حشو : أو تطويل.

ثالثا– إذا نقص التعبير على قدر المعنى الكثير ، فذلك هو «الايجاز» (٦)

---

(١) لم يعطف قوله يذبّحون على يسومون ، لكونه بيانا له

(٢) فجملة تحسبها جامدة – بدل اشتمال .

(٣) فجملة يفصل الآيات – بدل بعض .

(٤) فجملة يلق أثاما – بدل كل –وقد أنكر بدل الكل علماء البيان خلافاً للنحاة .

(٥) أي: إذا أردت أن تتحدث إلى الناس في معنى من المعاني ، فأنت تعبر عنه تعبيراً صحيحاً مقبولا في إحدى صور ثلاث وهي – المساواة ، والايجاز ، والاطناب .

(٦) قال الامام علي : ما رأيت بليغا قط إلا وله في القول إيجاز ، وفي المعاني إطالة وقالت بنت الخطيئة لأبيها – ما بال قصارك أكثر من طوالك ، قال : لانها بالآذان أولج ، وبالافواه أغلق – وقيل لشاعر – لم لا تطيل شعرك ؟ ؟ فقال : حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق .

(١٦٨/١)

كلّ ما يخطر ببال المتكلم من المعاني فله في التعبير عنه بإحدى هذه الطرق الثلاث ، فتارةً (يوجزُ) وتارة (يبسُط) ، وتارة يأتي بالعبارة (بين بين) ولا يُعدّ الكلام في صورة من هذه الصور بليغاً : إلا إذا كان مطابقاً لمُقتضى حال المخاطب ، ويدعو إليه مواطن الخطاب ، فاذا كان المقام للأطناب مثلا ، وعدلت عنه إلى : الايجاز ، أو المساواة لم يكن كلامك بليغاً – وفي هذا الباب ثلاثة مباحث.

المبحث الأول في الإيجاز وأقسامه

الايجاز – هو وضع المعاني الكثيرة في ألفاظ أقل (١) منها ، وافية بالغرض المقصود ، مع الإبانة والإفصاح ، كقوله تعالى (خذ العفو وأمرُ بالعرف وأعرض عن الجاهلين)

فهذه الآية القصيرة جمعت مكارم الأخلاق بأسرها – وكقولهتعالى (ألا لهُ الخلقُ والأمر) وكقوله عليه الصلاة والسلام إنّما الأعمال بالنّيات» فاذا لم تف العبارة بالغرض سمى «إخلالا وحذفاً رديئا» كقول اليشكري

والعيش خيرٌ في ظلا ل النوك ممّن عاش كدا

مراده :«أنّ العيشَ الناعم الرغد في حال الحُمق والجهل ، خيرٌ من العيش الشاق في حال العقل» لكن كلامه لا يُعدّ صحيحاً.

---

(١) بأن يكون اللفظ أقل من المعهود عادة ، مع وفائه بالمراد ، فان لم يف كان الايجاز إخلالا وحذفا رديئا فلا يعد الكلام صحيحاً مقبولا – كقول عروة بن الورد

عجبت لهم إذ يقتلون نفوسهم ومقتلهم عند الوغى كان أعذارا

يريد : إذ يقتلون نفوسهم في السلم – لكن صوغ كلامه لا يدل عليه ، ومثله قول بعضهم نثرا (فان المعروف إذا زجا كان أفضل منه إذا وفر وأبطأ) ولأجل تمام ما يريد : كان عليه أن يقول – إذا قل وزجا ، ولا يعد مثل هذا الكلام صحيحاً مقبولا واعلم أن متعارف أوساط البلغاء هم الذين لم يرتقوا إلى درجة البلغاء ، ولم ينخرط إلى درجة البسطاء ، فالمساواة : هي الدستور الذي يقاس عليه كل من الإيجاز والاطناب

(١٦٩/١)

مقبولا وينقسم الإيجاز إلى قسمين ، إيجاز قصرٍ (١)

---

(١) وايجاز القصر ، هو ما تزيد فيه المعاني على الالفاظ ، ولا يقدر فيه محذوف ويسمى (إيجاز البلاغة) لأن الأقدار تتفاوت فيه ، وللقرآن الكريم فيه المنزلة التي لا تسامى – والغاية التي لا تدرك.

فمن ذلك قوله تعالى (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) فهذه الآية قد جمعت مكارم الأخلاق ، وانطوى تحتها كل دقيق وجليل ، إذ في العفو الصفح عمن أساء ، وفي الأمر بالمعروف صلة الارحام ، ومنع اللسان عن الكذب وغض الطرف عن كل المحارم .. وقوله عز اسمه (والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس) استوعبت تلك الآية الكريمة أنواع المتاجر ، وصنوف المرافق التي لا يبلغها العد –وقوله (ألا له الخلق والأمر) هاتان كلمتان أحاطتا بجميع الأشياء على غاية الاستقصاء – وقوله عليه الصلاة والسلام (المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء ، وعودوا كل جسم ما اعتاد) فقد تضمن ذلك من المعاني الطبية شيئاً كثيرا وقول الامام علي كرم الله وجهه «من استقبل وجوه الآراء عرف وجوه الخطأ وقول بعض الأعراب (اللهم هب لي حقك وارض عني خلقك)

فسمعه الامام علي كرم الله وجهه فقال : هذا هو البلاغة ، ومنه قول السموءل

وا ِن هو لم يحمل على النفس ضيمها فليس إلى حسن الثناء سبيل

فقد اشتمل على حميد الصفات من سماحة وشجاعة وتواضع وحلم وصبر واحتمال مكاره في سبيل طلب الحمد – إذ كل هذه مما تضيم النفس لما يحصل في تحملها من المشقة والعناء والسبب فيما له من الحسن والروعة دلالة قليل الالفاظ على كثير المعاني إلى ما فيه من الدلالة على التمكن في الفصاحة والبراعة .

ولذا قال محمد الأمين «عليكم بالايجاز : فان له إفهاما ، وللاطالة استبهاماً » وقال آخر «القليل الكافي خير من كثير غير شاف» .

(١٧٠/١)

وا يجاز حذف (فإيجاز القصر) «ويسمى إيجاز البلاغة» يكون بتضمين المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة من غير حذف ، كقوله تعالى (ولكم في القصاص حياة) ، فان معناه كثير ، ولفظه يسير ، إذ المراد بأن الانسان إذا علم أنه متى قتل قُتل : امتنع عن القتل ، وفي ذلك حياته وحياة غيره ، لأن القتل أنفى للقتل (١) وبذلك تطول الأعمار ، وتكثر الذرية ، ويقبل كل واحد على ما يعود عليه بالنفع ، ويتم النظام ، ويكثر العمران فالقصاص : هو سبب ابتعاد الناس عن القتل ، فهو الحافظ للحياة وهذا القسم مطمح نظر البلغاء ، وبه تتفاوت أقدارهم ، حتى أن بعضهم سُئل عن (البلاغة) فقال : هي «إيجاز القصر» وقال أكثم بن صيفي خطيب العرب «البلاغة الإيجاز»(وايجاز الحذف) يكون بحذف شيء من العبارة لا يخلّ بالفهم ، عند وجود ما يدل على المحذوف ، من قرينة لفظية _ أو معنوية وذلك المحذوف – إما أن يكون.

(١) حرفاً –كقوله تعالى (ولم أكُ بغياً) – أصله : ولم اكن (٢)

(٢) أو إسماً مضافاً نحو – (وجاهدوا في الله حق جهاده) أي : في سبيل الله

---

(١) لقد أثر ونقل عن العرب قولهم «القتل أنفى للقتل» وأين هذا المثل من بلاغة هذه الآية الشريفة التي بلغت حد الاعجاز وتمتاز بوجوه – منها أنها كلمتان ، وما نقل عنهم أربع – ومنها أنه لا تكرار فيها ، وفيما قالوه تكرار –ومنها أنه ليس كل قتل يكون نافيا للقتل ، وا نما يكون كذلك إذا كان على جهة القصاص – ومنها حسن التأليف وشدة التلاؤم المدركان بالحس في الآية الكريمة التي أعجزتهم أن يأتوا بمثلها ، لا فيما قالوه في مثلهم البسيط الذي لا يزيد عن متعارف الاوساط

(٢) وكحذف لا في قول عاصم المنفري

رأيت الخمر جامدة وفيها خصال تفسد الرجل الحليما

فلا والله اشر بها حياتي ولا أسقى بها أبدا نديما

يريد : لا أشربها ويقع إيجاز الحذف كثيراً في أساليب البلغاءُ بشرط أن يوجد ما يدل على المحذوف ، وا لا كان الحذف رديئاً ، والكلام غير مقبول .

(١٧١/١)

(٣) أو إسما مضافاً إليه –(وَوَاعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر) أي : بعشر ليال.

(٤) أو إسما موصوفاً –كقوله تعالى (ومن تاب وعمل صالحاً) أي : عملا صالحاً.

(٥) أو إسما صفةً –نحو (فزادتهم رجساً إلى رجسهم) أي : مضافا إلى رجسهم.

(٦) أو شرطاً – نحو (اتبعوني يحببكم الله) أي : فان تتبعوني.

(٧) أو جواب شرط –نحو (ولو ترى إذ وقفوا على النار) أي : لرأيت أمراً فظيعاً.

(٨) أو مسنداً – نحو (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) أي : خلقهن الله.

(٩) أو مسنداً إليه – كما في قول حاتم

أماوى ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

أي إذا حشرجت النفس يوماً

(١٠) أو مـُتعلقا نحو : (لا يـُسأل عما يفعل وهم يسألون) أي عمـّا يفعلون

(١١) أو جملة نحو (كان الناس ُ امةً واحدة فبعث الله النبيين) أي فاختلـُفوا : فبعث.

(١٢) أو جـُمـَلا كقوله تعالى (فأرسلون يوسف أيها الصديق ُ) (١)

---

(١) فأرسلون حكاية عن أحد الفتيين الذي أر سله العزيز إلى يوسف ليستعبره ما رآه ، والعلم أنه لا بد من دليل يدل على المحذوف وهو – إما العقل وحده : نحو وجاء ربك –وا ٍما العقل مع غيره : نحو حرمت عليكم الميتة – أي تناولها –وا ٍما العادة : نحو (فذلكن الذي لمتنني فيه) –أي في مراودته ، وا ٍما الشروع فيه : نحو بسم الله الرحمن الرحيم –أي أؤلف مثلا ، وا ٍما مقارنة الكلام للفعل : كما تقول لمن تزوج «بالرفاه والبنين» أي أعرست متلبساً بالالفة والبنين .

(تنبيه) حذف الجمل أكثر ما يرد في كلام الله عز وجل ، إذ هو الغاية في الفصاحة ، والنهاية في مراتب البلاغة ، واعلم أن كلا من الحشو والتطويل يخل ببلاغة الكلام ، بل لا يعد الكلام معهما إلا ساقطا عن مراتب البلاغة كلها .

أي فأرسلوني إلى يوسف لأستعبره الرؤيا ، فأرسلوه فأتاه ، وقال له : يوسف والعلم أنّ دواعي الإيجاز كثيرة– منها الاختصار ، وتسهيل الحفظ وتقريب الفهم ، وضيقالمقام ، وا ٍخفاء الأمر على غير السَّامع ، والضجر والسآمة ، وتحصيل المعنى الكثير باللفظ اليسير – الخ.

ويـُستحسن «الإيجاز» في الاستعطاف ، وشكوى الحال ، والاعتذارات والتعزية ، والعتاب ، والوعد ، والوعيد – والتوبيخ ، ورسائل طلب الخراج ، وجباية الأموال ، ورسائل الملوك في أوقات الحرب إلى الولاة والأوامر : والنواهي الملكية ، والشكر على النعم.

ومرجعك في ادراك أسرار البلاغة إلى الذوق الأدبي والإحساس الروحي

المبحث الثاني في الإطناب وأقسامه

الإطناب : زيادة اللفظ على المعنى لفائدة ، أو هو تأدية المعنى بعبارة زائدة عن متعارف أوساط البلغاء : لفائدة تقويته وتوكيده نحو (رب إني وهنَ العظم مني واشتعل الرأس شيبا) –أي : كبرتُ فاذا لم تكن في الزيادة فائدة ، يسمى «تطويلا» إن كانت الزيادة في الكلام غير متعينة.

ويسمى «حشواً » إن كانت الزيادة في الكلام متعينة لا يفسد بها المعنى فالتطويل – كقول عدي العبادي : في جذيمةَ الأبرش

وقدَّدت الأديم لراهشيه وألفى قولها كذباً وميناَ (١)

(١) وقدت أي قطعت ، والضمير فيه يعود على الزباء ، وهي امرأة ورثت الملك عن أبيها – والأديم الجلد ، ولراهشيه ، أي : إلى أن وصل القطع للراهشين ، وهما عرقان في باطن الذراع يتدفق الدم منهما عند القطع – والضمير في ألفى يعود على المقطوع راهشاه ، وهو جذيمة الابرش ، والمراد الاخبار بأن جذيمة غدرت به الزباء ، وقطعت راهشيه ، وسأل منه الدم حتى مات ، وأنه وجد ما وعدته من تزوجه بها كذبا ومينا – وهما بمعنى واحد ، واحدى الكلمتين زائدة فلا يتغير المعنى باسقاط أيهما شئت وكقول الشاعر :

ألا حبذا هند وأرض بها هند وهند أتى من دونها التأى والبعد

فالنأي والبعد بمعنى واحد ، ولا يتعين أحدهما للزيادة .

(١٧٣/١)

فالمين ُ والكذب بمعنى واحد. ولم يتعين الزائد منهما ، لأن العطف بالواو : لا يفيد ترتيباً ولا تعقيباً ولا معية ، فلا يتغير المعنى باسقاط أيهما شئت والحشو – كقول زهير بن أبي سلمى :

وأعلم ُ علم اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم ما في غد عمي (١)

وكل من الحشو والتطويل معيب ٌ في البيان ، وكلاهما بمعزل عن مراتب البلاغة

واعلم ان دواعي الاطناب كثيرة ، منها تثبيت المعنى ، وتوضيح المراد والتوكيد ، ودفع الايهام ، وا ٍثارة الحمية – وغير ذلك وأنواع الاطناب كثيرة (٢)

(١) منها – ذكر الخاص بعد العام : كقوله تعالى (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى) وفائدته التنبيه على مزية : وفضل ٍ في الخاص حتى نه كأ ّنه جنس ٌ آخر ُ لفضله ورفعته ، مغاير لما قبله ولهذا خص الصلاة الوسطى (وهي العصر) بالذكر لزيادة فضلها.

(٢) ومنها – ذكر العام بعد الخاص : كقوله تعالى (٣) (رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات)

وفائدته شمول بقية الأفراد ، والاهتمام بالخاص لذكره ثانياً في عنوان عام ، بعد ذكره أولا في عنوان خاص.

(١) الشاهد في قوله – قبله ، لأنه معلوم من قوله أمس : وكقول الآخر

ذكرت أخي فعاودني صداع الرأس والوصب

فان الصداع لا يكون الا في الرأس ، فذكر الرأس لا فائدة فيه

(٢) ومنها الحروف الزائدة ، وتكثير الجمل – (نحو فبما رحمة من الله لنت لهم) .

(٣) من دعاء سيدنا نوح لنفسه ولوالديه وللمؤمنين

(١٧٤/١)

(٣) ومنها – الإيضاح بعد الإبهام ، لتقرير المعنى في ذهن السامع بذكره مرتين ، مرة على سبيل الإبهام والأجمال ، ومر ّ ة على سبيل التفصيل والإيضاح ، فيزيده ذلك نبلا وشرفاً كقوله تعالى : (يأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم) – وكقوله تعالى (وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوعٌ مصبحين) فقوله (أن دابر هؤلاء) تفسير وتوضيح لذلك (الأمر) المبهم وفائدته توجيه الذهن إلى معرفته ، وتفخيم شأن المبين ، وتمكينه في النفس فأبهم في كلمة (الأمر) ثم وضحه بعد ذلك تهويلا لأمر العذاب.

(٤) ومنها –التوشيع : وهو أن يؤتى في آخر الكلام بمثنى مفسر بمفردين ليُرى المعنى في صورتين ، يخرج فيهما من الخفاء المستوحش إلى الظهور المأنوس ، نحو : العلم علمان ، علم الأبدان ، وعلم الأديان.

(٥) ومنها – التكرير – وهو ذكر الشيء مرتين أو أكثر – لأغراض

الأو ّ ل – التأكيد وتقرير المعنى في النفس كقوله تعالى (كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون) (١) وكقوله تعالى (فانَّ مع العُسُراً إن مع العُسر يُسراً)

الثاني – طول الفصل –لئلا يجيء مبتوراً ليس له طلاوة كقوله تعالى«أبتِ إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين»، فكّرر (رأيت) لطول الفصل – ومن هذا قول الشاعر :

وا إنَّ امرأ دامت مواثيق عهده على مثل هذا إنه لكريمُ (٢)

الثالث – قصد الاستيعاب : نحو –قرأت الكتاب باباً باباً – وفهمته كلمة كلمة

الرابع – زيادة الترغيب في العفو كقوله تعالى (إن ّ من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم ، وا إن تعفو وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم)

---

(١) أي سوف تعلمون ما أنتم عليه من الخطأ إذا شاهدتم هول المحشر ، فقد أكد الانذار بتكريره ليكون أبلغ تأثيرا وأشد تخويفا.

(٢) الشاهد في تكرير (إن) التي في أول البيت ، وتكريرها في آخره في الأية الكريمة كرر (رأيت) لطول الفصل .

الخامس –الترغيب في قبول النصح باستمالة المخاطب لقبول الخطاب كقوله تعالى (وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاعٌ وا إن الآخرة هي دار القرار) – ففي تكرير (يا قوم) تعطيف لقلوبهم ، حتى لا يشكوا في إخلاصه لهم في نصحه.

السادس – التنويه بشأن المخاطب : نحو – إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن ابراهيم.

السابع التر ّ ديد : وهو تكرار اللفظ متعلقاً بغير ما تعلق به أولا نحو –السخي : قريب من الله ، قريبٌ من الناس ، قريب من الجنة والبخيل : بعيدٌ من الله ، بعيدٌ من الناس ، بعيدٌ من الجنة.

الثامن – التلذذ بذكره ، نحو قول مروان بن أبي حفصة

... سقى الله نجداً والسلام على نجد وياحبذا نجد على القُرب والبعد

التاسع –الارشاد إلى الطريقة المثلى ، كقوله تعالى (أولى لك فأولى ثم ّ أولى لك فأولى)

(٦) ومنها – الاعتراض لغرض يقصده المتكلم – وهو أن يؤتى في اثناء الكلام ، أو بين كلامين متَّصلين في المعنى ، بجملة معترضة : أو أكثر ، لا محل لها من الاعراب (١)

وذلك لأغراض يرمي إليها البليغغير َ د َفع الإيهام

(أ) كالدعاء – نحو : إني «حفظك اللهمريض ٌ .

وكقول عوف بن محلم الشيباني

---

(١) لم يشترط بعضهم وقوعه بين جزئي جملة ولا بين كلامينخ ، بل جوز وقوعه آخر الكلام مطلقا ، سواء وليه ارتباط بما قبله أولا – كقوله تعالى (وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) – فجملة ونعم الوكيل معترضة ، وليست معطوفة على ما قبلها ، حتى يلزم عطف الانشاء على الخبر.

(١٧٦/١)

إن الثمانين وب ُلغتها قد أحوجت سمعي إلى ترجمان (١)

(ب) والتنبيه على فضيلة العلم – كقول الآخر

واعلم فعلم ُ المرء ينفع ُه أن سوف يأتي كل ما قُدرا

(جـ) والتّنزيه – كقوله تعالى (ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون)

(د) وزيادة التأكيدكقوله تعالى (و َو َصينا الإنسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولولديك َ إليَّ المصير)

(هـ) والاستعطاف – كقول الشاعر :

وخفوق ِ قلب لو رأيت لهيبه يا جنّ تي لرأيت فيه جهنَّما

(و)والتهويل –نحو (وا ِنه لقسم لو تعلمون عظيم)

(٧) ومنها الإيغال وهو ختم الكلام بما ي ُفيد ن ُكتة ، يتم المعنى بدونها– كالمبالغة : في قول الخنساء :

وا ِن صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم ٌ في رأسه نار ُ

فقولها : «كأنه علم»واف ٍ بالمقصود ، لكنها أعقبته بقولها «في رأسه نار«لزيادة المبالغة ، ونحو : قوله تعالى (والله يرزق من يشاء بغير حساب).

(٨) ومنها التذييل ُ – وهو تعقيب جملة بجملة أخرى ستقلّة ، تشتمل على معناها ، تأكيداً لمنطوق الأولى ، أو لمفهومها – (٢) نحو : قوله تعالى (وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا).

ونحو : قوله تعالى (ذلك َ جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور)

(١) بلغتها بفتح التاس أي بلغك الله اياها –وترجمان كزعفران ، ويجوز ضم التاء مع الجيم ، واعلم أن الدعاء من الشاعر موجه إلى المخاطب بطول عمره – وأن يعيش مثله ثمانين سنة – واعلم أنه قد يقع الاعتراض في الاعتراض كقوله تعالى (فلا اقسم بمواقع النجوم وأنه لقسم لو تعلمون عظيم أنه لقرآن كريم في كتاب مكنون)

(٢) التأكيد ضربان : تأكيد المنطوق كما في هذه الآية ، وتأكيد المفهوم كقوله :

ولست بمستبق أخا لا تلمه على شعث أي الرجال المهذب ؟ ؟

فقد دل بمفهومه على نفي الكمال من الرجال ، فأكده بقوله (أي الرجال المهذب)

(١٧٧/١)

والتَّذييلُ «قسماقسم ٌ يستقلُّ بمعناه ، لجريانه مجرى المثل وقسم ٌ لا يستقل بمعناه ، لعدم جريانه مجرى المثل ، فالأول : الجاري مجرى الأمثال ، لاستقلال معناه ، واستغنائه عما قبله كقول طرفةَ :

كلُّ خليل قد كنت خاللته لا ترك الله له واضحه

كلّكم أروغُ من ثعلب ما أشبه الليلة بالبارحة

والثاني : غير الجاريهجرى الأمثال ، لعدم استغنائه عمـّا قبله ، ولعدم استقلاله بافادة المعنى المراد ، كقول النـّابغة :

لم يـُبق جـُودك لي شيئاً أؤمِّلهُ تركَتني أصحب الدنيا بلا أملِ

فالشطر الثاني : مؤكد للأول ، وليس مستقلا عنه ، فلم يجر مجرى المثل.

(٩) ومنها الاحتراس – ويقال له التكميل ، وهو أن يـُؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود ، بما يدفع ذلك الوهم)

فالاحتراس : يوجد حينما ياتي المتكلم بمعنى ، يمكن أن يدخل عليه فيه لوم ٌ ، فيفطن لذلك : ويأتي بما يخلّصه ، سواء أوقع الاحتراس في وسط الكلام.

كقول طرفة بن العبد :

فَسَقى ديارَك غير مـُفسدِها الرَّبيع و َديمـَةٌ تهمى (١)

فقوله : غير مفسدها : للاحتراس

أو وقع الاحتراس في آخره ، نحو : (ويـُعمون الطعام على حبه أي : مع حب الطعام : واشتهائهم له ، وذلك أبلغ في الكرم ، فلفظ على حبه فضلة للاحتراس ولزيادة التحسين في المعنى ، وكقول أعرابية لرجل (أذلَّ الله كل عدوّ لك إلا نفسك).

(١٠) ومنها التَّتميم –وهو زيادةُ فضلة ، كمفعول – أو حال أو تمييز – أو جار ومجرور ، توجد في المعنى حـُسنا بحيث لو حذفت صار الكلام مبتذلا كقول ابن المعتز يصف فرساً

صـَ ببنا عليها (ظالمين) سياَطنا فطارت بها أيد سراعٌ وأرجلُ

---

(١) لما كان دوام المطر مما يسبب الخراب ، دفع هذا الوهم بقوله (غير مفسدها).

(١٧٨/١)

إذ لو حذف (ظالمين) لكان الكلام مـُ بتذلا ، لا رقة فيه ولا طلاوة وتوهَّم أنها بليدة تستحق الضرب ، ويـُستحسن الإطناب في الصلح بين العشائر ، والمدح ، والثناء ، والذّم والهجاء ، والوعظ ، والإرشاد ، والخطابة : في أمر من الأمور العامة ، والتهنئة ومنشورات الحكومة إلى الأمة ، وكتب الولاة إلى الملوك ، لاخبارهم بما يحدث لديهم من مـَ هام الأمور ، وهناك أنواع أخرى من الإطناب ، كما تقول في الشيء المستبعد : رأيته بعيني ، وسمعته بأدنى ، وذقته بفمي : تقول ذلك لتأكيد المعنى وتقريره.

وكقوله تعالى (فخرّ عليهم السَّقفُ من فوقهم) والسقف لا يخر طبعاً إلا من فوق ، ولكنه دلّ بقوله (من فوقهم) على الإحاطة والشمول واعلم : أن الأطناب أرجحُ عند بعضهم من الإيجاز ، وحـُ جـَ ته في ذلك أن المنطق إنما هو البيان ، والبيان لا يكون الا بالاشباع ، والإشباع لا يقع إلا بالإقناع ، وأفضل الكلام أبينـُ ه ، وأبينـُ ه أشده إحاطة بالمعاني – ولا يحاط بالمعاني إحاطة تامة ، إلا بالاستقصاء والاطناب.

والمختار : أن الحاجة إلى كل من الاطناب ، والإيجاز ، ماسة : وكل موضع لا يسدّ أحدهما مكان الآخر فيه

وللذوق السليم : القول الفصل في موطن كلٍ منهما.

المبحث الثالث في المـُ ساواة

المـُ ساواة – هي تأديةُ المعنى المراد : بعبارة مساوية له (١)

---

(١) المساواة هي ماسوي لفظه معناه : بحيث لا يزيد أحدهما على الآخر – وهي نوعان الأول – مساواة مع الاختصار ، وهي أن يتحرى البليغ في تأدية المعنى أوجز ما يكون من الالفاظ القليلة الأحرف ، الكثيرة المعاني – كقوله تعالى (هل جزاء الاحسان إلا الاحسان) وكقوله تعالى (ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله).

والثاني . مساواة بدون اختصار «ويسمى متعارف الاوساط» وهو تأدية المقصود من غير طلب الاختصار. كقوله تعالى (حور مقصورات في الخيام).

والوجهان في المركز الأسمى من البلاغة . غير أن الأول أدخل فيها وأدل عليها.

والمساواة فن من القول عزيز المنال ، تشرأب إليه أعناق البلغاء ، لكن لا يرتقي إلى ذراه إلا الأفذاذ لصعوبة المرتقى ، والمساواة يعتبرها بعضهم وسطا بين الايجاز والاطناب . وبعضهم يدمجها ، ولا يعدها قسما ثالثا للايجاز والاطناب.

(١٧٩/١)

– بأن تكون الألفاظ على قدر المعاني ، لا يزيد بعضها على بعض ، ولسنا بحاجة إلى الكلام على المساواة ، فإنها هي الأصل المقيس عليه ، والدستور الذي يُعتمد عليه ، كقوله تعالى (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله) ، وكقوله تعالى (كل امرىء بما كسب رهين) وكقوله تعالى (من كفر فعليه كُفره) ، وكقوله صلى الله عليه وسلم (إنما الأعمال بالنيات وا ِنما لكل امرىء ما نوى) فإن اللفظ فيه على قدر المعنى ، لا ينقص عنه ،ولا يزيد عليه ، وكقول طرفةَ بن العبد :

ستُبدى لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزَود

هذه أمثلة للمساواة ، لا يستغنى الكلام فيها عن لفظ منه ، ولو حُذف منه شيء لأخلّ بمعناه.

اسئلة على الايجاز والاطناب والمساواة تطلب أجوبتها

ما هي المساواة ؟ – ما هو الايجاز ؟ – ما هو الاطناب ؟ – كم قسما للإيجاز ؟ – ما هو إيجاز القصر ؟ – ما هو ايجاز الحذف ؟ بأي شيء يكون إيجاز الحذف ؟ كم قسما للإطناب ، ؟ ما هو ذكر الخاص بعد العام ؟ ما هو ذكر العام بعد الخاص ؟ ما هو الايضاح بعد الابهام ؟ ما هو التكرار ؟ ماهو الاعتراض ؟. ما هو الايغال ؟ ما هو التوشيع ؟ ما هو الذييل ؟ ما هو التكميل ؟ ما هو التتميم ؟ ما هو الاحتراس ؟ ماهو الفرق بين التطويل والحشو ؟ ما هي دواعي الايجاز ؟ ما هي دواعي الاطناب كم قسما للتذييل ؟ أيكون الاطناب بغير هذه الانواع.

تطبيق عام على الايجاز والاطناب و المساواة

درست الصرف – فيه مساواة : لأن اللفظ على قدر المعنى – (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا) فيه اطناب بالتتميم : فان (على حبه) فضلة لزيادة التحسين في المعنى (ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله) – فيه مساواة.

(١٨٠/١)

المرء بأدبه – فيه إيجاز قصر : لتضمن العبارة القصيرة معاني كثيرة (تالله تفتأ تذكر يوسف) – فيه ايجاز حذف وهو لا ، (وأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق) – فيه إيجاز حذف جملة أي فضرب فانفلق ، ألا كل شيء ما خلا الله باطل – فيه اطناب بالاحتراس :

إذا أنت لم تشرب مرارا على القذى ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه

فيه الاطناب بالتذييل ، والجملة الثانية جارية مجرى المثل.

جوزى المذنب بذنبه وهل يجازي الا المذنب ، فيه إطناب بالتذييل ، وليس جاريا مجرى المثل ، (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه) – فيه أطناب بالاحتراس البخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة – فيه أطناب بالترديد ولكن البر من اتقى – فيه ايجاز حذف مضاف – أي ذا البر.

واهتم للسفر القريب فانه أنأى من السفر البعيد وأشنع

فيه إطناب بالايغال ، فان (أشنع) مزيدة للترتيب في الاهتمام.

(خلطوا عملا صالحا وآخر) ، فيه ايجا سيئاز حذف – أي خلطوا عملا صالحا يسيء وعملا سيئا بصالح (والليل إذا يسر) – فيه ايجاز بحذف الياء ، وسبب حذفها ان الليل لما كان غير سار وانما يسرى من فيه ، نقص منه حرف اشارة إلى ذلك جريا على عادة العرب في مثل ذلك (ليحق الحق ويبطل الباطل) – فيه ايجاز بحذف جملة – أي فعل ذلك.

تمرين

بين الايجاز ، والاطناب والمساواة : وأقسام كل منها فيما يأتي :

(١٨١/١)

قال الله تعالى (إنَّ في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ، والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيهامن كل دابة وتصريف الر ِّياح والسحاب المـُسخر بين السماء والأرض لآيات لقومٍ يعقلون) (١)

وقال تعالى (خـُذ العـَفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين) (٢)

وقال تعالى (يأخذ كل سفينة (٣) غصبا)

أنا ابن جلا (٤) وطلاَّع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني

(فالله هو الولي) ()٥(وا ِن يـُكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك) (٦)

فقلت يمين ُ الله أبرح (٧) قاعداً ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي

شيخ يرى الصلوات الخمس نافلة ويستحل دم الحجاج في الحرم (٨)

وقال تعالى : (تطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب) (٩)

وقال تعالى : (ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن (١٠) فأولئك كان سعيهم مشكورا) – وقال الشاعر

لله لذة عيش بالحبيب مضت ولم تدم لي وغير الله لم يدم (١١)

وقال تعالى (وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء) (١٢)

وقال تعالى (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة)

---

(١) في هذه الآية الاطناب بتكثير الجمل ، وهذا خلاف الأنواع السابقة ، وذلك لأنه لما كان الخطاب مع العموم وفيهم الذكي والغبي صرح بخلق أمهات الممكنات الظاهرة ليكون دليلا على القدرة الباهرة – وذلك بدل أن يقال (ان في وقوع كل ممكن تساوي طرفاه لآيات للعقلاء)

(٢) فيه ايجاز القصر لأنه قد جمع مكارم الأخلاق .

(٣) أي سفينة سالمة .

(٤) أي أنا ابن رجل جلا المشكلات .

(٥) الشرط محذوف أي إن أرادوا وليا فالله هو الولي

(٦) أي فاقتد واصبر .

(٧) أي لا أبرح .

(٨) في الحرم – ايغال للزيادة في المبالغة.

(٩) فيه التذييل .

(١٠) احترس بقوله (وهو مؤمن) عن توهم الاطلاق.

(١١) فيه تذييل جار مجرى الأمثال .

(١٢) في قوله (من غير سوء) احتراس عن توهم بياض البرص ونحو .

(١٨٢/١)

وقال تعالى (فلا أقسم بمواقع النجوم وا إنه لقسم لو تعلمون عظيم) (١)

حليم إذا ما الحلم زين لأهلة مع الحلم في عين العدو مهيب (٢)

أتى الزمان بنوه في شبيبته فسرَّهم واتيناهُ على هرم (٣)

وألفيته بحراً كثيرا فُضوله جواد متى يذكر له الخير يزدد (٤)

فإن كنت لا تستطيع دفع منيتي فذرني أبادرها بما ملكت يدي

ما أحسن الأيام إلا أنها يا صاحبي إذا مضت لم ترجع

ولست بمستبقٍ أخًلا تلمه على شعث أيُ الرجال المهذب

تأمل من خلال السجف وانظر بعينك ما شربتُ ومن سقاني

تجد شمس الضحى تدنو بشمسٍ إلى من الرَّحيق الخسرواني

خاتمة

علمت أن البلاغة متوقفة على مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، ورأيت في ما تقدم من الأحكام ، أن مقتضى الحال يجري علىتعقى الظاهر وهذا بالطبع هو الأصل ، ولكن قد يُعدل عمّا يقتضيه الظاهر إلى خلافه ، مما تقتضيه الحال في بعض مقامات الكلام ، لاعتبارات يراها المتكلم وقد تقدَّم كثير من ذلك العدول (المسمّى باخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر) في الأبواب السابقة :

وبقى من هذا القبيل أنواع أخرى كثيرة :

الأول – الالتفات : وهو الانتقال من كل من التكلم – أو الخطاب أو الغيبة – إلى صاحبه ، لمقتضيات ومناسبات تظهر بالتأمل في مواقع الالتفات ، تفنناً في الحديث ، وتلويناً للخطاب ، حتى لا يمل السّامع من التزام حالة واحدة ، وتنشيطا وحملا له على زيادة الاصغاء : «فان لكل جديد لذة» ولبعض مواقعه لطائف ، ملاكُ إدراكها الذوق السليم ، واعلم أن صور العدول إلى الالتفات ستة.

(١) عدول من التَّكلم إلى الخطاب -كقوله تعالى (ومالي لا أعبد الذي فطرني وا إليه ترجعون) والقياس «واليه

أرجع»

---

(١) فيه الاعتراض بقوله (لو تعلمون) .

(٢) في البيت احتراس (بلفظ مهيب)

(٣) في البيت إيجاز – أي وأتيناه على هرم (فساعنا) .

(٤) في الببيت إطناب – فان قوله : متى يذكر الخير يزدد ، تكميل .

(١٨٣/١)

(٢) عدولٌ من التكلّم إلى الغيبة – كقوله تعالى (ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله)

(٣) عدول من الخطاب إلى التّكلم – كقوله تعالى (واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود)

(٤) عدول من الخطاب إلى الغيبة –كقوله تعالى (ربنا إنكَ جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد)

(٥) عدول من الغيبة إلى التّ كلم – كقوله تعالى (وهو الذي أرسل الرياح بشرى بين يدي رحمته وأنزلنا من السماء ماءً طهورا)

والقياس «وأنزل».

(٦) عدول من الغيبة إلى الخطاب -كقوله تعالى (وا ِذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله)

الثاني – تجاهل العارف ، وهو سوق المعلوم مساق المجهول ، بأن يجعل العارف بالشيء نفسه جاهلاً به ، وذلك لأغراض.

(١) كالتعجب – نحو قوله تعالى (أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون)

(٢) والمبالغة في المدح – نحو ، وجهك بدر أم شمس.

(٣) والمبالغة في الذَّم – كقول الشاعر :

وما أدرى وسوف إخالُ أدرى أقومٌ آلُ حصن أم نساء

(٤) والتوبيخ وشدة الجزع – كقول الشاعر

أيا شجر الخابور مالك مورقا كانكَ لم تجزع على ابن طريف (١)

(٥) وشدّة الوله – كقول الشاعر :

بالله يا ظبيات القاع قلن لنا ليلاى منكنَّ أم ليلى من البشر

(٦) والفخر – كقوله

أيُّنا تعرف المواقف منه وثبات على العدا وثباتا

---

(١) تجاهلت أخت طريف عن سبب انتفاء الجزع عن الشجر لشدة التحير والتضجر .

الثالث القلب – (١) وهو جعل كل من الجزأين في الكلام مكان صاحبه ، لغرض المبالغة – نحو : قول رؤبة بن العجاج.

ومهمه مُغبرةٍ أرجاؤه كأنَّ لونَ أرضه سماؤه (٢)

أي : كأنّ لون سمائه لغبرتها لون أرضه ، مبالغة في وصف لون السماء بالغُبرة ، حتى صار بحيث يشبه به لون الأرض.

ونحو : أدخلت الخاتم في أصبعي : والقياس «أدخلت أصبعي في الخاتم» وعرضت الناقة على الحوض.

الرابع – التعبير عن المضارع بلفظ الماضي – وعكسه ، فمن أغراض التعبير عن المضارع بلفظ الماضي.

«أ» التنبيه على تحقّق وقوعه نحو : (أُتى أمرُ الله) – أي : يأتي.

«ب» أو قرب الوقوع – نحو : قد قامت الصلاة – أي : قرب القيام لها.

«جـ» والتفاؤل – نحو : إن شفاك الله تذهب معي.

«د» والتعريض – نحو : قوله تعالى : (لئن أشركت لحبطن عملك)

فيه تعريض للمشركين بأنهم قد حبطت أعمالهم.

ومن أغراض التعبير عن الماضي بلفظ المضارع.

«أ» حكاية الحالة الماضية باستحضار الصورة الغريبة في الخيال (٣)

كقوله تعالى (الله الذي أرسل الرياح فتثيرُ سحاباً) بدل – فأثارت.

«ب» إفادة الاستمرار فيما مضى – كقوله تعالى : (لو يطيعكمفيكثير من الأمر لعنتم) أي : لو استمرَّ على إطاعتكم لهلكتم.

الخامس – التعبير عن المستقبل بلفظ اسم «الفاعل»

---

(١) ويستدل عليه بالتأمل في المعنى ، فنحو عرضت الناقة على الحوض ، وأدخلت الخاتم في أصبعي – أصله «عرضت الحوض على الناقة» لأن الرعض يكون على ما له إدراك» وأصله أدخلت أصبعي في الخاتم «لان الظرف هو الخاتم ، والنكتة أن الظاهر الاتيان بالمعروض إلى المعروض عليه ، وتحريك المظروف نحو الظرف ولما كان ما هنا بالعكس ، قلبوا الكلام رعاية لهذا الاعتبار –وإنما يقبل حيث يتضمن اعتباراً لطيفاً.

(٢) والمهمة المفازة البعيدة – وأرجاؤه نواحيه .

(٣) يوضع المضارع موضع الماضي لا يهام المشاهدة باحضار صورة الشيء في ذهن السامع بصيغة الحاضر.

نحو : قوله تعالى (إن الدِّين لواقع) أو بلفظ اسم «المفعول» نحو : قوله تعالى (ذلك يوم مجموع له الناس) وذلك : لأن الوصفين المذكورين حقيقة في الحال ، مجاز فيما سواه.

السادس – يوضع المضمر موضع المظهر ، خلافاً لمقتضى الظاهر ، ليتمكن ما بعده في ذهن السامع ، نحو : هو الله عادل ، ويوضع المظهر موضع المضمر لزيادة التمكين نحو : خير الناس من نفع الناس.

أو لإلقاء المهابة في نفس السّامع ، كقول الخليفة (أمير المؤمنين يأمر بكذا) (أي : انا آمر)

أو للاستعطاف – نحو : أيأذن لي مولاي أن أتكلم (أي : أتأذن)

السابع – التغليب : وهو ترجيح أحد الشيئين على الآخر في اطلاق لفظه عليه (١) وذلك.

(١) كتغليب المذكر على المؤنث ، في قوله تعالى (وكانت من القانتين) وقياسه (القانتات)

ونحو : الأبوين – (للأب والأم) – والقمرين (للشمس والقمر).

(٢) وكتغليب الأخف على غيره – نحو : الحسنين (في الحسن والحسين)

(٣) وكتغليب الاكثر على الأقل كقوله تعالى (لنخرجنّك يا شعيب والذين آمنوا من قريتنا أو لتعودُن في ملّتنا)

أدخل (شعيب) في العود إلى ملّتهم ، مع أنه لم يكن فيها قطّ ، ثم خرَج منها وعاد ، تغليباً للأكثر.

(٤) وكتغليب العاقل على غيره ، كقوله تعالى (الحمد لله رب العالمين) وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين..

تم علم المعاني «ويليه علم البيان» والله المستعان أولا وآخرا

---

(١) التغليب : هو إطلاق لفظ أحد الصاحبين على الآخر ترجيحا له عليه والتغليب كثير في كلام العرب ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

(١٨٦/١)

علم البيان

(١) البيان (١) لغة – الكشف ، والإيضاح ، والظهُور (٢) واصطلاحاً أصولٌ وقواعدُ ، يعرف (٣)

---

(١) هو اسم لكل شيء كشف لك بان المعنى ، وهتك لك الحجب ، دون الضمير – حتى يفضى السامع إلى حقيقته ، ويهجم على محصوله ، كائنا ما كان ذلك البيان ، ومن أي جنس كان ذلك الدليل – لان مدار الأمر والغاية التي يجري اليها القائل والسامع ، انما هو الفهم والافهام ، فبأي شيء بلغت الافهام ، وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع ، واعلم أن المعتبر في علم البيان دقة المعاني المعتبرة فيها من الاستعارات والكنايات مع وضوح الألفاظ الدالة عليه ، فالبيان هو المنطق الفصح ، المعرب عما في الضمير .

(٢) فاذا كان معنى البيان (الايضاح) كان متعديا ، وان كان بمعنى (الظهور) كان لازماً يقال : بينت الشيء : أوضحته ، وبان الشيء ظهر واتضح – وكذلك تقول أبنت الشيء وأبان الشيء – وكذلك بينت الشيء أظهرته ، وبين الشيء ظهر – وكذلك تبينت الشيء ، وتباين الشيء ، واستبنت الشيء ، واستبان الشيء ، بمعنى واحد ، والتبيان بالكسر البيان ، والكشف ، والايضاح.

(٣) أي يعرف من حصل تلك الاصول كيف يعبر عن المعنى الواحد بعبارات بعضها أوضح من بعض.

فعلم البيان : علم يستطاع بمعرفته إبراز المعنى الواحد بصور متفاوتة ، وتراكيب مختلفة في درجة الوضوح ، مع مطابقة كل منها مقتضى الحال ، المحيط بفن البيان. الضليع من كلام العرب منشورة ومنظومة ، إذا أراد التعبير عن أي معنى يدور في خلده ويجول بضميره. استطاع أن يختار من فنون القول ، وطرق الكلام ما هو أقرب لمقصده..وأليق بغرضه ، بطريقة تبين ما في نفس المتكلم من المقاصد ، وتوصل الأثر الذي يريده به إلى نفس السامع في المقام المناسب له ، فينال الكاتب والشاعر والخطيب من نفس مخاطبيه إذا جود قوله ، وسحرهم ببديع بيانه ، ولا بد في علم البيان من اعتبار (المطابقة لمقتضى الحال) المعتبرة في علم المعاني ، فمنزلة (المعاني) من (البيان) منزلة الفصاحة من البلاغة.

(١٨٧/١)

بها إيرادُ المعنى الواحد ، بطرق يختلف بعضُها عن بعض ، في وُضوح الدّلالة العقلية على نفس ذلك المعنى ، فالمعنى الواحد : يُستطاع أداؤه بأساليب مُختلفة ، في وضوح الدّلالة عليه فانك : تقرأ في بيان فضل (العلم) مثلا – قول الشاعر :

(١) العلم ينهض بالخسيس إلى العلى ... والجهل يقعد بالفتى المنسوب

ثم تقرأ في المعنى نفسه ، كلام الامام (علي) كرم الله وجهه.

(٢) العلم نهرٌ ، والحكمة بحر.

(٣) والعلماء حول النهّر يطوفون.

(٤) والحكماء وسط البحر يغوصون.

(٥) والعارفون في سفن النّجاة يسيرون.

د فتأخذ بعض هذه التراكيب أوضحُ من بعض ، كما تراه يضع أمام عينيك مشهداً حسياً ، يقرّب إلى فهمك ما يُريد الكلام عنه من فضل (العلم).

فهو : يُشبّهه بنهر ، ويشبّه الحكمة ببحر.

ويصور لك أشخاصاً طائفين حول ذلك النهر – «هم العلماء» ويُصور لك أشخاصاً غائصين وسط ذلك البحر – «هم الحكماء» ويصور لك أشخاصاً راكبين سفُناً ماخرة في ذلك البحر للنّجاة من مخاطر هذا العالم – «هم أرباب المعرفة»

و لا شك : أن هذا المشهد البديع : يستوقف نظرك ، ويستثير اعجابك من شدّة الرّوعة والجمال المُستمدّة من

التشبيه ، بفضل (البيان) الذي هو سر البلاغة.

«ب» وموضوع هذا العلم الألفاظ العربية ، من حيث ، التشبيه ، والمجاز والكناية.

«و» واضعه (أبو عبيدة الذي دون مسائل هذا العلم في كتابه المسمَّى «مجاز القرآن» وما زال ينمو شيئاً فشيئاً ، حتى وصل إلى الامام «عبد القاهر» فأحكم أساسه ، وشيَّد بناءه ، ورتَّب قواعده ، وتبعه (الجاحظ ، وابن المعتز ، وقُدامة ، وأبو هلال العسكري)

«د» وثمرته الوقوف على أسرار كلام العرب منثوره ومنظومه ، ومعرفة ما فيه من تفاوت في فنون الفصاحة ، وتباين في درجات البلاغة التي يصل بها إلى مرتبة إعجاز (القرآن الكريم) الذي حار الجنّ والإنس في محاكاته – وعجزوا عن الإتيان بمثله.

وفي هذا الفن أبواب – ومباحث.

الباب الأول في التشبيه

تمهيد

(١٨٨/١)

للتشبيه : روعة وجمال ، وموقع حسن في البلاغة : وذلك لإخراجه الخفي إلى الجلي ، وادنائه البعيد من القريب ، يزيد المعاني رفعة ووضوحاً ويكسبها جمالا وفضلا ، ويكسوها شرفا ونبلا ، فهو فن واسع النطاق ، فسيح الخطو ، ممتد الحواشي متشعب الأطراف متوعر المسلك ، غامض المدرك ، دقيق المجرى غزير الجدوى.

ومن أساليب البيان : أنك إذا أردت إثبات صفة لموصوف ، مع التوضيح ، او وجه من المبالغة ، عمدت إلى شيء آخر ، تكون هذه الصفة واضحة فيه ، وعقدت بين الاثنين مماثلة ، تجعلها وسيلة لتوضيح الصفة ، أو المبالغة في اثباتها _ لهذا كان التشبيه أول طريقة تدل عليه الطبيعة لبيان المعنى.

تعريف التشبيه وبيان أركانه الأربعة

التشبيه : لغة التمثيل – قال : هذا شبه هذا : ومثيله

والتشبيه : إصطلاحاً – عقد مماثلة بين أمرين ، أو : أكثر ، قصد اشتراكهما في صفة : أو : أكثر ، بأداة : لغرض يقصد المتكلم للعلم.

وأركان التشبيه أربعة.

(١) المشبه : هو الأمر الذي يراد الحاقه بغيره

(٢) المشبه به : هو الأمر الذي يلحق به المشبه

(٣) وجه الشبه : هو الوصف المشترك بين الطرفين ، ويكون في المشبه به ، أقوى منه في المشبه – وقد يذكر وجه الشبه في الكلام ، وقد يحذف كما سيأتي توضيحه.

(٤) أداة التشبيه : هي اللفظ الذي يدل على التشبيه ، ويربط المشبّه بالمشبّه به ، وقد تذكر الأداة في التشبيه

، وقد تحذف ، نحو : كان عمر ُ في رعيَّته كالميزان في العدل ، وكان فيهم كالوالد في الرحمة والعطف.

تمرين

على التشبيه وبيان أركانه الأربعة

أنت كالوردة لمساً وشذاً ... جادها الغيثُ على غُصن نَضر

إنما الناس كالسَّوائم في الرِّز ... ق سواء جهولهم والعليم

أنت مثلي لينا ... وشبيهُ البَدر حُسنا

لك شعرٌ مثلُ حظِّي ... في سوادٍ قد تثنَّى

أنت عندي كليلة القدر في القدر ... ر ولكن لا تستجيب دعائي

العشق كالموت يأتي لا مردّ له ... ما فيه للعاشق المسكين تدبير

وكن كالشمس تظهر كل يوم ... ولاتكُ في التغيب كالهلال

(١٨٩/١)

بعض الرجال الميت تمنحه ... أعز شيء ولا يعطيك تعويضاً

وخيل تحاكي البرق لوناً وسرعة ... وكالصّخر إذ تهوى وكالماء في الجرى

أعوام إقباله كاليوم في قصرٍ ... ويومُ إعراضه في الطول كالحِجج

أورد قلبي الرّدى ... غصنٌ عذار بدا

أسود كالكفر في ... أبيض مثل الهُدى

جزى الله دمعَ عيني خيراً ... وجزى الله كل خير لساني

نمّ دمعي فليس يكتم شيئا ... ووجدت اللسان ذا كتمانِ

كنت مثل الكتاب أخفاه طيٌّ ... فاستدلوا عليه بالعُنوان

للورد عندي محل ... لأنه لا يُملُ

كل الرياحين جندٌ ... وهو الأمير الأجَلُ

إن غاب عزوا وباهوا ... حتى إذا عاد ذلّوا

المبحث الأول في تقسيم طرفي التشبيه إلى حسِّي ، وعقلي

طرفا التشبيه «المشبه ، والمشبه به»

(١) إمَّا حسيَّان (١)

---

(١) اعلم أن من الحسي : ما لا تدركه الحواس الخمس التي هي (البصر والسمع والشم والذوق واللمس) ولكن تدرك مادته فقط ويسمى هذا التشبيه (بالخيالي) الذي ركبته المخيلة من أمور موجودة ، كل واحد منها يدرك بالحس – كقوله

كأن الحباب المستدير برأسها كواكب در في سما عقيق

فان كواكب در ، وسماه عقيق ، لا يدركها الحس ، لأنها غير موجودة – ولكن يدرك مادتها التي هي الدر والعقيق ، على انفراد – والمراد بالحباب ما يعلو الماء من الفقاقيع والضمير للخمر – ومنه أيضا قول الآخر.

وكان محمر الشقيـ ... ... ق إذا تصوب أو تصعد

أعلام ياقوت نشر ... ... ن على رماح من زبرجد

فان الأعلام والياقوت والزبرجد والرماح موجودة – لكن المشبه الذي مادته هذه ، ليس موجوداً ولا محسوساً ، والمراد بالعقلي ما لا يدرك هو ولا مادته باحدى الحواس الظاهرة – بل إدراكه عقلا ، فيدخل فيه الوهمي وهو مالا يدرك هو ولا مادته باحدى الحواس ، لكن لو وجد في الخارج لكان مدركا بها –

ويسمى هذا التشبيه (بالوهمي) الذي لا وجود له ولا لأجزائه كلها أو بعضها في الخارج ، ولو وجد لكان مدركا باحدى الحواس كقوله تعالى (طلعها كأنه رؤوس الشياطين) – وكقوله

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال

فان أنياب الأغوال لم توجد هي ولا مادتها ، وانما اخترعها الوهم ، لكن لو وجدت لأدركت بالحواس ، والمشرفي السيف ، والمسنونة السهام ، والأغوال يزعمون أنها وحوش هائلة المنظر ، ولا أصل لها ، والوجدانيات كالجوع والعطش ونحوهما ملحقة بالعقلي ثم التضاد بين الطرفين قد ينزل منزلة التناسب ، ويجعل وجه الشبه على وجه الظرافة أو الاستهزاء كما في تشبيه شخص ألكن (بقس بن ساعدة) – أو رجل بخيل (بحاتم) –والفرق بين الظرافة والاستهزاء يعرف بالقرائن ، فان كان الغرض مجرد الظرافة فظرافة – وا ٍلا فاستهزاء

(١٩٠/١)

أي : مدركان بإحدى الحواس الخمس الظ ّاهرة» نحو أنت َ كالشمس في الضيـ ّاء – وكما في تشبيه «الخد بالورد» إم ّا عقليان – أي مدركان بالعقل ، نحو ، العلم كالحياة ونحو : «الضلال عن الحق كالع َمى» ونحو : «الجهل كالموت».

(٣) وا ٍمَّا المشبه حسِّي ، والمشبه به عقلي – نحو : طبيب السوء كالموت.

(٤) وا ٍما المشبه عقلي ، والمشبه به حـ ِسي – نحو –العلم كالنـ ّور ، واعلم أن العقلي هو ما عدا الحسي ، فيشمل المحقق ذهناً : كالرأي والخلق ، والحظ ، والأمل والعلم.والعلم ، والذكاء والشجاعة ، ويشمل أيضاً الوهمي ، وهو ما لا وجود له ، ولا لأجزائه كلها ، أو بعضها في الخارج ، ولو وجد لكان مدركا باحدى الحواس.

ويشمل الوجداني : وهو ما يدرك بالقوى الباطنة ، كالغم ، والفرح ، والجوع والعطش ، والر ِّي.

المبحث الثاني في تقسيم طرفي التشبيه : باعتبار الإفراد ، والتركيب

طرفا التشبيه «المشبه والمشبه به».

(١) إمـّا مفردان «مطلقان» نحو : ضوءه كالشمس ، وخده كالورد

أو «مقيدان (١) »نحو : الساعي بغير طائل كالرَّاقم على الماء

أو مختلفان» نحو ثغره كاللولؤ المنظوم -ونحو : العين الزرقاء كالسـّنان -(والمشـّبه هو المقيد)

وا ٍما مركبان تركيباً لم يـُمكن إفراد أجزائهما ، بحيث يكون المركب هيئة حاصلة من شيئين ، أو من أشياء ، تلاصقت حتى اعتبرها المتكلم شيئاً واحداً ، وا ٍذا انتـُزع الوجهُ من بعضها دون بعض ، اختل قصد المتكلم من التشبيه – كقوله (٢) .

---

(١) وتقييده بالاضافة ، أو الوصف ، أو المفعول ، أو الحال ، أو الظرف ، أو بغير ذلك ويشترط في القيد : أن يكون له تأثير في وجه الشبه ، ولهذا جعل قوله تعالى- (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) من باب تشبيه المفرد بالمفرد بلا قيد ، ونحو التعلم في الصغر كالنقش في الحجر .

(٢) ومنه قول الآخر :

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

فانه شبه هيئة الغبار ، وفيه السيوف مضطربة ، بهيئة الليل وفيه الكواكب تتساقط في جهات مختلفة –

وكقول الشاعر :

كأن الدمو ع على خدها بقية طل على جلنار.

فالمشبه مركب من الدموع والخد ، والمشبه به مركب من الطل والجلنار

كأن سهيلاً والنجوم وراءه صفوف صلاة قام فيها إمامها

(إذ لو قيل كأن سهيلاً إمام ، وكأن النجوم صفوف صلاة ، لذهبت فائدة التشبيه).

(٢) أو مركبان تركيباً : إذا أفردت أجزاؤه زال المقصود من هيئة (المشبه به) كما ترى في قول الشاعر الآتي :

حيث شبَّه النجوم الـّلامعة في كبد السَّماء ، بدر مـُنتثر على بساط أزرق

وكأنـّ أجرامَ النجوم لوامعاً دُررٌ نـُثرنَ على بساط أزرق

(إذ لو قيل : كأن النجوم دُرر – وكأن السماء بساط أزرق ، كان التشبيه مقبولا – لكنه قد زال منه المقصود بهيئة المشبه به)

(٣) وا ٍما مفرد بمركب – كقول الخنساء (١)

أغر أبلجُ تأتم الهـُداةُ بهِ كأنه علمٌ في رأسه نارُ

(٤) وا ٍما مركب بمفرد -نحو : الماء المالح كالسـّم (٢)

واعلم : انه متى ركـُب أحد الطرفين لا يكاد يكون الآخرمفرداً مطلقاً ، بل يكون مركباً ، أو مفرداً مقيدا ،

ومتى كان هناك تقييد أو تركيب كان الوجه مركباً ، ضرورة انتزاعه من المركب ، أو من القيد ، والمـ ُقيد.

المبحث الثالث في تقسيم طرفي التّشبيه : باعتبار تعدّدهما (٣)

ينقسم طرفا التشبيه «المشبه والمشبه به» باعتبار تعدّدهما ، أو تعدّد أحدهما ، إلى أربعة أقسام :

ملفوف ، ومفروق ، وتسوية ، وجمع.

(١) فالتشبيه الملفوف ، هو جمع كل طرف منهما مع مثله ، كجمع المشبه مع المشبه ، والمشبه به مع المشبه به -بحيث يـ ُؤتى بالمشبهات معاً على طريق العطف ، أو غيره ، ثم يؤتى بالمشبهات بها كذلك كقوله :

ليل وبدر وغصن شعر ووجه وقَدٌّ

خمر ودُرٌّ ووَرد ريق وثغر وخدّ

وكقوله : تبسُّم وقطوب في ندى ووغى كالغيث والبرق تحت العارض البرد

وكقوله :

---

(١) وكقوله وحدائق ليس الشقيق نباتها كالأرجوان منقطا بالعنبر .

(٢) وكقوله لا تعجبوا من خاله في خده كل الشقيق بنقطة سوداء

فالمشبه مركب من (الخال والخد) ، والمشبه به مفرد وهو (الشقيق)

(٣) متى تعدد الطرفان معا نتج تشبيهان أو أكثر ، لا تشبيه واحد.

(١٩٢/١)

وضوء الشهب فوق الليل بادٍ كأطراف الأسنَّة في الدروع (١)

(٢) والتشبيه المفروق – هو جمع كل مشبهع ما شُبّه به – كقوله (٢)

ألنَّشر مسكٌ والوجوه دنا نير ُ وأطراف الأكفّ عنم

(٣) «تشبيه التسّوية»هو ان يتعدّد المشبه دون المشبه به

كقوله صـ ُدغ الحبيب وحالي كلاهما كاللّيالي

وثغره في صفاء وأدمعي كاللالي

سـ ُمّي بذلك : للتّسوية فيه بين المشبهات

(٤) وتشبيه الجمع –هو أن يتعدَّد المشبه به ، دون المشبه – كقوله :

كأنما يبسمُ عن لؤلؤ مـ ُنضّد أو بـَرد َ أو اقاح (٣)

سمـ ُى بتشبيه الجمع – للجمع فيه بين ثلاث مشبهات بها وكقوله :

مرّت بنا رأد الضُّحى تحكى الغزالة والغَزالا

وكقوله :

ذات حسن لو استزادت من الحسن إليه لما أصابت مزيدا
فهي الشمس بهجةً والقضيب اللدن ُ قدا والريم طرفاً وجيدا

تمرين

أذكر أحوال طرفي التشبيه فيما يأتي : (٤)

علم لا ينفع ، كدواء لا ينجع ، الصديق المنافق ، والابن الجاهل ، كلاهما كجمر الغضا ، الحق سيف على أهل الباطل ، الحمية من الأنام ، كالحمية من الطعام.

قال محمد بن لنكك البصري :

قضى الأمراء ُ وانقرضوا وباد ُوا وخلّفني الزمان على علوج
وقالوا قد لزمت البيت جداً فقلت لفقد فائدة الخروج
فمن ألقى إذا أبصرت ُ فيهم ودار البين في أعلى السروج
زمانٌ عز ّ فيه الجود حتى كأن الجود َ في أعلى البـ ُروج
يا شبيه البدر حـ ُسنا وضياء ومنالا
وشبيه الغصن لينا وقواماً واعتدالا

---

(١) أي فقد جمع ضوء الشهب والليل المشبهين ، مع أطراف الأسنة والدروع المشبه بهما.

(٢) ومنه قوله :

إنما النفس كالزجاجة والعلـ ... م سراج وحكمة الله زيت
فاذا أشرقت فانك حي وا ٍذا أظلمت فانك ميت

(٣) أي كأن المحبوب يبتسم عن أسنان كالؤلؤ المنظوم ، أو كالبرد أو كالاقاح فشبه الشاعر : ثغر المحبوب بثلاثة أشياء اللؤلؤ (وهو الجوهر المعلوم) والبرد (وهو حب الغمام) والاقاح جمع أفخوان بضم الهمزة وفتحها ، وهو زهر نبت طيب الرائحة ، حوله ورق أبيض ، ووسطه أصفر.

(١٩٣/١)

أنت مثل الورد لونا ونسيما وملالا
زارنا حتى إذا ما سر ّنا بالقرب زالا
يا صاحبي تقصـ ّيا نظريكما تريا وجوه الأرض كيف تـُصو ّر ُ
تريا نهاراً مـ ُشمساً قد شابه زهر ُ الر ّبى فكأنما هو مقمر (١)
فكم معنى بديع تحت لفظٍ هناك تزاو ُج ٌ كل ّ ازدواج
كراح في زجاج أو كروح سرت في جسم معتدل المزاج
ألخدُّ وردٌ والعذار رياض والطرف ُ ليلٌ والبياض نهار ُ

العمرُ ، والإنسان والدنيا همو كالظلِّ في الإقبال والإدبار

كأن مُثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبه (٢)

خُودٌ كان بنانها في خضرة النقش المزرد (٣)

سمكٌ من البلور في شبك تكون من زبرجد

كأن قلوب الطير ويابساً لدى وكرها العنَّابُ والحشَفُ البالِي

من يصنع الخير مع من ليس يعرفه كواقد الشمع في بيتٍ لعميان (٥)

ملخص القول

في تقسيم طرفي التشبيه

أولاً – ينقسم التشبيه باعتبار طرفيه إلى حسيين وعقليين ومختلفين – فالحسيان يشتركان

---

(١) يريد إن النبات لكثرته وتكاثفه مع شدة خضرته ، قارب لونه السواد. وانتقص من ضوء الشمس ، حتى كأنه ليل مقمر ، فشبه النهار المشمس الذي قد خالطه زهر الربا ، بالليل المقمر ، والأول مركب ، والثاني مفرد مقيد.

(٢) شبهت هيئة السيوف الحاصلة من علوها ونزولها بسرعة في وسط الغبار بهيئة كواكب تتساقط في ليل مظلم.

(٣) أي أن أصابعها المعبر عنها بالبنان ، قد نقش عليها بالوشم ما هو كالشبك الزبرجدي : أي المحيط بياض أصابعها التي هي كالبلور – فالمفردات كل واحد منها يدرك بالحس – والمركب غير موجود.

(٤) يريد الشاعر وصف العقاب بكثرة اصطياده الطيور – فشبه الطري من قلوب الطير بالعتاب – واليابس منها بالحشف البالي والعناب شجر له حب كحب الزيتون ، وأحسنه الأحمر الحلو.

(٥) ففيه التشبيه الملفوف حيث جمع في الشطر الأول صنيع الخير ، ومعرفته ، وهما متلازمان – ثم أتى في الشطر الثاني بالمشبه بهما أعنى وقود الشمع والنظر إلى نوره.

(١) في صفة مبصرة كتشبيه المرآة بالنهار في الاشراق والشعر بالليل في الظلمة والسود ، كما في قول الشاعر :

فرعاء تسحب من قيام شعرها وتغيب فيه وهو ليل اسحم

فكأنها فيه نهار مشرق وكأنه ليل عليها مظلم (١)

(٢) أو في صفة مسموعة – نحو : غرد تغريد الطيور ونحو : سجع سجع القمري ونحو : أن أنين الثكلى ، ونحو : أسمع دوياً كدوى النحل ، وكتشبيه انقاض الرحل بصوت الفراريج في قول الشاعر :

كأن أصوات من إيغالهن بنا أواخر الميس إنقاض الفراريج (٢)

وكتشبيه الأصوات الحنسة في قراءة القرآن الكريم بالمزامير.

(٣) أو في صفة مذوقة ، كتشبيه الفواكه الحلوة بالعسل ، وكتشبيه الريق الخمر في قول الشاعر :

كأن المدام وصوب الغمام وريح الخزامى وذوب العسل

يعل به برد أنيابها إذا النجم وسط السماء اعتدل (٣)

(٤) أو في صفة ملموسة ، كتشبيه الجسم بالحرير : في قول ذي الرمة :

لها بشر مثل الحرير ومنطق رخيم الحواشي لا هراء ولا نذر (٤)

وعينان قال الله كونا فكانتا فعولان بالألباب ما تفعل الخمر

(٥) أو في صفة مشمومة ، كتشبيه الريحان بالمسك – والنكهة بالعنبر والعقليان – هما الذان لم يدركا «هما ولا مادتهما» باحدى الحواس ، وذلك كتشبيه السفر بالعذاب ، والضلال عن الحق بالعمى ، والاهتداء إلى الخير بالابصار

---

(١) امرأة فرعاء : كثيرة الشعر. وأسحم : اسود من سحم كتعب.

(٢) الميس : الرحل. والإنقاض : قيل صوت الفراريج الضئيل ، وقيل صوت الحيوان والنقض صوت الموتان كالرحل ، والفراريج : جمع فروج وهو فرخ الدجاجة. وتقدير البيت : كأن أصوات أواخر الميس من إيغالهن بنا إنقاض الفراريج.

(٣) المدام : الخمر ، والصوب : من صاب المطر يصوب إذا انصب بكثرة ونزل ، والخزامى : نبت طيب الرائحة. والعلل الشرب الثاني ، يقال : علل بعد نهل.

(٤) رخيم الحواشي. مختصر الأطراف ، والهراء (بضم الهاء) المنطق الكثير وقيل المنطق الفاسد الذي لا نظام له.

والمختلفان – إما أن يكون المشبه عقليا والمشبه به حسيا – كتشبيه الغضب بالنار من التلظى والاشتعال – وكتشبيه الرأي بالليل في قول الشاعر :

الر أي كالليل مسود جوانبه والليل لا ينجلى إلا باصباح

وا إما أن يكون المشبه حسيا والمشبه به عقليا – كتشبيه الكلام بالخلق الحسن وكتشبيه العطر بخلق الكريم في قول الصاحب بن عباد.

أهديت عطراً مثل طيب ثنائه فكأنما أهدى له أخلاقه (١)

ثانياً – ينقسم التشبيه باعتبار طرفيه إلى مفردين مطلقين ، أو مقيدين ، أو مختلفين – والى مركبين أو مختلفين.

فالمفردان المطلقان ، كتشبيه السماء بالدهان في الحمرة ، في قوله تعالى : (فاذا انشقت السماء فكانت وردة

كالدهان) (٢)
وكتشبيه الكشح بالجديل ، والساق بالأنبوب ، في قول امرىء القيس
وكشح لطيف كالجديل مخصر وساق كانبوب السقي المذلل (٣)
والمقيدان ، بوصف ، أو اضافة ، أو حال ، أو ظرف – أو نحو ذلك ، كقولهم فيمن لا يحصل من سعيه على فائدة : هو «كالراقم على الماء «فالمشبه هو الساعي على هذه الصفة ، والمشبه هو الراقم بهذا القيد ، ووجه الشبه ، التسوية بين الفعل والترك في الفائدة – وكقوله :

---

(١) الثناء يشبه بالعطر ، ولكنه اعتبر المعقول كأنه محسوس وجعله كالأصل لذلك المحسوس مبالغة ، وتخيله شيئاً له رائحة ، وشبه العطر به.
(٢) الدهان الجلد الأحمر.
(٣) الكشح : ما بين الخاصرة إلى الضلع (الأضلاع وآخرها) وهو من لدن السرة إلى المتن. الجديل الزمام المجدول من أدم. وقيل حبل من أدم ، أو شعر في عنق البعير. ومخصر : دقيق. السقي : البردي واحده سقية. المذلل الذي ذلل بالماء حتى طاوع كل من مد إليه يده. قال الوزير أبو بكر عاصم بن أيوب في شرحه لديوان امرئ القيس : شبه كشح المرأة بالزمام في اللين والتثني واللطافة. وشبه ساقها ببردي قد نبت تحت نخل ، والنخل تظلله من الشمس. والوجه بالبياض.

والشمس من بين الأرائك قد حكت سيفا صقيلا في يد رعشاء (١)
والمختلفان ، والمشبه به هو المقيد : كما في قول ذي الرمة
قف العيس في أطلال مية فاسأل رسوما كأخلاق الرداء المسلسل (٢)
أو المشبه وهو المقيد ، كما في قول الشاعر :
كأن فجاج الأرض وهي عريضة على الخائف المطلوب كفة حابل (٣)
والمركبان : كقول الشاعر :
البدر منتقب بغيم أبيض هو فيه بين تفجر وتبلج
كتنفس الحسناء في المرآة إذ كملت محاسنها ولم تتزوج
والمختلفان – والمشبه مفرد ، كقوله تعالى (مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف) – وكقول الشاعر :
أغر أبلج تأتم الهداة به كأنه علم في راسه نار
أو المشبه به مفرد ، كقول أبي الطيب المتنبي :
تشرق أعراضهم وأوجههم كأنها في نفوسهم شيم

شبه إشراق الاعراض والوجوه باشراق الشيم (الاخلاق الطيبة) فاشراق الوجوه ببياضها ، واشراق الاعراض بشرفها وطيبها.

ثالثاً – التشبيه ينقسم باعتبار طرفيه إلى :

(١) ملفوف ، وهو ما أتى فيه بالمشبهات أولا على طريق العطف ، أو غيره ، ثم بالمشبهات بها كذلك – كقول الشاعر :

ليل وبدر وغصن شعر ووجه وقد

خمر ودر وورد ريق وثغر وخد

شبه الليل بالشعر ، والبدر بالوجه ، والغصن بالقد ، في البيت الأول ، والخمر بالريق ، والدر بالثغر ، والورد بالخد ، في البيت الثاني ، وقد ذكر المشبهات أولا –والمشبهات بها ثانيا كما تر ى في نظم الشاعر :

---

(١) الأراك شجر من الحمض يستاك بقضبانه ، واحدته أراكة ، وجمعها أرائك.

(٢) العيس ، كرام الابل ن وقيل : الابل البيض ، يخالط بياضها شقره ، أو ظلمة خفية ، والاطلال جمع طلل وهو الشاخص من آثار الديار ، والرسم ما كان لاصقاً بالأرض من آثار الديار ، وأخلاق ، جمع خلق (بفتح اللام) وهو الثوب البالي ، والمسلسل ، الرقيق – من تسلسل الثوب لبس حتى رق.

(٣) الفجاج جمع فج الطريق الواسع الواضح بين جبلين ، والكفة : ما يصاد به (الشبكة) والحابل الصياد.

(٢) والى مفروق ، وهو ما أوتي فيه بمشبه ومشبه به ثم بآخر وآخر كقول أبي نواس

تبكي فتذرى الدر من نرجس وتمسح الورد بعناب

شبه الدمع بالدر لصفائه ، والعين بالنرجس ، لما فيه من اجتماع السواد بالبياض والوجه بالورد..

رابعاً – ينقسم التشبيه أيضاً باعتبار طرفيه إلى

(١) تشبيه التسوية ، وهو ما تعدد فيه المشبه – كقول الشاعر :

صدغ الحبيب وحالي كلاهما كالليالي

وثغره في صفاء وأدمعي كاللآلي (١)

شبه في الأول صدغ الحبيب وحاله هو ، بالليالي في السواد ، وفي الثاني شبه ثغر الحبيب ودموعه ، باللآلي في القدر والاشراق.

(٢) تشبيه الجمع ، وهو ما تعدد فيه المشبه به كقول البحتري :

بات نديماً لي حتى الصباح أغيد مجدول مكان الوشاح

كأنما يبسم عن لؤلؤ منضد أو برد أو أقاح (٢)

شبه ثغره بثلاثة أشياء باللؤلؤ ، والبرد ، والاقاح – وقد تقدم الكلام على هذه الأقسام.

المبحث الرابع في تقسيم التشبيه باعتبار وجه الشبه

وجه الشبه : هو الوصف الخاص (٣)

---

(١) الصدغ (بضم الصاد) ما بين العين والأذن ، والشعر المتدلى على هذا الموضع هو المراد هنا ، والثغر تطلق على الفم ، وعلى الأسنان في منابتها– والمراد الثاني.

(٢) الأغيد ، الناعم البدن ، والمجدول ، المطوي غير المسترخي – والمراد لازمه ، وهو ضامر البطن والخصرتين ، والوشاح شبه قلادة ينسج من جلد عريض يرصع بالجواهر تشده المرأة في وسطها أو على المنكب الأيسر معقوداً تحت الأبط الأيمن للزينة ، والمنضد ، المنظم ، والبرد ، حب الغمام ، والاقاح بفتح الهمزة وضما نبات له زهر أبيض ، في وسطه كتلة صغيرة صفراء ، واوراق زهره مفلجة صغيرة ، واحدته قحوانة (بضم القاف).

(٣) إما «حقيقة» كالبأس في قولك «زيد كالأسد»وا ٍما «تخيلاً » كما في قوله :

يا من له شعر كحظي أسود ... ... جسمي نحيل من قراقك أصفر

فان وجه الشبه فيه بين الشعر والحظ هو السواد. وهما يشتركان فيه ، لكنه يوجد في المشبه تحقيقا. ولا يوجد في المشبه به الا على سبيل التخييل ، لانه ليس من ذوات الألوان : ثم اعلم أن وجه الشبه ، إما داخل في حقيقة الطرفين وذلك في تشبه ثوب بآخر ، في جنسهما أو نوعهما أو فصلهما كقولك هذا القميص مثل ذلك في كونهما كتاناً أو قطناً ، وا ٍما خار ج عن حقيقتهما وهو ما كان صفة لهما «حقيقة» وهي قد تكون حسية كالحمرة في تشبيه الخد بالورد ، وقد تكون عقلية كالشجاعة في تشبيه الرجل بالأسد ، أو «إضافية» وهي ما ليست هيئة متقررة في الذات ، بل هي معنى متعلقاً بها كالجلاء في تشبيه البينة بالصبح. ثم إن وجه التشبيه قد يكون واحداً وقد يكون بمنزلة الواحد «لكونه مركباً من متعدد» وقد يكون متعدداً ، وكل من ذلك قد يكون حسياً وقد يكون عقلياً.

«أما الواحد» فالحسي منه كالحمرة في تشبيه الخد بالورد ، والعقلي كالنفع في تشبيه العلم بالحياة.

«وأما المركب» : فالحسي منه قد يكون مفرد الطرفين ، كما في قوله :

وقد لاح في الصبح الثريا كما ترى ... كعنقود ملاحية حين نورا

فان وجه الشبه فيه هو الهيئة الحاصلة من التئام الحبب البيض الصغيرة المستديرة المرصوص بعضها فوق بعض على الشكل المعلوم. وكلا الطرفين مفرد ، وهما الثريا والعنقود. وقد يكون مر كب الطرفين كما في قوله :

والبدر في كبد السماء كدرهم ... ... ملقى على ديباجة زرقاء

فإن وجه الشبه فيه هو الهيئة الحاصلة من طلوع صورة بيضاء مشرقة مستديرة في رقعة زرقاء مبسوطة ، وكلا الطرفين مركب أولهما من البدر والسماء ، والثاني من الدرهم والديباجة. وقد يكون مختلف الطرفين كقوله :

وحدائق لبس الشقيق نباتها ... ... كالأرجوان منقطاً بالعنبر

فإن وجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من انبساط رقعة حمراء قد نقطت بالسواد منثوراً عليها. والمشبه مفرد وهو الشقيق. والمشبه به مركب من الأرجوان والعنبر. وكقوله :

لا تعجبوا من خاله في خده ... ... كل الشقيق بنقطة سوداء

فان وجه الشبه فيه هو الهيئة الحاصلة من طلوع نقطة سوداء مستديرة في وسط رقعة حمراء مبسوطة ، والمشبه مركب من الخال والخد ، والمشبه به مفرد وهو الشقيق والعقلي من المركب كما في قوله :

المستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

فان وجه الشبه فيه هو الهيئة الحاصلة من الالتجاء من الضار إلى ما هو أضر منه طمعا في الانتفاع به – ووجه الشبه مركب من هذه المتعددات في الجميع ، والرمضاء الأرض التي اسخنتها حرارة الشمس الشديدة ، والمراد (بعمرو) هنا هو جساس ابن مرة البكرى ، يقال أنه لما رمى كليب بن ربيعة التغلبي وقف على رأسه فقال له : (يا عمرو) أغثى بشربة ماء – فأتم قتله ، واما المتعدد – فالحسى منه كما في قوله

مهفهف وجنتاه كالخمر لونا وطعما

والعقلى : كالنفع والضرر في قوله :

طلق شديد البأس راحته كالبحر فيه النفع والضرر

فان وجه الشبه فيهما متعدد وهو اللون والطعم في الأول – والنفع والضرر في الثاني – وقد يجىء المتعدد مختلفا كما في قوله

هذا أبو الهيجاء كالسيف في الرونق والمضاء

فان وجه الشبه فيه هو الرونق وهو حسي – والمضاء وهو عقلي ، وأبو الهيجاء لقب عبد الله بن حمدان العدوى ، والهيجاء من أسماس الحرب

والعلم أن الحسي لا يكون طرفاه إلا حسيين – واما العقلى : فلا يلزمه كونهما عقليين لأن الحسي يدرك بالعقل ، خلافا للعقلى فانه لا يدرك بالحس .

(١٩٨/١)

الذي يقصد اشتراك الطرفين فيه

إما (حقيقة) : كالبأس في قولك (زيد كالأسد) وا ٍما (تخيلا) كما في قوله

يا من له شعر كحظى أسود جسمي تحيل من فراقك أصفر

(١) تشبيه تمثيل وهو ما كان و َجه الشبه فيه وصفاً منتزعاً من متعدد : – حسيا كان أو غير حسي ، كقوله :

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يوافى تمام الشهر ثم يغيب

فوجه ُ الشبه سرعة الفناء – انتزاعه الشاعر من أحوال القمر لمتعددة إذ يبدو هلالا ، فيصير بدراً ، ثم ينقص ُ ن حتى يدركه المحاق

ويسمى تشبيه التمثيل

(٢) وتشبيه غير تمثيل وهو مالم يكن وجهُ الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد ، نحو : وجهه كالبدر – وكقول الشاعر :

لا تطلبن بآلة لكَ رتبةً قلمُ البليغ بغير حظٍ مغزل

فوجه الشبه قلة الفائدة ، وليس مُنتزعاً من متعدد

(٣) ومفصل وهو ما ذكر فيه وجه الشيه ، أو ملزومه ، نحو : طبعُ فريد كالنسيم رقّة – ويده كالبحر جوداً –وكلامه كالدُّر حسناً وألفاظه كالعسل حلاوة وكقول ابن الرّومي

شبيه البدر حسنا وضياء ومنالا وشبيه الغصن ليناً وقواما واعتدالا

(٤) ومُجمل – وهو ما يذكر فيه وجه الشبه ، ولا ما يستلزمه – نحو : (النحو في الكلام كالملح في الطعام) فوجه الشبه هو الاصلاح في كل

وكقوله إنما الدنيا كبيتٍ نسجهُ من عنكبوت

واعلم أن وجه الشبه المجمل إما أن يكون خفياً وإما أن يكون ظاهراً ومنه ما وصف فيه أحد الطرفين أو كلاهما بوصف يُشعر بوجه الشبه

ومنه ما ليس كذلك :

(٥) وقريب مبتذل – وهو ما كان ظاهر الوجه ينتقل ، فيه الذهن من المشبه إلى المشبه به ، من غير احتياج إلى شدة نظر وتأمل ، لظهور وجهه بادىء الرأي

وذلك لكون وجهه لا تفصيل فيه : كتشبيه الخدّ بالورد في الحُمرة ، أو لكون وجهه قليل التفصيل ، كتشبيه الوجه بالبدرن في الإشراق والاستدارة ، والعيون بالنرجس ، وقد يتصرف في القريب بما يخرجه عن ابتذاله إلى الغرابة ، كقول الشاعر :

لم تلق هذا الوجه شمسُ نهارنا الاّ بوجهٍ ليس فيه حياءُ

(١٩٩/١)

فانّ تشبيه الوجه الحسن ، بالشمس : مبتذل ، ولكن حديث الحياء أخرجه إلى الغرابة.

وقد يخرج وجه الشبه من الابتذال إلى الغرابة : وذلك بالجمع بين عدة تشبيهات – كقول الشاعر :

كأنما يبسم عن لؤلؤ منضد ، او برد أو أقاح

أو باستعمال شرط – كقوله :

عزماتُه مثل النجوم ثواقبا لو لم يكن للثّاقبات أفول

(٥) وبعيدٌ غريبُ – وهو ما احتاج في الانتقال من المشبه إلى المشبه به ، إلى فكر وتدقيق نظر ، لخفاء وجهه بادىء الرأي – كقوله :

والشمس كالمرآة في كف الأشل

(فان ّ الوجه فيه) هو الهيئة الحاصلة من الاستدارة مع الاشراق ، والحركة السريعة المتصلة مع تموج الاشراق ، حتى ترى الشعاع كأنه يهم ّ بأن ينبسط حتى يفيض من جوانب الدائرة ثم يبدو له فيرجع إلى الانقباض وحكم وجه الشبّه – أن يكون في المشبه به اقوى منه في المشبه –وا ٍلاّ فلا فائدة في التشبيه

تمرين

بين أركان التشبيه وأقسام كل منها فيما يلي :

(١) ومكلّفيلم الأُسدَ طباعها م ُتطلب ٌ في الماء جذوةَ نار

(٢) والدهر يقرعِ ني طوراً واقرعه كأنه جبلٌ يهوى إلى جبل (١)

(٣) فان أغش قوماً بعده أو أزورهم فكالوحش يدنيها من الأنس المحل (٢)

(٤) الشمس من مشرقها قد بدت مشرقة ليس لها حاجب (٣)

كأنها بوتقةُ أحميت يجول فيها ذهب ذائب

(٥) قال أعرابية تصف بنيها (هم كالحلقة المفرغة لا يدى أين طرفاها)

(٦) عزماتهم قضب وفيض أكفهم سحب وبيض وجوههم أقمار (٤)

(٧) قال علي : كرم الله وجهه (مثل الذي يعلم ُ الخير َ ولا يعمل به مثلُ السراج يـُضيء للناس ويحرق نفسه).

(٨) قال صاحب كليلة ودمنة الدنيكالماء الملح ، كلّما ازددت َ منه شرباً ازددت عطشاً .

(٩) فالبيض بنارٍ إلى فحمٍ كأنهما في العين ظلم ٌ وا ٍنصاف قد اتفقا

---

(١) يقرع : يضرب

(٢) الانس محركة : من تأنس به جمعه آناس ، ولغة في الانس بالكسر ، والمحل الجدب.

(٣) الحاجب المانع والبوتقة الوعاء الذي يذيب فيه الصائغ الذهب.

(٤) قضب جمع قضيب وهو السيف القطاع.

(١٠) فقراه في ظلم الوغى فتخاله قمرا يكـُر ّ على الرجال بكوكبِ (١)

(١١) كأن الثريـّا في أواخر ليلها تفتح نور أو لجام ٌ مفضض ُ

(١٢) كأن الدموع على خدّها بقية طلّ على جـُلّنار (٢)

(١٣) صحو ٌ وغيم وضياء وظلم مثل سرور شابه عارض غم

المبحث الخامس في تشبيه التمثيل

تشبيه التمثيل : أبلغ من غيرهن لما في وجهه من التفصيل الذي يحتاج إلى امعان فكر ، وتدقيق نظر ، وهو أعظم أثراً في المعاني : يرفع قدرها ، ويضاعف قواها في تحريك النفوس لها ، فان كان مدحاً كان أوقع ، أو مـّا كان أوجع ، أو بـُرهانا كان أسطع ، ومن ثم يحتاج ُ الُى كدّ الذهن في فهمه ، لاستخراج الصورة المنتزعة

من أمور متعدِّدة ، حسية كانت أو غير حسية ، لتكون (وجه الشبه) – كقول الشاعر :

ولاحت الشمس تحكي عند مطلعها مرآةَ تبر بدت في كفٍّ مرتعش

فمثّل الشمس : حين تطلع حمراء لامعة مضطربة ، بمرآة من ذهب تضطرب في كف ترتعش.

وتشبيه التمثيل نوعان :

الأول : ما كان ظاهر الأداة ، نحو : (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً)

فالمشبه : هم الذين حُمّلو التوراة ولم يعقلوا ما بها : والمشبه به (الحمار) الذي يحمل الكتب النافعة ، دون استفادته منها ، والأداة الكاف ، ووجه الشبه (الهيئة الحاصلة من التعب في حمل النافع دون فائدة)

الثاني : كا كان خفى الأداة : كقولك للذي يتردّد في الشيء بين أن يفعله ، وألاّ يفعله (أراك تقدم رجلا وتُؤخر أخرى) – إذ الأصل : أراك في ترددك مثل من يقدم رجلا مرة ، ثم يؤخّرها مرة أخرى ، فالأداة محذوفة ، ووجه الشبه هيئة الإقدام والاحجام المصحوبين بالشَك .

مواقع تشبيه التمثيل

لتشبيه التمثيل موقعان :

---

(١) الكواكب هنا السيف .

(٢) الطل المطر الضعيف والجلنار زهر الرمان واحدته جلناره (فارسي معرب)

(١) أن يكون في مفتتح الكلام ، فيكون قياساً موضحاً ، وبرهانا مصاحباً ، وهو كثير جداً في القرآن ، نحو : (مثلُ الذين يُنفقونَ أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابلَ في كل سنبلةٍ مائة حبة).

(٢) ما يجيء بعد تمام المعاني ، لإيضاحها وتقريرها ، فيُشبه البرهان الذي تثبت به الدعوى ، نحو :

وما المالُ والأهلون إلا ودائع ولابدّ يوما أن تُرد الودائع

ونحو : لا ينزلُ المجد في منازلنا كالذّوم ليس له مأوى سوى المقل

تأثير تشبيه التمثيل في النفس

إذا وقع التمثيل في صدر القول : بعث المعنى إلى النفس بوضوح وجلاء مؤيد بالبرهان ، ليقنع السامع – واذا أتى بعد استيفاء المعاني كان

(١) إما دليلا على إمكانها ، كقول المتنبي :

وما آنا منهم بالعيش فيهم ولكن معدن الذهب الرغام (١)

(٢) وإما تأييداً للمعنى الثابت ، نحو :

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجري على اليبس

وعلة هذا : أن النفس تأنس إذا أخرجتها من خفي إلى جني ، ومما تجهله إلى ما هي به أعلم

ولذا تجد النفس من الأريحية ما لا تقدُر قدره ، إذا سمعت قول أبي تمام :

وطول مقام المرء في الحي مخلق لديباجتيه فاغترب تتجدد (٢)

فاني رايتُ الشمس زيدت محبة إلى الناس أن ليست عليهم بسرمد

وبعد : فالتمثيل يكسب القول قوة ، فان كان في المدح كان أهز للعطف ، وأنبل في النفس ن وان كان في الذم كان وقعه أشدّ ، وان كان وعظاً كان أشفى للصدر ، وابلغ في التنبيه والزجر ، وان كان افتخارا كان شأوهُ أبعد ، كقول من وصف كاساً علاها الحباب.

وكأنها وكأن حامل كاسها إذ قام يجلوها على الندماء

شمس الضحى رقصت فنقَّط وجهها بدر الدجى بكواكب الجوزاء

---

(١) لما ادعى أنه ليس منهم مع إقامته بينهم ، وكان ذلك يكاد يكون مستحيلا في مجرى العادة ، ضرب لذلك المثل بالذهب ، فان مقامه في التراب ، وهو أشرف منه .

(٢) الديباجتان الخدان ، والسرمد الدائم.

المبحث السادس في أدوات التشبيه (١)

أدوات التشبيه -هي ألفاظ تدلّ على المماثلة ، كالكاف ، وكأنّ ومثل ، وشبه ، وغيرها ، مما يؤدي معنى التشبيه : كيحكى ، ويُضاهي ويضارع ، ويماثل ، ويساوى ، ويشابه ، وكذا أسماء فاعلها ، فأدوات التشبيه بعضها : اسم ، وبعضها فعلٌ ، وبعضها حرف وهي إما ملفوظة ، وإما ملحوظة ، نحو فاروق كالبدر ، وأخلاقه في الرقة النسيم ونحو : اندفع الجيش اندفاع السيل ، أي كاندفاعه ، والأصل في الكاف ، ومثل ، وشبه ، من الاسماء المضافة لما بعدها ان يليها المشبه به لفظاً (٢) أو تقديراً.

والأصل في كأنّ ، وشابه ، وماثل ، وما يُرادفها ، أن يليها المُشبه ، كقوله :

كأن الثريا راحةٌ تشبر الدجى لتنظر طال الليل أم قد تعرضا

وكأن -تفيد التشبيه : إذا كان خبرهُا جامداً ، نحو : كأن البحر مرآة صافية.

وقد تفيد الشك : إذا كان خبرهُا مشتقاً ، نحو : كأنّك فاهم – وكقوله :

كأنَّك من كل النفوس مركَّبٌ فأنتَ إلى كل النفوس حبيب

وقد يغنى عن أداة التشبيه فعلٌ »يدلُ على حال التشبيه ، ولا يعتبر أداة.

---

(١) (التشبيه) يفيد التفاوت ، وأما (التشابه) فيفيد التساوي بلفظ تشابه ، وتماثل وتشاكل ، وتساوى ، وتضارع ، وكذا بقولك : كلاهما سواء – لا بما كان له فاعل ومفعول به : مثل شابه ، وساوى ، فان في هذا

الحاق الناقص بالزائد .

(٢) وقد يليها غير المشبه به إذا كان التشبيه مركبا – أي هيئة منتزعة من متعدد وذكر بعد الكفاف بعض ما تنتزع منه تلك الهيئة كقوله تعالى (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح) فان المراد تشبيه حال الدنيا في حسن نضارتها وبهجة روائها في المبدأ ، وذهاب حسنها وتلاشي رونقها شيئاً فشيئاً في الغاية ، بحال النبات الذي يحسن من الماء ، فتزهو خضرته ،ثم يبس شيئاً فشيئاً ، ثم يتحكم فتطيره الرياح ، فيصير كأن لم يكن شيئاً مذكوراً ، بجامع الهيئة الحاصلة في كل من حسن واعجاب ومنفعة ، يعقبها التلف والعدم.

(٢٠٣/١)

فان كان (الفعل لليقين) – أفاد قرب المشابهة ، لما في فعل اليقين من الدلالة على تيقن الاتحاد وتحققه ، وهذا يفيد التشبيه مبالغة – نحو :

لما رأوه عارضاً مستقبل أو ديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا) ونحو : رأيت الدنيا سراباً غراراً ، وإن كان (الفعل للشك) أفاد بعدها : لما في فعل الرجحان من الإشعار بعدم التحقق ، وهذا يفيد التشبيه ضعفاً – نحو : (وإذا رايتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً) وكقوله :

قوم إذا لبسوا الدروع حسبتها سحباً مزردةً على أقمار

ونحو : قوله تعالى (حور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون)

ونحو : قوله تعالى (وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام) وكقول الشاعر :

والوجه مثل الصبح مبيض والفرع مثل الليل مسودّ

ضدّان لما استجمعا حسنا والضدّ يظهر حسنه الضدِّ

المبحث السابع في تقسيم التشبيه باعتبار أداته

ينقسم التشبيه باعتبار أداته إلى :

(١) التشبيه المرسل (١) – وهو ما ذكرت فيه الأداة ، كقول الشاعر :

إنما الدنيا كبيتٍ نسجُه من عنكبوت

(ب) التشبيه المؤكد –وهو ما حُذفت منه أداته ، نحو : يسجع سجع القمري – وكقول الشاعر :

أنت نجم في رفعة وضياءٍ تجتليكَ العيون شرقاً وغرباً

ومن المؤكد : ما أضيف فيه المشبه به إلى المشبه ، كقول الشاعر :

والريح تعبث بالغصون وقد جرى ذهب الأصيل على (٢) لجين الماء

أي أصيل كالذهب على ماء كاللجين.

والمؤكد أوجز ، وأبلغ ، وأشدّ وقعاً في النفس ، أما أنه أوجز فلحذف أداته ، وأما أنه أبلغ فلإيهامه أنّ المشبه عين المشبه به

---

(١) وسمى مرسلا : لارساله عن التأكيد .

(٢) الأصيل الوقت بين العصر إلى المغرب – واللجين الفضة .

(جـ) التشبيه البليغ –ما بلغ درجة القبول لحسنه ، أو الطّيّب الحسن فكلما كان وجه الشبه قليل الظهور ، يحتاج في إداراكه إلى أعمال الفكر كان ذلك أفعل في النفس : وأدعى إلى تأثرها واهتزازها ، لما هو مركوز في الطبع ، من أن الشيء إذا نيل بعد الطلب له ، والاشتياق إليه ، ومعاناة الحنين نحوه ، كان نيله أحلى ، وموقعه في النفس أجلّ وألطف ، وكانت به أضنّ وأشغف ، وما أشبه هذا الضرب من المعاني ، بالجوهر في الصدف ، لا يبرز إلا أن تشقّه عينه ، وبالحبيب المتحجّب لا يُريك وجهه ، حتى تستأذن وسبب هذه التسمية : أن ذكر (الطّرفين) فقط ، يوهم اتحادهما ، وعدم تفاضلهما ، فيعلو المشبه إلى مستوى المشبه به ، وهذه هي المبالغة في قوة التشبيه والتشبيه البليغ –هو ما حُذفت فيه أداة التشبيه ، ووجه الشبه ، (١) نحو فاقضو مآربكم عجالاً إنّما أعماركم سفرٌ من الأسفار

ونحو : عزماتهم قضبٌ وفيض أكفهم سحُبٌ وبيضُ وجوههم أقمار

المبحث الثامن في فوائد التشبيه

الغرض من التّشبيه والفائدة منه ، هي الإيضاح والبيان (في التشبيه غير المقلوب) ويرجع ذلك الغرض إلى المشبه – وهو إمّا.

(١) بيان حاله – وذلك حيا يكون المشبه مبهماً غير معروف الصفة ، التي يُراد إثباتها له قبل التشبيه ، فيفيده التشبيه الوصف ، ويُوضّحه المشبه به ، نحو شجر النارنج كشجر البرتقال – وكقول الشاعر :

إذا قامت لحاجتها تثنّت كأن عظامها من خيزُران

---

(١) ومن التشبيه البليغ أن يكونالمشبه به مصدراً مبيناً للنوع نحو : أقدم الجندي إقدام الأسد ، وراغ المدين روغان الثعلب ، ومنه أيضاً إضافة المشبه به المشبه ، نحو لبس فلان ثوب العافية ، ومنه أيضاً أن يكون المشبه به حالا نحو : حمل القائد على أعدائه أسداً

(شبه عظامها بالخزران بياناً لما فيها من اللين) (١)

(٢) أو بيانُ إمكان حاله وذلك حين يُسند إليه أمر مستغرب لا تزول غرابته إلا بذكر شبيه له ، معروفٍ واضح مُسلّم به ، ليثبت في ذهن السامع ويتقرّر – كقوله :

ويلاه إن نظرت وان هي أعرضت وقع السِّهام ونزعُهنَّ أليم

(شبّه نظرها : بوقع السهام ، وشبه إعراضها بنزعها : بياناً لإمكان إيلامها بهما جميعاً)

او(٣) بيان مقدار حال المشبه في القوّة والضّعف ، وذلك إذا كان المشبه معلوماً ، معروف الصفة التي يُراد اثباتها له معرفة اجمالية قبل التشبيه بحيث يراد من ذلك التشبيه بيان مقدار نصيب المشبه من هذه الصفة وذلك بأن يعمدَ المتكلّم لأن يبين للسامع ما يعنيه من هذا المقدار – كقوله :

كأن مشيتها من بيت جارتها مر الحساب لا ريث ولا عجلُ

وكتشبيه : الماء بالثلج ، في شدة البرودة – وكقوله :

فيها اثنتان واربعون حلُوبةً سوداً كخافية الغراب الأسحم

(شبه النياق السود ، بخافية الغراب ، بياناً لمقدار سوادها ، فالسواد صفة مشتركة بين الطرفين)

(٤) أو تقرير حال المشبه ، وتمكينه في ذهن السامع ، بابرازها فيما هي فيه أظهر (٢) ، كما إذا كان ما أسند إلى المشبه يحتاج إلى التثبيت والإيضاح فتأتى بمشبه حسى قريب التصور ، يزيد معنى المشبه ايضاحاً ، لما في المشبه به من قوة الظهور والتمام ، نحو : هل دولة الحسن إلا كدولة الزَّهرَ ، وهل عمر الصِّبا إلا أصيل أو سحر ، وكقوله :

---

(١) والتشبيه لهذا الغرض يكثر في العلوم والفنون لمجرد البيان والايضاح ، فلا يكون فيه حينئذ أثر للبلاغة لخلوه من الخيال وعدم احتياجه إلى التفكير ، ولكنه لا يخلو من ميزة الاختصار في البيان ، وتقريب الحقيقة إلى الأذهان ، كقوله : الأرض كالكرة .

(٢) ويكثر في تشبيه الأمور المعنوية بأخرى تدرك بالحس : نحو التعلم في الصغر كالنقش في الحجر.

إن القلوبَ تنافر وُدُّها مثل الزجاجة كسرها لا يُجبر (١)

(شبه تنافر القلوب ، بكسر الزجاجة ، تثبيتا لتعذر عودة القلوب إلى ما كانت عليه من الأنس والمودَّة)

او(٥) بيان إمكان وجود المشبه ، بحيث يبدو غريباً يُستبعد حدُوثه والمشبه به يزيل غرابته ، ويُبين أنه ممكنُ الحصول ، كقوله :

فان تفق الأنام وأنت منهم فان المسك بعض دم الغزال (٢)

(٦) أو مدحه وتحسين حاله ، ترغيباً فيه ، أو تعظيما له ، بتصويره بصورة تهيج في النفس قوى الاستحسان ، بأن يعمد المتكلم إلى ذكر مشبه به معجب ، قد استقر في النفس حسنه وحبُّه ، فيصور المشبه بصورته ، كقوله :

وزاد بك الحسن البديع نضارة كأنك في وجه الملاحة خالُ

ونحو : كأنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

وكقوله :

سبقت إليك من الحدائق وردة وأتتك قبل أوانها تطفيلا

طمعت بلثمك إذ رأتك فجمَّعت فمها إليك كطالب تقبيلا

وكقوله : له خال على صفحات خد كنقطة عنبر في صحن مرمر

والحاظ كاسياف تُنادي على عاصي الهوى الله أكبر

(٧) أو تشويه المشبه وتقبيحه ، تنفيراً منه أو تحقيراً له ، بأن تصوره بصورة تمجها النفس ، ويشمئز منها الطبع ، كقوله :

وإذا أشار محدثاً فكأنه قرد يقهقهُ أو عجوزٌ تلطم

وكقوله :

---

(١) تنافر القلوب وتوادها من الأمور المعنوية ، ولكن الشاعر نظر إلى ما في المشبه به من قوة الظهور والتمام ، فانتقل بالسامع من تنافر القلوب الذي لا ينتهي إذا وقع ، إلى كسر الزجاجة الذي لا يجبر إذا حصل ، فصور لك الأمر المعنوي بصورة حسية .

(٢) أي أنه لا استغراب في فوقانك للانام مع أنك واحد منهم – لأن لك نظيراً وهو (المسك) فانه بعض دم الغزال وقد فاق على سائر الدماء – ففيه تشبيه حال الممدوح بحال المسك تشبيها ضمنيا – والتشبيه الضمني هو تشبيه لا يوضع فيه المشبه والمشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة ، بل يلمحان في التركيب لافادة أن الحكم الذي أسند إلى المشبه ممكن ، نحو : المؤمن مرآة المؤمن .

وترى ناملها دبت على مزمارها كخنافسٍ دبت على أوتار

(٨) أو استطرافه أي عده طريفاً حديثاً بحيث يجيء المشبه به طريفاً ، غير مألوفٍ للذهن.

إما لإبرازه في صورة الممتنع عادة ، كما في تشبيه : فحم فيه جمر متقد يبحر من المسك موجه بالذهب –

وكقوله :

وكأن محمرَّ الشقيق ... ... إذا تصوَّب أو تصعَّد

أعلام ياقوت نشر ... ن على رماح من زبرجد

وإما لندور حضور المشبه به في الذهن عند حضور المشبه ، كقوله :

أنظر إليه كزورق من فضَّة قدأثقلته حمولة من عنبرٍ (١)

تشبيه على غير طرقه الاصلية

التشبيه الضمني

هو تشبيهٌ لا يوضع فيه المشبه والمشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة ، بل يلمح المشبه والمشبه

به ، ويفهمان من المعنى ، ويكون المشبه به دائماً برهاناً على امكان ما أسند إلى المشبه ، كقول المتنبي من يهن يسهل الهوانُ عليه ما لجُرحٍ بميَّت إيلامُ

(أي إن الذي اعتاد الهوان ، يسهل عليه تحمّله ، ولا يتألم له ، وليس هذا الادعاء باطلا (لأن الميت إذا جرح لا يتألم) ، وفي ذلك تلميح بالتشبيه في غير صراحة ، وليس على صورة من صور التشبيه المعروفة ، بل انه (تشابهٌ) يقتضي التَّساوي ، وأما (التشبيه) فيقتضي التفاوت.

التشبيه المقلوب

---

(١) الحمولة ما يحمل فيه ويوضع والمقصد من التشبيه وجود شيء أسود داخل أبيض واعلم أن التشبيه يعود فيه الغرض إلى المشبه يكون وجه شبهه أتم وأعرف في المشبه به ، منه في المشبه ، كما في السكاكي ، وعليه جرى أبو العلاء المعري في قوله (ظلمناك في تشبيه صدغيك بالمسك) وقاعدة التشبيه نقصان ما يحكى – وشراح التلخيص اشترطوا الأعرفية ولم يشترطوا الاتمية ، وفي المطول والأطول ما يلفت النظر – فارجع اليهما .

(٢٠٨/١)

(٢) قد يُعكس التشبيه ، فيجعل المشبه مشبهاً به – وبالعكس (١)

فتعود فائدته إلى المشبه به ، لادِّعاء أن المشبه أتم وأظهر من المشبه به في وجه الشبه – ويسمى ذلك (بالتشبيه المقلوب) (٢) أو المعكوس –نحو : كأن ضوء النهار جبينُه – ونحو : كأن نشر الروض حسن سيرته – ونحو : كأن الماء في الصفاء طباعه – وكقول محمد بن وهيب الحميري (٣)

وبدا الصباح كأن غرّته وجهُ الخليفة حين يُمتدحُ

(شبه غرة الصباح ، بوجه الخليفة ، إيهاماً أنه أتم منها في وجه الشبه وكقول البحتري في وصف بركة المتوكل :

---

(١) التشبيه المقلوب : ويسمى المنعكس ، هو ما رجع فيه وجه الشبه إلى المشبه به وذلك حين يراد تشبيه الزائد بالناقص ويلحق الأصل بالفرع للمبالغة ، وهذا النوع جار على خلاف العادة في التشبيه ، وورد على سبل الندور وانما يحسن في عكس المعنى المتعارف كقول البحتري

في طلعة البدر شيء من محاسنها وللقضيب نصيب من تثنيها

والمتعارف تشبيه الوجوه الحسنة بالبدور ، والقامات بالقضيب في الاستقامة ، والتثنى لكنه عكس ذلك مبالغة – هذا إذا أريد الحاق كامل بناقص في وجه الشبه ، فان تساويا حسن العدول عن (التشبيه) إلى الحكم (بالتشابه) تباعداً واحترازا من ترجيح أحد المتساويين على الآخر ، كقول أبي اسحاق الصابي

تشابه دمعي إذ جرى و مدامتي فمن مثل ما في الكأس عيني تسكب

فو الله ما أدرى أبا لخمر أسلبت جفوني أم من عبرتي كنت أشرب

وكقول الصاحب بن عباد

رق الزجاج وراقت الخمر فتشابها وتشاكل الامر

فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدج ولا خمر .

(٢) يقرب من هذا النوع ما ذكره الحلبي في كتاب حسن التوسل وسماه «تشبيه التفضيل» وهو أن يشبه شيء بشيء لفظاً أو تقديراً ، ثم يعدل عن التشبيه لادعاء أن المشبه أفضل من المشبه به – كقوله :

... حسبت جمالها بدراً منيراً وأين البدر من ذاك الجمال

(٣) فالحميري أراد أن يوهم أن وجه الخليفة أتم من غرة الصباح اشراقا ونورا

(٢٠٩/١)

كأنها حين لجَّت في تدفقها يد الخليفة لمّا سال واديها (١)

هذاوالتشبيه مظهرٌ من مظاهر الإفتنان والابداع ، كقوله تعالى حكاية عن الكفار (إنما البيعُ مثل الربا) في مقام أن الربا مثل البيع عكسوا ذلك لإيهام أن الربا عندهم أحلّ من البيع ، لأن الغرض الرِّبح وهو أثبتُ وجوداً في الربا منه في البيع ، فيكون أحق بالحل عندهم.

المبحث الثامن في تقسيم التشبيه باعتبار الغرض إلى مقبول وا إلى مردود

ينقسم التشبيه باعتبار الغرض : إلى حسنٍ مقبول ، وا إلى قبيح مردود

(١) فالحسن المقبول – هو ما وفى بالأغراض السابقة ، كأن يكون المشبه به أعرف من المشبه في وجه الشبه ، إذا كان الغرض بيان حال المشبه ، أو بيان المقدار ، أو أن يكون أتم شيء في وجه الشبه ، إذا قصد الحاق الناقص بالكامل ، أو أن يكون في بيان الامكان مسلم الحكم ، ومعروفاً عند المخاطب ، إذا كان الغرض بيان امكان الوجود ، وهذا هو الأكثر في الشبيهات ، إذ هي جارية على الرَّشاقة ، سارية على الدِّقة والمبالغة ثم إذا تساوى الطرفان في وجه التشبيه عند بيان المقدار كان التشبيه كاملا في القبول ، والا فكلما كان المشبه به أقرب في المقدار إلى المشبه كان الشبه أقرب إلى الكمال والقبول.

(٢) والقبيح المردود – هو ما لم يف بالغرض المطلوب منه ، لعدم وجود وجه بين المشبه والمشبه به : أو مع وجوده لكنه بعيد.

تنبيهات

(الأول) بعض اساليب التشبيه أقوى من بعض في المبالغة ، ووضوح الدلالة ولها مراتب ثلاثة :

«أ» (أعلاها) وأبلغها ما حذف فيها الوجه والأداة ، نحو : على أسد – وذلك أنك ادعيت الاتحاد بينهما بحذف الأداة – وادعيت التشابه بينهما في كل شيء بحذف الوجه ولذا سمى هذا تشبيها بليغا.

---

(١) فالبحتري أراد أن يوهم أن يد الخليفة أقوى تدفقاً بالعطاء من البركة بالماء .

(٢١٠/١)

«ب» (المتوسطة) ما تحذف فيها الأداة وحدها ، كما تقول (على أسد شجاعة) أو يحذف فيها وجه الشبه – فنقول على كالأسد ، وبيان ذلك : أنك بذكرك الوجه حصرت التشابه ، فلم تدع للخيال مجالا في الظن ، بأن التشابه في كثير من الصفات – كما أنك بذكر الاداة نصصت على وجود التفاوت بين المشبه والمشبه به ، ولم تترك بابا للمبالغة.

«جـ» (أقلها) ما ذكر فيها الوجه والأداة ، وحينئذ فقدت المزيتين السابقتين.

(الثاني) قد يكون الغرض من التشبيه حسنا جميلا ، وذلك هو النمط الذي تسمو إليه نفوس البلغاء ، وقد أتوا فيه بكل حسن بديع ، كقول ابن نباتة في وصف فرس أغر محجل

وكانما لطم الصباح جبينه فاقتص منه فخاض في أحشائه

وقد لا يوفق المتكلم إلى وجه الشبه ، أو يصل إليه مع بعد – وما أخلق مثل هذا النوع بالاستكراه ، وأحقه بالذم ، لما فيه من القبح والشناعة – بحيث ينفر منه الطبع السليم.

(الثالث) علم مما سبق أن أقسام التشبيه من حيث الوجه والاداة كالآتي.

١– التشبيه المرسل : هو ما ذكرت فيه الأداة.

٢– التشبيه المؤكد : هو ما حذفت منه الأداة.

٣ – التشبيه المجمل : هو ما حذف منه وجه الشبه.

٤ – التشبيه المفصل : هو ما ذكر فيه وجه الشبه.

٥– التشبيه البليغ : هو ما حذفت فيه الأداة ، ووجه الشبه ، وهو أرقى أنواع التشبيه بلاغة : وقد تقدم الكلام عليه مستوفياً .

٦– التشبيه الضمني : هو تشبيه لا يوضع فيه المشبه ، والمشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة ، بل يلمح المشبه ، والمشبه به ، ويفهمان من المعنى نحو :

علا فما يستقر المال في يده وكيف تمسك ماء قنة الجبل

فالمشبه الممدوح ، وهو ضمير (علا) والمشبه به (قنة الجبل) ووجه الشبه عدم الاستقرار والأداة محذوفة أيضاً ، وهذا النوع يؤتى به ليفيد أن الحكم الذي أسند إلى المشبه ممكن

أسئلة تطلب أجوبتها

(٢١١/١)

ما هو علم البيان لغة واصطلاحاً ؟ ما هو التشبيه ؟ ما أركان التشبيه ؟ طرفا التشبيه حسيان أم عقليان ؟ ما المراد بالحسّي ؟ ما هو التشبيه الخيالي ؟ ما المراد بالعقلي ؟ – ما هو التشبيه الوهمي ؟ – ما هو وجه الشبه ؟ ما هي أدوات التشبيه ؟ هل الاصل في أدوات التشبيه أن يليها المشبه ، أو المشبه به ؟ – متى تفيد كأن التشبيه ؟ ما هو التشبيه البليغ ؟

ما هو التشبيه الضمني ؟ ما هو التشبيه المرسل ؟ كم قسما للتشبيه باعتبار طرفيه ؟ كم قسما للتشبيه باعتبار تعدد طرفيه ؟ ما هو التشبيه الملفوف ؟ ما هو التشبيه المفروق ؟ ما هو تشبيه التسوية ؟ ما هو تشبيه الجمع ؟ كم قسما للتشبيه باعتبار وجه الشبه ؟ ما هو تشبيه التمثيل ؟ ما هو تشبيه غير التمثيل ؟ ما هو التشبيه المفصل ؟ ما هو التشبيه المجمل ؟ كم قسما للتشبيه باعتبار الغرض منه.

تطبيق عام على أنواع التشبيه

اشتريت ثوبا أحمر كالورد – في هذه الجملة تشبيه مرسل مفصل – المشبه ثوبا ، والمشبه به الورد ، وهما حسيان مفردان ، والأداة الكاف ، ووجه الشبه : الحمرة في كل – والغرض منه بيان حال المشبه.

... ما الدهر إلا الربيع المستنير إذا أتى الربيع أتاك النور والنور

... فالأرض ياقوتة والجو لؤلؤة والنبت فيروزج والماء بلور

«الأرض ياقوتة «تشبيه بليغ مجمل المشبه الارض ، والمشبه به ياقوته – وهما حسيان مفردان ، ووجه الشبه محذوف ، وهو الخضرة في كل ، والاداة محذوفة والغرض منه تحسينه«والجو لؤلؤة ، والنبت فيروزج «والماء بلور» كذلك وفي البيت كله تشبيه مفروق –لأنه أتى بمشبه ومشبه به ، وآخر و آخر.

... العمر والانسان والدنيا همو كالظل في الاقبال والادبار

فيه تشبيه تسوية مرسل مفصل ، المشبه العمر والانسان والدنيا ، والمشبه به الظل والمشبه بعضه حسي ، وبعضه ع قلي والمشبه به حسي ، والكاف الاداة ، ووجه الشبه الاقبال والادبار ، والغرض تقرير حاله في نفس السامع.

... كم نعمة مرت بنا وكأنها فرس يهرول أو قسيم ساري

(٢١٢/١)

في البيت : تشبيه جمع مرسل مجمل ، والمشبه نعمة ، والمشبه به فرس يهرول ، أو نسيم ساري ، وهما حسيان ، وكأن الاداة ووجه الشبه السرعة في كل ، والغرض منه بيان مقدار حاله.

ليل وبدر وغصن شعر ووجه وقد

فيه تشبيه بليغ مجمل ملفوف ، المشبه شعر وهو حسي ، والمشبه به ليل ، وهو عقلي ، والاداة محذوفة ، ووجه الشبه السواد في كل – والغرض منه بيان مقدار حاله ، وفي الثاني – المشبه وجه ، والمشبه به بدر ، وهما حسيان ، ووجه الشبه الحسن في كل ، والاداة محذوفة – والغرض تحسينه ، وفي الثالث المشبه قد ، والمشبه به غصن ، وهما حسيان ، ووجه الشبه الاعتدال في كل ، والاداة محذوفة ، والغرض بيان مقداره – هذا.

وان شئت فقل هذا (تشبيه مقلوب) بجعل المشبه به مشبها ، والمشبه مشبها به لغرض المبالغة ، بأن تجعل الليل مشبها ، والشعر مشبها به.

وقد لاح في الصبح الثريا كما ترى كعنقود ملاحية حين نورا

فيه تشبيه تمثيل مرسل مجمل ، المشبه هيئة الثريا الحاصلة من اجتماع أجرام مشرقة مستديرة منيرة – والمشبه به هيئة عنقود العنب المنور ، والجامع الهيئة الحاصلة من اجتماع اجرام منيرة مستديرة في كل – والأداة الكاف ، والغرض منه بيان حاله

تمرين

بين أنواع التشبيه فيما يأتي :

(١) الورد في أعلا الغصون كأنه ملكٌ تحفُّ به سراة جنوده

(٢) إذا ارتجل الخطاب بدا خليج بفيه يمدّه بحرُ الكلام

كلام بل مدام بل نظام من الياقوت بل حب الغمام

(٣) يا صاحبي تيقظاً من رقدة تزري على عقل اللبيب الاكيس

هذي المجرة والنجوم كأنها نهر تدفَّق في حديقة نرجس

(٤) وكأن الصبح لمّا لاح من تحت الثريا

ملك أقبل في التاج يفدى ويحيّا

(٥) إنما النفس كالزجاجة والعلم سراج وحكمة الله زيت

فاذا أشرقت فانك حيٌّ وإذا أظلمت فانك ميت

(٦) وغير تقيٍ يأمر الناس بالتقى طبيبٌ يداوى الناس وهو مريض

(٧) إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفَّت له عن عدو في ثياب صديق

(٨) جمرة الخد أحرقت عنبر الخال فمن ذلك العذار دخانُ

(٢١٣/١)

(٩) كالبدر من حيث التفتّ رأيته بهدى إلى عينيك نورا كافيا

(١٠) وأشرق عن بشر هو النور في الضحا وصافى بأخلاق هي الطَّلُّ في الصبح

تمرين آخر

لبيان أنواع التشبيه : البليغ ، والضمني ، والتمثيل ، والمقلوب والمؤكد والمفصل ، والمجمل.

(١) خلط الشجاعة بالحياء فأصبحا كالحسن شيب لمغرم بدلال

(٢) شقائقٌ يحملن الندَى فكأنه دموعُ التصابي في خدودِ الخرائدِ

(٣) عذبٌ فراقٌ لنا قبيل وداعنا ثم اجترعناه كأسٍ ناقعِ

فكأنما أثر الدموعِ بخدِّها طل تناثر فوق ورد يانع (١)

(٤) وترى الغصون تميل في أوراقها مثل الوصائف في صنوف حرير

(٥) وحديقةٍ ينساب فيها جدول طرفي برونق حسنه مدهوش

يبدو خيالُ غصونها في مائهٍ فكأنما هو معصم منقوش

(٦) انظر إلى حسن تكوين السماء وقد لاحت كواكبها والليلُ ديجورُ
كأنها خيمة ليست على عمدٍ زرقاء قد رصِّعت فيها الدنانير
(٧) وقد سفر الدجى عن ضوء فجر منير مثلما سفر النِّقاب
فخلت الصبح في إثر الثريا بشيراً جاء في يده كتاب
(٨) ولقد ذكرتك والنجوم كأنها دُرر على أرض من الفيروزج
يلمعن من خلل السحاب كأنها شررٌ تطاير من دخان العرفجِ
(٩) ونارنجة بين الرياض نظرتُها على غصن رطب كقامة أغيد
إذا ميلتها الريح مالت كأكرة بدت ذهبا من صولجان زمرد
(١٠) وحديقة غنَّاء ينتظم الندّى بفروعها كالدر في الأسلاك
والبدرُ يشرق من خلال ضفونها مثل المليح يطُلُّ من شباك
(١١) لو كنت تشهد يا هذا عشيتنا والمزنُ يسكب أحيانا وينحدر
والأرض مصفرة بالمزن كاسية أبصرت تبراً عليه الدّرّ ينتشر
(١٢) وللأقاحي قصورٌ كلها ذهبٌ من حولها شرفات كلها درر
(١٣) كأنما النار في تلهُّبها والفحم من فوقها يغطِّيها
زنجية شبّكت أناملها من فوق نارنجة لتخفيها
(١٤) والورد في شط الخليج كأنه رمدٌ ألم بمقلةٍ زرقاء
(١٥) هذي المجرَّة والنجوم كأنها نهر تدفق في حديقة نرجس

---

(١) الطل ، الندى .

(١٦) أنظر إلى حسن هلال بدا يهتك من أنواره الحندسا (١)
كمنجل قد صيغ من عسجدٍ يحصدُ من زهر الدجى نرجسا
(١٧) والبدر يستر بالغيوم وينجلي كتنفس الحسناء في مرآتها
كأنما الأغصان لما انثنت أمام بدرِ التّمّ في غيهبه
(١٨) بنت مليكٍ خلف شباكها تفرجت منه على موكبه
(١٩) كان شعاع الشمس في كل غدوة على ورق الأشجار أول طالع
دنانير في كف الأثل يضمّها لقبض فتهوى من فروج الأصابع
(٢٠) لئن بسط الزمان يدى لئيم فصبراً للذي فعل الزمان
فقد تعلو على الرأس الدُّنا بي كما يعلو على النار الدخان

)(٢١ ٌ علا قدر الوضيعِ به وغذا الشريفُ يحطّه شرفه
كالبحر يرسب فيه لؤلؤه سفلا وتطفو فوقه جيفه
(٢٢) لو أورقت من دم الأبطال سمرقنا لأورقت عنده سمر القنا الذُّبل
إذا توجه في أولي كتائبه لم تفرق العين بين السهل والجبل
فالجيش ينقض حوليه أسنته نفض العقاب جناحيه من البلل
(٢٣) لو كنت شاهدنا عشية أنسها والمزن يبكينا بعيني مذنب
والشمس قد مدت أديم شعاعها في الأرض تجنح غير أن لم تذهب
خلت الرذاذ برادةً من فضة قد غربلت من فوق نطع مُذهَّبِ (٢)
(٢٤) لله دولابٌ يفيض بسلسلٍ في روضة قد أينعت أفنانا
قد طارحته بها الحمائم شجوها فيجيبها ويرجع الألحانا
فكأنه دنفٌ (٣) يدور بمعهد (٤) يبكي ويسأل فيه عمن بانا (٥)
ضاقت مجاري طرفه عن دمعه فتفتحت أضلاعه أجفانا
(٢٥) أخرس ينبيك بإطراقه عن كل ما شئت من الأمر
يذرى على قرطاسه دمعه يبدى لنا السر وما يدرى
كعاشقٍ أخفى هواه وقد نمت عليه عبرة تجري
(٢٦) الشمسُ من مشرقها قد بدت مشرقة ليس لها حاجب
كأنها بودقةٌ أحميت يجول فيها ذهبٌ ذائب

---

(١) الحندس : الظلام.
(٢) النطع : بساط من جلد .
(٣) الدنف : من برح به العشق .
(٤) المعهد : المنزل الذي إذا نأى عنه القوم رجعوا إليه.
(٥) بان : فارق .

(٢١٥/١)

(٢٧) قال الله تعالى : (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماءٍ أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح)
(٢٨) إذا ما تردى لأمة الحرب أرعدت حشا الأرض واستدمى الرماح الشوارع
وأسفر تحت النقع حتى كأنه صباح مشى في ظلمة الليل ساطع
(٢٩) وكأن أجرام السماء لوامعاً درر نثرن على بساط أزرق

(٣٠) قال الله تعالى (مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف).

(٣١) وقال تعالى (والذين كفروا أعمالهم كسرابٍ بقيعةٍ يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً)

(٣٢) وقال تعالى (إنما مثل الحياة الدنيا كماءٍ أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس).

(٣٣) حمر السيوف كأنما ضربت لهم أيدى القيون صفائحا من عسجد

في فتية طلبوا غبارك إنه رهج ترفع عن طريق السؤدد

كالرمح فيه بضع عشرة فقرة منقادة خلف السَّنان الأصيد

(٣٤) تبّ ريني ماذا كرهت من الشيب فلا علم لي بذنب المشيبِ

أضياء النهار أم وضح اللؤ لؤ أم كونه كثغر الحبيب

واذكرى لي فضل الشباب وما يجمع من منظر يروق وطيب

غدره بالخليل أم حبه للغيِّ أم أنه كدهر الأديب

(٣٥) البدر أو ّل ما بدا متلثماً يبدى الضياء لنا بخدٍ مسفر

فكأنما هو خوذةٌ من فضةٍ قد ركبَّت في هامة من عنبر

(٣٦) خلتها في المعصرات القواني وردة في شقائق النعمان

(٣٧) تبّ هت بدر سمائنا لم ّا دنت منه الثريا في قميص سندس

ملكا مهيبا قاعداً في روضة حيّ اه بعض الزائرين بنرجس

(٣٨) إذ ّى على اشفاق عيني من البُكا لتجمح منِّى نظرةٌ ثم أطرق

كما حلَّئت عن ماء بئرٍ طريدة تمد إليها جيدها وهي تفرق

(٣٩) أنا كالورد فيه راحةُ قوم ثم فيه لآخرين زكام

(٤٠) يا حبذا يومنا ونحن على رؤوسنا نعقد الأكاليلا

في جنة ذللت لقاطفها قطوفها الدّانيات تذليلا

(٢١٦/١)

كأن أترجَّها تميل بها أغصانها حاملا ومحمولا

سلاسلٌ من زبرجد حملت من ذهب أصفر قناديلا

(٤١) كم والد يحرم أولاده وخيره يحظى به الأبعد

كالعين لا تنظر ما حولها ولحظها يدرك ما يبعد

(٤٢) ريم يتيه بحسن صورته عبث الفتور بلحظ مقلته

فكأن عقرب صدغه وقفت لما دنت من نار وجنته

(٤٣) وشادن أهيف حيًّا بنرجسةٍ كأنها إذ بدت في غاية العجب
كف من الفضة البيضا ساعدها زبرجدٌ حمِّلت كأساً من الذهب
(٤٤) نثر الجو على الأرض برد أيّ درّ لنحور لو جمد
لؤلؤ أصدافه السّحب التي أنجز البارق منها ما وعد
(٤٥) أبصرتُ طاقة نرجس في كف من أهواه غضَّه
فكأنها برج الزبر جد أنبتت ذهبا وفضة
(٤٦) كأن الأفق محفوفٌ بنار وتحت النار آساد تزير
(٤٧) وما الناس إلا كالديار وأهلها بها يوم حلوها وغدواً بلاقع

بلاغة التشبيه (١)

وبعض ما اثر منه عن العرب والمحدثين

تنشأ بلاغة التشبيه : من أنه ينتقل بك من الشيء نفسه ، إلى شيء طريف يشبهه ، أو صورة بارعة تمثّله وكلما كان هذا الانتقال بعيداً ، قليل الخطور بالبال ، أو ممتزجاً بقليل أو كثير من الخيال ، كان التشبيه أروع للنفس ، وأدعى إلى إعجابها واهتزازها فإذا قلت : فلان يشبه فلانا في الطول ، أو أن الأرض تشبه الكرة في الشكل ، لم يكن في هذه التشبيهات أثر للبلاغة ، لظهور المشابهة ، وعدم احتياج العثور عليها إلى براعة ، وجهد أدبي ، ولخلوّها من الخيال ، وهذا الضرب من التشبيه ، يقصد به البيان والإيضاح ، وتقريب الشيء إلى الأفهام ، وأكثر ما يستعمل في العلوم والفنون ، ولكنك تأخذك روعة التشبيه ، حينما تسمع قول المعري يصف نجماً

---

(١) التشبيه مع ما فيه من ميزة الايجاز في اللفظ يفيد المبالغة في الوصف ، ويخرج الخفي إلى الجلي والمعقول إلى المحسوس ، ويجعل التافه نفيساً ، والنفيس ، تافها ويدني البعيد من القريب ، ويزيد المعنى وضوحا ، وبكسبه تأكيدا ، فيكون أوقع في النفس وأثبت ، وله روعة الجمال والجلال.

يسرع اللمح في احمرار كما تسـ رعُ في اللمح مقلة الغضبان

فان تشبيه لمحات النجم وتألقه مع احمرار ضوئه ، بسرعة لمحة الغضبان من التشبيهات النادرة ، التي لا تنقاد إلا لأديب ، ومن ذلك قول الشاعر :

وكأن النجوم بين دجاها سنن لاح بينهن ابتداع

فإن جمال هذا التشبيه : جاء من شعورك ببراعة الشاعر وحذقه ، في عقد المشابهة بين حالتين – ما كان يخطر بالبال تشابههما ، وهما حالة النجوم في رقعة الليل ، بحال السنن الدينية الصحيحة ، متفرقة بين البدع الباطلة.

ولهذا التشبيه : روعة أخرى ، جاءتمن أن الشاعر : تخيل أن السنن مضيئة لمـ ّاعة ، وأن البدع مظلمة قاتمة.

ومن أبدع التشبيهات قول المتنبي :

بليت بلى الأطلال إن لم أقف بها وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه

يدعو الشاعر : على نفسه بالبلى والفناء ، إذا هو لم يقف بالأطلال ، ليذكر عهد من كانوا بها ، ثم أراد أن يصور لك هيئة وقوفه ، فقال : كما يقف شحيح فقد خاتمه في التراب ، من كان يوفّق إلى تصوير حال الذاهل المتحير المحزون ، المطرق برأسه ، المنتقل من مكان إلى مكان في اضطراب ودهشة ، بحال شحيح فقد في التراب خاتماً ثميناً.

هذه بلاغة التشبيه من حيث مبلغ طرافتهن وبعد مرماه ، ومقدار ما فيه من خيال.

(٢١٨/١)

أما بلاغته من حيث الصورة الكلامية التي يوضع فيها ، فمتفاوتة أيضاً فأقل التشبيهات مرتبة في البلاغة ما ذكرت أركانه جميعها ، لأن بلاغة التشبيه مبنية على ادعاء أن المشبه عين المشبه به ، ووجود الاداة ، ووجه الشبه معاً ، يحولان دون هذا الادعاء ، فإذا حذفت الاداة وحدها ، أو وجه الشبه وحده ، ارتفعت درجة التشبيه في البلاغة قليلا ، لأن حذف أحد هذين يقوى ادعاء اتحاد المشبه والمشبه به بعض التقوية – أما أبلغ أنواع التشبيه «فالتشبيه البليغ» لانه مبنى على ادعاء أن المشبه والمشبه به شيء واحد ، هذا – وقد جرى العرب والمحدثون على تشبيه : الجواد بالبحر ، والمطر والشجاع بالأسد ، والوجه الحسن بالشمس والقمر ، والشهم الماضي في الأمور بالسيف ، والعالي المنزلة بالنجم ، والحليم الر ّزين بالجبل ، والأماني الكاذبة بالاحلام ، والوجه الصبيح بالدينار ، والشعر الفاحم بالليل ، والماء الصافي باللجين ، والليل بموج البحر ، والجيش بالبحر الزاخر ، والخيل بالريح والبرق ، والنجوم بالدرر والأزهار ، والأسنان بالبرد واللؤلؤ والسفن بالجبال ، والجداول بالحيات الملتوية ، والشيب بالنهار ، ولمع السيوف وغرة الفرس بالهلال ، ويشبهن الجبان بالنعامة والذبابة ، واللئيم بالثعلب ، والطائش بالفراش ، والذليل بالوتدِ ، والقاسي بالحديد والصخر ، والبليد بالحمار ، والبخيل بالأرض المجدبة ، وقد اشتهر رجال من العرب بخلال محمودة ، فصاروا فيها أعلاماً – فجري التشبيه بهم : فيشبه الوفى بالسموءل (١) ، والكريم بحاتم ، والعادل بعمر (٢)

---

(١) هو السموءل بن حيان اليهودي ، يضرب به المثل في الوفاء ، وهو من شعراء الجاهلية ، توفي سنة ٦٢ ق . هـ .

(٢) هو أمير المؤمنين وخليفة المسلمين وأحد السابقين إلى الاسلام الأولين ، اشتهر بعدله وتواضعه وزهده ، وقد نصر الله به الاسلام وأعزه ، وتوفي سنة ٢٣ هـ ..

والحليم بالأحنف (١) ، والفصيح بسحبان ، والخطيب بقس (٢) والشجاع بعمرو بن معد يكرب ، والحكيم بلقمان (٣) ، والذكي بـ ُياس ، واشتهر آخرون بصفات ذميمة ، فجرى التشبيه بهم أيضاً ، فيشبه العي بباقل (٤) والأحمق بهبنقة (٥) والنادم بالكُسعى (٦) والبخيل بمادر (٧) والهجـّاء بالحطيئة (٨) والقاسي بالحجاج الثقفي : أحد جبابرة العرب المتوفى سنة ٩٧ هـ.

---

(١) هو الأحنف بن قيس من سادات التابعين ، كان شهماً حليماً ، عزيزاً في قومه إذا غضب غضب له مائة ألف سيف ، لا يسألون لماذا غضب ، توفى سنة ٦٧ هـ .

(٢) هو قس بن ساعدة الأيادي ، خطيب العرب قاطبة ، ويضرب به المثل في البلاغة والحكمة .

(٣) حكيم مشهور آتاه الله الحكمة ، أي الاصابة في القول والعمل .

(٤) رجل اشتهر بالعي ، اشترى غز الامرة بأحد عشر درهما ، فسئل عن ثمنه فمد أصابع كفيه يريد عشرة ، وأخرج لسانه ليكملها أحد عشر ، ففر الغزال ، فضرب به المثل في العي .

(٥) هو لقب أبي الودعات يزيد بن ثروان القيسي ، يضرب به المثل في الحمق .

(٦) هو غامد بن الحرث ، خرج مرة للصيد فأصاب خمسة حمر بخمسة أسهم ، وكان يظن كل مرة أنه مخطىء ، فغضب وكسر قوسه ، ولما أصبح رأى الحمر مصروعة والأسهم مخضبة بالدم ، فندم على كسر قوسه ، وعض على إبهامه فقطعها.

(٧) لقب رجل من بني هلال ، اسمه مخارق ، وكان مشهوراً بالبخل واللؤم.

(٨) شاعر مخضرم ، كان هجاء مراً ، ولم يكد يسلم من لسانه أحد ، هجا امه وأباه ، ونفسه ، وله ديوان شعر ، وتوفي سنة ٣٠ هـ .

الباب الثاني في المجاز (١)

المجاز : مشتق من جاز الشيء يجوزه ، إذا تعداه – سموا به اللفظ الذي نقل من معناه الاصلي ، واستعمل ليدل على معنى غيره ، مناسب له والمجاز : من أحسن الوسائل البيانية التي تهدى اليها الطبيعة : لإيضاح المعنى ، إذ به يخرج المعنى متصفاً بصفة حسية ، تكاد تعرضه على عيان السامع – لهذا شغفت العرب باستعمال (المجاز) لميلها إلى الاتساع في الكلام ، والى الدلالة على كثرة معاني الألفاظ ، ولما فيها من الدقة في التعبير ، فيحصل للنفس به سرور وأريحية ، ولأمر ما كثر في كلامهم ، حتى أتوا فيه بكل معنى رائق ، وزينوا به خطبهم وأشعارهم.

وفي هذا الباب مباحث

المبحث الأول في تعريف المجاز وأنواعه

المجاز : هو اللفظ السمتعمل في غير ما وضع له في اصطلاح التخاطب لعلاقةٍ : مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الوضعي ، والعلاقة : هي المناسبة (٢) بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي ، قد تكون (المشابهة) بين المعنيين ، وقد تكون غيرها.

فاذا كانت العلاقة (المشابهة) فالمجاز (استعارة) ، والافهو (مجاز مرسل) والقرينة : هي المانعة من إرادة المعنى الحقيقي ، قد تكون لفظية ، وقد تكون حالية – كما سيأتي :

---

(١) أقول : إن المخلوقات كلها تفتقر إلى أسماء ، يستدل بها عليها ، ليعرف كل منها باسمه ، من أجل التفاهم بين الناس ، وهذا يقع ضرروة لا بد منها ، فالاسم الموضوع بازاء المسمى هو حقيقة له – فاذا نقل إلى غيره صلر مجازا ، واعلم أنه ليس لكل مجاز (حقيقة) يتفرع عنها ، فلفظ (الرحمن) استعمل مجازاً في المنعم ، ولم يستعمل في معناه الوضعي ، وهو : الرقيق القلب ، ولكن الغالب أن يتفرع المجاز عن الحقيقة .

(٢) العلاقة هي المناسبة بين المعنى المنقول عنه والمنقول إليه ، وسميت بذلك : لان بها يتعلق ويرتبط المعنى الثاني بالأول ، فينتقل الذهن من الأول للثاني – وباشتراط ملاحظة العلاقة ، يخرج الغلط ، كقولك : خذ هذا الكتاب ، مشيراً إلى فرس مثلا ، إذ لا علاقة هنا ملحوظة .

(٢٢١/١)

وينقسم المجاز : إلى أربعة أقسام – مجاز مفرد مرسل ، ومجاز مفرد بالاستعارة «ويجريان في الكلمة» ومجاز مركب مرسل ، ومجاز مركب بالاستعارة «ويجريان في الكلام».

ومتى أطلق المجاز ، ، انصرف إلى (المجاز اللّغوي)

وأنواع المجاز كثيرة : أهمها (المجاز المرسل) ، وهو المقصود بالذات وسيأتي مجاز ، يسمى «المجاز العقلي» ويجرى في الإسناد

المبحث الثاني في المجاز اللّغوي المفرد المرسل ، وعلاقاته

المجاز المفرد المرسل : هو الكلمة المستعملة قصداً في غير معناها الأصلي لملاحظة علاقة (١) غير (المشابهة) مع قرينة (٢) دالّة على عدم إرادة المعنى الوضعي.

وله علاقات كثيرة – أهمها

(١) السببية –وهي : كون الشيء المنقول عنه سبباً ، ومؤثراً في غيره ، وذلك فيما إذا ذكر لفظ السبب ، وأريد منه المسبب ، نحو : رعت الماشية الغيث – أي النبات ، لأن الغيث أي (المطر) سبب فيه (٣)

---

(١) القرينة : هي الامر الذي يجعله المتكلم دليلا على أنه أراد باللفظ غير ما وضع له ، فهي تصرف الذهن عن المعنى الوضعي ، إلى المعنى المجازي – وبتقييد القرينة بمانعة الخ خرجت (الكناية) فان قرينتها لا تمنع من أرادة المعنى الأصلي – والقرينة إما لفظية – أو حالية ، فاللفظية : هي التي يلفظ بها في

التركيب – والحالية : هي التي تفهم من حال المتكلم ، أو من الواقع
وأما القرينة التي تعين المراد من المجاز ، فليست شرطا ، واعلم أن كلا من المجاز والكناية في حاجة إلى قرينة ، ولكنها في المجاز مانعة ، وفي الكناية غير مانعة .
(٢) سمى (مرسلا) لاطلاقه عن التقييد بعلاقة واحدة مخصوصة ، بل له علاقات كثيرة ، واسم العلاقة يستفاد من وصف الكلمة التي تذكر في الجملة – وليس المقصد من العلاقة إلا بيان الارتباط والمناسبة ، فالفطن يرى ما يناسب كل مقام ، وقيل سمى (مرسلا) لأنه أرسل عن دعوى الاتحاد المعتبرة في الاستعارة
(٣) وكقول الشاعر : له أياد على سابغة أعدُّ منها ولا أعددها
وكقوله : ... ... قامت تظللني من الشمس نفس أحب إلى من نفسي
... ... قامت تظللني ومن عجب شمس تظللني من الشمس
فائدة : القصد من العلاقة : أنما هو تحقق الارتباط – والذكي يعرف مقال كل مقام ، ثم ان (العلاقة) قيل تعتبر من جهة المعنى المنقول عنه ، الذي هو الحقيقي – وقيل تعتبر من جهة المعنى المنقول إليه ، لأنه المدار – وقيل تعتبر من جهتهما ، رعاية لحقيهما.
واعلم أن اللفظ الواحد : قد يكون صالحاً بالنسبة إلى معنى واحد ، لأن يكون مجازا مرسلا ، واستعارة باعتبارين.

(٢٢٢/١)

وقرينته (لفظية) وهي (رعت) لأن العلاقة تعتبر من جهة المعنى المنقول عنه ونحو : لفلان على يد : تريد باليد : النعمة ، لأنها سبب فيها.
(٢) والمسببية –هي أن يكون المنقولُ عنه مسبباً ، وأثراً لشيء آخر وذلك فيما إذا ذكر لفظ المسبب ، وأريد منه السبب ، نحو : (وينزل لكم من السماء رزقا) أي : مطراً يسبِّب الرزق.
(٣) والكلية – هي كون لاشيء متضمناً للمقصود ولغيره ، وذلك فيما إذا ذكر لفظ الكل ، وأريد منه الجزء ، نحو (يجعلون أصابعهم في آذانهم) أي أناملهم ، والقرينة (حالية) وهي استحالة ادخال الأصبع كله في الأذن ونحو : شربت ماء النيل –والمراد بعضهُ ، بقرينة شربت.
(٤) والجزئية – هي كون المذكور ضمن شيء آخر ، وذلك فيما إذا ذكر لفظ الجزء ، وأريد منه الكل ، كقوله تعالى (فتحرير ُ رقبة مؤمنة) ونحو : نشر الحاكم عيونه في المدينة ، أي الجواسيس ، فالعيون مجاز مرسل ، علاقته (الجزئية) لأن كل عين جزء من جاسوسها – والقرينة الاستمالة.
(٥) واللازمية – هي كون الشيء يجب وجوده ، عند وجود شيء آخر ، نحو : طلع الضوء ، أي الشمس ، فالضوء مجاز مرسل علاقته (اللازمية) لأنه يوجد عند وجود الشمس ، والمعتبر هنا اللزوم الخاص ، وهو عدم الانفكاك.
(٦) والمزومية – هي كون الشيء يجب عند وجوده وجود شيء آخر ، نحو : ملأت الشمس المكان ، أي

الضوء فالشمس مجاز مرسل علاقته (الملزومية) لأنها متى وجدت وجد الضوء ، والقرينة «ملأت».
(٧) والآلية – هي كون الشيء واسطةً لإيصال أثر شيء إلى آخر وذلك فيما إذا ذكر اسم الآلة ، وأريد الأثر الذي ينتج عنه ، نحو (واجعل لي لسان صدق في الآخرين) أي ذكراً حسناً – (فلسان) بمعنى ذكر حسن مجاز مرسل ، علاقته (الآلية) لأن اللسان آلة في الذكر الحسن.

(٢٢٣/١)

(٨) والتقييد : ثم الاطلاق : هو كون الشيء مقيداً بقيد أو أكثر نحو : مشفر زيد مجروح – فان المشفر – لغة : شفة البعير ، ثم أريد هنا مطلق شفة ، فكان في هذا منقولا عن المقيد إلى المطلق ، وكان مجازا مرسلا ، علاقته التقييد ، ثم نقل من مطلق شفة ، إلى شفة الانسان ، فكان مجازاً مرسلا : بمرتبتين ، وكانت علاقته (التقييد والإطلاق)
(٩) والعموم – هو كون الشيء شاملاً لكثير –نحو قوله تعالى (أم يحسدون الناس) أي «النبي» صلى الله عليه وسلم ، فالناس مجاز مرسل ، علاقته العموم ، ومثله قوله تعالى (الذين قال لهم الناس) فان المراد من الناس واحد ، وهو «نعيم بن مسعود الاشجعي».
(١٠) والخصوص – هو كون اللفظ خاصاً بشيء واحد ، كاطلاق اسم الشخص على القبيلة – نحو ربيعة – وقريش.
(١١) واعتبار ما كان – هو النظر إلى الماضي : أي تسمية الشيء باسم ما كان عليه ، نحو : (وآتوا اليتامى أموالهم) أي الذين كانوا يتامى ثم بلغوا ، فاليتامى : مجاز مرسل ، علاقته (اعتبار ما كان) وهذا إذا جرينا على أن دلالة الصفة على الحاضر حقيقة ، وعلى ما عداه مجاز.
(١٢) واعتبار ما يكون – هو النظر إلى المستقبل ، وذلك فيما إذا أطلق اسم الشيء على ما يؤول إليه ، كقوله تعالى (إني أراني أعصر خمراً) أي : عصيرا يؤول أمره إلى خمر ، لأنه حال عصره لا يكون خمراً ، فالعلاقة هنا : اعتبار (ما يؤول إليه) ونحو : (ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً) والمولود حين يولد ، لا يكون فاجراً ، ولا كافراً ، ولكنه قد يكون كذلك بعد الطفولة ، فاطلق المولود الفاجر ، وأريد به الرجل الفاجر ، والعلاقة ، اعتبار (ما يكون)

(٢٢٤/١)

(١٣) والحاليّة – هي كون الشيء حالا في غيره ، وذلك فيما إذا ذكر لفظ الحال ، وأريد المحل لما بينهما من الملازمة ، نحو : (ففي رحمة الله هم فيها خالدون) فالمراد من (الرحمة) الجنة التي تحل فيها الرحمة ، فهم في جنة تحل فيها رحمة الله ، ففيه مجاز مرسل ، علاقته (الحالية) وكقوله تعالى (خذوا زينتكم عندكل مسجد) أي لباسكم ، لحلول الزينة فيهن فالزينة حال واللباس محلها ، ونحو : أرى بياضاً يظهر ويختفي ، وأرى حركة تعلو وتسفل.

(١٤) والمحلية –هي كون لاشيء يحلُّ فيه غيره ، وذلك فيما إذا ذكر لفظ المحل ، واريد به الحال فيه – كقوله تعالى (فليدعُ ناديه ُ) والمراد من يحل في النادي.

وكقوله تعالى (يقولون بأفواههم) أي ألسنتهم ، لأن القول لا يكون عادة إلا بها.

(١٥) والبداية – هي كون الشيء بدلاً عن شيء آخر – كقوله تعالى (فإذا قضيتم الصلاة) والمراد : الأداء.

(١٦) والمبدلية هي كون الشيء مبدلاً منه شيءٌ آخر ، نحو أكلت دم زيد ، أي ديته ُ ، فالدم (مجاز مرسل) علاقته (المبدلية) لأن الدم : مبدل عنه (الدية)

(١٧) والمجاورة – هي كون الشيء ، مجاوراً لشيء آخر ، نحو كلمت الجدار والعامود ، أي الجالس بجوارهما ، فالجدار والعامود مجازان مرسلان (المجاورة)

(١٨) والتعلق الاشتقاقي – هو إقامة صيغة مقام أخرى – وذلك.

(أ) كإطلاق المصدر على اسم المفعول ، في قوله تعالى (صنع الله الذي أتقن كل شيء) – أي مصنوعه.

(ب) وكاطلاق اسم الفاعل على المصدر ، في قوله تعالى (ليس لوقعتها كاذبة) أي تكذيب.

(جـ) وكإطلاق اسم الفاعل على اسم المفعول ، في قوله (لا عاصم اليوم من أمر الله) – أي لا معصوم.

(د) وكإطلاق اسم المفعول على اسم الفاعلن في قوله تعالى (حجاباً مستورا) أي ساتراً.

والقرينة على مجازية ما تقدم ، هي ذكر ما يمنع ارادة المعنى الأصلي.

المبحث الثالث في تعريف المجاز العقلي وعلاقاته (١)

---

(١) سعى عقليا ، لأن النجوز فيهم من (العقل) لا من (اللغة) كما في المجاز اللغوي .

المجاز العقلي : هو إسنادُ الفعل ، أو ما في معناه (من اسم فاعل ، أو اسم مفعول أو مصدر) إلى غير ما هو له في الظاهر ، من حال المتكلم ، لعلاقة مع قرينة تمنع من أن يكون الإسناد إلى ما هو له.

أشهر علاقات المجاز العقلي

(١) الإسناد إلى الزمان ، نحو : (من سره زمن ساءته أزمان) أسند الاساءة والسرور إلى الزمن ، وهو لم يفعلهما ، بل كانا واقعين فيه على سبيل المجاز

(٢) الاسناد إلى المكان ، نحو : (وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم) فقد أسند الجرى إلى الانهار ، وهي أمكنة للمياه ، وليست جارية بل الجاري ماؤها.

(٣) الاسناد إلى السبب ، نحو :

إذ ّي لمن معشر أفنى أوائلهم قيلُ الكماة ألا أين المُ حامونا ؟

فقد نسب الافناء إلى قول الشجعان ، هل من مبارز ؟ ؟

وليس ذلك القول بفاعل له ، ومؤثر فيه ، وا ِنما هو سبب فقط

(٤) الاسناد إلى المصدر – كقول أبي فراس الحمداني

سيذكرني قومي إذا جد جدهم وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

فقد أسند الجد إلى الجد ، أي الاجتهاد ، وهو ليس بفاعل له ، بل فاعله الجاد – فأصله جد الجاد جدا ، أي اجتهد اجتهاداً ، فحذف الفاعل الأصلي وهو الجاد ، واسندَ الفعل إلى الجد.

(٥) إسناد ما بني للفاعل إلى المفعول – نحو : سرني حديث الوامق فقد استعمل اسم الفاعل ، وهو الوامق ، أي (المُحبُّ) بدل الموموق ، أي المحبوب ، فان المراد : سررت بمحادثة المحبوب.

(٦) إسناد ما بني للمفعول إلى الفاعل ، نحو : (جعلت بيني وبينك حجاباً مستوراُ) أي ساتراً ، فقد جعل الحجاب مستورا ، مع أنه هو الساتر.

تنبيهات

(أ) كما يكون هذا المجاز في الإسناد ، يقع في النسبة الاضافية ، نحو جرى الأنهار ، وغراب البين ، ومكر الليل : فنسبة الجري إلى الأنهار مجاز علاقته المكانية ، ونسبة البين إلى الغراب ، مجاز علاقته السببية ، ونسبة المكر إلى الليل مجاز ، علاقته الزّمانية

(٢٢٦/١)

(ب) الفعل المبني للفاعل ، واسم الفاعل ، إذا أسندا إلى المفعول فالعلاقة المفعولية ، والفعل المبني للمجهول ، واسم المفعول ، إذا أسندا إلى الفاعل فالعلاقة الفاعلية ، واسم المفعول المستعمل في موضع اسم الفاعل مجاز ، علاقته الفاعلية ، واسم الفاعل المستعمل في موضع اسم المفعول مجاز ، علاقته المفعولية.

(جـ) هذا المجاز : مادةُ الشاعر المفلق ، والكاتب البليغ ، وطريق من طرق البيان ، التي لا يستغنى عنها واحد منهما.

تطبيق على أشهر علاقات المجاز العام

اذكر علاقات المجاز المرسل : فيما يلي

(١) أبا المسك أرجو منك نصراً على العِدا وآمل عزا تخضب البيض بالدم (١)

ويوماً يغيظ الحاسدين وحالةً أقيم الشقا فيها مقام التنعمُّ (٢)

(٢) قال الله تعالى : (لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم).

(٣) ذهبنا إلى حديقة غناء

(٤) بنى اسماعيل كثيرا من المدارس بمصر

(٥) تكاد عطاياه يجنُ جنونها إذا لم يعوذها برقية طالب (٣)

الاجابة

(١) عزاً يخضب البيض بالدم

إسناد خضب السيوف بالدم إلى ضمير العز غير حقيقي ، لأن العز لا يخضب السيوف ، ولكنه سبب القوة

، وجمع الأبطال الذين يخضبون السيوف بالدم ، ففي العبارة مجاز عقلي ، علاقته السببيه.

«ب» ويوماً يغيظ الحاسدين

إسناد غيظ الحاسدين إلى ضمير اليوم غير حقيقي ، غير أن اليوم هو الزمان الذي يحصل فيه الغيظ ، ففي الكلام مجاز عقلي ، علاقته الزمانية.

(جـ) لا عاصم اليوم من أمر الله.

---

(١) أبا المسك : كنية كافور الاخشيدي ، والبيض السيوف ، يقول : أرجو منك أن تنصرني على أعدائي ، وأن توليني عزاً أتمكن به منهم ، وأخضب سيوفي بدمائهم .

(٢) يقول : وأرج أن أبلغ بك يوماً يغتاظ فيه حسادى ، لما يرون من إعظامك لقدرى ، وكذلك أرجو أن أبلغ بك حالة تساعدني على الانتقام منهم ، فأتنعم بشقائي في حربهم .

(٣) يعوذها يحصنها ، ورقية ما يرقى بها الانسان من عين حاسد.

المعنى لا معصوم (١) اليوم من امر الله إلا من رحمة الله ، فاسم الفاعل أسند إلى المفعول ، وهذا مجاز عقلي ، علاقته المفعولية.

(د) ذهبنا إلى حديقة غناء

غناء مشتقة من الغن ، والحديقة لاتغن ، وا ِنما الذي يغن (عصافيرها) أو ذبابها – ففي الكلام مجاز عقلي ، علاقته المكانية.

(هـ) بنى اسماعيل كثيراً من المدارس

إسماعيل : أمير مصر – لم يبن بنفسه – ولكنه أمر ، ففي الاسناد مجاز عقلي ، علاقته السببية

(و) تكاد عطاياه يجن جنونها – إسناد الفعل إلى المصدر مجاز عقلي ، علاقته المصدرية.

نموذج آخر

بين المجاز العقلي واذكر علاقته فيما يلي :

(١) أهلكنا الليل والنهار (٢) (٢) منزل عامر بنعم الله (٣)

(٣) أنشأ وزير المعارف عدة مدارس (٤)(هَشرب ٌ عذب ٌ (٥)

(٥) هذا يوم عصيب (٦) (٦) ربحت تجارتهم (٧)

---

(١) يجوز أن تكون «عاصم» مستعملة في حقيقتها ، ويكون المغنى : لا شيء يعصم الناس من قضاء الله إلا من رحمه الله منهم ، فانه تعالى هو الذي يعصمه .

(٢) في قوله أهلكنا الليل والنهار ، مجاز عقلي ، علاقته السببية ، فقد نسب الاهلاك إلى الليل والنهار ،

مع ان فاعله هو الله تعالى ، وهذان سببان فيه .

(٣) في قوله منزل عامر بنعم الله ، مجاز عقلي ، علاقته المفعولية ، إذ قد اسند اسم الفاعل إلى المفعول في المعنى .

(٤) في قوله أنشأ وزير المعارف عدة مدارس ، مجاز عقلي : علاقته السببية ، إذ نسب الانشاء إلى الوزير – وهو السبب فقط .

(٥) في قوله مشرب عذب ، نسب العذوبة إلى المكان ، لا إلى الماء مجاز ، لعلاقة المكانية

(٦) العصبية والشديدة : خطوب اليوم وحوادثه ، لا هو : فوصفه بذلك وصف للزمان ، فهو مجاز : علاقته الزمانية.

(٧) ستج الربح إلى التجارة ، والرابح هو صاحبها ، لا هي : فهو مجاز : علاقته المفعولية .

(٢٢٨/١)

بلاغة المجاز المرسل (١) والمجاز العقلي

إإذا تأملت أنواع المجاز المرسل والعقلي رأيت أنها في الغالب تؤدى المعنى المقصود بايجاز ، فاذا قلت (هز َم القائد الجيش) أو (قرر المجلس كذا) كان ذلك أوجز من أن تقول (هزم جنود القائد الجيش) أو (قرر أهل المجلس كذا) ولا شك أن الايجاز ضربٌ من ضروب البلاغة.

وهناك مظهرٌ آخر للبلاغة في هذين المجازين ، هو المهارة في تخيّر العلاقة بين المعنى الأصلي والمعنى المجازي ، بحيث يكون المجاز مصور للمعنى المقصودخير َ تصوير – كما في إطلاق العين على الجاسوس ، والأذن على سريع التأثر بالوشاية ، والخف والحافر على الجمال والخيل ، في المجاز المرسل وكما في إسناد الشيء : إلى سببه ، أو مكانه ، أو زمانه ، في المجاز العقلي فإن البلاغة توجب أن يختار السبب القوى ، والمكان والزمان المختصان وا ٍذا دققت النظر رأيت أن أغلب ضروب المجاز المرسل ، والمجاز العقلي لا تخلو من مبالغة بديعة ، ذات أثر في جعل المجاز رائعاً خلاباً ، فإن إطلاق الكل على الجزء مبالغة ، ومثله إطلاق الجزء وا ٍرادة الكلّ ، كما إذا قلتفلان فمٌ »تريد أنه شرهٌ ، يلتقم كل شيء ، ونحو : «فلان أنف» عندما تريد أن تصفه بعظم الأنف ، فتبالغ فتجعله كله أنفا ؟

ومما يؤثر عن بعض الأدباء : في وصف رجل أنافي (٢) قوله : «لست أدرى : أهو في أنفه ، أم أنفه فيه» ؟ ؟

المبحث الرابع في المجاز المفرد بالاستعارة

تمهيد

---

(١) المجاز المرسل : يوسع اللغة ، ويعين على الافتنان في التعبير ، ويساعد الكاتب والخطيب على ايراد المعنى الواحد بصور مختلفة ، وقد تدعو إليه : كما في (الطراز) حلية لفظية ، من تقفية ، أو ضرورة

شعرية ، أو مشاكلة ، أو اختصار ، أو خفة في لفظه ، وكثيراً ما يكون الداعي إليه راجعاً إلى المعنى.
(٢) الانافي عظيم الانف – عن البلاغة الواضحة .

(٢٢٩/١)

سبق : أن التشبيه أول طريقة دلّت عليها الطبيعة ، لايضاح أمر يجهله المخاطب ، بذكر شيء آخر ، معروف عنده ، ليقيسه عليه ، وقد نتج من هذه النظرية ، نظرية أخرى في تراكيب الكلام ، ترى فيها ذكر المشبه به فقط ، وتسمى هذه بالاستعارة ، وقد جاءت هذه التراكيب المشتملة على الاستعارة أبلغ من تراكيب التشبيه ، وأشد وقعاً في نفس المخاطب ، لأنه كلما كانت داعية إلى التحليق في سماء الخيال ، كان وقعها في النفس أشد ، ومنزلتها في البلاغة أعلى وما يبتكره أمراء الكلام من أنواع صور الاستعارة البديعة ، التي تأخذ بمجامع الأفئدة ، وتملك على القارىء والسامع لبهما وعواطفهما ، (هو سر بلاغة الاستعارة) فمن الصور المجملة التي عليها طابع الابتكار وروعة الجمال قول شاعر الحماسة

قومٌ إذا الشر أبدى ناجذيه لهم طاروا إليه زرافاتٍ ووحدانا

فانه قد صور لك الشر ، بصور حيوان مفترس ، مكشر عن أنيابه ، مما يملا فؤادك رعباً ، ثم صور القوم الذين يعنيهم ، بصور طيور جوارح تطير إلى مصادمة الأعداء ، طيراناً مما يستثير إعجابك بنجدتهم ، ويدعوك إلى إكبار حميتهم وشجاعتهم.

ومنهم : من يعمد إلى الصورة التي يرسمها ، فيفصّل أجزاءها ، ويبين لكل جزء مزيته الخاصة ، كقول امرىء القيس في وصف الليل بالطول :

فقلت له لمّا تمطّى بصلبه وأردف أعجازاً وناء بكلكَلِ (١)

فانه لم يكتف بتمثيل الليل ، بصورة شخص طويل القامة ، بل استوفى له جملة أركان الشخص ، فاستعار له صلباً يتمطى به ، إذ كان كل ذي صلب يزيد في طوله تمطيه ، وبالغ في ذلك بأن جعل له أعجازاً يردف بعضها بعضاً ، ثم أراد أن يصفه بالثقل على قلب ساهره ، فاستعار له كلكلاً ينوء به (أي يثقل به) ولا يخفى عليك ما يتركه هذا التفصيل البديع في قلب سامعه من الأثر العظيم ، والارتياح الجميل.

---

(١) تمطى تمدد ، والصلب عظم في الظهر من لدن الكاهل إلى العجب ، والعجز مؤخر الجسم ، والكلكل الصدر ، أو ما بين الترقوتين .

(٢٣٠/١)

ومنهم : من لا يكتفى بالصورة يرسمها ، بل ينظر إلى ما يترتب على الشيء ، فيعقّب تلك الصورة بأخرى أشد وأوقع ، كقول أبي الطيب المتنبيء :

رماني الدهر بالأرزاء حتى فؤادي في غشاء من نبال (١)

فصرت إذا أصابتني سهام تكسرت النصال على النصال (٢)

فانه لم يكتف بتصويره المصائب سهاماً في سرعة انصيابها ، وشدة إيلامها ، ولا بالمبالغة في وصف كثرتها ، بأن جعل منها غشاء محيطاً بفؤاده ، حتى جعل ذلك الغشاء من المتانة والكثافة ، بحيث إنّ تلك النصال مع استمرار انصيابها عليهن لا تجد منفذاً إلى فؤاده ، لأنها تتكسر على النّصال التي سبقتها ، فانظر إلى هذا التمثيل الرائع ، وقل لي : هل رايت تصوير أشد منه لتراكم المصائب والآلام ؟ ؟

تعريف الاستعارة وبيان انواعها

الاستعارة لغة : من قولهم ، استعار المال : إذا طلبه عارية

واصطلاحاً : هي استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة (المشابهة) بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه ، مع (قرينة) صارفة عن إرادة المعنى الأصلي (والاستعارة) ليست إلى (تشبيهاً) مختصراً ، لكنها أبلغ منه (٣)

---

(١) الأرزاء المصائب ، والغشاء الغلاف ، والنبال السهام .

(٢) النصال حدائد السهام .

(٣) فأصل الاستعارة : تشبيه حذف أحد طرفيه ، ووجه شبهه ، وأداته – ولكنها أبلغ منه ، لان التشبيه مهما تناهى في المبالغة ، فلا بد فيه من ذكر المشبه ، والمشبه به وهذا اعتر اف بتباينهما ، وان العلاقة ليس الا التشابه والتداني ، فلا تصل إلى حد الاتحاد بخلاف الاستعارة ففيها دعوى الاتحاد والامتزاج ، وان المشبه والمشبه به صارا معنى واحدا ، يصدق عليهما لفظ واحد – فالاستعارة (مجاز لغوي) لا عقلي ، علاقته المشابهة واعلم ان حسن الاستعارة «غير التخييلية» لا يكون الا برعاية جهات التشبيه وذلك بأن يكون وافياً بافادة الغرض منه ، لأنها مبنية عليه ، فهي تابعة له حسنا وقبحا.

كقولك : رايت اسداً في المدرسة ، فأصل هذه الاستعارة «رأيت رجلا شجاعاً كالأسد في المدرسة «فحذفت المشبه «لفظ رجل» وحذفت الأداة الكاف – وحذفت وجه التشبيه «الشجاعة» وألحقته بقرينة «المدرسة» لتدل على أنك تريد بالأسد شجاعاً.

وأركان (١) مستعار منه – وهو المشبه به

الاستعارة (٢) ومستعار له – وهو المشبه

ثلاثة (٣) ومستعار – وهو اللفظ المنقول

فكل مجاز يبنى على التشبيه (يسمى استعارة)

لا بُد فيها من عدم ذكر وجه الشبه ، ولا أداة التشبيه ، بل ولا بدّ أيضاً من (تناسى التشبيه) الذي من أجله وقعت الاستعارة فقط ، مع ادّعاء أن المشبه عين المشبه به ، أو أدعاء أن المشبه فرد من أفراد المشبه به

الكلى «بأن يكون «اسم جنس ««أو علم جنس» ولا تتأتى الاستعارة في «العلم الشخصي» (١) لعدم إمكان دخول شيء في الحقيقة الشخصية – لأن نفس تصور الجزئي يمنع من تصور الشركة فيه ، إلا إذا أفاد العلم الشخصي وصفاً ، به يصح اعتباره كليا ، فتجوز استعارته : كتضمن «حاتم» للجود ، و «قس» ودخول المشبه في جنس الجواد – والفصيح ، وللاستعارة أجمل وقع في الكتابة ، لأنهما تجدى الكلام قوة ، وتكسوه حسنا ورونقاً ، وفيها تثار الأهواء والإحساسات.

المبحث الخامس في تقسيم الاستعارة باعتبار ما يُذكر من الطرفين

---

(١) يعني أن الاستعارة تقتضي ادخال المشبه في جنس المشبه به ، ولذلك لا تكون علما ، لان الجنس يقتضي العموم ، والعلم ينافي ذلك بما فيه من التشخص ، الا إذا كان العلم يتضمن وصفية قد اشتهر بها «كسحبان» المشهور بالفصاحة ، فيجوز فيه ذلك ، لأنه يستفيد الجنسية من الصفة نحو : سمعت اليوم سحبان ، أي خطيبا فصيحا – وهلم جرا

إذا ذكفي الكلام لفظ المشبه به فقط ، فاستعارة تصريحية أو مصر ّحة (١) نحو

فأمطرت لؤلؤاً من نرجس وسقت ورداً وعضت على العناب بالبرد

فقد استعار : اللؤلؤ ، والنرجس ، الورد ، والعناب ، والبرد للدموع ، والعيون ، والخدود ، والأنامل ، والأسنان.

وا إذا ذكر في الكلام لفظ المشبه فقط ، وحذف فيه المشبه به ، وأشير إليه بذكر لازمه : المسمى «تخييلاً» فاستعارة مكنية (٢)

---

(١) (معنى تصريحية) أي مصرح فيها باللفظ الدال على المشبه به ، المراد به المشبه وتسمى أيضاً تحقيقية ، و (معنى مكنية) أي مخفى فيها لفظ المشبه به ، استغناء بذكر شيء من لوازمه – فلم يذكر فيها من أركان التشبيه ، سوى المشبه.

(٢) أي وهذا مذهب السلف ، وكذا (الزمخشري) صاحب الكشاف ، وأما مذهب (السكاكي) فظاهر كلامه يشعر بأن الاستعارة بالكناية لفظ المشبه أي كلفظ المنية في نحو «أظفار المنية نشبت بفلان» المستعمل في المشبه به ، بادعاء أنه عينه وبيان ذلك : أنه بعد تشبيه معنى المنية ، وهو الموت ، بمعنى السبع – تدعى أن المشبه عين المشبه به ، وحينئذ يصير للشبه به (فردان) – أحدهما حقيقي ، والآخر ادعائي فالمنية : مراد بها السبع ، بادعاء السبعية لها ، وانكار أن تكون شيئا آخر غير السبع بقرينة اضافة الاظفار التي هي من خواص المشبه به وهو السبع – وأنكر (السكاكي) (التبعية) بمعنى أنها مرجوحة عنده – واختار ردها إلى قرينة المكنية – ورد قرينتها إلى نفس المكنية – ففي نطقت الحال مثلا ، يقدر القوم : إن نطقت ، استعارة تبعية واحلال قرينة لها – وهو يقول : إن الحال استعارة بالكناية ، ونطقت قرينتها وفي كلامه من

وجهين .

(الأول) إن لفظ المشبه ، لم يستعمل إلا في معناه الحقيقي ، فلا يكون استعارة .

(الثاني) أنه صرح بأن نطقت مستعارة للامر الوهمي ، أي المتوهم اثباته للحال ، تشبيها بالنطق الحقيقي ، فيكون استعارة ، والاستعارة في الفعل لا تكون إلا تبعية فيلزمه القول بالتبعية – وأجيب عنه بأجوبة تطلب من المطولات .

وأما مذهب (الخطيب) فانه يقول : أن الاستعارة بالكناية ، هي التشبيه المضمر أركانه سوى المشبه المدلول عليه ، باثبات لازم المشبه به للمشبه ، ويلز م على مذهبه أنه لا وجه لتسميتها استعارة ، لأن الاستعارة هي اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة – أو استعمال اللفظ المذكور – والتشبيه غير ذلك : بل هو فعل من افعال النفس .

(تنبيه) المشبه : في مواد الاستعارة بالكناية ، لا يجب أن يكون مذكوراً بلفظ المشبه به – فيجوز ذكره بغير لفظه ، كأن يشبه شيء كالنحافة واصفرار اللون ، بأمرين كاللباس ، والطعم المر البشع ، ويستعمل لفظ أحد الأمرين فيه ، ويثبت له شيء من الوازم الآخر ، كما في قوله تعالى (فاذاقها الله لباس الجوع والخوف) فان شبه ما غشى الانسان عند الجوع والخوف من النحافة واصفرار اللون ، باللباس ، لاشتماله على اللابس واشتمال أثر الضرر على من به ذلك ، فاستعير له اسمه – وشبه ما غشى الانسان عند الجوع ، أي ما يدرك من أثر الضرر ، باعتبار أنه مدرك من حيث الكراهية بما يدرك من الطعم المر البشع ، حتى أوقع عليه الاذاقة –فتكون الآية مشتملة على تخييلا بالنسبة للمكنية ، وتكون تجريداً بالنسبة إلى المصرحة ، لانها تلائم المشبه ، وهو النحافة والاصفرار ، لانها مستعارة للاصابة – وكثرت فيها حتى جرت مجرى الحقيقة . ويقال شبه ما غشى الانسان عند الجوع والخوف من أثر الضرر ، باللباس ، بجامع الاشتمال في كل ، واستعير اسم المشبه به للمشبه ، على سبيل الاستعارة التصريحية وطريق اجراء الاستعارة الثانية ، أن يقال شبه ما غشى الانسان عند الجوع والخوف من أثر الضرر ، بالطعم المر البشع ، بجامع الكراهة في كل ، واستعير لفظ المشبه به للمشبه ، ثم حذف واثبت له شيء من لوازمه وهو (الاذاقة) على سبيل الاستعارة المكنية ، واثبات الاذاقة المتحققة ، واستعيرت المتحققة ، للمتخيلة ، على سبيل الاستعارة التخييلية ، على مذهب (السكاكي).

(٢٣٣/١)

أو بالكناية ، كقوله

إذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع

فقد شبه المنية ، بالسبع ، بجامع الاغتيال في كلٍ ، واستعار السبع للمنية وحذفه ، ورمز إليه بشيء من لوازمه ، وهو (الأظفار) علىطريق الاستعارة المكنية الأصلية ، وقر ينتها لفظة «أظفار»

ثم أخذ الوهم : في تصوير المنية بصورة السبع ، فاخترع لها مثل صورة الأظفار ، ثم أطلق على الصورة

التي هي مثل صورة الأظفار ، لفظ (الإظفار) فتكون لفظة (أظفار) استعارة (تخييلية) لأن المستعار له لفظ أظفار صورة وهمية ، تشبه صورة الأظفار الحقيقية ، وقرينتها اضافتها إلى المنية ونظراً إلى أن (الاستعارة التخييلية) قرينة المكنية ، فهي لازمة لا تفارقها ، لأنّه لا استعارة بدون قرينة.

وا ذاً : تكون أنواع الاستعارة ثلاثة : تصريحـ ّية ، ومكنـ ّية ، وتخييليةّ

المبحث السادس في الاستعارة باعتبار الطرفين (١)

---

(١) اعلم أن المذاهب في التخييلية أربعة

(الأول) مذهب السلف ، والخطيب : وهو أن جميع أفراد قر ينة المكنية مستعملة في حقيقتها ، والتجوز إنما هو في (الاثبات لغير ما هو له) المسمى استعارة تخييلية ، فهما متلازمان ، وهي من المجاز العقلي.

(الثاني) مذهب السكاكي : وهو أن قرينة المكنية ، تارة تكون تخييلية ، أي مستعارة لأمر وهمي : كأظفار المنية ، وتارة تكون تحقيقية ، أي مستعارة لأمر محقق «كابلعي ماءك» وتارة تكون حقيقة «كأنبت الربيع البقل» فلا تلازم بين التخييلية والمكنية ، بل يوجد كل منهما بدون الآخر – وقد استدل السكاكي : على انفراد التخييلية عن المكنية بقوله

لا تسقني ماء الملام فانني صب قد استعذبت ماء بكائي

فانه قد توهم : أن للملامة شيئا شبيهاً بالماء ، واستعار اسمه له استعارة تخييلية غير تابعة للمكنية ، ورده العلامة (الخطيب) بأنه لا دليل له فيه ، لجواز أن يكون فيه استعارة بالكناية ، فيكون قد شبه الملام ، بشيء مكروه ، له ماء ، وطوى لفظ المشبه به ، ورمز إليه بشيء من لوازمه ، وهو الماء ، على طريق التخييل .

وأن يكون من باب إضافة المشبه به إلى المشبه ، والأصل لا تسقني الملام الشبيه بالماء وأيضا : لا يخفى ما في مذهب السكاكي من التعسف ، أي الخروج عن الطريق الجادة ، لما فيه من كثرة الاعتبارات – وذلك : أن المستعير يحتاج إلى أمر وهمي ، واعتبار علاقة بينه وبين الأمر الحقيقي ، واعتبار قرينة دالة على أن المراد من اللفظ ، الأمر الوهمي ، فهذه اعتبارات ثلاثة ، لا يدل عليها دليل ، ولا تمس إليها حاجة.

(الثالث مذهب صاحب الكشاف) وهو أنها تكون تارة مصرحة تحقيقية ، وتارة تكون تخييلية –أي مجازاً في الاثبات .

(الرابع – مذهب صاحب السمرقندية) وهو مثل مذهب صاحب الكشاف غير أن الفرق بينهما : أن مدار الأقسام عند صاحب الكشاف على الشيوع ، وعدمه وعند صاحب (السمرقندية) على الامكان وعدمه.

(تنبيه) الفرق : بين ما يجعل قرينة للمكنية وبين ما يجعل نفسه تخييلا على مذهب السكاكي – أو استعارة تحقيقية : على مذهب صاحب الكشاف في بعض المواد ، وعلى مختار (صاحب السمرقندية) كذلك – أو إثباته تخييلا على مذهب (السلف ، وصاحب الكشاف) في بعض المواد – وعلى مختار صاحب السمرقندية) كذلك –وبين ما يجعل زائداً عليها (قوة الاختصاص) أي الارتباط بالمشبه به –فأيهما أقوى ارتباطاً به

فهو (القرينة) وما سواه (ترشيح) – (وذلك) كالنشب في قولك (مخالب المنية نشبت بفلان) فان (المخالب) أقوى اختصاصاً وتعلقاً بالسبع ، من (النشب) لأنها ملازمة له دائماً ، بخلاف النشب .

(٢٣٤/١)

إن كان المستعار له محققاً حساً «بأن يكون اللفظ قد نقل إلى أمر معلوم ، يمكن أن يشار إليه إشارة حسية» كقولك : رأيت بحرا يعطى أو كان المستعار له محققاً عقلا «بأن يمكن أن ينص عليه ، ويشار إليه إشارة عقلية» كقوله تعالى (إهدنا الصراط المستقيم) أي (الدين الحق) (فالاستعارة تحقيقة) وان لم يكن المستعار له محققاً ، لا حساً ولا عقلاً «فالاستعارة تخييلية» وذلك : كالأظفار ، في نحو : أنشبت المنية أظفارها بفلان.

المبحث السابع في الاستعارة باعتبار اللفظ المستعار

(١) إذا كان اللفظ المستعار اسما جامداً لذات » كالبدر : إذا استعير للجميل «أو اسماً جامداً لمعنى» كالقتل : إذا استعير للضرب الشديد ، سميت الاستعارة «أصلية في كل من التصريحيةوالمكنية» كقوله عالى (كتاب انزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور) (١)

وكقوله تعالى (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) (٢)

وسميت أصلية : لعدم بنائها على تشبيه تابع لتشبيه آخر معتبر أولاً كقول البحتري :

يودون التحية من بعيد إلى قمر من الإيوان باد

---

(١) يقال في إجراء الاستعارة في الآية الأولى – شبهت الضلالة بالظلمة ، بجامع عدم الاهتداء في كل ، واستعير اللفظ الدال على المشبه به ، وهو الظلمة ، للمشبه وهو الضلالة ، على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية .

(٢) ويقال في إجراء الاستعارة في الآية الثانية ٠– شبه الذل بطائر ، واستعير لفظ المشبه به وهو الطائر ، للمشبه وهو الذل –على طريق الاستعارة المكنية الأصلية ثم حذف الطائر ، ورمز إليه بشيء من لواز مه ، وهو الجناح .

(٢٣٥/١)

)(٢ إذا كان اللفظ المستعار فعلاً » (١)

---

(١) مثال الاستعارة التصريحية في الفعل ، نطقت الحال بكذا – وتقريرها أن يقال : شبهت الدلالة الواضحة ، بالنطق ، بجامع إيضاح المعنى في كل ، واستعير النطق للدلالة الواضحة ، واشتق من النطق بمعنى الدلالة الواضحة نطقت بمعنى دلت ، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية – ونحو : (يحيي الأرض بعد موتها) ، يقدر تشبيه تزيينها بالنبات ذي الخضرة والنضرة – بالأحياء بجامع الحسن أو النفع في كل –

ويستعار الاحياء للتزيين ، ويشتق من الاحياء بمعنى التزيين يحيى بمعنى يزين ، استعارة تبعية لجريانها في الفعل تبعاً لجريانها في المصدر – هذا إذا كانت الاستعارة في الفعل باعتبار مدلول صيغته ، أي (مادته وهو الحدث) وأما إذا كانت باعتبار مدلول (هيئته وهو الزمن) كما في قوله تعالى (أتى أمر الله) فتقريرها أن يقال : شبه الاتيان في المستقبل ، بالاتيان في الماضي ، بجامع تحقق الوقوع في كل ، واستعير الاتيان في الماضي للاتيان في المستقبل واشتق منه اتى بمعنى يأتى ، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية – ونحو (ونادى أصحاب الجنة) أي ينادي – شبه النداء في المستقبل ، بالنداء في الماضي ، بجامع تحقق الوقوع في كل ، ثم استعير لفظ النداء في الماضي للنداء في المستقبل ، ثم اشتق منه نادى بمعنى ينادى – ونحو قوله تعالى (من بعثنا من مرقدنا هذا) ان قدر المرقد للرقاد مستعاراً للموت ، فالاستعارة أصلية ، وا ن قدر لمكان الرقاد مستعاراً للقبر ، فالاستعارة تبعية لانها في اسم المكان ، فلا يستعار المرقد للقبر إلا بعد استعارة الرقاد للموت ومثال الاستعارة في اسم الفاعل ، لزيد قاتل عمراً ، إذا كان عمرو مضروباً ضرباً شديداً – وا جراء الاستعارة فيهما أن يقال : شبه الضرب الشديد بالقتل بجامع شدة الايذاء في كل واستعير اسم المشبه به للمشبة ، واشتق من القتل بمعنى الضرب الشديد قاتل أو مقتول ، بمعنى ضارب أو مضروب ، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية – ومثالها في الصفة المشبهة –هذا حسن الوجه ، مشيراً إلى قبيحه – وا جراء الاستعارة فيه أن يقال – شبه القبح ، بالحسن ، بجامع تأثر النفس في كل ، واستعير الحسن للقبح تقديراً ، واشتق من الحسن بمعنى القبح حسن بمعنى قبيح ، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية التهكمية ومثال الاستعارة في أفعل التفضيل – هذا أقتل لعبيده من زيد –أي أشد ضرباً لهم منه – ومثال اسم الزمان والمكان – هذا مقتل زيد –مشيراً إلى مكان ضربه أو زمانه – ومثال اسم الآلة –هذا مفتاح الملك : مشيراً إلى وزيره ، واجراؤها أن يقال – شبهت الوزارة بالفتح للابواب المغلقة ، بجامع التوسل إلى المقصود في كل ، واستعير الفتح للوزارة ، واشتق منه مفتاح بمعنى وزير – ومثال اسم الفعل المشتق – نزال ، بمعنى انزل تريد به أبعد فتقول شبه معنى البعد ، بمعنى النزول ، بجامع مطلق المفارقة في كل واستعير لفظ النزول لمعنى البعد ، واشتق منه نزال بمعنى أبعد – ومثال اسم الفعل غير لمشتق «صه» بمعنى اسكت عن الكلام ، تريد به اترك فعل كذا – فتقول شبه ترك الفعل ، بمعنى السكوت ، واستعير لفظ السكوت لمعنى ترك الفعل ، واشتق منه اسكت بمعنى اترك الفعل – وعبر بدل اسكت بصه – ومثال المصغر «رجيل» لمتعاطى ما لا يليق – ومثال المنسوب «قرشي» للمتخلق بأخلاق قريش وليس منهم ، ومثال الاستعارة في الحرف قوله تعالى (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً) واجراؤها أن يقال شبهت المحبة والتبنى ، بالعداوة والحزن واللذين هما العلة الغائية للالتقاط بجامع مطلق الترتب ، واستعيرت اللام من المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية التبعية ، واعلم أن اللام لم تستعمل في معناها الأصلي وهو العلة ، لأن علة التقاطهم له انيكون لهم ابنا ، وانما استعملت مجازاً (لعاقبة الالتقاط) وهي كونه لهم عدواً ، فاستعيرت العلة للعاقبة ، بجامع أن كلا منهما مترتب على الالتقاط ، ثم استعيرت اللام تبعا لاستعارتها ، فالمستعار منه العلة ، والمستعار له العاقبة ، والترتب على الالتقاط هو الجامع ، والقرينة على المجاز استحالة التقاط الطفل ليكون عدواً ، وكقوله تعالى (ولأصلبنكم في جذوع النخل) واجراؤها أن يقال شبه مطلق استعلاء بمطلق ظرفية

بجامع التمكن في كل ، فسرى التشبيه من الكليين للجزئيات التي هي معاني الحروف فاستعير لفظ «في» الموضوع لكل جزئي من جزئيات الظرفية ، لمعنى «على» على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية – ومثال المكنية التبعية في الاسم المشتق يعجبني أراقة الضارب دم الباغي ، واجراء الاستعارة أن يقال شبه الضرب الشديد بالقتل ، بجامع الايذاء في كل ، واستعير القتل للضرب الشديد ، واشتق من القتل قاتل بمعنى ضارب ضربا شديداً ، ثم حذف وأثبت له شيء من لوازمه وهو الاراقة على سبيل الاستعارة المكنية التبعية – ومثالها في الاسم المبهم قولك لجليسك المشغول عنك ، أنت مطلوب منك أن تسير إلينا الآن – شبه مطلق مخاطب بمطلق غائب فسرى التشبيه للجزئيات واستعير الثاني للأول ، ثم استعير بناء على ذلك ضمير الغائب للمخاطب ، وحذف وذكر المخاطب ، ورمز إلى المحذوف بذكر لازمه ، وهو طلب السير منه إليك ، واثباته له تخييل .

واعلم أن استعارة الاسماء المبهمة أعني الضمائر واسماء الاشارة والموصولات تبعية ، لأنها ليست باسم جنس لا تحقيقاً ولا تأويلا – ولأنها لا تستقل بالمفهومية لأن معانيها لا تتم ولا تصلح لأن يحكم عليها بشيء ما لم تصحب تلك الألفاظ في الدلالة عليها ضميمة تتم بها – كالاشارة الحسية والصلة ، والمرجع – فلابد أن تعتبر التشبيه أولا في كليات تلك المعاني الجزئية ، ثم سريانه فيها لتبني عليه الاستعارة – مثلا في استعارة لفظ «هذا» لأمر معقول ، يشبه المعقول المطلق في قبول التمييز بالمحسوس المطلق فيسرى التشبيه إلى الجزئيات فيستعار لفظ هذا من المحسوس الجزئي للمعقول الجزئي الذي سرى إليه التشبيه ، فهي استعارة تبعية – والاستعارة في الضمير والموصول المؤنث – أو بموصولها عنه لشبهه بها ، أو عكسه ، فتشبه المذكر المطلق ، بالمؤنث ، كالتعبير عن المذكر بضمير المطلق ، فيسرى التشبيه ، فتستعير الضمير ، أو الموصول ، للجزء الخاص .

(٢٣٦/١)

أو اسم فعلٍ ، أو اسما سنقا أو اسما مبهماً أو حرفا فالاستعارة «تصريحية تبعية»نحو : نامت هممي عنّي ، ونحو : صهٍ : الموضوع للسكوت عن الكلام ، والمستعمل مجازاً في ترك الفعل ، ونحو : الجندي قاتل اللص ، بمعنى ضاربه ضرباً شديداً ، ونحو : هذا : الموضوعة للاشارة الحسية ، والمستعملة مجازاً في الاشارة العقلية نحو : هذا رأى حسن ، ونحو : قوله تعالى (ولأصلبنكم في جذوع النخل) ونحو : قوله تعالى (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزنا)

)(٣إذا كان اللفظُ المستعار اسماً مشتقاً ، أو اسماً مبهماً ، «دون باقي أنواع التبعية المتقدمة» فالاستعارة «تبعية مكنية»

وسميت (تبعية) لأن جريانها في المشتقات ، والحروف ، تابعٌ لجريانها أولاً : في الجوامد ، وفي كليات معاني الحروف ، يعني : أنها سميت تبعية لتبعيتها لاستعارة أخرى ، لأنها في المشتقات تابعة للمصادر ، ولأنها في معاني الحروف تابعة لمتعلّق معانيها ، إذ معاني الحروف جزئية ، لا تتصور الاستعارة فيها إلا

بواسطة كلي مستقل بالمفهومية ليتأتى كونها مشبهاً ، ومشبها بها ، أو محكوماً عليها ، أو بها.
نحو : ركب فلان كتفي غريمه (١) أي : لازمه ملازمة شديدة
وكقوله تعالى (اولئك على هدى من ربهم) أي تمكنوا من الحصول على الهدايةالتّامة (٢) .

---

(١) يقال في اجرائها شبه اللزوم الشديد ، بالركوب ، بجامع السلطة والقهر – واستعير لفظ المشبه به وهو الركوب للمشبه وهو اللزوم ، ثم اشتق من الركوب بمعنى اللزوم ركب بمعنى لزم ، على طريق الاستعارة التصريحية التبعية .

(٢) يقال في اجرائها شبه مطلق ارتباط بين مهدي وهدى – بمطلق ارتباط بين مستعلى ومستعلى عليه بجامع التمكن في كل ، فسرى التشبيه من الكليين للجزئيات ثم استعيرت «على» من جزئي من جزئيات المشبه به ، لجزئي من جزئيات المشبه على طريق الاستعارة التصريحية التبعية .

(٢٣٧/١)

ونحو : (أذقته لباس الموت) (١) أي ألبسته إياه.
تنبيهات عشرة
التنبيه الأول – كل تبعية قرينتها مكنية
التنبيه الثاني – إذا أجريت الاستعارة في واحدة من الاستعارة التصريحية ، أو من الاستعارة المكنية ، امتنع اجراؤها في الأخرى.
التنبيه الثالث – تقسيم الاستعارة إلى (أصلية وتبعية) عام في كل من الاستعارة التصريحية والمكنية.
التنبيه الرابع – تبين أن الاستعارة هي اللفظ المستعمل في غير ما وضع له ، لعلاقة المشابهة ، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الوضعي (٢)
أو هي : (مجاز لغوي) علاقته المشابهة ، كقول زهير :
لدى أسدٍ شاكي السلاح فُقلنَه لبدٌ أظفارُه لم تُقلَّم
فقد استعار الأسد : للرجل الشجاع ، لتشابههما في الجراءة
والمستعار له هنا : لفظ رجل (محقق حساً) ، وكقوله تعالى (اهدنا الصراط المستقيم) ، فقد استعار الصراط المستقيم للدين الحق ، لتشابههما في أن كلا يوصل إلى المطلوب ، والدين الحق (محقق عقلا) لأنه أثر عنوي ، له ثبوتٌ في ذاته وكقوله تعالى (كتابٌ أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور) أي : من الضلال إلى الهدى ، فقد استعير لفظ الظلمات للضلال ، لتشابههما في عدم اهتداء صاحبيهما ، ثم استعير لفظ الظلمات للضلال ، وكذلك استعير لفظ النور للإيمان ، لتشابههما في الهداية ، والمستعار له وهو الضلال والإيمان ، كل منهما (محقق عقلا) وتسمى هذه الاستعارات (تصريحية) وتسمى أيضاً (تحقيقية) –
وأما قول أبي ذؤيب الهذلي

---

(١) يقال في اجرائها شبهت الاذاقة باللباس ، واستعير الالباس للاذاقة ، بجامع الاشتمال في كل ، واشتق منه ألبس بمعنى أذاق ، على طريق الاستعارة التصريحية التبعية – ثم حذف لفظ المشبه به ، ورمز إليه بشيء من لوازمه ، وهو اللباس ، على طريق الاستعارة المكنية

(٢) قد يراد بالاستعارة المعنى المصدري : أي استعمال اللفظ في غير ما وضع له ،فيكون اللفظ مستعاراً ، والمشبه به مستعاراً منه ، والمشبه مستعاراً له .

وا إذا المنَّية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع

فشبه المنية ، بالسبع ، في اغتيال النفوس قهراً ، من غير تفرقة بين نفّاع وضرّار ، ولم يذكر لفظ المشبه به بل ذكر بعض لوازمه وهو أظفارها التي لا يكمل الاغتيال في السبع إلا بها ، تنبيهاً على المشبه به المحذوف فهو استعارة (مكنية) – وكقوله :

ولئن نطقت بشكر بر ّك مفصحاً فلسان حالي بالشكاية أنطقُ

فشبه الحال ، بانسان ناطق في الدلالة على المقصود ، ولم يصرح بلفظ المشبه به ، بل ذكر لازمه ، وهو (اللسان) الذي لا تقوم الدلالة الكلامية إلا به ، تنبيهاً به عليه – فهو أيضاً استعارة (مكنية) ، وقد أثبت للمشبه لازم من لوازم المشبه به ، لا يكون إلا به كماله أو قوامه في وجه الشبه ، (كالأظفار) التي لا يكمل الافتراس إلا بها كما في المثال الأول ، (واللسان) الذي لا تقوم الدلالة الكلامية في الانسان إلا به ، كما في المثال الثاني ، وليس (للمنية) شيء كالأظفار نقل إليه هذا اللفظ ، ولا (للحال) شيء (كاللسان) نقل إليه لفظ اللسان ، وما كان هذا حاله يعتبر طبعاً (تخييلا أو استعارة تخييلية).

التنبيه الخامس – تقدم الاستعارة التصريحية ، أو المصرّحة : هي ما صُرّح فيها بلفظ المشبه به.

والمكنية ، هي ما حذف فيها لفظ المشبه به ، استغناء ببعض لوازمه ، التي بها كمالهُ ، أو قوامه في وجه الشبه ( )١وأنّ إثبات ذلك اللّازم تخييل – أو استعارة تخييلية.

---

(١) إذا لم يكن اللازم كذلك ، اعتبر ترشيحاً – فالفرق بين الترشيح والتخييل :

(أ) أن الترشيح يكون في المصرحة والمكنية : والتخييل ، إنما يكون في المكنية.

(ب) أن التخييل به كمال المشبه به ، أو قوامه في وجه الشبه ، ولا يكون إلا كذلك .

غير أنهم اختلفوا في تعريف كلٍ من المكنية والتّخييلية ، فمذهب السّلف : أن المكنية : اسم المشبه به ، المستعار في النفس للمشبه ، وأنّ إثبات لازم المشبه به للمشبه (استعارة تخييلية) (١) فكلٌّ من (الأظفار)

في قوله : «وإذا المنية أنشبت أظفارها» ، (واللّسان) في قوله :
«فلسان حالي بالشكاية أنطق» حقيقةٌ ، لأنه مستعمل فيما وضع له.

---

(١) وعلى مذهبهم لا تكون التخييلية (مجازاً لغوياً) لأنها فعل من أفعال النفس ، وهو الاثبات ، والمجاز اللغوي من عوارض الألفاظ ، وعلى مذهبهم أيضاً تتلازم المكنية والتخييلية ، إلا أن أحدهم وهو (الزمخشري) انفرد من بينهم بأن قال إن قرينة المكنية قد تكون تحقيقية إذا كان للمشبه لازم يشبه لازم المشبه به نحو «ينقضون عهد الله» فقد شبه العهد بالحبل بجمع أن كلا يصل بين شيئين ويربطهما : فالعهد يربط المتعاهدين كما يربط الشيئان بالحبل ، ثم حذف لفظ المشبه به ، وهو الحبل واستعير النقض وهو فك طاقات الحبل ، لأبطال العهد ، بجامع الافساد في كل (استعارة أصلية تحقيقية) ثم اشتق من النقض ينقضون بمعنى يبطلون ، على سبيل الاستعارة ، (التحقيقية التبعية) فالزمخشري يجمع بين المكنية والتحقيقية أحياناً ، على أن التحقيقية ليست مقصودة لذاتها وإنما جاءت تبعا للمكنية ، للدلالة عليها ، فلا تلازم عنده بين المكنية والتخييلية ، إلا أن يدعى أن القرينة (تصريحية) باعتبار المعنى المقصود في الحالة الراهنة (تخييلية) باعتبار الاشعار بالأصل ، أما غيره من السلف فتقول : شبه العهد بالحبل ، وحذف لفظ الحبل ، ورمز إليه بلازمه ، وهو النقض ، وإثبات النقض للعهد تخييل .

(٢٤٠/١)

ومذهب (الخطيب القزويني) أنّ المكنية هي التشبيه المضمر في النفس ، المرموز إليه باثبات لازم المشبه به للمشبه ، وهذا الاثبات هو الاستعارة (التخييلية) (١)

---

(١) من هذا التعريف نفهم أولا : أن (القزويني) يخالف السلف في تعريف المكنية ويتفق معهم في قرينتها ، ونفهم ثانيا أن المكنية والتخييلية عند القزويني فعلان من أفعال النفس هما التشبيه والاثبات ، فليسا من المجاز اللغوي ، لأنه من عوارض الألفاظ وتكون التخييلية عند (القزويني) والقوم (مجازاً عقليا) لما فيها من اثبات الشيء لغير ما هو له ، وإنما سموها (استعارة) لما فيها من نقل اللازم من ملائمه الأصلي ، وهو المشبه به إلى المشبه ، وسموها تخييلية لأن اللازم لما نقل من المشبه به إلى المشبه صار السامع يخيل إليه أن المشبه من جنس المشبه به ، ونفهم ثالثاً أن لفظ اللازم في المكنية حقيقة عند (القزويني) .

(٢٤١/١)

ومذهب (السكاكي) أن المكنية لفظ المشبه ، مراداً به المشبه به (١) ، فالمراد (بالمنية) في قوله : «وإذا المنيةُ انشبت أظفارها»هو السبع بادعاء السبعية لها ، وإنكار أن تكون شيئاً غير السبع ، بقرينة إضافة الأظفار التي هي من خواص السبع إليها ، و (التخييلية) عنده ما لا تحقق لمعناه (لا حسّا ولا عقلا) بل هو

صورة وهمية محضه : كالأظفار في ذلك المثال فانه لما شبه المنية ، بالسبع في الاغتيال ، أخذ الوهم يصورها بصورته ، ويخترع لها لوازمه ، فاخترع لها صورة كصورة الأظفار ، ثم أطلق عليها لفظ الأظفار فيكون لفظ الأظفار استعارة (تصريحية تخييلية) أمـّا أنها تصريحية : فلأنه صـُرـّح فيها بلفظ المشبه به ، وهو اللازم الذي أطلق على صورة وهمية شبيهة بصورة الأظفار المحققة ، وأما أنها (تخييلية) فلأن المستعار له غير محقق (لا حساً ولا عقلا) والقرينة على نقل الأظفار من معناها الحقيقي إلى المعنى المتخيل ، إضافتها إلى المنية (٢)

---

(١) تقرير الاستعارة على مذهب (السكاكي) أن يقال : شبهنا المنية التي هي الموت المجرد عن ادعاء السبعية ، بالسبع الحقيقي ، وادعينا أنها فرد من أفراده ، وأن للسبع فردين فردا متعارفا وهو الحيوان المفترس ، وفردا غير متعارف وهو الموت الذي ادعيت له السبعية ، واستعير اسم المشبه وهو المنية بمعنى ذلك الفرد غير المتعارف ، أعني الموت الذي ادعيت له السبعية ، فصح بهذا أنه قد أطلق اسم المشبه ، وهو المنية ، وأريد به المشبه به ، وهو السبع .

(٢) يرى (السكاكي) أن التخييلية قد توجد من غسير المكنية كقولهم : أظفار المنية التي كالسبع نشبت بفلان ففي أظفار (استعارة تخييلية) وجدت مع تشبيه صريح ولكن هذا بعيد إذ لم يوجد له نظير في الكلام العربي «فالفرق بين السكاكي وغيره أن السكاكي يرى أن كل مكنية معها تخييلية ولا عكس ، وغيره (إلا الزمخشري) يقول إنهما متلازمتان .

هذا –ومذهب السكاكي في المكنية مردود عليه ، بأن لفظ المشبه فيها مستعمل فيما وضع له تحقيقاً ، للقطع بأن المراد بالمنية (الموت) لا غير : فليس مستعاراً .

التنبيه السادس الاستعارة صفة للفظ على المشهور ، والحق أن المعنى يعار ُ أولا ، ثم يكون اللفظ دليلا على الاستعارة : وذلك.

(١) لأنه إذا لم يكن نقل الاسم تابعاً لنقل المعنى تقديراً لم يكن ذلك استعارة ، مثل (الأعلام المنقولة) فأنت إذا سميت إنساناً بأسد ، أو نمر أو كلب ، لا يقال إن هذه الأسماء مستعارة ، لأن نقلها لم يتبع نقل معانيها تقديراً .

(٢) ن البـُلغاء : جزمـُوا بأن (الاستعارة ، أبلغ من الحقيقة) فان لم يكن نقل الاسم تابعاً لنقل المعنى ، لم يكن فيه مبالغة ، إذ لا مبالغة في إطلاقب الاسم المجرد عن معناه.

التنبيه السابع – ظهر أن الاستعارة باعتبار اللفظ نوعان (أصلية وتبعية) فالأصلية : ما كان فيها المستعار اسم جنس غير مشتق ، سواء أكان اسم ذات ، كأسد للرجل الشجاع ، أم اسم معنى ، كقتل للإذلال ، وسا أكان اسم جنس (حقيقة) كأسد وقتل ، أم (تأويلا) كما في الأعلام المشهورة بنوع من الوصف ، كحاتم في

قولك : رأيت اليوم حاتماً ، تريد رجلا كامل الجود ، فاعتبر لفظ (حاتم) في قوة الموضوع لمفهوم كلي ، حتى كاد يغلب استعماله في كل من له وصف حاتم ، فكما أن أسداً يتناول الحيوان المفترس والرجل الشجاع ادّعاء ، كذلك حاتم يتناول الطائي وغيره ادعاء ، ويكون استعماله في (الطائي) حقيقة ، وفي غيره مجازاً ، لأن الاستعارة مبنية على ادعاء أن المشبه فرد من أفراد المشبه به ، فلابدّ أن يكون المشبه به كلياً ذا أفرادٍ ، والمراد (باسم الجنس) غير المشتق (ما صلح لأن يصدق على كثيرين ، من غير اعتبار وصف من الأوصاف في الدلالة).

(٢٤٣/١)

وليس العلم الشخصي واسم الاشارة والضمير والموصول من الكليات ، فلا يصح أن تجري فيها الاستعارة الأصلية ، أمّا المشتق فالصفة جزء من مدلوله وضعاً ، لأنه موضوع لذات متصفة بصفة ، (فكريم) موضوع لذات متصفة بالكرم ، (وقتيل) موضوع لذات متصفة بوقوع القتل عليها.

وقد اعتبرت (الأعلام) التي تتضمن معنى الوصف اسم جنس تأويلاً ولم تعتبر من قبيل المشتق ، لأن الوصف ليس جزءا من معناها وضعاً ، بل هو لازم لهن غير داخل في مفهومه ، فحاتم : لم يوضع للدلالة على الجود ولا على ذات متصفة به ، ولكن الجود عرض له ولزمه فيما بعد.

التنبيه الثامن – التبعية (١)

---

(١) كذلك يدخل فيه الاسم المبهم ، فقد جعل بعضهم استعارة الاشارة والضمير والموصول من التبعية ، لأن كلا من هذه المبهمات ليس من اسم الجنس لا تحقيقا ولا تأويلا ، إذ أن معانيها جزئية – والأصلية : مختصة باسم الجنس ، فاذا قلت : هذا رأي حسن فقد استعرت اسم الاشارة من المحسوس للمعقول ، ويقال : شبه المعقول مطلقا بالمحسوس مطلقا في قبول التمييز والتعبير ، فسرى التشبيه من الكليات إلى الجزئيات فاستعير لفظ (هذا) من جزئي المشبه به لجزئي المشبه استعارة تبعية ، لقصد المبالغة في بيان تعيين المعقول ، وا ٍذا قلت لنسوة : إني منتظركم ، فقد شبهت مطلق مخاطبة فيها عظمة بمطلق مخاطب فيه عظمة بجامع العظمة في كل فسرى التشبيه من الكليين إلى الجزئيات ، فاستعير ضمير جماعة الذكور من جزئي المشبه به لجزئي المشبه ، استعارة تبعية ، وكذا إذا استعملت في المؤنث ما وضع من اسماء الموصول في المذكر.

وا ٍذا عاد الضمير أو اسم الاشارة على مجاز ، نحو : زارني هذا الأسد فاكرمته فليس فيهما تجوز بناء على أن وضعهما أن يعودا على ما يراد بهما من حقيقة أو مجاز ، وقيل فيهما تجوز تبعاً لما يرجعان إليه ويكونان مستعارين بناء على التشبيه والاستعارة في مرجعهما ، فيدخلان في التبعية.

(٢٤٤/١)

ما كان فيها المستعار مشتقا ، ويدخل في هذا : الفعل ، والاسم المشتقّ ، والحرف.

فاستعارة الفعل (١) نحو : قوله تعالى «إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية» ونحو : قوله تعالى (وقطعناهم في الأرض أمما)

ونحو : قوله تعالى «فبشّرهم بعذاب أليم»

(١) يقال : شبه زيادة الماء زيادة مفسدة ، بالطغيان –بجامع مجاوزة الحد في كلّ ، وادعى أن المشبه فرد من أفراد المشبه به ثم استعير لفظ المشبه به للمشبه : على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية ، ثم اشتق من الطغيان بمعنى الزيادة ، طغى بمعنى زاد ، وعلا ، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

هذا : وقد يستعمل لفظ الماضي موضع المضارع ، بناء على تشبيه المستقبل المحقق ، بالماضي الواقع ، بجامع تحقق الوقوع في كل ، ونحو : قوله تعالى (وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا) وقد يعبر بالمضارع عن الماضي ، بناء على تشبيه غير الحاضر بالحاضر ، في استحضار صورته الماضية ، لنوع غرابة فيها ، نحو : قوله تعالى «إني أرى في المنام أني أذبحك».

---

(١) لو دخلت أن المصدرية على فعل مستعار نحو : يسؤني أن يطغى الماء على قربتي ، فالحق أنها تبعية وأن المستعار هو الفعل وحده وهو الذي حل محل يكثر أو يعلو ، والعبرة باللفظ ، والمصدر غير ملفوظ به ، و«أن» إنما آلة في السبك أتى بها لغرض هو تاويل مدخولها بمصدر ، فاذا أدى بها هذا الغرض طرحت كما تطرح الآلة إثر إتمام العمل الذي يؤدي بها ، وقال بعضهم إنها أصلية نظراً للمصدر المؤول.

التنبيه التاسع –استعارة المشتق : إمّا صفة (١) ، وإما اسم زمان ، أو مكان أو آلة فالصفة نحو : حكم على قاتلك بالسِّجن ، من القتل بمعنى الضّرب الشديد ، مجازاً ، ونحو : أصادق الأصم عن الخنى ، واجاور الأعمى عن العورات ، ونحو : فلسان حلي بالشكاية أنطق : أي أدلّ ، ونحو : قوله تعالى (من بعثنا من مرقدنا) ونحو : جئت بمقتالِك (٢)

أي بالآلة التي أضربك بها ضربا شديداً.

التنبيه العاشر – مدار قرينة التبعية في الفعل والمشتق على ما يأتي :

---

(١) يراد بالصفة : اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة واسم التفضيل ويلحق بها المصغر والمنسوب كرجل إذا أريد به رجل كبير يتعاطى مالا يليق به وكقرشي لمصري يتخلق بأخلاق القرشيين فان استعارتهما تابعة لاستعارة مصدرين لمشتقين ، يؤدي هذان اللفظان معناهما وهما صغير ومنتسب إلى قريش ، شبه فعل ما لا يليق ، بالصغر ، بجامع أن كلا يسقط الهيبة ، واستعير لفظ الصغر لفعل مالا يليق ثم اشتق منه

صغير بمعنى فاعل ما لا يليق ، ثم عبر عن فاعل ما لا يليق بلفظ رجيل ، أو شبه رجيل ، أو شبه مطلق فعل ما لا يليق ، بمطلق الصغر ، فسرى التشبيه إلى فردى المشبه والمشبه به وهما فاعل ما لا يليق ورجيل ، ثم استعير بناء على التشبيه الحاصل بالسريان رجيل للكبير الذي يفعل فعل الصغير ، وشبه التخلق بأخلاق قريش بالانتساب إليهم واستعير الانتساب للتخلق واشتق منه المنتسب بمعنى المتخلق بأخلاقهم ثم عبر عن هذا بلفظ يؤديه وهو «قرشي» على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

(٢) شبه الضرب بالقتل بجامع شدة الايذاء في كل ثم استعير للضرب الشديد على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية ، ثم اشتق منه «مقتال» بمعنى آلة الضرب على سبيل الاستعارة التبعية ، وشبه الاعراض عن سوء القول وعدم سمعه بالصمم بجامع عدم تأثر النفس بالقول في كل ، وكذا شبه الاغضاء عن العورات بالعمى ، بجامع عدم تأثر النفس بالمرئي في كل .

(٢٤٦/١)

(١) على الفاعل – نحو : إنا لما طغى الماء ، ونطقت الحال بكذا (١)

(٢) أو على نائبه – نحو : ضربت عليهم الذلة والمسكنة (٢)

(٣) أو على المفعول به – نحو :

جُمِعَ حَقّاً لنا في إمامٍ قتل البخل وأحيا السّماحاً (٣)

(٤) أو على المفعول به الثاني ، نحو :

صبحنا الخزرجية مرهفات أباد ذوى أرومتها ذووها (٤)

(٥) أو على الفاعل والمفعولين ، كقول الشاعر :

---

(١) لأن كلا من الطغيان والنطق من شأن الانسان.

(٢) لأن الضرب من شأن الخيام ، لا من شأن الذلة التي هي أمر معنوي.

(٣) لأن القتل والاحياء لا يقعان إلا على ذي روح ، والبخل والسماح معنويان لا روح فيهما ، فدل هذا : على أن المراد بالقتل الازالة ، وبالاحياء الاكثار ، شبه الازالة بالقتل بجامع ما يترتب على كل من العدم ، والاكثار بالاحياء بجامع إظهار المتعلق في كل .

(٤) القرينة تعلق الفعل «صبح» بمرهفات وهي مفعولي به ثان يقال ، صبحه كقطع سقاه الصبوح ، وهو شراب الغداة ، ومرهفات أي سيوفا مرهفات ، يقال ارهف السيف إذا حدده ورققه ، وأباده أهلكه ، والارومة الأصل ، والضمير في أرومتها للخزرجية ، وفي «ذووها» للمرهفات – يقول : أيدنا أصول هذه القبيلة بسيوفنا المرهفات ، ونزل التضاد منزلة التناسب ، فشبه الاساءة إلى الخزرجية صباحاً بالاحسان إليهم ، وتقديم الصبوح لهم ، بجامع إدخال السرور على النفس في كل ، وا ن كان ادعائيا في المشبه ، ثم استعار

لفظ المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية العنادية التهكمية ، ثم اشتق من الصبوح بمعنى الضرب بالمرهفات «صبح» بمعنى ضرب بها على سبيل الاستعارة التبعية.

(٢٤٧/١)

تقرى الر ّياح رياض الحزن مزهرة إذا سرى النوم في الأجفان إيقاظا (١)

(٦) أو على المفعولين ، كقوله تعالى (وقطعناهم في الأرض أمما)

(٧) أو على المجرور ، نحو : «فبشرهم بعذاب أليم (٢) » ونحو : «فاصدع بما تؤمر» ونحو : «بل نقذف بالحق» هذا – وقد تكون قرينة التبعية غير ذلك ، نحو : «قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا (٣) » إذ القرينة في هذه الآية ، كونه من كلام الموتى ، مع قوله : «هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون».

---

(١) الجفن غطاء العين وغلاف السيف استعير لأكمام الزهر بجامع التغطية في كل ، وكنى بسريان النوم فيها عن ذيولها ، وا ٍيقاظ مصدر أيقظ ، مستعار لتفتيح الزهر وا ٍيجاد النضرة والبهجة فيه ، وقد حسن التعبير بالألفاظ مجيئه بعد النوم والأجفان ، والمعنى : تهب الرياح على بساتين الحزن فتكسوها تفتيحا وحسنا ونضارة .

(٢) قوله بعذاب : قرينة على أن «بشر» مستعار ، لأن التبشير إخبار بما يسر فلا يناسب تعلقه بالعذاب ، وقوله : «بما تؤمر»كذلك لأنه معنوي والصدع للمحسوس ، كما أن الحق معنوي أيضاً ، فكل منها كان صارفا عن المعنى الأصلي للفعل إلى المعنى المجازي .

(٣) هذا على أن مرقد اسم مكان ، وا ٍلا فالاستعارة أصلية كما تقدم .

(٢٤٨/١)

التنبيه العاشر – استعارة الحرف (١) نحو : (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحز نا) فقد شبه مطلق ترتب علة واقعية على فعل ، (٢) بمطلق ترتب علة غائية على فعل (٣) ، بجامع مطلق الترتب في كل (٤) ، فسرى التشبيه من الكليين إلى الجزئيات ، ثم استعمل في جزئي المشبه (٥) (اللام) الموضوعة لجزئي المشبه به (٦)

---

(١) إيضاح : مثل الابتداء والظرفية والاستعارة معان كلية ، يصح أن تكون مستقلة بالفهم ، يحكم بها وعليها ، وتكون مقصودة لذاتها ، ولكن الابتداء المفهوم من لفظ «من» ابتداء مخصوص لم يقصد لذاته ، بل الغرض منه الربط بين معنيين مستقلين بالفهم : هما السير والبصرة في قولك : سرت من البصرة ، ولذا كان جزئيا بالنسبة للابتداء الأول ، وما قيل في الابتداء يقال نظيره في الظرفية والعلة الغائية والاستعلاء ، وغيرها من المعاني التي تستفاد من الحروف نحو : في ، واللام ، وعلى فأي معنى يستفاد من الحرف في

جملة ما ، يعتبر جزئيا من كليه ، غير مقصود لذاته ، بل للربط بين معنيين مستقلين ، وتعتبر الحروف حينئذ روابط بين المعاني المقصودة .

(٢) العداوة والحزن علة واقعية للالتقاط .

(٣) العلة الغائية لفعل هي التي تحمل على تحصيله لتحصل بعد حصوله كتبني فرعون لموسى ، ومحبة موسى إياه ، لأن فرعون وآله إنما كفوله بعد التقاطه لذلك.

(٤) إلا أن الترتب في الغائبة (رجائي أو تقديري) وفي العداوة والحزن (واقعي).

(٥) جزئي المشبه هنا هو ترتب العداوة والحزن الخاصين المتعلقين (بموسى) .

(٦) جزئي المشبه به هنا هو ترتب علة الالتقاط الخاصة : وهي تبنى موسى والمحبة ، لأنهما متقدمان على كفالته بعد الالتقاط ، ومرتبان عليه في الخارج ..

(٢٤٩/١)

على سبيل الاستعارة التبعية ، ونحو : قوله تعالى (ولأصلبنكم في جذوع النخل (١)) ، ونحو : قوله تعالى (أولئك على هدى من ربهم) (٢) ، ونحو : (زيد في نعمة (٣))..

ومن هذه الأمثلة السابقة : تتبين أنه لا يشترط أن يكون للمشبه حرف موضوع له يدل عليه.

واختار (السكاكي) تقليلا لأقسام الاستعارة : أن يستغنى عن التبعية في الفعل ، والمشتق ، والحرف ، بأن يجعل قرينة التبعية ، استعارة مكنية ، وأن يجعل التبعية ، قرينة للمكنية ، ففي قوله تعالى : (إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية) يجعل القوم الطغيان مستعاراً للكثرة المفسدة.

ويقول (السكاكي) في لفظ (الماء) استعارة مكنية ونسبة الطغيان إليه قرينة.

المبحث الثامن في تقسيم الاستعارة المصرحة باعتبار الطرفين إلى عنادية ووفاقية ،

فالعنادية – هي التي لا يمكن اجتماع طرفيها في شيء واحد ، لتنافيهما كاجتماع النور والظلام.

والوفاقية – هي التي يمكن اجتماع طرفيها في شيء واحد ، لعدم التنافي – كاجتماع النور والهدى.

ومثالهما قوله تعالى (أو من كان ميتاً فأحييناه) أي ضالاً فهديناه ففي هذه الآية استعارتان.

---

(١) شبه مطلق ارتباط بين مستعل ومستعلى عليه ، بمطلق ارتباط بين ظرف ومظروف ، بجامع التمكن ، أو مطلق الارتباط في كل ، فسرى التشبيه من الكليين إلى الجزئيات ، فاستعير لفظ «في» من جزئيات المشبه به ، لجزئي من جزئيات المشبه استعارة تبعية.

(٢) شبه مطلق ارتباط بين مهدي وهدى ، بمطلق ارتباط بين مستعل ومستعلى عليه ، بجامع مطلق الارتباط في كل ، فسرى التشبيه من الكليين إلى الجزئيات ، فاستعير لفظ «على» من جزئيات المشبه به ، لجزئي المشبه ، استعارة تبعية .

(٣) شبه مطلق ملابسة الانسان للنعمة ، بمطلق ملابسة بين ظرف ومظروف بجامع مطلق الملابسة في

كل ، فسرى التشبيه من الكليين إلى الجزئيات ، فاستعير لفظ «في» من جزئيات المشبه به ، لجزئي من جزئيات المشبه ، استعارة تبعية .

(٢٥٠/١)

الأولى – في قوله «ميتاً » شبه الضلال ، بالموت ، بجامع ترتب نفى الانتفاع في كل ، واستعير الموت للضلال ، واشتق من الموت بمعنى لضلال ، ميتاً بمعنى ضالاً ، وهي عنادية ، لأنه لا يمكن اجتماع الموت والضلال في شيء واحد.

والثانية – استعارة الإحياء ، للهداية ، وهي (وفاقية) لامكان اجتماع الإحياء والهداية في الله تعالى ، فهو محيٍ وهادٍ .

ثم العنادية – قد تكون تمليحية ، أي المقصود منها التمليح والظرافة وقد تكون تهكمية – أي المقصود منها التهكم والاستهزاء ، بأن يستعمل اللفظ الموضوع لمعنى شريف ، على ضدِّه أو نقيضه ، نحو رأيت أسداً تريد جبانا ، قالتّمليح والظّرافة ، أو التهكّم والسّخرية : وهما اللتان ذُ زّ ل فيهما التضاد ، منزلة التّناسب ، نحو (فبشّرهم بعذاب أليم) أي (أنذرهم) فاستعيرت البشارة التي هي الخبر السّار ، للإنذار الذي هو ضده بادخال الإنذار في جنس البشارة ، على سبيل التهكم والاستهزاء.

وكقوله تعالى (فاهدوهم إلى صراط الجحيم).

المبحث التاسع في تقسيم الاستعارة باعتبار الجامع

الاستعار ة المصرحة باعتبار (الجامع) نوعان (١)

---

(١) الجامع في الاستعارة : بمثابة (وجه الشبه) في التشبيه ، وهو ما قصد اشتراك الطرفين فيه ، وسمى جامعاً لأنه جمع المشبه في أفراد المشبه به تحت مفهومه وأدخله في جنسه ادعاء ، ولابد أن يكون في المستعار منه أقوى ، لأن الاستعارة مبنية على المبالغة في التشبيه ، والمبالغة فيه توجب ابلاغ المشبه لما هو أكمل.

وينقسم الجامع إلى داخل وخارج – فالأول – ما كان داخلا في مفهوم الطرفين ، نحو قوله تعالى «قطعناهم في الأرض أمماً » فاستعير التقطيع الموضوع لازالة الاتصال بين الأجسام الملتصق بعضها ببعض ، لتفريق الجماعة ، وا بعاد بعضها على بعض ، والجامع إزالة الاجتماع ، وهي داخلة في مفهومها ، وهي في القطع أشد والثاني ، وهو ما كان خارجا عن مفهوم الطرفين ، نحو : رأيت أسداً.

أي رجلا شجاعاً ، فالجامع وهي الشجاعة أمر عارض للأسد ، لا داخل في مفهومه ، وينقسم الجامع أيضا باعتباره وباعتبار الطرفين ، إلى ستة أقسام –لأن الطرفين إما حسيان وا ما عقليان (أو المستعار منه حسي والمستعار له عقلي أو بالعكس) والجامع في الأول من الصور الأربع تارة يكون حسيا وتارة يكون عقليا وأخرى مختلفا ، وفي الثلاث الأخيرة لا يكون إلا عقليا .

مثال ما إذا كان الطرفان حسيين والجامع كذلك قوله تعالى (فأخرج لهم عجلا جسداً له خوار) فان المستعار منه ولد البقرة ، والمستعار له الحيوان المصوغ من (حلى القبط) بعد سبكها بنار السامري ، وا لقاء التراب المأخوذ من أثر فرس جبريل (عليه السلام) ، والجامع لهما الشكل والخوار ، فانه كان على شكل ولد البقر ، مما يدرك بحاسة البصر «ويحث بعضهم بأن ابدال جسداً من عجلا يمنع الاستعارة».

ومثال ما إذا كان الطرفان حسيين ، والجامع عقلي – قوله تعالى (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون) أي نكشف ونزيل الضوء من مكان الليل ، وموضع ظلمته ، فان المستعار منه أعنى السلخ وهو كشط الجلد وا زالته عن الشاة ونحوها والمستعار له : إزالة الضوء عن مكان الليل وموضع ظلمته : وهما حسيان.

والجامع لهما ما يعقل من ترتب أمر على آخر بحصوله عقبه ، كترتب ظهور اللحم على السلخ والكشط ، وترتب حصول الظلمة على ازالة ضوء النهار عن مكان ظلمة الليل ، والترتب عقلي – واجراء الاستعارة – شبه كشف الضوء عن الليل ، بكشط الجلد عن نحو الشاة ، بجامع ترتب ظهور شيء على شيء في كل ، واستعير لفظ المشبه به وهو «السلخ» للمشبه ، وهو كشف الضوء ، واشتق منه «نسلخ» بمعنى نكشف ، على طريق الاستعارة التصريحية التبعية ، ومثال ما إذا كان الطرفان حسيين ، والجامع بعضه حسي ، وبعضه عقلي ، قولك رأيت بدراً يضحك – تريد شخصاً مثل «البدر» في حسن الطلعة وعلو القدر ، فحسن الطلعة حسي ، وعلو القدر عقلي – ومثال ما إذا كان الطرفان عقليين ولا يكون الجامع فيهما إلا عقلياً ، كباقي الأقسام ، قوله تعالى (من بعثنا من مرقدنا) فان المستعار منه «الرقاد» أي النوم ، والمستعار له الموت والجامع بينهما عدم ظهور الأفعال الاختيارية ، (والجميع عقلي) – واجراء الاستعارة : شبه الموت بالنوم ، بجامع عدم ظهور الفعل في كل ، واستعير لفظ المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية – وقال بعضهم عدم ظهور الفعل في الموت أقوى ، وشرط الجامع أن يكون في المستعار منه أقوى ، فليجعل الجامع هو «البعث» الذي هو في النوم أظهر ، وقرينة الاستعارة أن هذا الكلام كلام الموتى ، مع قوله «هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون» وعلى هذا يقال : شبه الموت بالرقاد ، بجامع عدم ظهور الفعل في كل ، واستعير الرقاد للموت واشتق منه «مرقد» اسم مكان الرقاد بمعنى قبر اسم مكان الموت ، على طريق الاستعارة التصريحية التبعية – ومثال ما إذا كان المستعار منه حسيا ، والمستعار له عقليا ، قوله تعالى (فاصدع بما تؤمر) فان المستعار منه كسر الزجاجة ، وهو أمر حسي ، باعتبار متعلقة ، والمستعار له التبليغ جهراً والجامع التأثير الذي لا يمكن معه رد كل منهما إلى ما كان عليه «أي أظهر الأمر إظهاراً لا ينمحى – كماأن صدع الزجاجة لا يلتئم واجراء الاستعارة : شبه التبليغ جهراً بكسر الزجاجة ، بجامع التأثير الشديد في كل واستعير المشبه به وهو «الصدع»للمشبه وهو التبليغ جهراً – واشتق منه إصدع بمعنى بلغ جهراً ، على طريق الاستعارة التصريحية التبعية – ومثال ما إذا كان المستعار منه عقليا ، والمستعار له حسيا ، قوله تعالى (إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية) فان المستعار له كثرة الماء كثرة مفسدة وهي حسية ، والمستعار منه التكبر ، والجامع الاستعلاء المفرط ، وهما عقليان ، واجراء الأستعارة ، شبهت كثرة الماء المفرطة ، بمعنى الطغيان ، وهو مجاوزة الحد ، بجامع الاستعلاء المفرط في كل واستعير

لفظ المشبه به ، وهو الطغيان للمشبه وهو الكثرة المفرطة ، واشتق منه طغى بمعنى كثر كثرة مفرطة ، على طريق الاستعارة التصريحية التبعية.

«تنبيه» الاستعارة المكنية تنقسم أيضا إلى أصلية ، والى تبعية ، والى مرشحة والى مجردة ، والى مطلقة ، كما انقسمت التصريحية إلى مثل ذلك.

فالمكنية الاصلية – هي ما كان المستعار فيها اسما غير مشتق ، كالسبع المتقدم والتبعية – هي ما كان المستعار فيها اسما مشتقا ، فلا تكون في الفعل ولا في الحرف ومثالها في الاسم المشتق – يعجبني إراقة الضارب دم الظالم ، فقد شبه الضرب الشديد بالقتل ، بجامع الايذاء في كل ، واستعير القتل للضرب الشديد ، ثم حذف ورمز أليه بشيء من لوازمه ، وهو الاراقة ، على طريق الاستعارة المكنية التبعية – فالاستعارة التخييلية عند الجمهور : هي نفس اثبات اللازم المستعمل في حقيقته -وهي من المجاز العقلي ، وا ٍنما سميت استعارة : لانه استعير ذلك الاثبات من المشبه به ، للمشبه ، وسميت تخييلية لان اثباته للمشبه خيل اتحاده مع المشبه به ، فقولنا أظفار المنية نشبت بفلان فلفظ «أظفار» في هذا التركيب مستعمل في حقيقته «وانما التجوز في اثباته للمنية» أي أن ذلك الأثبات إثبات الشيء إلى غير ما هو له – فعند الجمهور : التخييلية لا تفارق المكنية ، لأنها قرينتها .والاستعارة المكنية المرشحة – هي ما قرنت بما يلائم المشبه فقط ، نحو – نطق لسان الحال بكذا – شبهت «الحال» بمعنى الانسان واستعير لفظ المشبه به ، للمشبه وحذف ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو «لسان» واثبات اللسان للحال تخييل ، وهو القرينة ، والنطق ترشيح ، لأنه يلائم المشبه به فقط

وترشيح المكنية فيه خلاف مبسوط في المطولات ، والمكنية المجردة – هي ما قرنت بما يلائم المشبه فقط ، نحو : نطقت الحال الواضحة بكذا – فالوضوح تجريد ، لأنه يلائم المشبه الذي هو انسان فقط.

والمكنية المطلقة – هي التي لم تقترن بشيء يلائم المشبه ولا المشبه به – أو قرنت بما يلائمهما معاً – نحو نطقت الحال بكذا – ونطق لسان الحال الواضحة بكذا ففي الأول – شبهت الحال بانسان واستعير لها اسمه و حذف ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو النطق ، واثبات النطق للحال تخييل ، وهي مجردة لانها لم تقترن بشيء يلائمها وفي الثاني – شبهت الحال بانسان واستعير له اسمه «وحذف ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو «لسان» واثباته للحال تخييل ، وهو القرينة ، والنطق ترشيح ، لأنه يلائم المشبه به ، والوضوح تجريد ، لأنه يلائم المشبه – ولما تعارضا سقطا ، وتنقسم المكنية أيضا إلى عادية – نحو – أنشبت المنية أظفارها بفلان – لأنه لا يمكن اجتماع طرفيها في شيء واحد (يكون منية وسبعا) ، ووفافية – نحو نطقت الحال بكذا – لأنه يمكن اجتماع طرفيها في شيء واحد. كالحال مع الانسان .

(٢٥١/١)

(١) عامية –وهي القريبة المبتذلة التي لاكتها الألسن ، فلا تحتاج إلى بحث : ويكون الجامع فيها ظاهراً ، نحو : رأيت أسداً يرمى.

وكقوله : وأدهم يسمتدّ الليل منه وتطلع بين عينيه الثُّريَّا

فقد استعار الثريا ، لغُرّة المهر ، والجامع بين الطرفين ظاهر ، وهو البياض وقد يتصرف في العامية بما يخرجها إلى الغرابة.

(٢) وخاصية -وهي الغريبة التي يكون الجامع فيها غامضاً ، لا يُدركه إلا أصحاب المدارك (من الخواص) – كقول كثير يمدح عبد العزيز بن مروان

غمرُ الرِّداء إذا تبسم ضاحكاً غلقت لضحكته رقابُ المال

غمر الرداء «كثير العطايا والمعروف» استعار الرداء للمعروف لأنه يصون ويستر عرض صاحبه ، كستر الرِّداء ما يلقى عليه ، واضاف إليه الغمر ، وهو القرينة على عدم إرادة معنى الثوب : لأنّ الغمر من صفات المال ، لا من صفات الثوب.

وهذه الاستعارة : لا يظفر باقتطاف ثمارها إلاّ ذووا الفطر السليمة والخبرة التامة.

المبحث العاشر في تقسيم الاستعارة باعتبار ما يتصل بها من الملائمات ، وعدم اتصالها

تنقسم الاستعارة : باعتبار ذكر «ملائم المستعار منه» أو باعتبار ذكر ملائم المستعار له» أو باعتبار عدم اقترانها بملا يلائم أحدهما إلى ثلاثة أقسام : مطلقة ، ومرشحة ، ومجردة.

(١) فالمطلقة : هي التي لم تقترن بما يلائم المشبه والمشبه به : نحو (ينقضون عهد الله) أو ذكر فيها ملائمها معاً – كقول زهير

لدى أسدٍ شاكي السلاح مقذّف له لبدٌ أظفاره لم تُقلَّم

استعار الأسد : للرجل الشجاع ، وقد ذكر ما يناسب المستعار له ، في قوله «شاكى السلاح مقذف» وهو التجريد ، ثم ذكر ما يناسب المستعار منه ، في قوله «له لبد أظفاره لم تقلم» وهو الترشيح ، واجتماع التجريد والترشيح يؤدى إلى تعارضهما وسقوطهما ، فكأن الاستعارة لم تقترن بشيء – وتكون في رتبة (المطلقة).

(٢٥٢/١)

«ب» والمرشحة – هي التي قرنت بملائم المستعار منه «أي المشبه به» نحو : (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم) استعير الشراء للاستبدال والاختيار ، ثم فرع عليها ما يلائم المستعار منه (من الربح والتجارة) ، ونحو : من باع دينه بدنياه لم تربح تجارته «وسميت مرشحة : لترشيحها وتقويتها بذكر الملائم» وترشيح الاستعارة التصريحية متفق عليه

«جـ» والمجردة – هي التي قرنت بملائم المستعار له «أي المشبه» نحو : اشتر بالمعروف عرضك من الأذى.

«وسميت بذلك : لتجريدها عن بعض المبالغة ، لبعد المشبه حينئذ عن المشبه به بعض بعد» وذلك يبعد دعوى الاتحاد الذي هو مبني الاستعارة ، ثم اعتبار الترشيح والتجريد : إنما يكون بعد تمام الاستعارة بقرينتها سواء أكانت القرينة مقالية أم حالية -فلا تعد قرينة المصرحة تجريداً ولا قرينةُ المكنيّة ترشيحا – بل الزائد

على ما ذكر

واعلم : أن الترشيح أبلغ من غيره ، لاشتماله على تحقيق المبالغة بتناسى التشبيه ، وادّعاء أن المستعار له هو نفس المستعار منه «لا شيء شبيهٌ به» وكأن الاستعارة غير موجودة أصلا ، والإطلاق أبلغ من التجريد فالتجريد أضعف الجميع ، لأنّه به تضعف دعوى الاتحاد.

وإذا اجتمع ترشيح وتجريد : فتكون الاستعارة في رتبة المطلقة إذ بتعارضها يتساقطان ، كما سبق تفصيله ، وكما يجري هذا التقسيم في (التّصريحية) يجرى أيضاً في (المكنية).

المبحث الحادي عشر في المجاز المرسل المركب

المجاز المرسل المركب : هو الكلام المستعمل في غير المعنى الذي وضع له ، لعلاقة غير المشابهة : مع قرينة مانعة من إرادة معناه الوضعي.

ويقع أولا : في المركبات الخبرية المستعملة في الإنشاء وعكسه ، لأغراض

(١) منها التّحسر وإظهار التأسف – كما في قول الشاعر

ذهب الصِّبا وتولّت الايامُ فعلى الصِّبا وعلى الزمان سلام

(٢٥٣/١)

فانه وإن كان واقعاً في أصل وضعهن إلا أنه في هذا المقام مستعمل في إنشاء التَّحسر والتَّحزّن على ما فات من الشباب ، وكما في قول جعفر ابن عُلبة الحارثي :

هواي مع الرَّكب اليمانين مصعدٌ جنيبٌ وجثماني بمكة مُوثقُ

فهو يشير إلى الأسف والحزن الذي ألم به من فراق الأحبة ، ويتحسُّرعلى ما آل إليه أمرهُ ، والقرينة على ذلك حال المتكلم ، كما يفهم من الشطر الثاني في قوله (هواي – الخ).

(٢) ومنها– إظهار الضعف – كما في قوله

رب إني لا أستطيع اصطباراً فاعف عني يا من يقبلُ العثارا

(٣) ومنها إظهار السرور ، نحو : كُتِبَ اسمي بين الناجحين.

(٤) ومنها – الدعاء –نحو : نجَّح الله مقاصدنا – أيها الوطن لك البقاء.

وثانياً : في المركبات الانشائية : كالأمر ، والنهي ، والاستفهام التي خرجت عن معانيها الأصلية ، واستعملت في معان أخر : كما في قول المصطفى عليه الصلاة والسلام.

«من كذب علي متعمداً فليتبوّأ مقعده من النار»

إذ المراد يتبوّأ مقعده» والعلاقة في هذا (السببية والمسببية) لأن إنشاء المتكلم للعبارة سبب لاخباره بما تتضمنه ، فظاهره أمرٌ ، ومعناه خبر.

المبحث الثاني عشر في المجاز المركب (١) بالاستعارة التمثيلية

(١) المجاز المركب : هو تركيب استعمل في ما يشبه بمعناه الأصلي (تشبيه التمثيل) .

(٢٥٤/١)

المجاز المركب بالاستعارة التمثيلية : هو تركيب استعمل في غير ما وضع له ، لعلاقة المشابهة ، مع قرينة مانعة من إرادة معناه الوضعي ، بحيث يكون كل من المشبه والمشبه به هيأة منتزعة من متعدد – وذلك بأن تشبه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين ، أو أمور (بأخرى) ثم تدخل المشبه في الصورة المشبه بها مبالغة في التشبيه – ويسمى بالاستعارة التمثيلية (١) وهي كثيرة الورود في الأمثال السائرة ، نحو : الصيف ضيعت اللبن – يضرب لمن فرط في تحصيل أمر في زمن يمكنه الحصول عليه فيه ، ثم طلبه في زمن لا يُمكنه الحصول عليه (٢)

(١) سميت تمثيلية مع أن التمثيل عام في كل استعارة ، للاشارة إلى عظم شأنها كأن غيرها ليس فيه تمثيل أصلا – إذ الاستعارة التمثيلية مبينة على تشبيه التمثيل ، ووجه الشبه فيه هيئة منزعة من متعدد – لهذا كان أدق أنواع التشبيه ، وكانت الاستعارة المبنية عليه أبلغ أنواع الاستعارات – ولذلك كان كل من تشبيه التمثيل ، والاستعارة التمثيلية غرض البلغاء.

(٢) أصل المثل : أن امرأة كانت متزوجة بشيخ غني فطلبت طلاقها منه في زمن الصيف لضعفه – فطلقها وتزوجت بشاب فقير ، ثم طلبت من مطلقها لبنا وقت الشتاء فقال لها ذلك المثل – واجراء الاستعارة في المثل الأول ، أن يقال : شبهت هيئة من فرط في أمر زمن امكان تحصيله ، بهيئة المرأة التي طلقت من الشيخ اللابن ، ثم رجعت إليه ، تطلب منه اللبن شتاء ، بجامع التفريط في كل ، واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه ، على طريق الاستعارة التمثيلية واجراء الاستعارة في المثل الثاني ، أن يقال : شبهت هيئة من يتردد في أمر بين أن يفعله وألا يفعله بهيئة من يتردد في الدخول ، فتارة يقدم رجله ، وتارة يؤخرها بجامع الحيرة في كل ، واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه ، على طريق الاستعارة التمثيلية.

واجراء الاستعارة في المثل الثالث ، شبهت هيئة من يظلم من وجهين ، بهيئة رجل باع آخر تمراً رديئاً وناقص الكيل بجامع الظلم من وجهين في كل واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه ، على طريق الاستعارة التمثيلية.

واجراء الاستعارة في المثل الرابع : شبهت هيئة الرجل المتستر تحت أمر ليحصل على أمر خفي يريده – بهيئة الرجل المسمى (قصيراً) حين جدع أنفه ليأخذ بثأر (جذيمة) من (الزباء) بجامع الاحتيال في كل واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه ، على طريق الاستعارة التمثيلية.

واجر اء الاستعارة في المثل الخامس ، أن يقال شبهت هيئة رجل كريم الأصل عزيز النفس ، الذي لا يفضل الدنايا على الرزايا عند ما تزل به القدم ، بهيئة المرأة التي تفضل جوعها على إجارتها للارضاع عند فقرها

بجامع ترجيح الضرر على النفع في كل ، واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه ، على طريق الاستعارة التمثيلية.

واجراء الاستعارة في المثل السادس ، شبهت هيئة من يريد أن يعمل عملا وحده وهو عاجز عنه ، بهيئة من يريد أن يصفق بيد واحدة ، بجامع العجز في كل ، واستعير الكلام الموضوع للمشبه به ، للمشبه ، على سبيل الاستعارة التمثيلية .واجراء الاستعارة في المثل السابع ، شبهت هيئة الرجل الذي يحصل بوجوده فصل المشكلات ، بهيئة نبي الله موسى عليه السلام ، مع سحرة فرعون ، بجامع حسم النزاع في كل ، واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية ، واجراء الاستعارة في المثل الثامن ، شبهت هيئة الرجل الذي لا يقول إلا الحق ولا يخبر إلا بالصدق ، بهيئة المرأة المسماة «جذام» بجامع الصدق في كل ، واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه ، على طريق الاستعارة التمثيلية .

(٢٥٥/١)

فيه ، ونحو : (إني أراك تقدم رجلاً وتؤخر اخرى) يصرب لمن يتر دد في أمر ، فتارة يقدم ، وتارة يحجم ، ونحو : (أحشفاً وسوء كيلة) يضرب لمن يظلم من وجهين وأصله أن ّ رجلا اشترى تمراً من آخر) فاذا هو ردىء ٌ ، وناقص الكيل ، فقال المشتري ذلك –ومثل ما تقدم جميع الأمثال السائرة (نثراً ونظماً) فمن النثر قولهم : لمن يحتال على حولٍ أمر خفي ، وهو متستر تحت أمرٍ ظاهرٍ «لأمر ما جدع قصير أنفه» وقولهم : «تجوع الحرة ولا تأكل بثديها وقولهم : لمن يريد أن يعمل عملا وحده وهو عاجز عنه «اليد لا تصفق وحدها» وقولهم : لمجاهد عاد إلى وطنه بعد سفر «عاد السيف إلى قرابه ، وحلّ الليث منيع غابه» وقولهم لمن يأتي بالقول الفصل (قطعت جهيزةُ قول كلّ ٍ خطيب) (١)

ومن الشعر قول الشاعر :

إذا جاء موسى وألقى العصا فقد بطل السحر والساحر

إذا قالت حذام فصدِّقوها فان القول ما قالت حذام

متى يبلغ البنيان يوما تمامهُ إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم (٢)

---

(١) أصل هذا المثل : أن قوماً اجتمعوا للتشاور في الصلح بين حيين من العرب قتل رجل من أحدهما رجلا من الآخر ، وبينما خطباؤهم يتكلمون ، إذا بجارية تدعى (جهيزة) أقبلت فأخبرتهم أن أولياء المقتول ظفروا بالقاتل ، فقتلوه : فقال أحدهم (قطعت جهيزة قول كل خطيب) فذهب قوله مثلا.

(٢) واجراء الاستعارة في المثل التاسع : شبهت حال المصلح يبدأ الاصلاح ثم يأتي غيره فيبطل عمله ، بحال البنيان ينهض به حتى إذا أوشك أن يتم جاء من يهدمه ، والجامع هو الحالة الحاصلة من عدم الوصول إلى الغاية ، لوجود ما يفسد على المصلح اصلاحه ، ثم حذف المشبه ، واستعير التركيب الدال على المشبه به للمشبه .

(٢٥٦/١)

وا ٍذا فشت وشاعت الاستعارة التمثيلية (١)

---

(١) الأمثال : هي عبارات موجزة مأثورة ، يشبه الناس بها جديد أحوالهم بقديمها – وهي نوعان : حققة ، وفرضية فالحقيقة – هي ما حدث موردها في الوجود ، والفرضية ، ما لم يحدث موردها في الوجود وانما اخترعت على لسان حيوان أو غيره ، ولكل مثل (مورد) وهو الحالة القديمة التي قيل فيها لأول مرة ولكل مثل (مضرب) وهو الحالة الجديدة التي استعير لها وكما تكون الأمثال نثراً تكون شعراً – وتضرب كما وردت دون تغيير في لفظها.

تشبيه التمثيل ... الاستعارة التمثيلية

١– تشبيه التمثيل يذكر فيه المشبه ، والأداة ... ١– الاستعارة التمثيلية لا تكون الا في التراكيب.

٢– تشبيه التمثيل يجوز أن يكون بين مفردين مثل : المنافق كالحرباء. ... ٢– الاستعارة التمثيلية نوع من المجاز فهي لذلك أبلغ منه

٣– تشبيه التمثيل لا يصلح استعارة دون حذف ... ٣– الاستعارة التمثيلية تحتاج إلى قرينة تمنع من ارادة المعنيى الأصلي.

٤– تشبيه التمثيل لا يحتاج إلى قرينة معه تدل على حقيقته. ... ٤– الاستعارة التمثيلية يحذف منها المشبه والأداة ، ولا يبقى فيها من أركان التشبيه الا ما كان مشبها به فقط

٥– الاستعارة التمثيلية تصلح مشبها به دون حذف ، والتشبيه معها أكثر ما يكون غير تمثيل

٥– تشبيه التمثيل نوع من

الحقيقة.

(٢٥٧/١)

وكثُر استعمالها تكون مثلاً (١) لا يغير مطلقا ، بحيث يخاطب به المفرد ، والمذكر ، وفروعهما ، بلفظ واحد من غير تغير ولا تبديل عن مورده الأول ، وا ٍن لم يطابق المضروب له.

ولذا : كانت هذه الاستعارة محظ أنظار البلغاء ، لا يعدلون بها إلى غيرها إلا عند عدم إمكانها ، فهي أبلغ أنواع المجاز مفرداً أو مركباً ، إذ مبناها تشبيه التمثيل : الذي قد عرفت أن وجه الشبه فيه هيئةٌ منتزعة من أشياء متعددة ومن ثم كانت هي والتشبيه المبنية عليه غرض البلغاء الذين يتسامون إليه ، ويتفاوتون في إصابته ، حتى كُثرا في القرآن الكريم كثرة كانت إحدى الحجج على إعجازه.

---

(١) وتنقسم التمثيلية إلى قسمين تحقيقة وتخييلية – فالتحقيقية هي المنتزعة من عدة امور متحققة موجودة خارجا – كما في الأمثلة السابقة – والتخييلية هي المنتزعة من عدة أمور متخيلة مفروضة لا تحقق لها في ا

لخارج ولا في الذهن ، وتسمى الأولى «تمثيلية تحقيقية» والثانية «تمثيلية تخييلية» كقوله تعالى (إنا عرضنا الامانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها واشفقن منها) الآية على احتمال فيها فانه لم يحصل عرض وا إباء واشفاق منها حقيقة ، بل هذا تصوير وتمثيل ، بأن يفرض تشبيه حال التكاليف في ثقل حملها وصعوبة الوفاء بها ، بحال أنها عرضت على هذه الأشياء ، مع كبر أجرامها ، وقوة متانتها ، فامتنعن و خفن من حملها ، بجامع عدم تحقق الحمل في كل ، ثم استعير التركيب الدال على المشبه به ، للمشبه استعارة تمثيلية ، ونحو قوله تعالى (فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين) فان معنى أمر المساء والأرض بالاتيان وامتثالهما أنه أراد تكوينهما فكانتا كما اراد ، فالغرض تصوير تأثير قدرته فيهما وتأثرهما عنها –وتمثيل ذلك بحالة الآمر المطاع لهما واجابتهما له بالطاعة فرضاً وتخييلا من غير أن يتحقق شيء من الخطاب والجواب ، هذا أحد وجهين في الآيتين كما في (الكشاف) فارجع اليه.

(٢٥٨/١)

والاستعارة ميدان فسيح من ميادين البلاغة ، وهي أبلغ من التشبيه لأنها تضع أمام المخاطب بدلاً من المشبه صورة جديدة تملك عليه مشاعره وتذهله عم ّا ينطوي تحتها من التشبيه ، وعلى مقدار ما في تلك الصورة من الروعة ، وسمو الخيال ، تكون البلاغة في الاستعارة.

وأبلغ أنواع الاستعارةالم ُرشّحة» لذكر ما يناسب المستعار منه فيها «بناء على الدعوى بأن المستعار له هو عين الم ُستعار منه.

ثم تليها «المطلقة»لترك ما ي ُناسب الطرفين فيها ، بناء على دعوى التساوى بينهما ثم تليها «المجردة» لذكر ما يناسب المستعار له فيها ، بناء على تشبيهه بالمستعار منه.

ولابد في الاستعارة ، وفي التمثيل على سبيل الاستعارة ، من مراعاة جهات حسن التشبيه ، كشمول وجه الشبه للطرفين ، ومن كون التشبيه وافياً بافادة الغرض ، ومن عدم شم رائحة التشبيه لفظاً ، ويجب أن يكون وجه الشبه بين الطرفين جليا ، لئلا تصير الاستعارة والتمثيل تعمية.

أسئلة على الاستعارة يطلب اجوبتها

(٢٥٩/١)

ما هي الاستعارة ؟ ما أركانها ؟ كم قسما الاستعارة باعتبار ذكر الطرفين المشبه به والمشبه ؟ – ما أصل الاستعارة ؟ – ما هي الاستعارة التصريحية كم قسما لاستعارة التصريحية ؟ – كم قسما الاستعارة باعتبار ذكر ملائم المستعار له ، والمستعار منه ؟ – ما هي الاستعارة المرشحة ؟ ما هي الاستعارة المجردة ؟ ما هي الاستعارة المطلقة ؟ – كم قسما للاستعارة باعتبار إمكان اجتماع طرفيها في شيء ؟ – ما هي الاستعارة الوفاقية ؟ ما هي الاستعارة العنادية ؟ – كم قسما الاستعارة باعتبار الجامع ؟ – ماهي العامية ؟ ما هي الخاصية ؟ ما هي التمليحية ؟ – ما هي التهكمية ؟ ما مثال الحسيين والجامع حسي ؟ ما مثال الطرفين

الحسيين والجامع عقلي ؟ – ما مثال الطرفين العقليين والجامع عقلي ؟ ما مثال المستعار منه الحسي والمستعار له العقلي ما مثال المستعار منه العقلي والمستعار له الحسي ؟ – ما هي الاستعارة بالكناية عند الجمهور ؟ – ما هي الاستعارة بالكناية عند السكاكي ؟ –

ما هي الاستعارة بالكناية عند الخطيب ؟ – كم قسما للاستعارة بالكناية ؟ – ما هي المكنية الأصلية ؟ – ما هي المكنية التبعية ؟ – ما هي الاستعارة التخييلية عند الجمهور ؟ – لم سميت استعارة ؟ لم سميت تخييلية ؟ – ما هي الاستعارة المكنية المرشحة ؟ – ما هي الاستعارة المكنية المجردة ؟ ما هي الاستعارة المكنية المطلقة ؟ – كم قسما للمكنية باعتبار امكان اجتماع طرفيها في شيء ؟ – ما هي العنادية ؟ – ما هي الوفاقية ؟ – ما هو المجاز المركب ؟ – ما هي الاستعارة التمثيلية ؟ – ما هو المجاز المركب بالاستعارة ؟ – ما هي محسنات الاستمارة.

تمرين آخر على كيفية إجراء الاستعارات

(٢٦٠/١)

(١) فسمونا والفجر يضحك في الشر ق الينا مبشراً بالصباح (١)

(٢) عضَّنا الدهر بنابه ليت ما حـ َلَّ بنابه (٢)

(٣) لسنا وان أحسابنا كرمت يوما على الأحساب نتَّكل (٣)

(٤) تقّات ُ قلب المرء قائلةٌ له إن الحياة دقائقٌ وثوان (٤)

(٥) بكت لؤلؤاً رطبا ففاضت مدامعي عقيقاً فصار الكلّ في نحرها عقداً (٥)

---

(١) شبه الفجر بانسان يتبسم ، فتظهر أسنانه مضيئة لامعة – والقدر المشترك بينهما (البريق واللمعان) واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ، ثم حذف المشبه واشار إليه بشيء من لوازمه وهو الضحك – على طريق الاستعارة بالكناية ، و اثبات الضحك استعارة تخييلية .

(٢) شبه حوادث الدهر بالعض ، بجامع التأثير والأيلام من كل – واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه واشتق من العض وهو المصدر ، عض بمعنى آلم على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ، وذكر الناب ترشيح .

(٣) في كلمة «على» استعارة تصريحية تبعية ، فقد شبه مطلق ارتباط بين حسيب وحسيب بمطلق ارتباط بين مستعل ومستعلى عليه ، بجامع التمكن والاستمرار في كل ثم استعيرت «على» من جزئي من جزئيات الأول – لجزئي من جزئيات الثاني ، على سبيل الاستعارة التبعية التصريحية .

(٤) شبه الدلالة بالقول ، بجامع ايضاح لامراد في كل – واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ، واشتق من القول بمعنى الدلالة (قائل) بمعنى دال ، على طريق الاستعارة التصريحية التبعية – والقرينة نسبة القول إلى الدقات.

(٥) شبه المتساقط من فيها (باللؤلؤ) بجامع البياض والتنسيق في كل – واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه – ثم شبه الدمع النازل من عينيه (بالعقيق) بجامع الحمرة ، واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه – والقرينة كلمتا بكت ، وفاضت وذكر العقد ترشيح.

(٢٦١/١)

(١) إن ّ التّباعد لا يضر إذا تقاربت القلوب (١)
(٢) ذم أعرابي رجلا فقال (يقطع نهاره بالمنى ويتوسد ذراع الهم ّ إذا أمسى) (٢)
(٣) قوم ٌ إذا الشر ابدى ناجذيه لهم طاروا إليه زرافات ووحدانا (٣)
(٤) جاء الشتاء واجثأل ّ القُبّ ُر ُ وطلعت شمس ٌ عليها مغفر ُ (٤)

---

(١) شبه التواد (بالتقارب) بجامع الألفة في كل منهما – ثم استعير التقارب للتواد ، واشتق منه تقارب بمعنى تواد – والقرينة كلمة القلوب وهي استعارة مطلقة .
(٢) شبه المنى (بسكين قاطع) بجامع الاجاز وانهاء المقطوع في كل ، واستعار اللفظ الدال على المشبه ، به للمشبه وحذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو يقطع على سبيل الاستعارة المكنية الأصلية المطلقة ، ويقطع استعارة تخييلية وكذا شبه الهم (بانسان) واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه وحذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الذراع ، على سبيل الاستعارة المكنية الأصلية المرشحة والقرينة كلمة الذراع ، ويتوسد ترشيح .
(٣) شبه الشر (بأسد متحفز للوثوب) فيكشر عن أنيابه ، بجامع الاستعداد للهجوم في كل – واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ، وحذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الناجذان على طريق الاستعارة المكنية المرشحة – والقرينة كلمت ناجذيه وكلمة أيدي ترشيح ، ثم شبه مشيهم (بالطيران) بجامع السرعة في كل منهما – واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه واشتق من الطيران طار بمعنى أسرع ، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية المطلقة – والقرينة اسناد الطيران اليهم .
(٤) شبه السحاب الذي يستر الشمس ، بالمغفر الذي يستر الرأس – بجامع الستر في كل ، واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ، على سبيل الاستعارة التصريحية الاصلية المطلقة – والقرينة كلمة شمس .

(٢٦٢/١)

(١) سأبكيكَ للدنيا وللدين إن أبت يد ُ المعروف بعدك شُ ّلت (١)
(٢) وإ ِنك لعلى خلقٍ عظيمٍ (٢)
(٣) اسقاه الردى سيف ٌ إذا سلّ ّ أو مضت
إليه ثنايا الموت ِ من كل ّ مرقد (٣)

(١٣) (سنفرغ لكم أيها الثقلان) (٤)

---

(١) المشبه المعروف بانسان له يد تعطي – والجامع الاعطاء في كل منهما وحذفه ورمز لايه بشيء من لوازمه وهو اليد على سبيل الاستعارة المكنية الأصلية المرشحة ، والقرينة كلمة يد – وهي الاستعارة التخييلية ، وشلت ترشيح.

(٢) شبه تمكنه عليه الصلاة والسلام من الهدى والأخلاق الشريفة والثبوت عليها (يتمكن من علا دابة يصرفا كيف شاء) بجامع التمكن والاستقرار في كل فسرى التشبيه من الكليين للجزئيات التي هي معاني الحروف ، فاستعير لفظ «على» الموضوع للاستعلاء الحسي للارتباط والاستعلاء المعنوي على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

(٣) شبه لحاق الموت به (بالسقى) بجامع الوصول في كل – واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ، ثم اشتق من السقى سقى على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية والقرينة إلى ذلك نسبة السقي إلى الردى وأيضاً قد شبه الموت بانسان له ثنايا يضحك منها فتلمع وتضيء – والجامع البريق واللمعان ، واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ثم حذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو التنايا ، على سبيل الاستعارة المكنية الاصلية المرشحة – والثناي استعارة تخييلية – وأو مض ترشيح .

(٤) شبه القصد إلى الشيء والتوجه له ، بالفراغ والخلوص من الشواغل – بجامع الاهتمام في كل ، واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ، ثم اشتق من الفراغ بمعنى الخلو : نفرغ – على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ، والقرينة حالية .

(٢٦٣/١)

(١٤) (إنا لنراك في ضلال مبين) (١)

)فتى كلما فاضت عُيُونُ قبيلة

دماً ضحكت عنه الأحاديثُ والذكرُ (٢)

بلاغة الاستعارة بجميع أنواعها

سبق لك أن بلاغة التشبيه آتية من ناحيتين ، الأولى : طريقة تأليف ألفاظه والثانية : ابتكار مشبه به بعيد عن الأذهان ، لا يجول إلا ّ في نفس أديب ، وهب الله له استعداداً سليما في تعر ّف وجوه الشُّبه الدقيقة بين الأشياء وأودعه قدرة على ربط المعاني ، وتوليد بعضها من بعض إلى مدى بعيد لا يكاد ينتهي.

(وسر بلاغة الاستعارة) لا يتعد ّى هاتين الناحيتين ، فبلاغتها من ناحية اللفظ أن تركيبها يدل على تناسي التشبيه ، ويحملك عمداً على تخيل صورة جديدة تنسيك روعتها ما تمضنه الكلام من تشبيه خفي مستور ، انظر إلى قول البحتري في الفتح بن خاقان :

يسمو بكف على العافين حانية تهمى وطرف إلى العلياء طمَّاح

ألست ترى كفّه : وقد تمثّلت في صورة سحابة هتّانة ، تصبُّ وبلها على العافين والسائلين ، وان هذه الصورة قد تملكت عليك مشاعرك فأذهلتك عمّا اختبأ في الكلام من تشبيه ؟

وإذا سمعت قوله في رثاء المتوكل وقد قتل غيلة :

---

(١) في كلمة «في» استعارة تصريحية تبعية ، فقد شبهت «في» التي تدل على الارتباط «بفي» التي تدل على الظرفية بجامع التمكن في كل فسري التشبيه من الكليين إلى الجزئيات فاستعيرت في من الثاني للاول على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية – والقرينة على ذلك كلمة الضلال.

(٢) شبه العيون بالنهر بجامع الصب الكثير في كل منهما – واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ثم حذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو فاض ، على سبيل الاستعارة الأصلية المكنية وفاض قرينتها وهي الاستعارة التخييلية ، وكذا شبه السرور والاريحية بالضحك بجامع ما تجده النفس عند كل من المسرة – واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ، ثم اشتق من الضحك بمعنى السرور ضحك بمعنى سر – على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

صريع تقاضاه الليالي حشاشة يجود بها الموت حمر أظافره (١)

فهل تستطيع أن تبعد عن خيالك هذه الصورة المخيفة للموت ، وهي صورة حيوان مفترس ، ضرجت أظفاره بدماء قتلاه ، لهذا كانت الاستعارة أبلغ من (التشبيه البليغ) لأنه وان بنى على ادعاء أن المشبه والمشبه به سواء ، لا يزال فيه التشبيه منويا ملحوظاً بخلاف (الاستمارة) فالتشبيه فيها منسى مجحود ، ومن ذلك يظهر لك أن الاستعارة المرشحة ابلغ من الاستعارة المطلقة ، وأن الاستعارة المطلقة أبلغ من الاستعارة المجردة ، أما بلاغة الاستعارة من حيث الابتكار ، وروعة الخيال ، وما تحدثه من أثر في نفوس سامعيها ، فمجال فسيح للابداع ، وميدان التسابق المجيدين من فرسان الكلام ، أنظر إلى قوله عز شأنه في وصف النار ، (تكاد تميز من الغيظ كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يا تكم نذير) ، ترتسم أمامك النار في صورة مخلوق ضخم ، بطاش مكفهر الوجه ، عابس يغلى صدره حقداً وغيظاً – عن البلاغة الواضحة بتصرف.

الباب الثالث في الكناية وتعريفها وأنواعها

---

(١) الصريع المطروح على الأرض ، وتقاضاه أصله تتقاضاه بحذف إحدى التاءين وهو من قولهم : تقاضى الدائن دينه إذا قبضه ، والحشاشة بقية الروح في المريض والجريح – يصفه بأنه ملقى على الأرض بلفظ النفس الأخير من حياته .

الكناية (١)

---

(١) توضيح المقام : أنه إذا أطلق اللفظ ، وكان المراد منه غير معناه – فلا يخلو إما : أن يكون معناه الأصلي مقصودا أيضا ، ليكون وسيلة إلى المراد وا ٍما : ألا يكون مقصوداً – فالأول – الكناية – والثاني – المجاز ، فالكناية : هي أن يريد المتكلم اثبات معنى من المعاني : فلا يذكره باللفظ الموضوع له ولكن يجيء إلى معنى هو مرادفه ، فيومىء به إلى المعنى الأول ، ويجعله دليلا عليه أو الكناية هي اللفظ الدال على ما له صلة بمعناه الوضعي ، لقرينة لا تمنع من ارادة الحقيقة ، كفلان نقي الثوب ، أي مبرأ من العيب ، كلفظ «طويل النجاد» المراد به طول القامة ، فانه يجوز أن يراد منه طول النجاد أي علاقة السيف أيضا ، فهي تخالف المجاز من جهة إمكان إيراد المعنى الحقيقي مع إرادة لازمه ، بخلاف المجاز فانه لا يجوز فيه ارادة المعنى الحقيقي لوجود القرينة المانعة من ارادته ، ومثل ذلك قولهم «كثير الرماد» يعنون به أنه كثير القرى والكرم ، وقول الحضرمي : قد كان تعجب بعضهن براعي حتى رأين تنحنحى وسعالى

كنى عن كبر السن بتوابعه ، وهي التنحنح والسعال

وقولهم : المجد بين ثوبيه والكرم بين برديه – وقوله

ان السماحة والمروءة والندى في قبة ضربت على ابن الحشرج

وقوله : ومابك في من عيب فاني جبان الكلب مهزول الفصيل

فان «جبان الكلب» كناية – وكذا «مهزول الفصيل» والمراد منهما ثبوت الكرم ، وكل واحدة على حدتها تؤدي هذا المعنى ، وقد جاء عن العرب كنايات كثيرة كقوله :

بيض المطابخ لا تشكو إماؤ همو طبخ القدور ولا غسل المناديل

ويروي أن خلافا وقع بين بعض الخلفاء ونديم له في مسألة ، فاتفقا على تحكيم بعض أهل العلم ، فاحضر ، فعد الخليفة مخطئاً ، فقال : القائلون بقول أمير المؤمنين أكثر (يريد الجهال) وا ٍذا كان الرجل أحمق قيل – نعته لا ينصرف ، ونظر البديع الهمذاني إلى رجل طويل بارد – فقال : قد أقبل ليل الشتاء ، ودخل رجل على مريض يعوده وقد اقشعر من البرد –فقال ما تجد (فديتك) قال أجدك (يعني البرد) وا ٍذا كان الرجل ملولا قيل : هو من بقية قوم موسى ، وا ٍذا كان ملحداً ، قيل قد عبر (يريون جسر الايمان) وا ٍن كان يسيء الأدب في المؤاكلة قبل : تسافر يده على الخوان ويرعى أرض الجيران ، ويقال عمن يكثر الاسفار : (فلان) لا يضع العصا على عاتقه –وجاء في القرآن الكريم (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً) فانه كنى عن الغيبة يأكل الانسان لحم الانسان ، وهذا شديد المناسبة لأن الغيبة إنما هي ذكر مثالب الناس وتمزيق أعراضهم وتمزيق العرض مماثل لأكل الانسان لحم من يغتابه ومن أمثال العرب : قولهم : لبست لفلان جلد النمر ، وجلد الأرقم – كناية عن العداوة ، وكذلك قولهم (قلبت له ظهر المجن) كناية عن تغيير المودة ، ويقول القوم : فلان برىء الساحة ، إذا برؤوه من تهمة –ورحب الذراع ، إذا كان كثير المعروف – وطويل الباع في الأمر ، إذا كان مقتدرا فيه – وقوى الظهر ، إذا كثر ناصروه ، ومن ذلك أن (المنصور) كان في بستان له ، أيام محاربته (ابراهيم بن عبد الله بن الحسن) فنظر إلى شجرة خلاف فقال للربيع ، ما هذه

الشجرة ، فقال طاعة يا أمير المؤمنين فتفاءل المنصور به ، وعجب من ذكائه ، ومثل ذلك : أن رجلا مر في صحن دار (الرشيد) ومعه حزمة خيزران ، فقال الرشيد للفضل بن الربيع ، ما ذاك فقال (عروق الرماح) يا أمير المؤمنين ، وكره أن يقول «الخيزران» لموافقته اسم (والدة الرشيد) ومن كلامهم «فلان طويل الذيل» يريدون أنه غني من الحال ، وعليه قول الحريري

أن الغريب الطويل الذيل ممتهن فكيف حال غريب ماله قوت

وكذلك قولهم : فلان طاهر الثوب – أي منزه عن السيئات ، وفلان دثن الثوب أي متلوث بها – قال امرؤ القيس ثياب بني عوف طهارة نقية وأوجههم عند المشاهد غرات

ويقولون : فلان غمر الرداء – إذا كان كثير المعروف عظيم العطايا ، قال كثير

... غمر الرداء إذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال

ومن الكنايات اللطيفة : ما ذكرها الأدباء في الشيب والكبر ، فيقولون : عرضت لفلان فترة ، وعرض له ما يمحو ذنوبه ، واقمر ليله ، ونور غصن شبابه ، وفضض الزمان أبنوسه – وجاءه النذير ، وقرع ناجذ الحلم ، وارتاض بلجام الدهر ، وأدرك زمان الحنكة ، ورفض غرة الصبا ، ولبى دواعي الحجي ، ومن كناياتهم عن الموت : استأثر الله به ، وأسعده بجواره ، ونقله إلى دار رضوانه ومحل غفرانيه ، واختار له النقلة من دار البوار إلى دار الأبرار ، ومن الكنايات أيضاً أن يقام وصف الشيء مقام اسمه كما ورد في القرآن الكريم (وحملناه على ذات أولاح ودسر) يعني السفينة ، فوضع صفتها موضع تسميتها ، كما ورد (إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد) يعني الخيل ، وقال بعض المتقدمين .

سألت قتيبة عن أبيها صحبة في الروح هل ركب الاغر الاشقرا

يعني هل قتل ، لأن الاغر الاشقر ، وصف الدم ، فأقامه مقام اسمه

(٢٦٦/١)

لغة : ما يتكلم به الإنسان ، ويريد به غيره ، وهي : مصدر كنيت ، أو كنوت بكذا ، عن كذا ، إذا تركت التصريح به واصطلاحاً : لفظ أريد به غير معناهُ الذي وضع له ، مع جواز إرادة المعنى الأصلي ، لعدم وجود قرينة مانعة من إرادته ، نحو «زيد طويل النجاد «تريد بهذا التركيب أنه شجاع عظيم ، فعدلت عن التصريح بهذه الصفة ، إلى الاشارة إليها بشيء تترتب عليه وتلزمه ، لأنه يلزم من طول حمالة السيف طول صاحبه ، ويلزم من طول الجسم الشجاعة عادة ، فإذاً : المراد طول قامته ، وان لم يكن له نجاد ، ومع ذلك يصحّ أن يراد المعنى الحقيقي – ومن هنا يعلم أن الفرق بين الكناية والمجاز صحة إرادة المعنى الأصلي في الكناية ، دون المجاز ، فإنه ينافى ذلك ، نعم : قد تمتنع إرادة المعنى الأصلي في الكناية ، لخصوص الموضوع كقوله تعالى (والسموات مطويات بيمينه) وكقوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) كناية عن تمام القدرة ، وقوة التمكن والاستيلاء وتنقسم الكناية بحسب المعنى الذي تشير إليه إلى ثلاثة أقسام :

١–كناية عن صفةٍ – كما تقول (هو ربيب أبي الهول) تكنى عن شدة كتمانه لسره.

وتعرف كناية الصفة بذكر الموصوف : ملفوظاً أو ملحوظاً من سياق الكلام.

٢- كناية عن موصوف – كما تقول (أبناء النيل) تكنى عن المصريين ، و (مدينة النور) تكنى عن باريس ، وتعرف بذكر الصفة مباشرة ، أو ملازمة ومنها : قولهم (تستغنى مصر عن مصب النيل ولا تستغني عن منبعه) كنوا بمنبع النيل عن أرض السودان.

ومنها : قولهم (هو حارس على ماله) كنوا به عن البخيل الذي يجمع ماله ، ولا ينتفع به ، ومنها : قولهم (هو فتى رياضي) يكنون عن القوةوهلم جر ّ ا

٣- كناية عن نسبة ، وسيأتي الكلام عليها فيما بعد ، فالقسم الأول – وهو الكناية التي يطلب بها (صفة) هي ما كان المكنى عنه فيها صفة ملازمة لموصوف مذكور في الكلام – وهي نوعان.

(٢٦٧/١)

(١) كناية قريبة – وهي ما يكون الانتقال فيها إلى المطلوب بغير واسطة بين المعنى المنتقل عنه ، والمعنى المنتقل إليه – نحو قول الخنساء في رثاء أخيها صخر

رفيع العماد طويل النجا د ساد َ عشيرته أمردا (١)

(ب) وكناية بعيدة – وهي ما يكون الانتقال فيها إلى المطلوب بواسطة ، أو بوسائط ، نحو «فلان كثير الرماد» كناية عن المضياف ، والوسائط : هلإنتقال من كثرة الر ّ ماد إلى كثرة الإحراق ، ومنها إلى كثرة الطبخ والخبز ، ومنها إلى كثرة الضيوف ، ومنها إلى المطلوب ، وهو المضياف الكريم.

القسم الثاني – الكناية التي يكون المكنى عنه موصوفاً (٢) بحيث يكون إما معنى واحداً «كمواطن الأسرار» كناية عن القلب ، وكما في قول الشاعر :

فلما شربناها ودب دبيبها إلى موطن الأسرار قلت لها قفي

وا ٍما مجموع معان : كقولك «جاءني حيٌّ مستوى القامة ، عريض الأظفار» (كناية عن الانسان) لاختصاص مجموع هذه الأوصاف الثلاثة به ، ونحو :

الضاربين بكل أبيض مخذم والطاعنين مجامع الأضغان

ويشترط في هذه الكناية : أن تكون الصفة أو الصفات مختصة بالموصوف ، ولا تتعداه ليحصل الانتقال منها اليه.

القسم الثالث –الكناية التي يراد بها نسبة أمر لآخر ، إثباتاً أو نفياً فيكون المكنى عنه نسبةً ، أسندت إلى ماله اتصال به – نحو قول الشاعر

---

(١) قصدت الخنساء وصف صخر بطول القامة والشجاعة ، فعدلت عن التصريح بما أرادت إلى الاشارة إليه بطول النجاد لأنه يلزم من طول حمالة السيف طول قامة صاحبه ، أو طول القامة يلزمه الشجاعة غالباً –كما أرادت وصفه بالعزة والسيادة فلم تصرح بقصدها وصرحت بما يستدعي ما أرادت فقالت : (رفيع العماد

) فرفعة العماد تستلزم أنه عظيم المكانة في قومه على الشأن بين عشيرته ، لجريان العادة بذلك ، وعمدت إلى وصفه بالجود والكرم ، فقالت (كثير الرماد) تشير كثرة الايقاد للاطعام ، وهذا يلزمه الكرم.

(٢) أي يكون المكنى عنه فيها ذاتا ملازمة للمعنى المفهوم من الكلام .

(٢٦٨/١)

إن السماحة والمروءة والندى في قبة ضربت على ابن الحشرج

فان ّ جعل هذا الاشياء الثلاثة في مكانه المختص به يستلزم اثباتها له والكناية المطلوب بها نسبةٌ.

(١) إما أن يكون ذو النسبة مذكوراً فيها – كقول الشاعر

... أليُ من يتبع ظلّه والمجدُ يمشي في ركابه

(ب) وا ِم ّا أن يكون ذو النسبة غير مذكور فيها : كقولك «خير الناس من ينفع الناس» كناية عن نفي الخيرية عم ّن لا ينفعهم ، وتنقسم الكناية أيضاً باعتبار الوسائط (اللوازم) والسياق : إلى أربعة أقسام : تعريض ، وتلويح ، ورمز ، وا ِيماء

(١) فالتعريض : لغة – خلاف التصريح ، واصطلاحا : هو أن يطلق الكلام ، ويشار به إلى معنى آخر ، يفهم من السياق نحو قولك للمؤذي (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) تعريضاً بنفي صفة الإسلام عن المؤذي ، وكقول الشاعر :

إذا الجودُ لم يرزق خلاصاً من الأذى فلا الحمدُ مكسوباً ولا المال باقيا

(٢) والتلويح : لغة – أن تشير إلى غيرك من بعد

واصطلاحاً – هو الذي كثرت وسائطه بلا تعريض ، نحو

وما يكُ في ّ من عيبٍ فإنى جبانُ الكلب مهزول الفصل

كنى عن كرم الممدوح بكونه جبان الكلب ، مهزول الفصيل ، فان الفكر ينتقل إلى جملة وسائط.

(٣) والرمز : لغة – أن تشير إلى قريب منك خفية ، بنحو : شفة ، أو حاجب.

واصطلاحاً – هو الذي قلّت وسائطه ، مع خفاء في اللزوم بلا تعريض نحو : فلان عريض القفا ، أو عريض الوسادة – كناية عن بلادته وبلاهته ونحو : (هو مكتنز اللحم) كناية عن شجاعته ، (ومتناسب الأعضاء) كناية عن ذكائه ، ونحو : (غليظ الكبد) كناية عن القسوة وهلم جر ّا والإيماء أو الإشارة : هو الذي قلت وسائطه ، مع وضوح اللزوم ، بلا تعريض ، كقول الشاعر :

أو ما رأيت المجد ألقى رحله في آل ِ طلحة ثم لم يتحول

كناية عن كونهم : أمجاداً أجواداً ، بغاية الوضوح ومن لطيف ذلك قول بعضهم :

لتسأ الندى والجود مالي أراكما تبدلتما ذلاً بعز ٍ مؤبدِ

وما بال ر ُكن المجد أمسى مهد ّما فقالا ، أصبنا بابن يحيى محمد

(٢٦٩/١)

فقلت : فهلاّ مـ ُ ثُّما عند موته فقد كنتما عبديه في كل مشهد

فقالا : أقمنا كي نـ ُعز ّ ى بفقده مسافة يوم ثم نتلوه في غد

والكناية من ألطف أساليب البلاغة وأدقها ، وهي أبلغ من الحقيقة والتصريح ، لأن الانتقال فيها يكون من الملزوم إلى اللازم ، فهو كالدَّعوى ببينة ، فكأنك تقول في «زيد كثير الرماد» زيد كريم ، لأنه كثير الرماد وكثرته تستلزم كذا الخ – كيف لا – وانها تمكن الإنسان من التعبير عن أمور كثيرة ، يتحاشى الأفصاح بذكرها ، إمـ ّا احتراماً للمخاطب ، أو للأبهام على السـ ّامعين ، أو للنيل من خصمه ، دون أن يدعَ له سبيلا عليه ، أو لتنزيه الأذن عمـ ّا تنبو عن سماعه ، ونحو ذلك من الأغراض واللطائف البلاغية.

تمرين

بين أنواع الكنايات الآتية ، وعيـّن لازم معنى كل منها

(١) قال البحتري يصف قتله ذئبا

فأتبعتها أخرى فأضللت نصلها بحيث يكون اللبـُّ والرعب والحقد (١)

(٢) وقال آخر في رثاء من مات بعلّة في صدره

ودبت له في موطن الحلم علة لها كالصلال الرـُّقش شرـُّ ذبيب (٢)

(٣) ووصف أعرابي امرأة ، فقال : ترخي ذيلها على عرقوبي نعامة ،

ضربت سرادقها المهابةُ فوقهـُ فاذا بدا بادت به الأعداءُ

إنـَّ الذي ملأ اللغات محاسنا جعل الجمال وسر ّ ه في الضاد

---

(١) ضمير أتبعتها يعود على الطعنة ، وأضللت أخفيت ، والنصل حديدة السيف واللب العقل ، والرعب الفزع ، والخوف – واعلم أن الكناية ، إما حسنة – وهي ما جمعت بين الفائدة ولطف الاشارة كما في الأمثلة السابقة وا ٍما قبيحة – وهي ما خلت عن الفائدة المرادة ، وهي معيبة لدى أرباب البيان كقول المتنبي

... إني على شغفي بما في خمرها لأعف عما في سراويلاتها

كناية عن النزاهة والعفة ، الا أنها قبيحة لسوء تأليفها وقبح تركيبها .

(٢) الصلال جمع صل يالكسر ضرب من الحيات صغير أسود لا نجاة من لدغته والرقش جمع رقشاء ، وهي التي فيها نقط سوداء في بياض ، والحية الرقشاء من أشد الحيات إيذاء

بنى المجد بيتاً فاستقر ّ عمادُه علنا فأعيا الناس أن يتحو ّ لا

إن في ثوبك الذي المجدُ فيه لضياء يزري بكل ضياء

تمرين آخر

بين أنواع الكنايات الآتية ، وبين منها ما يصح فيه إرادة المعنى المفهوم من صريح اللفظ ، وما لا يصح :

(١) وصف أعرابي رجلا بسوء العشرة فقال : كان إذا رآني قرَّب من حاجب حاجباً .

(٢) وقال أبو نواس في المديح :

فما جازه جود ولا حل دونه ولكن يسير الجود حيث يسير

(٣) وتكنى العرب عمّن يجاهر غيره بالعداوة بقولهم :

لبس له جلد النمر ، وجلد الأرقم (١) وقلب له ظهر المجن (٢)

(٤) فلان عريض الوساد (٣) أغم القفا (٤)

(٥) تجول خلاخيل النساء ولا أرى لرملة خلخالا يُجولُ ولا قُلبا

(٦) وتقول العرب في المديح : الكرم في أثناء حلته ، ويقولون : فلان

نفخ شدقيه – أي تكبر ، وورم أنفه – إذا غضب

(٧) قالت أعرابية لبعض الولاة : أشكو إليك قلة الجرذان (٥)

(٨) بيضُ المطابخ لا تشكو إماؤهم طبخ القدور ولا غسل المناديل

(٩) مطبخ داود في نظافته أشبه شيء بعرش بلقيس (٦)

ثيابُ طباخه إذا اتسخت أنقى بياضاً من القراطيس

(١٠) فتى مختصر المأكو لِ والمشروب والعطر

نقى الكأس والقصعة والمنديل والقدر

(١١) وقال آخر : اليُمن يتبع ظلهُ والمجد يمشي في ركابه

(١٢) أصبح في قيدك السماحة والمجد وفضل الصلاح والحسب

---

(١) الأرقم الحية فيها سواد وبياض .

(٢) المجن الترس ، وقلب له ظهر المجن مثل يضرب لمن كان لصاحبه على مودة ورعاية ، ثم حال عن العهد وتغيرت أحواله .

(٣) عريض الوساد أي طويل العنق إلى درجة الافراط ، وهذا مما يستدل به على البلاهة وقلة العقل .

(٤) الغمم غزارة الشعر ، حتى تضيق منه الجبهة ، أو القفا – وكان بزعم العرب : أن ذلك دليل على الغباوة.

(٥) الجرذان جمع جرذ وهو ضرب من الفأر.

(٦) بلقيس : بكسر الباء ملكة سبأ ، وسبأ عاصمة قديمة لبلاد اليمن .

فلسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تُقطرُ الدما (١)

المجد بين ثوبيك والكرم ملء برديك

بلاغة الكناية

الكناية مظهر من مظاهر البلاغة ، وغاية لا يصل إليها إلا من لطف طبعهُ ، وصفت قريحتُه ، (والسر في بلاغتها) أنها في صُور كثيرة تعطيك الحقيقة ، مصحوبة بدليلها ، والقضية وفي طيّها برهانها ، كقول البحتري في المديح.

يغضُّون فضل اللحظ من حيث مابدا

لهم عن مهيب في الصدور مُحبَّب

فإنه كنى عن إكبار الناس للممدوح ، وهيبتهم إياه ، بغض الأبصار الذي هو في الحقيقة برهان على الهيبة والإجلال ، وتظهر هذه لنا جلية في الكنايات عن الصفة والنسبة ، ومن أسباب بلاغة الكنايات أنها تضع لك المعاني في صورة المحسوسات ولا شك أن هذه خاصة الفنون ، فإن المصور إذا رسم لك صورة للأمل أو لليأس ، بهرك وجعلك ترى ما كنت تعجز عن التعبير عنه واضحاً ملموساً فمثل «كثير الرماد» في الكناية عن الكرم «ورسول الشر» في الكناية عن المزاح – وقول البحتري

أو ما رأيت المجلَّلقى رحله في آل طلحةَ ثمَّ لم يتحوَّل

وذلك في الكناية عن نسبة الشرف إلى آل طلحة.

كل أولئك يبرز لك المعاني في صورة تشاهدها ، وترتاح نفسك إليها ، ومن خواص الكناية : أنها تمكنك من أن تشفى غلتك من خصمك من غير أن تجعل له اليك سبيلاً ، ودون أن تخدش وجه الأدب ، وهذا النوع يسمى بالتعريض.

ومثاله قول المتنبي في قصيدة ، يمدح بها كافورا ويعرض بسيف الدولة.

رحلتُ فكم باك بأجفان شادن ... علىَّ وكم باكٍ بأجفانِ ضيغم (٢)

---

(١) الأعقاب جمع عقب وهو مؤخر القدم ، والكلوم الجراح ، يقول : نحن لا نولى فنجرح في ظهورنا فتقطر دماء كلومنا على أعقابنا ، ولكنا نستقبل السيوف بوجوهنا ، فان جرحنا قطرت الدماء على أقدامنا.

(٢) الشادن ولد الغزال ، والضيغم الاسد ، اراد بالباكي بأجفان الشادن المرأة الحسناء ، وبالباكي بأجفان الضغم الرجل الشجاع ، يقول كم من نساء ورجال بكوا على فراقي ، وجزعوا لارتحالي .

(٢٧٢/١)

وما ربّة القرط المليح مكانه ... بأجزع من رب الحسامِ المصممِ (١)

فلو كان ما بي من حبيب مقنع ... عذرتُ ولكن من حبيب معمم

رمى واتقى رمي ومن دون ما اتقى ... هوى كاسرُ كفي وقوسي وأسهمي

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه ... وصدق ما يعتاده من توهم

فإنه كنى عن سيف الدولة ، أولاً : بالحبيب المعمم ، ثم وصفه بالغدر الذي يدعى أنه من شيمة النساء ، ثم

لامهُ على مبادهته بالعدوان ، ثم رماه بالجبن ، لأنه يرمى ويتقى الرمي بالاستتار خلف غيره ، على أن المتنبي لا يجازيه على الشر بمثله ، لأنه لا يزال يحمل له بين جوانحه هوى قديماً ، يكسر كفه وقوسه ، وأسهمه ، إذا حاول النضال ، ثم وصفه بأنه سيء الظن بأصدقائه لأنه سيء الفعل ، كثير الأوهام والظنون ، حتى ليظن أن الناس جميعاً مثله في سوء الفعل ، وضعف الوفاء ، فانظر كيف نال المتنبي من سيف الدولة هذا النيل كلهن من غير أن يذكر من اسمه حرفاً .

هذا –ومن أوضح مميزات الكناية التعبير عن القبيح بما تسيغ الآذان سماعه ، وأمثلة ذلك كثيرة جداً في القرآن الكريم ، وكلام العرب فقد كانوا لا يعبرون عما لا يحسن ذكره الا بالكتابة ، وكانوا لشدة نخوتهم يكنون عن المرأة (بالبيضة – والشاة) ومن بدائع الكنايات قول بعض العرب :

ألا يا نخلة من ذات عرق عليك ورحمة الله السلام (٢)

فانه كنى بالنخلة ، عن المرأة التي يحبها –عن البلاغة الواضحة بتصرٌف

أثر علم البيان في تادية المعاني

ظهر لك من دراسة علم البيان : أن معنى واحداً يستطاع أداؤه بأساليب عدة ، وطرائق مختلفة ، وأنه قد يوضع في صورة رائعة من صور التشبيه أو الاستعارة ، أو المجاز المرسل ، أو المجاز العقلي ، أو الكناية ، قد يصف الشاعر انساناً بالكرم ، فيقول :

---

(١) القرط ما يعلق في شحمة الأذن والحسام السيف القاطع ، والمصمم الذي يصيب المفاصل ويقطعها ، يقول لم تكن المرأة الحسناء بأجذع على فراقي من الرجل الشجاع .

(٢) ذات عرق موضع بالبادية وهو مكان احرام أهل العراق.

يريد المُلوكُ مدى جعفرٍ ولا يصنعون َ كما يصنعُ

وليس بأوسعهم في الغنى ولكنَّ معروفه أوسعُ

وهذا كلام بيلغ جداً ، مع أنه لم يقصد فيه إلى تشبيه أو مجاز ، وقد وصف الشاعر فيه ممدوحه بالكرم ، وأن الملوك يريدون أن يبلغوا منزلته ، ولكنهم لا يشترون الحمد بالمال كما يفعل مع أنه ليس بأغنى منهم ، ولا بأكثر مالا ، وقد يعمد الشاعر : عند الوصف بالكريم إلى اسلوب آخر ، فيقول :

كالبحر يقذفللقريب جواهراً جوداً ويبعثُ للبعيد سحائبا

فيشبه الممدوح : بالبحر ، ويدفع بخيالك إلى أن يضاهى بين الممدوح والبحر الذي يقذف الدرر للقريب ، ويرسل السحائب للبعيد = أو يقول :

هو البحر من أي النواحي أتيته فلُجّتهُ المعروف والجودُ ساحله

فيدّعى ، أنه البحر نفسه ، وينكر التشبيه نكرانا يدل على المبالغة ، وادعاء المماثلة الكاملة – أو يقول.

علا فما يستقر ا لمالُ في يده وكيف تمسك ماء قنةُ الجبل ؟

فيرسل إليك التشبيه : متن طريق خفي ّ ، ليرتفع الكلام إلى مرتبة أعلى في البلاغة ، وليجعل لك من (التشبيه الضمني) دليلاً على دعواه ، فانه ادعى : أنه لعلو منزلته ينحدر المال من يديه ، وأقام على ذلك برهاناً ، فقال «وكيف تمسك ماء قنة الجبل» أو يقول :

جرى النهر حتى خلته منك أنعماً تساق بلا ضنٍ وتعطى بلا منٍّ (١)

فيقلب التشبيه زيادة في المبالغة ، وافتناناً في أساليب الإجادة ، ويشبه ماء النهر بنعم الممدوح – بعد أن كان المألوف : أن تشبه النعم ، بالنهر الفيّاض أو يقول : :

كأنه حين يعطى المال مبتسما صوب الغمامة تهمي وهي تأتلق (٢)

فيعمد إلى التشبيه المركب ، ويعطيك صورة رائعة ، تمثل لك حالة الممدوح وهو يجود – وابتسامة السرور تعلو شفتيه – أو يقول :

جادت يد الفتح والأنواء باخلة وذاب نائله والغيثُ قد جمدا

---

(١) الضن البخل ، والمن الامتنان بتعداد الصنائع .

(٢) تهمى تسيل ، وتاتلق تلمع .

فيضاهي بين جود الممدوح والمطر ، ويدعى أن كرم ممدوحه لا ينقطع ، إذا انقطعت الأنواء ، أو جمد القطر – أو يقول :

قد قلت للغيم الركام ولجَّ في إبراقه والح في إرعاده (١)

لا تعرضن لجعفر متشبِّها بندى يديه فلست من أنداده

فيصرح لك في جلاء ، وفي غير خشية ، بتفضيل جود صاحبه على جود الغيم ، ولا يكتفي بهذا ، بل تراه ينهى الحساب في صورة تهديد أن نحاول التشبه بممدوحه ، لأنه ليس من أمثاله ونظرائه – أو يقول :

وأقبل يمشى في البساط فما درى إلى البحر يسعى أم إلى البدر يرتقي

يصف حال رسول الروم داخلا على سيف الدولة ، فينزع في وصف الممدوح بالكرم ، إلى الاستعارة التصريحية ، والاستعارة كما علمت مبنية على تناسى التشبيه ، والمبالغة فيها أعظم ، وأثرها في النفوس أبلغ – أو يقول :

دعوت نداهُ دعوة فأجابني وعلّمني إحسانه كيف آمله

فيشّبه ندى ممدوحه وا إحسانه (بانسان) ، ثم يحذف المشبه به ، ويرمز إليه بشيء من لوازمه – وهذا ضرب آخر من ضروب المبالغة التي تساق الاستعارة لأجلها :

أو يقول : ومن قصد البحر استقل السواقيا

فيرسل العبارة كأنها مثلٌ ، ويصو ّر لك أن من قصد ممدوحه استغنى عمن هو دونه ، كما أن قاصد البحر لا يأبه للجداول ، فيعطيك استعارة تمثيلية ، لها روعة ، وفيها جمال ، وهي فوق ذلك تحمل برهاناً على صدق دعواه ، وتؤيد الحال الذي يدعيها – أو يقول :

ما زلت تتبع ما تولي يداً بيدٍ ○ حتى ظننت حياتي من أياديكا

فيعدل عن التشبيه والاستعارة ، إلى (المجاز المرسل) ويطلق كلمة «يد» ويريد بها النعمة ، لأن اليد آلة النعم وسببها – أو يقول :

أعاد يومك أيامى لنضرتها واقتص جود ُك من فقري وا ٍعسارى

فيسندالفعل : إلى اليوم ، وا ٍلى الجود ، على طريقة المجاز العقلي – أو يقول :

فما جازه جودٌ ولا حلّ دونه ولكن يسير الجود حيث يسير

---

(١) الغيم الركلام المتراكم ، ولج وألح كلاهما بمعنى استمر .

فياتي بكناية عن نسبة الكرم إليه ، بادعاء أن الجود يسير معه دائماً لأنه بدل أن يحكم بأنه كريم ، ادّعى أن الكرم يسير معه أينما سار ، ولهذه الكناية من البلاغة ، والتأثير في النفس ، وحسن تصوير المعنى ، فوق ما يجده السامع في غيرها من بعض ضروب الكلام ، فأنت ترى أنه من المستطاع ، التعبير عن وصف انسان بالكرم بأربعة عشر اسلوباً – كل : له جماله ، وحسنه ، وبراعته ، ولو نشاء ، لأتينا بأساليب كثيرة أرقى في هذا المعنى ، فان للشعراء ورجال الأدب افتناناً وتوليداً للأساليب والمعاني ، لا يكاد ينتهي إلى حدّ ، ولو أردنا : لأوردنا لك ما يقال من الأساليب المختلفة المناحي في صفات أخرى ، كالشجاعة ، والإباء ، والحزم وغيرها ، ولكنّا لم نقصد إلى الإطالة ، ونعتقد أنك عند قراءتك الشعر العربي ، والآثار الأدبية ، ستجد بنفسك هذا ظاهراً ، وستدهش للمدى البعيد الذي وصل إليه العقل الانساني في التصوير البلاغي ، والابداع في صوغ الأساليب – عن البلاغة الواضحة بتصرف.

علم البديع

البديع : لغة –المخترع الموجد على غير مثال سابق ، وهو مأخوذ ومشتقٌ من قولهم – بدع الشيء ، وأبدعه ، اخترعه لا على مثال (١) ، واصطلاحا – هو علم يعرف به الوجوه (٢) ،

---

(١) البديع فعيل بمعنى مفعل ، أو بمعنى مفعول – ويأتي البديع بمعنى اسم الفاعل في قوله تعالى «بديع السموات والأرض» أي مبدعها .

(٢) وجوه التحسين أساليب وطرق معلومة وضعت لتزيين الكلام وتنميقه وتحسين الكلام بعلمي المعاني والبيان «ذاتي» وتحسين الكلام بعلم البديع «عرضي» ووجوه التحسين : إما معنوية –وا ٍما لفظية ، وأدخل

المتأخرون فيهما أنواعا كثيرة فالبديع المعنوي هو الذي وجبت فيه رعاية المعنى دون اللفظ ، فيبقى مع تغيير الالفاظ كقوله :

... أتطلب صاحبا لاعيب فيه وأنت لكل من تهوى ركوب

ففي هذا القول ضربان من البديع (هما الاستفهام والمقابلة) لا يتغيران بتبدل الألفاظ ، كما لو قلت مثلا : كيف تطلب صديقاً منزها عن كل نقص ، مع أنك أنت نفسك ساع وراء شهواتك !

والبديع اللفظي – هو ما رجعت وجوه تحسينه إلى اللفظ دون المعنى ، فلا يبقى الشكل إذا تغير اللفظ – كقوله :

إذا ملك لم يكن ذاهبه فدعه فدولته ذاهبه

فانك إذا أبدلت لفظة (ذاهبة) بغيرها ولو بمعناها يسقط الشكل البديعي بسقوطها ، وملخص القول أن المحسنات المعنوية هي ما كان التحسين بها راجعاً إلى المعنى أولا وبالذات ، وان حسنت اللفظ تبعاً – والمحسنات اللفظية هي ما كان التحسين بها راجعاً إلى اللفظ بالاصالة ، وان حسنت المعنى تبعاً ، وقد أجمع العلماء : على أن هذه المحسنات خصوصا اللفظية منها ، لا تقع موقعها من الحسن ، ألا إذا طلبها المعنى ، فجاءت عفواً بدون تكلف ، والا فهي مبتذلة .

(٢٧٦/١)

والمزايا التي تزيد الكلام

حسنا وطلاوة ، وتسكوه بهاءً ، ورونقاً ، بعد مطابقته لمقتضى الحال مع وضوح دلالته على المراد لفظا ومعنى.

وواضعه ، (عبد الله بن المعتز العباسي) المتوفى سنه ٢٧٤ هجرية – ثم اقتفى أثره في عصره (قدامة بن جعفر الكاتب) فزاد عليها ، ثم ألف فيه كثيرون (كأبي هلال العسكري) وابن رشيق القيرواني ، وصفي الدين الحلي ، وابن حجة الحموي) وغيرهم ممن زادوا في أنواعه ، ونظموا فيها قصائد تُعرف (بالبديعيّات) ، وفي هذا العلم – بابان : وخاتمة.

الباب الأول في المحسنات المعنوية

(١) التورية (١)

---

(١) التورية أن يطلق لفظ له معنيان ، أحدهما قريب غير مراد ، والآخر بعيد هو المراد ، ويدل عليه بقرينة يغلب أن تكون خفية لا يدركها الا الفطن ، وتنقسم التورية إلى أربعة أقسام – مجردة ، ومرشحة ومبينة ومهيأة .

(٢) فالمجردة – هي التي لم تقترن بما يلائم المعنيين : كقول الخليل لما سأله الجبار عن زوجته : فقال «هذه أختي» – أراد أخوة الدين ، وكقوله (وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار) .

(٣) المرشحة – هي التي اقترنت بما يلائم المعنى القريب ، وسميت بذلك لتقويتها به ، لأن القريب غير مراد ، فكانه ضعيف ، فاذا ذكر لازمه تقوى به ، نحو (والسماء بنيناها بأيد) فانه يحتمل (الجارحة) وهو القريب ، وقد ذكر من لوازمه البنيان على وجه الترشيح : ، ويحتمل (القدرة) وهو البعيد المقصود ، وهي قسمان باعتبار ذكر اللازم قبلها أو بعدها.

(٣) والمبنية هي ما ذكر فيها لازم المعنى البعيد – سميت بذلك لتبيين المورى عنه ، بذكر لازمه ، إذ كان قبل ذلك خفياً ، فلما ذكر لازمه تبين : نحو

يا من رآني بالهموم مطوقا وظللت من فقدي غصونا في شجون

أتلومني في عظم نوحي والبكا شأن المطوق أن ينوح على غصون

وهي أيضا قسمان باعتبار ذكر اللازم قبل أو بعد .

(٤) والمهيأة – هي التي لا تقع التورية فيها إلا بلفظ قبلها أو بعدها ، فهي قسمان أيضاً.

فالأول – وهو ما تتهيأ بلفظ قبل ، نحو قوله

وأظهرت فينا من سماتك سنة فأظهرت ذاك الفرض من ذلك الندب

فالفرض والندب معناهما القريب الحكمان الشرعيان ، والبعيد ، الفرض ، معناه العطاء ، والندب ، معناه الرجل السريع في قضاء الحوائج ، ولولا ذكر السنة لما تهيأت التورية ولا فهم الحكمان .

والثاني – وهو ما تتهيأ بلفظ بعد : كقول الامام على رضي الله تعالى عنه في الاشعث بن قيس ، أنه كان يحرك الشمال باليمين ، فالشمال معناها القريب ضد اليمين ، والبعيد جمع شملة ، ولولا ذكر اليمين بعده لما فهم منه السامع معنى اليد الذي به التورية : ومن المجردة قوله

حملناهو طراً على الدهم بعدما خلعنا عليهم بالطعان ملابسا

فان الدهم له معنيان –قريب : وهو الخيل الدهم ، وليس مراداً ، وبعيد ، وهو القيود الحديد السود ، وهو المراد ، ومن المرشحة قوله تعالى (ولا يدينون دين الحق حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) فان المراد من اليد الذلة ، وقد اقترنت بالاعطاء الذي يناسب المعنى القريب ، وهو العضو.

(٢٧٧/١)

التورية : لغة مصدر ور ّ يت الخبر تورية : إذا سترته ، وأظهرت غيره واصطلاحاً – هي أن يذكر المتكلم لفظاً مفرداً له معنيان ، أحدهما قريب غير مقصود ودلالة الفظ عليه ظارهة ، والآخر بعيد مقصود ، ودلالة اللفظ عليه خفية ، فيتوهم السامع : أنه يريد المعنى القريب ، وهو إنما يريد المعنى البعيد بقرينة تشير إليه ولا تظهره ، وتستره عن غير المتيقظ الفطن ، كقوله تعالى (وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار) أراد بقوله جرحتم معناه البعيد ، وهو ارتكاب الذنوب ، ولأجل هذا سميت التورية إيهاماً وتخييلاً » وكقول سراج الدين الوراق :

أصونُ أديم وجهي عن أناسٍ لقاء الموتِ عندهُم الأديبُ

ورب الشعر عندهم بغيض ولو وافى به لهم «حبيب»

وكقوله – أبيات شعرك كالقصور ولا قصور بها يعوق

ومن العجائب لفظها حـُر ٌ ومعناها «رقيق»

برغم شبيب فارق السيف كفَّه وكانا على العلات يصطحبان

كأن رقاب الناس قالت لسيفه رفيقك قيسى ٌ وأنت يماني (١)

(٢) الاستخدام

الاستخدام : هو ذكر لفظ مشترك بين معنيين ، يراد به أحدهما ثم يعاد عليه ضمير ، أو إشارة ، بمعناه الآخر ، أو يعاد عليه ضميران يراد بثانيهما غير ما يراد بأولهما

فالأول – كقوله تعالى (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) أريد أولا بالشهر (الهلال) ثم أُعيد عليه الضمير أخيراً بمعنى أيام رمضان.

وكقول معاوية بن مالك.

إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه وان كانوا غضابا

أراد بالسماء (المطر) وبضميره في «رعيناه» (النبات) (٢)

---

(١) يريد أن كف (شبيب وسيفه متنافران ، لا يجتمعان ، لأن شيباً كان قيسياً ، والسيف يقال له (يماني) فوري به عن الرجل المنسوب إلى اليمين ، ومعلوم ما بين قيس واليمن من التنافر ، فظاهر قوله (يماني) أنه رجل منسوب إلى اليمين ، ومراده البعيد الدلالة على السيف ، لأن كلمة يماني من أسمائه.

(٢) ملخص الاستخدام : هو أن يؤتى بلفظ له معنيان ، فيراد به أحدهما ، ثم يراد بضميره المعنى الآخر – كقول الشاعر .

... وللغزالة شيء من تلفته ونورها من ضيا خديه مكتسب

أراد الشاعر : بالغزالة الحيوان المعروف ، وبضمير (نورها) الغزالة بمعنى الشمس

وكقوله رأى العقيق فأجرى ذاك ناظره متيم لج في الاشواق خاطره

وكقوله إذا لم أبرقع بالحيا وجه عفتي فلا أشبهته راحتي بالتكرم

ولا كنت ممن يكسر الجفن بالوغى إذا أنا لم أغضضه عن رأى محرم

وقال الآخر في الدعاء ، أقر الله عين الأمير وكفاه شرها ، وأجرى له عذبها ، وأكثر لديه تبرها – وكقول الشاعر :

رحلتم بالغداة فبت شوقا أسائل عنكم في كل ناد

أراعي النجم في سيرى إليكم ويرعاه من البيدا جوادي

وكلاهما معنى مجازي للسماء.

والثاني – كقول البحتري

فسقى الغضا والساكنيه وان همو شبُّوه ُ بين جوانحي وضلوعي

الغضا : شجر بالبادية ، وضمير ساكنيه أولاً راجع إلى الغضان باعتبار (المكان) وضمير شيّوه عائد ثانيا إلى الغضا (بمعنى النار الحاصلة من شجر الغضا) – وكلاهما مجاز للغضا.

(٣) الاستطراد

الاستطراد : هو أن يخرج المتكلم من الغرض الذي هو فيه إلى غرض آخر لمناسبة بينهما ، ثم يرجع فينتقل إلى إتمام الكلام الأول – كقول – السموءل :

وا ِنا لقومٌ لا نرى القتل سُ ّبـ ّه إذا ما راته عامر وسلولُ

يقرب حب الموت آجلنا لنا وتكرهه ُ آجالهم فتطولُ

فسياق القصيدة ، للفخر بقومه ، وانتقل منه إلى هجو قبيلتي «عامر وسلول» ثم عاد إلى مقامه الأول ، وهو الفخر بقومه – وكقوله :

لنا نفوس لنيل المجد عاشقة فان تسلت أسلناها على الأسل

لا ينزلُ المجد إلا في منازلنا كالنوم ليس له مأوى سوى المـ ُ قل

(٤) الافتنان

الافتنان : هو الجمع بين فنين مختلفين ، كالغزل ، والحماسة ، والمدح والهجاء ، والتعزية ، والتهنئة – كقول عبد الله بن همـ ّام السلولي ، «جامعاً بن التعزية والتهنئة» حين دخل على يزيد ، وقد مات أبوه معاوية ، وخلفه هو في الملك.

آجرك الله على الرزية ، وبارك لك في العطية ، وأعانك على الرعية فقد رُ زئت عظيماً ، واعطيت جسيما ، فاشكر الله على ما أعطيت واصبر على ما رُ زيت ، فقد فقدت الخليفة ، وأعطيت الخلافة ، ففارقت خليلا ووهبت جليلاً »

اصبر يزيد فقد فارقت ذا ثقةٍ واشكر حباء الذي بالملك أصفاك

لا رُ زء أصبح في الأقوام نعلمه كما رُ زئت ولا عُ قبى كعقباك

وكقول عنترة يخاطب عبلة :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل منِّى وبيض الهند تقطُر من دمى

فوددتُ تقبيلَ السيوف لأنها لمعت كبارقِ ثغرِك المـ ُ تبسِّم

(٢٧٩/١)

(٥) الطباق (١)

الطباق : هو الجمع بين لفظين متقابلين في المعنى ، وهما قد يكونان اسمين – نحو : قوله تعالى (هو الأول

والآخر والظاهر والباطن) وكقوله تعالى «وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود» أو فعلين –نحو : قوله (وأنّه هو أضحك وأبكى وأنَّه هو أمات وأحيا) – وكقوله تعالى ثم لا يموت فيها ولا يحيا» أو حرفين – نحو : قوله تعالى (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف) أو مختلفين – نحو : قوله تعالى (ومن يضلل الله فما له من هاد) (٢)

---

(١) ويسمى بالمطابقة ، وبالتضاد ، وبالتطبيق ، وبالتكافؤ ، وبالتطابق – وهو أن يجمع المتكلم في كلامه بين لفظين ، يتنافى وجود معناهما معاً في شيء واحد ، في وقت واحد ، بحيث ، يجمع المتكلم في الكلام بين معنيين متقابلين ، سواء أكان ذلك التقابل : تقابل الضدين ، أو النقيضين ، أو الايجاب والسلب ، أو التضايف .

(٢) والطباق ضربان : أحدهما طباق الايجاب : وهو ما لم يختلف فيه الضدان ايجابا وسلبا نحو (قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء)

وكقوله حلو الشمائل وهو مر باسل يحمى الذمار صبيحة الارهاق

وثانيهما طباق السلب : وهو ما اختلف فيه الضدان ايجابا وسلبا ، بحيث يجمع بين فعلين من مصدر واحد – أحدهما مثبت مرة ، والآخر منفي تارة أخرى في كلام واحد – نحو (يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله) ونحو (لا يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا) (وقل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) ، أو أحدهما أمر ، والآخر نهى نحو (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء) ونحو : (فلا تخشوا الناس واخشون) ، وملخص الطباق الذي هو الجمع بين معنيين متقابلين في كلام واحد ، وهو نوعان .

(١) طباق سلب – وهو أن يجمع بين فعلين ، من مصدر واحد ، أحدهما مثبت ، والآخر منفي ، وأحدهما أمر ، والآخر نهي .

(٢) طباق الايجاب – وهو ما كان تقابل المعنيين فيه بالتضاد ، ويلحق بالطباق ، ما بني على المضادة ، تأويلا في المعنى ، نحو (يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) فان التعذيب لا يقابل المغفرة صريحاً لكن على تاويل كونه صادراً عن المؤاخذة التي هي ضد المغفرة ، أو تخييلا في اللفظ باعتبار أصل معناه – نحو (من تولاه فانه يضله ويهديه العذاب السعير) أي يقوده فلا يقابل الضلالة بهذا الاعتبار ولكن لفظه ياقبلها في أصل معناه ، وهذا يقال له «إيهام» التضاد .

(٢٨٠/١)

ونحو : قوله تعالى «أو من كان ميتاً فأحييناه»

فيكون تقابل المعنيين وتخالفهما مما يزيد الكلام حسناً وطرافة

(٦) المقابلة

المقابلة : هي أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معانٍ متوافقة ، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب ، كقوله

تعالى (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ، وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى) وكقوله تعالى (يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث) وقال صلى الله عليه وسلم للأنصار (إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع) وقال خالد بن صفوان يصف رجلا : ليس له صديق في السر ولا عدو في العلانية – وكقوله :

فتى ً كان فيه ما يسر صديقه ولكن فيه ما يسوء الأعاديا

وكقوله : وباسط خير فيكم بيمينه وقابض شر عنكم بشماله

وكقوله :

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا وأقبح الكفر والأفلاس بالرجل

وكقوله : يا أُمـ ّة كان قبح الجور يسخطها دهراً فأصبح حسن العدل يرضيها

(٧) مراعاة النظير (١)

مراعاة النظير : هي الجمع بين أمرين ، أو أمور متناسبة ، لا على جهة التضاد ، وذلك إما بين اثنين – نحو قوله تعالى (وهو السميع البصير) وأما بين أكثر – نحو قوله تعالى (اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم)

ويلحق بمراعاة النظير ، ما بني على المناسبة في «المعنى» بين طرفي الكلام يعني : ان يختم الكلام بما يناسب أوله في المعنى ، نحو قوله تعالى (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) ، فان «اللطيف» يناسب عدم إدراك الأبصار له ، و «الخبير» يناسب ادراكه سبحانه وتعالى للأبصار ، وما بني على المناسبة في «اللفظ» باعتبار معنى له غير المعنى المقصود في العبارة ، نحو قوله تعالى (الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان) فإن المراد «بالنجم» هنا النبات ، فلا يناسب «الشمس» و «القمر» ولكن لفظه يناسبهما ، باعتبار دلالته على الكواكب.

وهذا يقال له «إيهام التناسب» كقوله :

---

(١) وتسمى : بالتناسب ، والتوافق ، والائتلاف.

كأنـ ّ الثريا عـ ُلقت في جبينها وفي نحرها الشـّعري وفي خدـ ّها القمر

والطل في سلك الغصون كلؤلؤٍ رطب يصافحه النسيم فيسقط

والطير يقر ا والغدير صحيفة والريح تكتب والغمام ينقط

(٨) الارصاد

الارصاد : هو أن يذكر قبل الفاصلة «من الفقرة ، أو القافية ، من البيت» يدل عليها إذا عرف الر ـَّوي ّ ، نحو : قوله تعالى (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) ، ونحو : قوله تعالى (وما كان الله

ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) (١) وكقول الشاعر.

أحلّت دمى من غير جرم وحرّمت بلا سبب عند اللقاء كلامي

فليس الذي حللته بمحلل وليس الذي حرمته بمحرم

ونحو : إذا لم تستطع شيئا فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

وقد يستغنى عن معرفة الرويِّ ، نحو : قوله تعالى (ولكلِّ أمة أجل إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون).

(٩) الادماج

ألإدماج : هو أن يُضمَّن كلام قد سيق لمعنى ، معنى آخر ، لم يصرح به كقول المتنبي :

أقلّبُ فيه أجفاني كأني اعذبها على الدهر الذُّنوبا

ساق الشاعر : هذا الكلام (أصالة) لبيان طول الليل ، (وأدمج) الشكوى من الدهر ، في وصف الليل بالطول.

(١٠) المذهب الكلامي

---

(١) فالسامع : إذا وقف على قوله تعالى «قبل طلوع الشمس» بعد الاحاطة بما تقدم ، علم أنه «وقبل الغروب» وكذلك البصير بمعاني الشعر وتأليفه ، إذا سمع المصراع الأول (أحلت دمى – الخ) علم أن العجز (وحرمت – الخ) ليس إلا ما قاله الشاعر

المذهب الكلامي : هو أن يورد المتكلم على صحَّة دعواه حُجَّة قاطعة مسلمة عند المخاطب ، بأن تكون المقدمات بعد تسليمها مستلزمة للمطلوب كقوله تعالى (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) واللازم وهو الفساد باطل ، فكذا الملزوم وهو تعدد الآلهة باطل ، وليس أدلّ على ذلك من الحقيقة والواقع ، وكقوله تعالى : (يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب) ، ونحو قوله تعالى (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيدهُ وهو أهون عليه) أي وكل ما هو أهون عليه فهو وأدخل تحت الامكان ، فالاعادة ممكنة وسمى هذا النوع (بالمذهب الكلامي) لأنه جاء على طريقة (علم الكلام و التوحيد) وهو عبارة عن اثبات (أصول الدين) بالبراهين العقلية القاطعة.

(١١) حسن التعليل

حسن التعليل (١) هو أن ينكر الأديب صراحة ، أو ضمناً ، علة الشيء المعروفة ، ويأتي بعلة أخرى أدبية طريفة ، لها اعتبار لطيف ، ومشتملة على دقة النظر ، بحيث تناسب الغرض الذي يرمى إليه ، يعني أن الأديب : يدّعى لوصف علّةً مناسبة غير حقيقية ، ولكن فيها حسن وطرافة ، فيزداد بها المعنى المراد الذي يرمى إليه جمالا وشرفاً كقول المعري في الرثاء :

وما كُلفة البدر المنير قديمةٌ ولكنها في وجهه أثر اللطم

يقصد : أن الحزن على (المرثي) شمل كثيراً من مظاهر الكون ، فهو لذلك : يدعى أن كلفة البدر (وهي ما يظهر على وجهه من كدرة) ليست ناشئة عن سبب طبيعي ، وا ٍنما هي حادثة من (أثر اللطم على فراق المرثي) ومثله قول الشاعر الآخر :

---

(١) من الأشياء ما له صفة ثابتة ، ذات علة معروفة ، أو غير معروفة : كزلزلة الأرض ، وسقوط المطر من السحب ، ومقاتلة الأعداء ، وبزوغ القمر وأقواله ، ونحو : ذلك ، فيلتمس الأدباء لها عللا أخرى ، فيها طرافة وحسن ، يزداد بها المعنى الذي يريدون تقريره جملاً وشرفاً ، فحسن التعليل : هو استنباط علة مناسبة للشيء غير حقيقة ، بحيث تكون على وجه لطيف بليغ ، يحصل بها زيادة في المقصود.

(٢٨٣/١)

أما ذكاء فلم تصفر إذ جنحت إلا لفرقة ذاك المنظر الحسن

يقصد : أن الشمس لم تصفر عند الجنوح إلى المغيب للسبب المعروف ولكنها (اصفرت مخافة أن تفارق وجه الممدوح) – ومثله قول الشاعر الآخر :

ما قصَّر الغيث عن مصرٍ وتربتها طبعاً ولكن تعدّاكم من الخجل

ولا جرى الذِّيل إلا وهو معترف بسبقكم فلذا يجري على مهل

ينكر هذا الشاعر : الأسباب الطبيعية لقلة المطر بمصر ، ويلتمس لذلك سبباً آخر : وهو (أن المطر يخجل أن ينزل بأرض يعمها فضل الممدوح جوده) لأنه لا يستطيع مباراته في الجود والعطاء ، ولابد في العلة أن تكون ادعائية ، ثم الوصف أعم من أن يكون ثابتا فيقصد بيان علته ، وغير ثابت فيراد اثباته.

(أ) فالأول – وصف ثابت غير ظاهر العلة – كقوله :

بين السيوف و عينيها مشاركة من آجلها قيل للأجفان أجفان

وقوله لم يحك نائلك السحاب وانما حُ مَّت به فصبيبها الرحضاء (١)

---

(١) أي أن السحائب لا تقصد محاكاة جودك بمطرها لأن عطاءك المتتابع أكثر من مائها وأغزر ، ولكنها حمت حسداً لك ، فالماء الذي ينصب منها هو عرق تلك الحمى – فالرحضاء عرق الحمى .

وكقوله : لم يطلع البدر إلا من تشوقه إليك حتى يوافى وجهك النضرا

ولا تغيب إلا عند خجلته لما رآك فولى عنك واستترا

وكقوله : سألت الأرض لم كانت مصلى ولم جعلت لنا طهراً وطيبا

فقالت غير ناطقة لأني حويت لكل انسان حبيبا

وكقوله : عيون تبر كأنها سرقت سواد أحداقها من الغسق

فان دجا ليلها بظلمته تضمها خيفة من السرق

وكقوله : ما زلزلت مصر من يكد يراد بها وانما رقصت من عدله طربا

وكقوله : لا تنكروا خفقان قلبي والحبيب لدى ّ حاضر

ما القلب إلا داره دقت له فيها البشائر

وكقوله : أرى بدر السماء يلوح حينا ويبدو ثم يلتحف السحابا

... وذاك لأنه لما تبدى وابصر وجهك استحيا وغابا

وكقوله : لم تؤذن الدنيا به في صروفها يكون بكاء الطفل ساعة يولد

وكقوله : ولو لم تكن ساخطا لم أكن أذم الزمان وأشكو الخطوبا

وكقوله : قد طيب الأفواه طيب ثنائه من أجل ذا تجد الثغور عذابا

(٢٨٤/١)

وقوله –زعم البنفسج أنه كعذاره حسنا ، فسلُّوا من قفاه لسانه

فخروج ورقة البنفسج إلى الخلف لا علة له ، لكنه ادعى أن علته الافتراء على المحبوب.

(ب) أو وصف ثابت ظاهر العلة ، غير التي تذكر ، كقول المتنبي :

ما به قتل أعاديه ولكن يتّقى إخلاف ما ترجو القنا ُ

فان قتل الأعادي عادة للملوك ، لأجل أن يسلموا من أذاهم وضرهم ولكن (المتنبي) اخترع لذلك سبباً غريباً ، فتخيّل أن الباعث له على قتل أعاديه لم يكن إلا ما اشتهر وعرف به ، حتى لدى الحيوان الأعجم من (الكرم الغريزي ، ومحبته إجابة طالب الاحسان) ومن ثم فتك بهم ، لانه علم ، أنه إذا غدا للحرب ، رجت الذئاب أن يتسع عليها رزقها ، وتنال من لحوم أعدائه القتلى ، وما أراد أن يخيب لها مطلبا ، والثاني – وصف غير ثابت ، وهو.

(١) إما ممكن – كقول مسلم بن الوليد

يا واشياً حسنت فينا إساءته ُ نجى حذارك إنساني من الغرق

فاستحسان إساءة الواشي ممكن ، ولكنه لما خالف الناس فيه ، عقبه بذكر سببه ، وهو أن حذاره من الواشي منعه من البكاء ، فسلم انسان عينه من الغرق في الدموع.

(٢) وا ٍما غير ممكن – كقول الخطيب القزويني

لو لم تكن نية الجوزاء خدمته لما رأيت عليها عقد منتطق

فقد ادّعى الشاعر : أن ّ الجوزاء تريد خدمة الممدوح ، وهذه صفة غير ممكنة ، ولكنه علّلها لعلة طريفة ، إيّاها أيضاً إدّعاء أدبياً مقبولا إذ تصور أن (النجوم التي تحيط بالجوزاء ، إنما هي نطاقٌ شدته حولها على نحو ما يفعل الخدم ، ليقوموا بخدمة الممدوح (١)).

(١٢) التجريد

(١) ومثله قول ابن المعتز :

قالوا اشتكت عينه فقلت لهم من كثرة القتل نالها الوصب

حمرتها من دماء من قتلت والدم في السيف شاهد عجب

وكقوله : فلئن بقيت لأرحلن بغزوة تحوى الغنائم أو يموت كريم

وكقوله : عداتي لهم فضل على ومنة فلا أذهب الرحمن عني الأعاديا

هموا بحثوا عن زلتي فاجتنبتها وهم نافسوني فاكتسبت المعاليا

وكقوله : لو لم يكن أقحوانا ثغر مبسمها ما كان يزداد طيبا ساعة السحر

(٢٨٥/١)

التجريد : لغة – ازالة الشيء عن غيره ، واصطلاحاً – أن ينتزع المتكلم من أمر ذي صفة أمراً آخر مثله في تلك الصفة ، مبالغة في كمالها في المنتزع منه ، حتى أنه قد صار منها ، بحيث يمكن أن ينتزع منه موصوف آخر بها ، وأقسام التجريد كثيرة.

«أ» منها – ما يكون بواسطة (من التجريدية) كقولك : لي من فلان صديق حميم (أي بلغ فلان من الصداقة حداً صحّ معه أن يستخلص منه آخر مثله فيها).

ونحو : ترى منهمو الأسد الغضابإذا سطوا وتنظر منهم في اللقاء بدوراً

«ب» ومنها – ما يكون بواسطة (الباء التجريدية) الداخلة على المنتزع منه نحو قولهم : لئن سألت فلاناً لتسألن به البحر ، بالغ في اتصافه بالسماحة ، حتى انتزع منه بحراً فيها.

«جـ» ومنها – ما لا يكون بواسطة ، نحو : (وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر).

«د» ومنها – ما يكون بطريق الكناية ، كقول الأعشى

يا خير من ركب المطيّ ولا يشرب كأساً بكف من بخلا (١)

(١٣) المشاكلة

(١) أي يشر الكأس بكف الجواد – انتزع منه جواداً يشرب هو بكفه على طريق الكناية ، لأن الشرب بكف غير البخيل يستلزم الشرب بكف الكريم وهو لا يشرب إلا بكف نفسه ، فاذاً هو ذلك الكريم ومن التجريد خطاب المرء نفسه : كقول المتنبي

لا خيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق ان لم تسعد الحال .

أي الغنى – فقد انتزع من نفسه شخصاً آخر وخاطبه ، وهذا كثير في كلام الشعراء ، وانما سمى هذا النوع تجريداً لأن العرب تعتقد أن في الانسان معنى كامناً فيه كأنه حقيقته ، فتخرج ذلك المعنى إلى ألفاظها مجرداً

عن الانسان ، كأنه غيره ، وفائدة هذا النوع (مع التوسع) أن يثبت الانسان لنفسه مالا يليق التصريح بثبوته له .

(٢٨٦/١)

المشاكلة : هي أن يذكر الشيء بلفظ غيره ، لوقوعه في صحبته كقوله تعالى (تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك) المراد : ولا أعلم ما عندك وعبّر بالنفس (للمشاكلة) ونحو : قوله تعالى (نسوا الله فأنساهم أنفسهم) أي أهملهم ، ذكر الاهمال هنا بلفظ النسيان لوقوعه في صحبته ، ومن ذلك ما حكى عن أبي الرقمع : أن أصحاباً له ، أرسلوا يدعونه إلى الصبوح في يوم بارد ، ويقولون له ، ماذا تريد أن نصنع لك طعاما ؟ ؟ وكان فقيراً ، ليس له كسوة تقية البرد ، فكتب اليهم يقول :

أصحابنا قصدوا الصبوح بسحرة وأتى رسولهم إليّ خصيصاً

قالوا نقترح شيئاً نجد لك طبخه قلت أطبخوا لي جبةً وقميصا (١)

وكقوله : من مبلغ أفناء يعرب كلها أنى بنيت الجار قبل المنزل

وكقوله : ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

(١٤) المزاوجة

المزاوجة : هي أن يزاوج المتكلم بين معنيين في الشرط والجزاء ، بأن يرتب على كل منهما معنى ، رتب على الآخر ، كقوله :

إذا ما نهى الناهي فلج بي الهوى أصاخت إلى الواشي فلجّ بها الهجر

زاوج بين النهى والإصاخة في الشرط والجزاء بترتيب اللجاج عليهما وكقوله :

إذا احتربت يوماً ففاضت دماؤها تذكرت القربى ففاضت دموعها

زاوج (١) بين الاحتراب «أي التحارب» وبين تذكر القربى ، في اشرط والجزاء ، بترتيب الفيض عليهما.

(١٥) الطي والنشر

الطيّ والنشر –أن يذكر متعدد ، ثم يذكر ما لكل من أفراده شائعاً من غير تعيين ، اعتماداً على تصرف السامع في تمييز ما لكلّ واحد منها ، وردّه إلى ما هو له – وهو نوعان :

«أ» إما أن يكون النشر فيه على ترتيب الطي ، نحو قوله تعالى (ومن رحته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله) فقد جمع بين الليل والنهار ، ثم ذكر السكون لليل ، وابتغاء الرزق للنهار ، على الترتيب وكقوله :

... عيونٌ واصداغ وفرعٌ وقامة وخالٌ ووجنات وفرق و مرشف

---

(١) أي خيطوا لي جبة وقميصا ، فذكر الخياطة بلفظ الطبخ لوقوعه في صحبة طبخ الطعام .

(٢٨٧/١)

... سيوف وريحان وليل وبانة ومسك وياقوت وصبح وقر قف

وكقوله : فعل المدام ولونها ومذاقها في مقلتيه ووجنتيه وريقه

«ب»وإما أن يكون النشر على خلاف ترتيب اللّفّ – نحو (فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب)

ذكر ابتغاء الفضل للثاني ، وعلم الحساب للأول ، على خلاف الترتيب وكقوله –

ولحظُهُ ومحياهُ وقامته بدر الدُّجا وقضيبُ البان والراح

فبدر الدجا : راجع إلى «الحيّا» الذي هو الوجه و «قضيب البان» راجع إلى «القامة» ، والراح راجع إلى اللحظ» ويسمى (اللف والنشر) أيضاً.

(١٦) الجمع

الجمع : هو أن يجمع المتكلم بين متعدد ، تحت حكم واحد – وذلك.

«أ»إما – في اثنين ، نحو قوله تعالى (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) ونحو : قوله تعالى (واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة).

«ب»إما في أكثر ، نحو قوله تعالى (إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجسٌ من عمل الشيطان فاجتنبوه) – وكقوله

إنَّ الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء أي مفسدة

وكقوله : آراؤه وعطاياه ونعمته وعفوه رحمة للناس كلهم

وكقوله أراؤكم و وجوهكم وسيوفكم في الحادثات إذا دجون نجومُ

(١٧) التفريق

التفريق : أن يفرق بين أمرين من نوع واحد في اختلاف حكمهما نحو قوله تعالى (وما يستوي البحران هذا عذب فراتٌ سائغ شرابهُ ، وهذا ملح أجاجٌ) – وكقول الشاعر :

ما نوال الغمام وقت ربيع كنوال الأمير يوم سخاء

فنوالُ الأمير بدرة عين ونوال الغمام قطرة ماء

وكقوله – من قاس جدواك يوماً بالسحب أخطأ مدحك

السحب تعطى وتبكي وانت تعطى وتضحك

وكقوله – من قاس جدواك بالغمام فما أنصف في الحكم بين شكلين

أنت إذا جدْت ضاحكٌ أبدا وهو إذا جاد دامع العين

وكقوله وردٌ الخدود أرقّ من ورد الرياض وأنعمُ

هذاك تنشقهُ الأنو ف وذا يقبِّله الفمُ

(١٨) التقسيم

التقسيم : هو أن يذكر متعدد ، ثم يضاف إلى كل من افراده ، ماله على جهة التعيين ، نحو : (كذبت ثمود وعاد بالقارعة ، فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية وأما عادٌ فأهلكوابريح صرصرٍ عاتية)

وقد يطلق التقسيم على أمرين آخرين

أوّلهما – أن تستوفى أقسام الشيء ، نحو قوله تعالى (له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى).

وثانيهما – أن تذكر أحوال الشيء ، مضافاً إلى كل منها ما يليق به كقوله تعالى : (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلةٍ على المؤمنين أعزةٍ على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) – وكقوله :

سأطلبُ حقي بالقنا ومشايخ كأنهموا من طول ما ألتثموا مُردُ

ثقالٌ إذا لاقوا خفاف إذا دُعوا كثير إذا شدُّوا قليلٌ إذا عدوا

وكقوله : ولا يقيم على ضيم يرادإلا الأذلاّن عيرُ الحيِّ والوتد

هذا على الخسف مربوط برُمتّه وذا يشجّ فلا يرثى له أحدُ

(١٩) الجمع مع التفريق

ألجمع مع التفريق : أن يجمع المتكلم بين شيئين في حكم واحد ، ثم يفرقُ بين جهتي إدخالهما – كقوله تعالى (خلقتني من نارٍ ، وخلقته من طين) وكقوله :

فهلك كالنّار في ضوئها وقلبي كالنّار في حرها

(٢٠) الجمع مع التقسيم

ألجمع مع التقسيم : أن يجمع المتكلم بين شيئين أو أكثر تحت حكم واحد.

ثم يُقسِّم ما جمع – أو : يقسِّم أولا : ثم يجمع

فالأول – نحو (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجلٍ مسمى) وكقول المتنبي :

حتى أقام على أرباض خرشنة (١) تشقى به الروم والصلبان والبيع

للرِّق ما نسلوا والقتل ما ولدوا والنّهب ما جمعوا والنار ما زرعوا

سأطلب حقي بالقنا ومشايخ (٢) كأنهم من طول ما الثموا مرد

---

(١) الأرباض : جمع ربض وهو ما حولك لامدينة ، وخرشنة : بلد الروم .

(٢) القنا : الرماح ، والمشايخ أصحابه ، أي يطلب حقه بنفسه ومستعينا بأصحابه المجربين المحنكين ، ولذلك جعلهم مشايخ .

ثقال إذا لاقوا ، خفاف إذا دعوا كثير إذا شدّوا قليل إذا عدّوا

والثاني – كقول سيدنا حسان

قومٌ إذا حاربوا ضروا عدوهم أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا

سجية تلك فيهم غير محدثة إنّ الخلائق فاعلم شرٌّها البدع

(٢١) المبالغة

المبالغة : هي أن يدّعى المتكلّم لوصف ، بلوغه في الشدة أو الضعف حدا مستبعدا ، أو مستحيلا ، وتنحصر في ثلاثة أنواع :

(١) تبليغ –إن كان ذلك الادّعاء للوصف من الشدة أو الضعف ممكناً عقلا وعادة ، نحو قوله تعالى «تكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار» وقوله تعالى «تكاد السماوات يتفطرن منه» وقوله في وصف فرس :

إذا ما سابقتها الريح فرّت وألقت في يد الرّيح الترابا

(٢) وا ٍغراق –إن كان الادّعاء للوصف من الشدّة أو الضعف ممكناً عقلا ، لا عادة – كقوله :

وذُكرم جارنا ما دام فينا ونتبعه الكرامة حيث مالا

(٣) وغلوّ (١) – إن كان الادعاء للوصف من الشدة أو الضعف مستحيلا عقلا وعادة – كقوله

... ... تكاد قسيه من غير رامٍ تُمكّنُ في قلوبهم النِّبالا

(٢٢) المغايرة

ألمغايرة : هي مدح الشيء بعد ذمه ، أو عكسه –كقول الحريري في مدح الدِّينار.

«أكرم به أصفر راقت صفرته»

بعد ذمه في قوله – «تبًّا لُه من خادع ممارق»

(٢٣) تأكيد المدح بما يشبه الذم

تأكيد المدح بما يشبه الذم : نوعان :

الأول–أن يُستثنى من صفة ذم منفية عن الشيء ، صفة مدح بتقدير دخولها فيها – كقوله :

... ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب (٢)

---

(١) أما الغلو : فمنه مقبول ، ومنه مردود : فالمقبول ثلاثة أنواع : أحدها ما اقترن به ما يقربه للصحة ، (كفعل مقاربة) نحو : قوله تعالى (يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسه نار) .

(٢) أو أداة فرض ، نحو قوله تعالى (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله)

ومنه – ما تضمن حسن تخييل ، كقول المتنبي

... عقدت سنابكها عليها عثيرا لو تبتغي عنقاً عليه لأمكنا

وقول المعري :

... يذيب الرعب منه كل عضب فلولا الغمد يمسكه لسالا

ومنه – ما أخرج مخرج الهزل والخلاعة – كقول النظام

... توهمه طرفي فآلم طرفه فصار مكان الوهم في خده أثر
... ومر بفكري خاطراً فجرحته ولم أر خلقا قط يجرحه الفكر
وقول الآخر – لك أنف ياابن حرب أنفت منه الأنوف
... أنت في القدس تصلى وهو في البيت يطوف

(٢٩٠/١)

الثاني –أن يثبت لشيء صفة مدح ، ثم يُؤتى بعدها بأداة استثناء (١)
تليها صفة مدح أخرى (والنوع الأول أبلغ) – كقوله
ولا عيب فيه غير أنى قصدته فأنستني الأيام أهلاً وموطنا وكقوله –فتى كملت أوصافه غير أنه جوادٌ فما يبقى من المال باقيا وقد تقوم (لكن) مقام أداة الاستثناء في هذا النوع.
(٢٤) تأكيد الذم بما يشبه المدح (٢)
تأكيد الذّم بما يُشبه المدح : ضربان أيضاً
الأول –أن يُستثنى من صفة مدح منفية عن الشيء ، صفة ذم بتقدير دخولها فيها – كقوله :
خلا من الفضل غير أنّي أراه في الحمق لا يجارى
ونحو –لا فضلَ للقوم الا أنهم لا يعرفون للجار حقه
ونحو : الجاهل عدوّ نفسه الا أنه صديق السفهاء ، ونحو : فلان ليس أهلا للمعروف ، إلا أنه يُسيء إلى من يحسن اليه
الثاني – أن يثبت لشيء صفة ذم ، ثم يؤتى بعدها بأداة استثناء (٣)

---

(١) أي ان كان تكسر حد سيوفهم من مقارعة الجيوش عيبا فلا عيب فيهم غيره ، ومن المعلوم أنه ليس بعيب – وكقول الآخر :
... ولا عيب فيهم سوى أن النزيل بهم يسلو عن الأهل والاوطان والحشم
وقوله ... ولا عيب فيه غير أن خدوه بهن احمرار من عيون المتيم
وقوله ... ليس به عيب سوى أنه لا تقع العين على شبهه
وقوله ... ولا عيب في معروفهم غير أنه يبين عجز الشاكرين عن الشكر
وقوله ، ... ولا عيب فيكم غير أن ضيوفكم تعاب بنسيان الأحبة والوطن
(٢) وهناك نوع آخر ، يسمى «الهجاء في معرض المدح» ، وهو أن يؤتى بكلام ظاهره مدح ، وباطنه ذم – كقوله :
أبو جعفر رجل عالم بما يصلح المعدة الفاسدة
تخوف تخمة أضيافه فعودهم أكلة واحدة

(٣) ومثل أداة الاستثناء في ذلك ، اداة الاستدراك في قول الشاعر

وجوه كاظهار الرياض نضارة ولكنها يوم الهياج صخور

وكقوله : هو البدر إلا أنه البحر زاخراً سوى أنه الضرغام لكنه الوبل

أدرك أهل البيان (التدبيج) في الطباق ، وأفرده أهل البديع ، وهو الاولى ، لجواز أن لا يقع (التقابل) بين الألوان ، فيفوت (الطباق)

(٢٩١/١)

تليها صفة ذم أخرى ، نحو : فلان حسودٌ إلا أنه نمّام ، – وكقوله

هو الكلبُ إلاّ أنّ فيه ملالةً وسوء مراعاة وما ذاك في الكلب

وكقوله : لئيم الطباع وى أنه جبانٌ يهون عليه الهوان

(٢٥) التوجيه

التوجيه : هو أن يُؤتى بكلام يحتمل معنيين متضادين على السواء كهجاء ، ومديح ، ودعاء للمخاطب ، أم دعاء عليه ، ليبلغ القائل غرضه بما لا يمسك عليه ، كقول بشّار في خياط أعور (اسمه عمرو).

خاط لي عمروٌ قباءً ليت عينيه سلاءً

فإنّ دعاءه لا يُعلم ، هل له أم عليه

وقوله : كلما لاح وجهه بمكان كثرت زحمة العُيون إلى رُؤيته

ويحكى أن محمداً بن حَزم هنأ (الحسن بن سهل) باتصال بنته (بورَان) التي تنسب اليها الأطبخة البورانية (بالخليفة المأمون العباسي) مع من هنأه ، فأثابهم ، وحرمه : فكتب إليه إن أنت تماديت على حرماني ، قلت فيك «بيتاً لا يعرف»أهو مدح أم ذم ، فاستحضره وسأله ؟ فأقرّ ، فقال الحسن : لا أعطيك أو تفعل ، فقال :

بارك الله للحسن ولبورُان في الختن

يا إمام الهدى ظفرت ولكن ببنت من ؟ ؟

فلم يدر : ببنت من ؟ ؟ – أفي العظمة وعلو الشأن ورفعة المنزلة أم في الدناءة والخسة ؟ ؟ – فاستحسن الحسن منه ذلك ، والخلاصة أنّ التوجيه نوعان :

الأول : أن يكون الكلام بحيث يصلح لأن يراد به معنيان متضادّان على السواء.

والثاني : أن يكون الكلام بحيث يشتمل على مجموعة ، أو مجموعات من مصطلحات العلوم ، أو الفنون ، أو الأسماء المتلائمة.

الفرق بين التورية والتوجيه

(أ) التورية : تكون في لفظ واحد.

وأما التوجيه : فيكون في تركيب ، أو جملة أسماء متلائمة.

(ب) التورية : يقصد المتكلم بها معنى واحداً : هو البعيد ، والنوع الأول من التوجيه : لا يترجح فيه أحد المعنيين على الآخر.

(جـ) لفظ التورية : له معنيان بأصل الوضع

وألفاظ النوع الثاني من التوجيه : ليس لها الا معنى واحد بأصل الوضع ، ويكون هو المقصود من الكلام.

(٢٦) نفي الشيء بايجابه

(٢٩٢/١)

نفى الشيء بايجابه : هو أن ينفى متعلّق أمر عن امرٍ ، فيوهم اثباته له ، والمراد نفيه عنه أيضاً ، نحو قوله تعالى (لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) (١)

فانّ نفى إلهاء التجارة عنهم ، يوهم إثباتها لهم –والمراد نفيها أيضاً.

(٢٧) القول بالموجب

القول بالموجب : نوعان

الأول –أن يقع في كلام الغير إثبات صفةٍ لشيء وترتيب حكم عليها ، فينقل السامع تلك الصفة إلى غير ذلك الشيء من غير تعرض لثبوت ذلك الحكم له أو انتفائه عنه ، كقوله تعالى (يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الاذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) (٢) فالمنافقون أرادوا بالأعز أنفسهم ، وبالأذل المؤمنين ، ورتبوا على ذلك الاخراج من المدينة فنقلت صفة العزة للمؤمنين ، وأبقيت صفة الأذلية للمنافقين ، من غير تعرض لثبوت حكم الاخراج للمتصفين بصفة العزة ، ولا لنفيه عنهم والثاني : حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده بذكر متعلّق له

كقوله : وقالوا قد صفت منّا قلوب لقد صدقوا ولكن عن ودادي

أراد بصفو قلوبهم (الخلوص) ، فحملهُ على الخلو بذكر متعلّقه ، وهو قوله «عن ودادي»

(٢٨) ائتلاف اللفظ مع المعنى

---

(١) مقتطع من الآية : التي مرت في مبحث ترك المسند ، حيث يقول (يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) فان قوله لا تلهيهم تجارة ، يوهم أن لهم تجارة ، غير أنهم لا يلتهون بها ، ولكن المراد أنهم ليس لهم تجارة حتى يلتهوا بها ، لأن رجال الجنة لا يتعاطون التجارة.

(٢) تلخيص العبارة : أن الكافرين حكموا لأنفسهم بالعزة ، وللمؤمنين بالذلة وقالوا ان رجعنا إلى المدينة نخرجهم منها ، فحكم بالعزة لله ، ولرسوله ، والمؤمنين – ولم يقل أنهم يخرجون أولئك منها ، ولا أنهم لا يخرجونهم

(٢٩٣/١)

ئتلاف اللفظ مع المعنى : هو أن تكون الألفاظ موافقةً للمعاني ، فتختار الألفاظ الجزلة ، والعبارات الشديدة للفخر والحماسة ، وتختار الكلمات الرقيقة ، والعبارات اللينة ، للغزل والمدح – كقوله :

... إذا ما غضبنا غضبة مضريَّة هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما

... إذا ما أعرنا سيداً من قبيلة ذرا منبرٍ صلى علينا وسلّما

وكقوله –ولست بنظار إلى جانب الغني إذا كانت العلياء في جانب الفقرِ

وكقوله – لم يطل ليلى ولكنأنام ونفى عني الكرى طيفٌ ألمْ

(٢٩) التفريع

التفريع : هو أن يثبت حكم لمتعلّق أمرٍ ، بعد إثباته لمتعلق له آخر كقول الشاعر :

فاضت يداه بالنضار كما فاضت ظباه في الوغى بدمي

وكقوله أحلامُ كم لسقام ا لجهل شافيةٌ كما دماؤكم تشفى من الكلب

(٣٠) الاستتباع

الاستتباع هو: الوصفُ بشيء على وجه يستتبعُ الوصف بشيء آخر ، مدحاً أو ذماً.

يعني أنّ الاستتباع هو المدح على وجه يستتبع المدح بأمر آخر ، كقوله

ألا أيها المالُ الذي قد اباده تسلّ فهذا فعله بالكتائب

وكقوله : سمح البديهة ليس يمسك لفظه فكأن ألفاظه من ماله

وكقوله : الحرب نزهته والبأس همته والسيف عزمته والله ناصره

وقيل : إنه يكون أيضاً في الذّم ، كقول بعضهم في (قاض) لم يقبل شهادته برؤية هلال الفطر :

أترى القاضي أعمى أم تراه يتعامى

سرق العيد كأنّ الـ عيد أموالُ اليتامى

(٣١) السلب والايجاب (١)

السلب والإيجاب : هو أن يقصد المتكلّم تخصيص شيء بصفة فينفيها عن جميع الناس ، ثم يثبتها له مدحاً أو ذماً ، فالمدح – كقول الخنساء

... وما بلغت كف امرىء متناولاً من المجد إلا والذي نلتَ أطول

... ولا بلغ المهدون للناس مدحة وا ِن أطنبوا إلا الذي فيك أفضلُ

والذّم – كقول بعضهم

---

(١) وسمى الرجوع : وهو العود على الكلام السابق بالنقض لنكتة ، كقول زهير

قف بالديار التي لم يعفها القدم بلى وغيرها الأرواح والديم

وكقوله – وما ضاع شعري عندكم حين قلته بلى وأبيكم ضاع فهو يضوع

... خ ُلقوا وما خ ُلقوا لمكرمة فكأنّهم خ ُلقوا وما خ ُلقوا

... ر ُزقوا ر ُزرقوا سماح يد فكأنّهم رزقوا وما رزقوا

(٣٢) الابداع

الإبداع : هو أن يكون الكلام مشتملا على عدَّة أنواع من البديع كقول الشاعر :

فضحكت الحيا والبحر جوداً فقد بكى الـ حيا من حياءٍ منك وألتطَم البحر (١)

---

(١) فان فيه حسن التعليل في قوله (بكى الحيا من حياء منك) ، وفيه التقسيم : في قوله (فضحت الحيا والبحر) – حيث ارجع ما لكل إليه على التعيين بقوله بكى الحيا ، والتطم البحر ، وفيه المبالغة في جعله بكاء الحيا والتطام البحر حياء من الممدوح ، وفيه الجمع في قوله : فضحت الحيا والبحر ، وفيه رد العجز على الصدر : في ذكر البحر والبحر وفيه الجناس التام : بين الحيا والحياء – وللقرآن الكريم اليد البيضاء في هذا النوع فقد وجد اثنان وعشرون نوعا في قوله تعالى (وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين) مع كون الآية سبع عشرة لفظة –ولا بد لي من ذكرها ، تبركا بها ، وا ٍلجاما لبعض المعاصرين الذين يتفوهون بما لا يليق ذكره ، بالنسبة لكلام رب العالمين (١) ففيها (المناسبة التامة) بين ابلعي وأقلعي (٢) الاستعارة فيهما (٣) الطباق بين الأرض والسماء (٤) المجاز في قوله (باسماء) فان الحقيقة يا مطر (٥) الاشارة : في «وغيض الماء» فانه عبّر به عن معان كثيرة ، فان الماء لا يغيض حتى يقلع مطر السماء ، وتبلع الأرض ما يخرج منها من عيون الماء (٦) الارداف : في قوله «في قوله «واستوت على الجودى» فانه عبر عن استقرارها في المكان بلفظ قريب من لفظ المعنى (٧) التمثيل في قوله «وقضى الأمر» فانه عبر عن هلاك الهالكين ونجاة الناجين بلفظ بعيد عن الموضوع (٨) التعليل – فان غيض الماء علة الاستواء (٩) التقسيم : فانه استوفى أقسام الماء حال نقصه (١٠) الاحتراس : في قوله «وقيل بعداً للقوم الظالمين ، إذ الدعاء يشعر بأنهم مستحقوا الهلاك ، احتراساً من ضعيف يتوهم أن الغرق لعمومه ربما يشمل غير المستحق (١١) الانسجام ، فان الآية منسجمة كالماء الجاري في سلاسته (١٢) حسن التنسيق ، فانه تعالى قص القصة وعطف بعضها على بعض بحسن الترتيب (١٣) ائتلاف اللفظ مع المعنى ، لأن كل لفظة لا يصلح لمعناها غيرها (١٤) الايجاز فانه سبحانه وتعالى – أمر فيها ونهى ، وأخبر ونادى ، ونعت وسمى ، واهلك وابقى وأسعد وأشقى – وقص من الأنباء مالو شرح لجفت الأقلام (١٥) التسهيم : إذ أول الآية يدل على آخرها (١٦) التهذيب : لأن مفرداتها موصوفة بصفات الحسن ، لأن كل لفظة سهلة مخارج الحروف ، عليها رونق الفصاحة ، سليمة من التنافر ، بعيدة عن عقادة التراكيب (١٧) حسن البيان : لأن السامع لا يشكل عليه في فهم معانيها شيء (١٨) الاعتراض : وهو قوله (وغيض الماء واستوت على الجودى) (١٩) الكناية فانه لم يصرح بمن أغاض الماء ، ولا بمن قضى الأمر – وسوى السفينة –ولا بمن قال وقيل بعداً ، كما لم يصرح بقائل (يا أرض ابلعي ماءك وباسماء أقلعي) في صدر الآية سلوكا في كل واحد من ذلك سبيل الكناية (٢٠) التعريض : فانه تعالى عرض بسالكي مسالكهم في تكذيب الرسل ظلما – وان الطوفان وتلك الصورة

الهائلة ما كانت إلا بظلمهم (٢١) التمكين لأن الفاصلة قارة متمكنة في موضعها (٢٢) الابداع الذي نحن بصدد الاستشهاد له ، وفيها غير ذلك – وقد افردت هذه الآية الشريفة بتآليف عديدة لما اشتملت عليه من البلاغة ، حتى عد بعضهم فيها مائة وخمسين نوعا ، وقد أجمع المعاندون على أن طوق البشر عاجز عن الاتيان بمثلها .

(٢٩٥/١)

(٣٣) الأسلوب الحكيم

أسلوب الحكيم : هو تلقى المخاطب بغير ما يترقّبه

(١) إما بترك سؤله : والاجابة عن سؤال لم يسأله.

(٢) وإما بحمل كلام المتكلم على غير ما كان يقصد ويريد ، تنبيهاً على أنه كان ينبغي له أن يسأل هذا السؤال ، أو يقصد هذا المعنى ، فمثال الأول : ما فعله القبعثري بالحجاج (١) إذ قال له الحجّاج متوعّداً (لأحملنّك على الأدهم).

يريد الحجّاج : القيد الحديد الأسود : فقال القبعثري «مثل الأمير يحمل

على الأدهم والأشهب» يعني الفرس الأسود ، والفرس الأبيض ، فقال له الحجاج : أردت (الحديد) ، فقال لقبعثري : لأن يكون حديداً خير من أن يكون بليداً ، ومراده تخطئة الحجاج بأن الأليق به الوعد (لا الوعيد) (٢)

---

(١) هو الحجاج بن يوسف الثقفي ، كان عاملا على العراق وخراسان : لعبد الملك ابن مروان ، ثم للوليد من بعده ، وكان شديد البطش قاسيا ، حتى ضرب المثل بجوره وظلمه توفى سنة ٩٥ هـ .

(٢) سبب ذلك : ان الحجاج بلغه أن القبعثري لما ذكر الحجاج بينه وبين أصحابه في بستان ، قال : اللهم سود وجهه ، واقطع عنقه ، واسقني من دمه ، فوشى به إلى الحجاج فلما مثل بين يديه ، وسأله عن ذلك ، قال : انما أردت (العنب) ، فقال له الحجاج ما ذكر ومثل ذلك قول الشاعر :

ولقد أتيت لصاحبي وسألته في قرض دينار لأمر كانا

فأجابني والله داري ما حوت عيناً فقلت له ولا انسانا

وسئل تاجر ؟ ؟ كم رأس مالك ، فقال : إني أمين ، وثقة الناس بي عظيمة وقال الشاعر :

طلبت منه درهماً يوماً فأظهر العجب

وقال ذا من فضة يصنع لا من الذهب

وسئل أحد العمال ؟ ؟ مذا ادخرت من المال ، فقال : لا شيء يعادل الصحة .

(٢٩٦/١)

ومثال الثاني : قوله تعالى (ويسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خيرٍ فللواليدن والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل) ، سألوا النبي ّ عليه الصلاة والسلام عن حقيقة ما ينفقون مالهم ، فأجيبوا ببيان طرق إنفاق المال : تنبيهاً على أن هذا هو الأولى والأجدر بالسؤال عنه وقال تعالى (يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج ( )١ وقال ابن حجُ اج البغدادي :

قَلَّلتُ إذ أتيتُ مراراً قال : ثقلتَ كاهلي بالايادي

قلتُ : طو ّ لت ، قال : أوليت طولا قلتُ : أبرمتُ ، قال : حبل وادادي (٢)

فصاحب ابن حجَّاج : يقول له ، قد ثقَّلت عليك بكثرة زياراتي ، فيصرفه عن رأيه في أدب وظرف ، وينقل كلامه من معنى إلى معنى آخر – وكقول الشاعر :

ولما نعى الناعي سألناه خشيةً وللعين خوف البين تسكاب أمطار

أجاب قضى : قلنا قضى حاجة العلا فقال مضى : قلنا بكل فخار

ويحكى : أنه لما توجّ ه (خالد بن الوليد) لفتح الحيرة ، أتى إليه من قبل أهلها رجل ذو تجربة : فقال له (خالد) فيم أنت ؟ قال في ثيابي ، فقال علام أنت ؟ فأجاب على الأرض –فقال كم سنّ ك ؟ قال اثنتان وثلاثون فقال : أسألك عن شيء ، وتجيبني بغيره : فقال : إنّ ما أجبتك عم ّ ا سألت.

(٣٤) تشابه الأطراف

---

(١) بيان ذلك : أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سألوه عن الأهلة ؟ ؟ لم تبدو صغيرة ، ثم تزداد حتى يتكامل نورها ، ثم تتضاءل حتى لا ترى (وهذه مسالة دقيقة من علم الفلك) تحتاج إلى فلسفة عالية وثقافة عامة – فصرفهم عنها ببيان أن الأهلة وسائل للتوقيت في المعاملات ، والعبادات ، إشارة إلى أن الأولى بهم أن يسألوا عن هذا .

(٢) فقد وقع لفظ «ثقلت» في كلام المتكلم بمعنى «حملتك المؤونة» فحمله المخاطب على الاكثار من المنن والأيادي «وأبرمت» وقع في كلامه بمعنى «أملت»فحمله المخاطب على ابرام حبل الوداد وا ٍحكامه ، وليس في طولت الأولى التي هي من طول الاقامة ، وتطولت من التطول وهو التفضل : شاهد.

تشابه الاطراف : قسمان – معنوي ولفظي

فالمعنوي : هو أن يختم المتكلم كلامه بما يناسب ابتداءه في المعنى كقوله :

ألذّ من السحر الحلال حديثهُ وأعذب من ماء الغمامة ريقُ هُ

فالريق : يناسب اللذة في أول البيت واللفظي نوعان –

الأو ّ ل – أن ينظر الناظم أو الناثر إلى لفظة وقعت في آخر المصراع الأول أو الجملة ، فيبدأ بها المصراع الثاني ، أو الجملة التالية ، كقوله تعالى : «مثل نوره كمشكاة فيها مصباحٌ المصباح في زجاجة الزجاجة

كأنها كوكب دريٌ » وكقول أبي تمام :

هوى كان خلساً إن من أبرد الهوى هوى جلت في أفيائه وهو خامل

الثاني – أن يعيد الناظم : لفظة القافية من كل بيت في أول البيت الذي يليه ، كقوله :

رمتني وستر الله بيني وبينها عشية آرام الكناس رميمُ

رميمُ التي قالت لجيران بيتها ضمنت لكم ألا يزال يهيمُ

وكقوله :

اذا نزل الحجاج أرضاً مريضة تتبّع أقصى دائها فشفاها

شفاها من الدّاء العضال الذي بلهغلام إذا هزّ القناة سقاها

سقاها فروّاها بشرب سجالها دماء رجال حيث مال حشاها

(٣٥) العكس

العكسُ : هو أن تقدِّم في الكلام جُزءاً ثم تعكس : بأن تُقدِّم ما أخرت ، وتؤخر ما قدّمت ، ويأتي على أنواع

١– أن يقع العكس بين أحد طرفي جملة ، وما أضيف إليه ذلك الطرف ، نحو : كلام الملوك ملوك الكلام

– وكقول المتنبي

إذا أمطر منهم ومنك سحابة فوابلهم طل وطَلُّكَ وابلُ

ب – أن يقع العكس بين متعلقي فعلين في جملتين ، كقوله تعالى :

يُخرج الحيّ من الميت ويخرج الميت من الحي»

جـ – أن يقع العكس بين لفظين في طرفي الجملتين ، كقوله تعالى: (لاهُنَّ حلٌّ لهم ، ولا هم يحلّون لهنَّ).

د – أن يقع العكس بين طرفي الجملتين ، كقول الشاعر

... طويت بإحراز الفنون ونيلها رداء شباب والجنون فُنونُ

... فحين تعاطيت الفنون وحظها تبيَّن لي أن الفنون جنون

هـ –أن يكون العكس بترديد مصراع البيت معكوساً ، كقول الشاعر :

... إنَّ للوجد في فؤادي تراكمُ ليت عيني قبل الممات تراكمُ

(٢٩٨/١)

... في هواكم يا سادتي متّ وجداً مت وجداً يا ساداتي في هواكمُ

(٣٦) تجاهل العارف

تجاهل العارف : هو سؤال المتكلم عمَّا يعلمه حقيقة ، تجاهلاً منه لنكتة ، كالتوبيخ ، في قوله :

أيا شجر الخابور مالك مورقاً كأنك لم تجزع على ابن طريف

أو المبالغة في المدح ، كقول البحتري

... ألمعُ برق سرى أم ضوء مصباح ؟ ؟ أم ابتسامتها بالمنظر الضاحي

أو المبالغة في الذّم ، كقول زهير

... وما أدرى وسوف إخالُ أدري أقومٌ آلُ حصنٍ أم نساء ؟ ؟

أو التعجّب ، نحو(أ هذا أم أنتم لا تُبصرون) إلى غير ذلك من الأغراض البديعية التي لا تحصى

تمرين

بين الأنواع البديعية فيما يلي :

(١) قال بعضهم في وصف إبل (١)

صلبُ العصا بالضرب قد أدماها تودُّ أن الله قد أفناها

(٢) وقيل في وصف إبل هزيلة (٢)

كالقسيِّ المعطفات بل الأسهم مبرية بل الأوتار.

(٣) والغزالة شيء من تَلفُّته ونورها من ضيا خدّيه مُكتسب (٣)

(٤) أفنى جيوش العِدا غزواً فلست ترى سوى قتيل ومأسور ومنهزم (٤)

(٥) لا عيب فيهم غير أنّ ذوي الندى خساسٌ إذا قيسوا بهم ولئام (٥)

(٦) على رأس عبد تاج عز يزينُهُ وفي رجل حُرّ قيدُ ذلٍ يشينُهُ (٦)

---

(١) الضرب : لفظ مشترك بين الضرب بالعصا وهو المعنى القريب الذي لم يقصد – والسير في الأرض ، وهو المعنى البعيد المقصود والمراد بالتورية .

(٢) فيه مراعاة النظير إذ وصف البحتري الابل بالنحول ، فشبهها بأشياء متناسبة وهي : القسى ، والأسهم الميرية ، والاوتار .

(٣) في استخدام : إذ أراد بالغزالة الحيوان المعروف – وبضمير (نورها) الغزالة بمعنى الشمس.

(٤) فيه تقسيم : إذ هو قد استوفى جميع أقسام جيش العدو ، بحصرها في الأقسام الثلاثة .

(٥) فيه تأكيد المدح بما يشبه الذم ، فانه استثنى من صفة ذم منفية ، صفة مدح .

(٦) فيه مقابلة بين ستة وستة : فقد قابل بين على وفي ، رأس ورجل ، حر وعبد ناج وقيد ، عز وذل ، يزين ويشين.

(١) إذا لم تفض عينيَّ العقيق فلا رأت منازله بالقرب تبهى وتبهُرُ (١)

تمرين آخر

(١) فلا الجودُ يفنى المال والجد مقبلٌ ولا البخل يبقى المال والجدُ مدبر (٢)

(٢) رحم الله من تصدَّق من فضل أو آسى من كفاف ، أو آثر من قُوتِ (٣)

(٣) رأى العقيق فأجرى ذاك ناظرهُ متيمٌ لجَّ في الأشواق خاطرهُ (٤)

) (آراؤكم وو ُجوهكم وسيوفكم في الحادثات إذا دجون َ نجوم (٥)

(٥) ما زلزلت مصر من كيم ألّا بها لكنّها رقصت من عدلكم طربا (٦)

(٦) أراعي النجم في سيرى اليكم ويرعاه من البيدا جوادي (٧)

جاءني ابني يوماً وكنت أراه لي ريحانة ومصدر أُنس

قال ما الر ُوح ؟ قلت إذ ّك روحي قال ماالنفس ُ ؟ قلت إنك نفسي

تطبيق عام على البديع المعنوي

... ... ياسيدا حاز لطفاله البرايا عبيدُ

... ... أنت الحسين ولكن جفاك فينا يزيدُ

في هذا الكلام تورية ، مهيَّأة بلفظ قبلها ، فان ذكر «الحسين» لازم لكون «يزيد» اسما بعد احتمال الفعل المضارع الموري عنه

... حُماة في بهجتها جنَّة وهي من الغم ّ لنا جنّة

... لا تيأسوا من رحمة الله فقد رايتم العاصي في الجنة

---

(١) في استخدام : إذ العقيق هنا الجم الشبيه بالعقيق في الحمرة – والضمير في (منازله) يعود إليه باعتباره الوادي المعروف بظاهر المدينة ببلاد الحجاز.

(٢) فيه مقابلة : بين الجود والبخل ، يفنى ويبقى ، مقبل ومدبر.

(٣) فيه تقسيم : باستيفاء أقسام الشيء ، لأن طبقات الناس هذه الثلاثة ليس غير .

(٤) فيه استخدام ، فالعقيق أولا معناه المكان المعلوم في بلاد الحجاز – والضمير يعود إليه بمعنى الحجر المعروف ، وقد شبه دموعه به .

(٥) فيه الجمع : فقد جمع بين ثلاثة أشياء في حكم واحد.

(٦) فيه حسن التعليل : فقد جعل علة زلزال مصر طربا من عدل الممدوح لا لمكروه نزل بها – وهي لا شك غير العلة التي يتعارفها الناس فيما بينهم .

(٧) فيه استخدام : إذ النجم الأول الكوكب ، وأعاد عليه الضمير بمعنى النبات الذي لا ساق له .

في هذا الكلام تورية مرشحة ، فان ذكر الرحمة ترشيح للفظ العاصي الموري به الذي هو من العصيان ، والموري عنه النهر المعروف الذي عبر حماه.

فان ضيعت ُ فيه جميع مالي فكم من لحية حلقت بموسى

فيه التورية المرشحة ، بذكر اللحية والحلق ، وهما يناسبان المورى به وهو «موسى الحديد» والمورى عنه الاسم المذكور.

يا عذولي في مغنّ مطرب حرك الأوتار لما سفرا
لم تهز العطف منه طربا عند ما تسمع منه وترا
فيه تورية في لفظ «وترا»فانّ معناه البعيد المراد هو الرؤية ، والقريب أحد الأوتار – ولفظ «تسمع»هيّأ قوله «تراً » للتورية بالرؤية.
سألته عن قومه فانثنى يعجب من افراط دمعي السخي
وأبصر المسك وبد الدُّجى فقال ذا خالي وهذا أخي
فيه تورية في لفظ «خالي» فمعناه البعيد المراد ، النقطة السوداء في الخد ، والقريب أخ الأم ، ولفظة «أخي» هي التي هيّأت خالي للتورية – وهي بعيدة.
وساقية تدور على الندامى وتنهرهم لسرعة شرب خمر
سنشكر يوملهو قد تقضَّى بساقية تقابلنا بنهر
«الساقية» امرأة تسقى الراح ، وهذا هو المعنى القريب – أو ساقية الماس وهو المعنى البعيد ، وكل منهما مذكور للتورية في صاحبه ، ومُهيِّىء لها فيه.

الباب الثاني في المحسنات اللفظية

(١) الجناس (١)

---

(١) ويقال له التجنيس ، والتجانس ، والمجانسة ، ولا يستحسن إلا إذا ساعد اللفظ المعنى ، ووازى مصنوعه مطبوعه ، مع مراعاة النظير ، وتمكن القرائن ، فينبغي أن ترسل المعاني على سجيتها لتكتسي من الألفاظ ما يزينها ، حتى لا يكون التكلف في الجناس مع مراعاة الالتئام ، موقعا صاحبه في قول من قال :
طبع المجنس فيه نوع قيادة أو ما ترى تأليفه للأحرف
وبملاحظة ما قدمنا يكون فيه استدعاء لميل السامع والاصغاء إليه ، لأن النفس تستحسن المكرر مع اختلاف معناه ، ويأخذها نوع من الاستغراب ، وتلخيص القول في الجناس : أنه نوعان ، تام ، وغير تام – فالتام هو ما اتفق فيه اللفظان المتجانسان في أمور أربعة ، نوع الحروف ، وشكلها من الهيئة الحاصلة من الحركات والسكنات ، وعددها ، وترتيبها وغير التام ، وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور الأربعة المتقدمة كقول الله تعالى (والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق) وكقول الشاعر :
... وسميته يحيى ليحيا فلم يكن إلى رد أمر الله فيه سبيل
وكقوله : ... أشكو وأشكر فعله فاعجب لشاك منه شاكر
طرفي وطرف النجم فيه كلاهما ساه وساهر
وكقول ابن الفارض :
... هلا نهاك نهاك عن لوم امرىء لم يلف غير منعم بشقاء
وكقوله : لو زارنا طيف ذات الخيال أحيانا ونحن في حفر الأجداث أحيانا
وقو الخنساء : –

ان ابكاء هو الشفاء من الجوى بين الجوانح

وقول المعري : –

لم نلق غيرك انسانا يلاذ به فلا برحت لعين الدهر إنسانا

وقول الحريري : –

لا أعطى زماني من يخفر ذمامي ولا أغرس الأيادي في أرض الأعادي

(٣٠١/١)

الجناس : هو تشابه لفظين في النطق ، واختلافهما في المعنى وهو ينقسم إلى نوعين : لفظي – ومعنوي :

أنواع الجناس اللفظي

(١) منها –الجناس التّام : وهو ما اتفق فيه اللفظان المتجانسان في أربعة أشياء ، نوع الحروف ، وعددها ، وهيئآتها الحاصلة من ا لحركات والسكنات ، وترتيبها مع اختلاف المعنى.

فان كان اللفظان المتجانسان من نوع واحد : كاسمين ، أو فعلين ، أو حرفين سمى : الجناس (مماثلاً (١) ومستوفياً) نحو : (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة) فالمراد بالساعة الأولى يوم القيامة ، وبالساعة الثانية المدة من الزمان ، ونحو : رحبة رحبة :

فرحبة الأولى : فناء الدار ، ورحبة الثانية : بمعنى واسعة

وا ٍن كانا من نوعين : كفعل واسم ، سُمِّي : الجناس مستوفياً ، نحو إرع الجار ولو جار – وكقول الشاعر

... ما مات من كرم الزَّمان فإنَّه يحيا لدى يحيى بن عبد الله

فيحيا الأول فعل مضار ع ، يحيى الثاني اسم الممدوح ، ونحو :

... إذا رماك الدهر في معشر قد أجمع الناس على بغضهم

... فدارهم ما دُمت في دارهم وأرضهم ما دُمت في أرضهم

والجناس التام : مما لا يتفق للبليغ إلا على ندور وقلة : فهو لا يقع موقعه من الحسن حتى يكون المعنى هو الذي استدعاه ، وحتى تكون كلمته مما لا يبتغي الكاتب منها بدلاً ، ولا يجد عنها حولا.

ومنها الجناس غير التام : وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد أو أكثر من الأربعة السابقة (ويجب ألا يكون بأكثر من حرف) واختلافهما : يكون إما بزيادة حرف

(في الأول) نحو : دوام الحال من المحال.

أو (في الوسط) نحو : جدّي جهدي

أو (في الآخر) نحو : الهوى مطية الهوان

والأول يسمى «مردوفاً »، والثاني يُسمى «مكتنفاً » والثالث مطرّفاً » كقوله تعالى (ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون) – وكقول الشاعر :

فان حلّوا فليس لهم مقرواٌ ٍن رحلُوا فليس لهم مفرٌ

(١) اعلم أن العبرة في المماثلة تكون بالنطق لا بالكتابة.

(٣٠٢/١)

وكقوله عليه السلام (الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة) ومن اختلاف أعدادها ، قولك : هذا بناء ناءٍ ، ومن اختلاف ترتيب الحروف ، قوله(في حسامه فتحٌ لأوليائه ، وحتفٌ لأعدائه) – ومن هذا : قول الأحنف :

حُسامُك فيه للأحباب فتحٌ ورُمحكَ فيه للأعداء حتفُ

ومن اختلاف الهيئة ، قول الشاعر :

الجَدّ في الجد والحِرمان في الكسل فانصب تُصب عن قريب غاية الأمل

(٢) ومنها الجناس المطلق وهو توافق رُكنيه في الحروف وترتيبها بدون أن يجمعهما اشتقاقٌ ، كقوله صلى الله عليه وسلم(أسلم) سالمها الله (وغفارٌ) غفر الله لها ، (وعصيّة) عصت الله ورسوله ، فان جمعهما اشتقاق –نحو (لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد) فقيل : يُسمى جناس الاشتقاق (١)

(١) كقوله – فيا دمع انجدني على ساكني نجد

وكقوله –وإذا ما رياح جودك هبت صار قول العذول فيه هباء

وقول النابغة : فيالك من حزم وعزم طواهما جديد الردى بين الصفا والصفائح

وقول البحتري : نسيم الروض في ريح شمال وصوب المزن في راح شمول

وكقوله : أراك فيمتلى قلبي سروراً واخشى أن تشط بك الديار

فجر ، واهجر ، وصل ولا تصلني رضيت بأن نجور وأنت جار

وكقوله : من بحر جودك أغترف وبفضل علمك أعترف

وكقولهم (خلف الوعد خلق الوغد)

وكقول الحريري : لهم في السير جرى السيل وإلى الخير جرى الخيل

وكقول البستي : بسيف الدولة اتسقت أمور رأيناها مبددة النظام

وكقول السبكي :

كن كيف شئت عن الهوى لا أنتهى حتى تعود لي الحياة وانت هي

وكقوله : خليلي إن قالت بثينة ماله أتانا بلا وعد فقولا لها ، لها

أتى وهو مشغول لعظم الذي به ومن بات طول الليل يرعى السها ، سها

بثنية تزرى بالغزالة في الضحى إذا برزت لم تبق يوما بها ، بها

وكقوله سما وحمى سام وحام فليس كمثله سام وحام

وقول أبي نواس : عباس عباس إذا احتدم الوغى والفضل فضل والربيع ربيع

(٣٠٣/١)

(٣) ومنها – «الجناس المذيَّل» – «والجناس المطرَّف» ، فالأول : يكون الاختلاف بأكثر من حرفين في آخره والثاني : يكون الاختلاف بزيادة حرفين في أوله.فالجناس المذيل – كقول أبي تمام :

يمدون من أيدٍ عواص عواصمٍ تصول بأسياف قواض قواضبِ

والجناس المطرَّف – كقول الشيخ عبد القاهر :

... وكم سبقت منه إلى عوارف ثنائي على تلك العوارف وارف

... وكم غرر من بره ولطائف لشكري على تلك اللطائف طائفُ

ومنها – «الجناس المضارع» – «والجناس اللاحق» فالجناس المضارع : يكون باختلاف ركنيه في حرفين ، لم يتباعدا مخرجاً إما : في الأول نحو – ليلٌ دامسٌ ، وطريق طامس وإما في الوسط – نحو : (وهم ينهون عنه ، وينأون عنه) وإما : في الآخر – نحو قوله صلى الله عليه وسلم (الخيل معقودٌ في نواصيها الخير إلى يوم القيامة) والجناس اللاحق : يكون في متباعدين إما في الأول – نحو : (همزة لمزة) وإما في الوسط نحو : (إنه على ذلك لشهيد ، وإنه لحب الخير لشديدٌ) وإما في الآخر – نحو قوله تعالى : (وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به).

(٥) ومنها – «الجناس اللفظي» – وهو ما تماثل ركناه لفظاً ، واختلف أحد (ركنيه) عن الآخر خطّاً – إما الاختلاف في الكناية (بالنون والتنوين) وإما الاختلاف في الكتابة (بالضاد والظاء – أو الهاء والتاء) فالأول – (وهو ما تماثل ركناه لفظاً ، واختلف أحدُ ركنيه عن الآخر خطاً في الكتابة بالنون والتنوين) قوله :

أعذبُ خلق الله نطقاً (وفماً) ان لم يكن أحقّ بالحُسن (فمن)

مثل الغزال نظرةً ولفتةً من ذا رآه مقبلا ولا افتتن

والثاني – (وهو اختلاف أحد (ركنيه) في الضاد والظاء ، نحو قوله تعالى «وجوه يومئذ (ناضرةٌ) إلى ربها (ناظرة)» – وكقول أبي فراس :

ما كنت تصبر في القديم فلم صبرت الآن عنّا

ولقد ظننت بك الظنون لأنه من (ضن ظنّا)

والثالث (وهو اختلاف أحدرُ كنيه في الهاء – والتاء) – كقوله

إذا جلست إلى قوم لتؤنسهم بما تحدّث من ماض ومن آت

(٣٠٤/١)

فلا تعيدن حديثاً إن ّ طبعهمو موكلٌ (بمعاداة المعادات)

(٦) ومنها الجناس المُحرَّف – والجناس المُصحَّف» فالأول – ما اختلف ركناه في هيآت الحروف الحاصلة من حركاتها وسكناتها ، نحو : جبة البرد جنة البرد والثاني –ما تماثل ركناه وضعاً ، واختلفا نقطاً ، بحيث لو زال إعجام أحدهما لم يتميز عن الآخر – كقول بعضهم: غرك عزُّك ، فصار قصارى ذلك ذلك ، فاخش فاحش فعلك ، فعلك بهذا تهتدي

ونحو : إذا زلّ العالم ، زلَّ بزلّته العالم – وكقول أبي فراس

من بحر شعرك أغترف وبفضل علمك أعترف

(٧) ومنها –الجناس المركّب – «والجناس الملفق» فالأول –ما اختلف (ركناه) إفراداً وتركيباً فان كان من كلمة وبعض أخرى ، سُمي (مرفُوّاً) – كقول الحريري :

ولا تلهُ عن تذكار ذنبك وابكه بدمع يضاهى المزن حال «مصابه»

ومثّل لعينيك الحمام ووقعه وروعة ملقاه ومطعم «صابه»

وان كان من كلمتين فان اتفق الركنان خطاً سُمِّي (مقرونا) – كقوله :

إذا ملك لم يكن «ذاهبه» فدعه فدولته «ذاهبه»

وإلا سمى (مفروقا) – كقوله

لا تعرضن على الرواة قصيدة ما لم تكن بالغت في «تهذيبها»

فاذا عرضت الشعر غير مُهذّب عدوه منك وساوساً «تهذى بها»

والثاني وهو الجناس المُلفّق : يكون بتركيب الركنين جميعاً – كقوله :

وليت الحكم خمساً وهي خمس لعمري والصبا في العنفوان

فلم تضع الأعادي قدر «شاني» ولا قالوا فلان قد «رشاني»

(٨) ومنها –(جناس القلب) وهو ما اختلف فيه اللفظان في ترتيب الحروف ، نحو : حسامه فتحٌ لأوليائه ، وحتفٌ لأعدائه ، «ويسمى قلب كلٍّ» لانعكاس الترتيب ، ونحو : اللهم استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا ، ويسمى (قلب بعض) ونحو : رحم الله امرأ ، أمسك ما بين فكيه ، وأطلق ما بين كفيه.

وإذا وقع أحد المتجانسين في أول البيت ، والآخر في آخره ، سمى (مقلوباً مجنحاً) كأنه ذو جناحين – كقوله :

«لا تنوار الهدى من كفّه في كل «حال»

(٣٠٥/١)

وإذا ولى أحد المتجانسين الآخر قيل له «المزدوج»وإن كان التركيب بحيث لو عكس حصل بعينه (فالمستوى) وهو أخص من (المقلوب المجنح) ويسمى أيضاً «ما لا يستحيل بالانعكاس» نحو (كل في فلك) ونحو (وربك فكبر) ، وبعد : فلا يخفى على الأديب ، ما في الجناس من الاستدعاء لميل السامع ، لأن

النفس حتى الإفادة ، والصورة صورة تكرار وإعادة ومن ثم تأخذها الدهشة والاستغراب ولأمرٍ ما ، عُدّ الجناس من حُلى الشعر.

أنواع الجناس المعنوي

الجناس المعنوي نوعان : جناس إضمار – وجناس إشارة

(أ) «فجناس الاضمار» أن يأتي بلفظ يحضرب في ذهنك لفظاً آخر وذلك اللفظ المحضر يراد به غير معناه ، بدلالة السياق – كقوله :

«منعم» الجسم تحكى الماء رقّته وقلبه «قسوة» يحكى ابا أوس

(وأوس) شاعر مشهور من شعراء العرب ، واسم أبيه حجر ، فلفظ أبي «أوس» يحضر في الذهن اسمه ، وهو (حجر) ، وهو غير مراد ، وإنما المراد : الحجر المعلوم – وكان هذا النوع في مبدئه مستنكراً ، ولكن المتأخرين ولعوا به ، وقالوا منه كثيراً ، فمن ذلك قول البهاء زهير :

وجاهل طال به عنائي لازمني وذاك من شقائي

أبغض للعين من الأقذاء أثقل من شماتة الأعداء

فهو إذا رأته عين الرائي أبو معاذ أو أخو الخنساء

(ب) «وجناس الإشارة» هو ما ذكر فيه أحد الركنين ، واشير للآخر بما يدل عليه – وذلك إذا لم يساعد الشعر على التصريح به – نحو :

يا «حمزة» بوصلٍ وامنُن علينا بقُربِ

في ثغرِ : اسمك أضحى مصحّفاً وبقلبي

فقد ذكر الشاعر أحد المتجانسين : وهو (حمزة) ، وأشار إلى الجناس فيه ، بأن مصحَّفة ، في ثغره ، أي (خمرة) وفي قلبه ، أي (جمرة) وبعد فاعلم أنه لا يستحسن الجناس ، ولا يعدّ من أسباب الحسن ، إلا إذا جاء عفواً ، وسمح به الطبع من غير تكلف ، حتى لا يكون من أسباب ضعف القول وانحطاطه ، وتعرض قائله للسخرية والاستهزاء.

(٢) التصحيف

(٣٠٦/١)

التصحيف : هو التشابه في الخط بين كلمتين فأكثر : بحيث لو أزيل أو غيرت نقط كلمة ، كانت عين الثانية ، نحو التخلي ، ثم التحلّي ، ثم التَّجلّي.

(٣) الازدواج

الازدواج : هو تجانس اللفظين المجاورين ، نحو : من جدّ وجدَ ، ومن لج ولج.

(٤) السجع

السجعُ : هو توافق الفاصلتين (١) في الحرف الأخير من (النثر) وأفضلهُ : ما تساوت فقره – وهو ثلاثة

أقسام :

أولها – (السجع المطرف) وهو ما اختلفت فاصلتاه في الوزن ، واتفقنا في التقفية ، نحو قوله تعالى (ما لكم لا ترجون لله وقاراً وقد خلقكم أطواراً) ، ونحو قوله تعالى «ألم نجعل الأرض مهاداً والجبال أوتاداً »

ثانيها (السجع المرصَّع) : وهو ما اتفقت فيه ألفاظ إحدى الفقرتين أو أكثرها في الوزن والتّقفية ، كقول الحريري ، هو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه ، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه (٢) وكقول الهمذاني : إن بعد الكدر صفواً ، وبعد المطر صحواً.

ثالثها – (السجع المتوازي) : وهو ما اتفقت فيه الفقرتان في الوزن والتقفية نحو قوله تعالى (فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة) لاختلاف سُرر ، وأكواب ، وزناً وتقفية ، ونحو قوله تعالى (والمرسلات عرفاً فالعاصفات عصفاً) لاختلاف المرسلات ، والعاصفات وزناً فقط ونحو : حسدَ الناطق والصامت ، وهلك الحاسد والشامت – لاختلاف ما عدا الصَّامت ، والشامت : تقفية فقط.

---

(١) (الفاصلة) في النثر (كالقافية) في الشعر – والسجع خاص بالنثر .

(٢) ولو أبدلت الاسماع بالآذان كان مثالا للأكثر : وسمى السجع سجعا تشبيها له بسجع الحمام ، وفواصل الأسجاع موضوعة على أن تكون ساكنة الاعجاز ، موقوفا عليها ، لأن الغرض أن يزاوج بينها ، ولا يتم ذلك إلا بالوقف .

والأسجاع مبنية على سُكون أواخرها ، وأحسن السجع ما تساوت فقرهُ ، نحو قوله تعالى (في سدر مخضود ، وطلح منضود ، وظل ممدود) ، ثم ما طالت فقرته الثانية ، نحو قوله تعالى (والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى) ثم ما طالت ثالثته ، نحو قوله تعالى (النار ذات الوقود إذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهودٌ) ولا يحسن عكسه ، لأن السامع ينتظر إلى مقدار الأول ، فاذا انقطع دونهن أشبه العثار (١) ، ولا يحسن السجع إلا إذا كانت المفردات رشيقة ، والألفاظ خدم المعاني ، ودلّت كل من القرينتين على معنى غير ما دلّت عليه الأخرى ، وحينئذ يكون حلية ظاهرة في الكلام.

والسجع : موطنه النثر ، وقد يجيء في الشعر نادراً : كقوله :

فنحن في جزل والروم في وجل والبر في شغلٍ والبحر في خجل

ولا يستحسن اسجع أيضاً إلا إذا جاء عفواً ، خالياً من التكلف والتصنع ، ومن ثم لا تجد لبليغ كلاماً يخلو منه ، كما لا تخلو منه سورة وا ِن قصرت.

(٥) الموازنة

الموازنة : هي تساوى الفاصلتين في الوزن دون التقفية ، نحو قوله تعالى : (ونمارق مصفوفة وزرا بي مبثوثة) فان مصفوفة ومبثوثة متفقتان في الوزن ، دون التقفية ، ونحو قول الشاعر :

أفاد َ فساد وقاد فزاد وساد فجاد َ وعاد َ فأفضل َ

(٦) الترصيع

الترصيع : هو توازن الألفاظ ، مع توافق الأعجاز ، أو تقاربها – مثال التوافق : نحو قوله تعالى : «إن الأبرار لفي نعيمٍ ، وا ِن الفج ّار لفي جحيمٍ »

ومثال التقارب ُ : نحو قوله تعالى : «وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم»

(٧) التشريع

التشريع ُ : هو بناء البيت على قافيين ، يصح ّ المعنى عند الوقوف على كل ّ منهما – كقول الشاعر :

يا خاطب َ الدُّنيا الدَّنية إن ّها شرك ُ الردى وقرارة الأقذار

---

(١) يعني أنه لا يحسن أن يؤتى في السجع بفقرة أقصر مما قبلها كثيراً ، لأن السجع إذا استوفى امده من الأولى لطولها ، ثم جاءت الثانية أقصر منها ، يكون كالشيء المبتور .

(٣٠٨/١)

دار ٌ متى ما أضحكت في بومها أبكت غداً تباً لها من دار

وا ِذا أظل ّ سحابها لم ينتفع منه صدى لجهامه الغر ّار

غاراتها لا تنقضي وأسير ُها لا ي ُفتدى بجلائل الأخطار

فتكون هذه الأبيات من (بحر الكامل) ويصح أيضاً الوقوف على الر ّ د َى وغدا ، وصد َى ، ويفتد َى ، ونكون إذاً من (مجزوء الكامل) وت ُقرأ هكذا

يا خاطب َ الدُّنيا الدَّنية إنها شرك ُ الرد َى

دار ٌ متى ما أضحكت في يومها أبكت غدا

وا ِذا أظل سحاب ُها لم ينتفع منه صد َى

غاراتها لا تنقضي وأسير َها لا ي ُفتدى

وكقوله : يأي ّها الملك الذي عم ّ الورى ما في الكرام له نظير ٌ ي ُنظر

لو كان مثلك آخر في عصرنا ما كان في الدنيا فقير ٌ م ُعسر

إذ يمكن أن ي ُقال أيضاً في هذين البيتين

يأيها الملك الذي ما في الكرام له نظير

لو كان مثلك آخر ٌ ما كان في الدنيا فقير ُ

(٨) لزوم ما لا يلزم

زوم ُ ما لا ي َلزم ُ : هو أن يجيء قبل حرف الر َّوي ِّ ، أو ما في معناه من الفاصلة ، بما ليس بلازم في التقفية ، وي ُلتزم في بيتين أو أكثر من (النظم) أو في فاصلتين أو أكثر من (النثر) نحو قوله تعالى (فأما اليتيم فلا

تقهر وأما السائل فلا تنهر) – وكقول الطغراني في أول لاميَّته المشهورة :

أصالةُ الر ّأي صانتني عن الخطل وحِ لية الفضلِ زانتني لدى العطلِ

وكقوله : يا م ُحرقاً بالنار وجه محبه مهلا فان مدامعي تطفيه

احرق بها جسدي وكل جوارحي واحرص على قلبي فاذ ّك فيه

وقد يلتزم ُ أكثر ُ من حرف : كقوله

كُل واشرب الناس على خبرة فهم يمر ٌون َ ولا ي ُعذ َّبون

ولا تُصدِّقهم إذا حد ّثُوا فإنّ هم من عهدهم يكذبون

(٩) رد العجز على الصدر

(٣٠٩/١)

(ا) رد العجز ُ على الصدَّر : (فيأن ينُ جعلَ أحد ُ اللّفظين الم ُكر ّرين ، أو الم ُتجانسين ، أو الم ُلحقين بهما بأن جمعهما اشتقاق او شبه ُ في أول الفقرة ، ثم تعاد ُ في آخرها ، كقوله تعالى (وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ُ) – وقولك : «سائل» اللئيم يرجع ؟ ودمعه «سائل» فسائل الأول : من السؤال ، وسائل الثاني : من السَّيلان ونحو قوله تعالى (استغفروا ربكم إنه ُ كان َ غفَّاراً) واللّذان يجمعهما شبه اشتقاق – نحو قوله تعالى (قال إني لعملِكم من القالين)

(ب) رد العجز على الصد ّر : (في النظم) هو أن يكون أحدهما في آخر البيت ، والآخر يكون ، إم ّا – في صدر المصراع الأو ّل ، أو في حشوه ، أو في آخره (١)

وا إم ّا – في صدر المصراع الثاني – نحو قوله :

سريع ٌ إلى ابن العم يلطم وجهه وليس إلى داعي الندى بسريع

وقوله – تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار

وقوله ذوائب س ُود كالعناقيد أرسلت فمن أجلها مذ ّا النفوس ذوائب

(١٠) ما لا يستحيل بالانعكاس

مالا يستحيل بالأنعكاس : هو كون اللفظ يقرا طرداً – وعكساً نحو : كن كما أمكنك – (وربك فكبر) ، وكقوله :

مودته تدوم لكل هولٍ وهل كل مودته تدوم

(١١) المواربة

الم ُواربة : هي أن يجعل المتكلم كلامه بحيث يمكنه أن يغير معناه بتحريف ، أو تصحيف ، أو غيرهما ، ليسلم من المؤاخذة – كقول أبي نواس.

لقد ضاع شعري على بابكم كما ضاع عقدٌ على خالصه

فلم ّا أنكر عليه (الرشيد) ذلك ، قال (أبو ن ُواس) : لم اقل إلا

لقد ضاء شعري على بابكم كما ضاء عقد على خالصه

(٢١) ائتلاف اللفظ مع اللفظ

إئتلاف اللفظ مع اللفظ كوهو ألفاظ العبارة من و ٍاد واحد في الغرابة والتأمل – كقوله تعالى (تالله تفتأ تذكر يُوسف ُ) لما أتى (بالتَّاء) التي هي أغرب حروف القسم ، أتى «بتفتأ»التي هي أغرب ُ أفعال الاستمرار.

(٢٢) التسميط

---

(١) كقوله – ومن كان بالبيض الكواعب مغرما فما زلت بالبيض القواضب مغرما

(٣١٠/١)

التسميط : هو أن يجعل الشاعر بيته على أربعة أقسام

على سجع واحد ، بخلاف قافية البيت كقول جنوب الهذلية وحرب وثغرٍ سددت َ وعلج شددت عليه الحبالا

وقوله : في ثغره لعس عبس ٌ في قدّه ميس ٌ في جسمه ترف.

(٢٣) الانسجام أو السهولة

الانسجام أو : السهولة : هو سلامة الألفاظ ، وسهولة المعاني مع جزالتهما وتناسبهما – كقول الشاعر :

ما وهب الله لامرىء هبةً أفضل من عقله ومن أدبه

هما كمال ُ الفتى فان فُقدا ففقد ُه للحياة أليق ُ به

(٢٤) الاكتفاء

الاكتفاء : هو ان يحذف الشاعر من البيت شيئاً ، يُستغنى عن ذكره ، بدلالة العقل عليه – كقول الشاعر :

فإنّ المنيَّة من يخشها فسوف تصاد ُمه أينما

أي أينما توجه (١)

(٢٥) التطريز

التطريز : هو أن يكون صدر النَّثر أو الشعر م ُشتملا على ثلاثة أسماء مختلفة المعاني ، ويكون العجز ُ صفةً متكرّرة بلفظ واحد – كقول القائل :

وتسقيني رويتشُ من رحيق خليقٍ أن يُلقب بالخلُوق

كأنّ الكأس في يدها وفيها عقيق في عقيق في عقيق

نموذج

بين ما في الأبيات الآتية من الم ُحسنات اللفظية

(١) اعضّ نا الدهر بنابه ليت ما حلّ بنابه (٢)

(٢) إلى حتفي سعى قدمي أرى قدمي أراق دمي (٣)

---

(١) وكقوله : ما للنوى ذنب ومن أهوى معي إن غاب عن إنسان عيني فهو في
وكقوله : يا لائمي في هواها أفرطت في اللوم جهلا
ما يعلم الشوق إلا ولا الصبابة إلا
وكقوله : ضلوا عن الماء لما أن سروا سحرا قومي فظلوا حيارى يلهثون ظما
والله أكرمني بالماء بعدهمو فقلت ياليت قومي بعلمون بما
وكقوله : الدمع قاض بافتضاحي في هوى ظبي يغار الغصن منه إذا مشى
وغدا بوجدي شاهد وأوشى بما أخفى فياالله من قاض وشا
وكقوله : لا أنتهى لا أنثنى لا أرعوي ما دمت في قيد الحياة ولا إذا
(٢) فيه جناس تام : بين (بنابه) ، أحد أنياب الأسنان (وبنابه) الثانية المركبة من (بنا) و (به) .
(٣) فيه جناس تام : بين أرى قدمي ، أي أنظر قدمي ، وأراق دمي ، أي صب وأهذر دمي ، أي قتلني بلا دية.

(٣١١/١)

(٢) لئن أخطأتُ في مديحك ما أخطأت في منعي (١)
لقد أنزلت حاجاتي بواد غير ذي زرع
(٤) وفي الحديث (اللهم أعط منفقاً خلفاً ، وأعط مُمسكا تلفاً (٢)
(٥) وقد بلينا في عصرنا بأناس يظلمون الأنام ظلماً عمّا (٣)
يأكلون التراث أكلا لمًّا ويحبون المال حُباً جمّا
(٦) وإن أقرّ على رق أنامله أقر بالرق كتاب الأنام له (٤)
خاتمة
في السرقات الشعرية وما يتبعها
السَّرقةُ – هي أن يأخذَ الشخص كلام الغير ، وينسبه لنفسه وهي ثلاثة أنواع : نسخٌ ، ومسخٌ ، وسلخٌ .
(أ) النَّسخ : ويسمى انتحالاً أيضاً – هو أن يأخذ السارق اللفظ والمعنى معاً ، بلا تغيير ولا تبديل ، أو بتبديل الألفاظ كلّها ، أو بعضها بمرادفها ، وهذا مذموم ، وسرقة محضة كما فعل عبد الله بن الزبير بقول مُعن بن أوس (٥)
إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته على طرف الهجران إن كان يعقل
ويركبُ حد السف من أن تضميه إذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل
وأمّا تبديل الألفاظ بمُرادفها – كما فعل بقول الحطيئة
دع المكارم لا ترحل لبُغيتها واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي
فقال الآخر :

زُرَا المآثر لا تذهب لمطلبها واجلس فانك أنت الآكل اللابس

وقريب منه : تبدّل الألفاظ بضدّها ، مع رعاية النظم والترتيب كما فعل بقول حسان رضي الله عنه.

بيض الوجوه كريمةٌ أحسابُهم شم الأنوف من الطراز الأول

فقال غيره :

سود الوجوه لئيمةٌ أحسابهم فطس الأنوف من الطراز الآخر

---

(١) في الشطر الأخير من البيت الثاني ، اقتباس من الآية الكريمة (ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم).

(٢) فيه سجع مرصع لأن احدى الفقرتين كالثانية في الوزن والتقفية .

(٣) في البيت الثاني اقتباس من القرآن الكريم من سورة الفجر (وتأكلون التراث أكلا لما وتحبون المال حبا جما)

(٤) فيه جناس تام بين أنامله والانام له .

(٥) الزبير بفتح فكسر في هذا – ويوجد اسم آخر بضم ففتح – ومعن بضم وفتح – ومعن بن زائدة بفتح فسكون .

(ب) والمسخ – أو الإغارة : هو أن يأخذ بعض اللفظ ، أو يغير بعض النّظم ، فان امتاز الثاني بحسن السبك فممدوح ، نحو قول الآخر :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

مع قول غيره :

من راقب الناس مات همّا وفاز باللّذات الجسور

فان الثاني أعذب وأخصر ، وان امتاز الأول فقط فالثاني مذموم وان تساويا فالثاني لا يذم ولا يمدح ، والفضل للسابق.

(جـ) والسلخُ – ويسمى إلماماً ن وهو أن يأخذ السارق المعنى وحده فان امتاز الثاني فهو أبلغ – نحو قول الشاعر :

هو الصنع أن يعمل فخير وان يرث فللرّيثُ في بعض المواضع أنفع

مع قول غيره :

ومن الخير بطء سيبك عنى اسرع السّحب في المسير الجهام

وان امتاز الأول : فالثاني مذموم ، وان تماثلا فهو أبعد عن الذم – كقوله

ولم يك أكثر الفتيان مالا ولكن كان أرحبهم ذراعا

مع قول الآخر :

وليس بأوسعهم في الغنى ولكن معروفه أوسع

ويتصل بالسرقات الشعرية : ثمانية أمور ، الاقتباس ، والتضمين ، والعقد ، والحلّ ، والتّلميح ، والابتداء ، والتّخلّص ، والانتهاء.

(١) الاقتباس هو أن يضمّن المتكلم منثوره ، أو منظومه ، شيئاً من القرآن ، أو الحديث ، على وجه لا يشعر بأنه منهما ، فمثاله من (النثر) (فلم يكن إلا كلمح البصر أو هو أقرب) ، حتى أنشد فأغرب ، ونحو قول الحريري ، أنا أنبئكم بتأويله ، وأميز صحيح القول من عليله – وكقول عبد المؤمن الأصفهاني – لا تغرنّك من الظلمة كثرة الجيوش والأنصار «إنما نؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار» – ومثاله من (الشعر) قوله (١)

وثغر تنضّد من لؤلؤ بألباب أهل الهوى يلعب

إذا ما ادلهمّت خطوب الهوى يكاد سنا برقه يذهب

---

(١) ولا باس بتغيير يسر في اللفظ المقتبس للوزن أو غيره ، نحو

قد كان ما خفت أن يكونا إنا إلى الله راجعونا

وفي القرآن (إنا لله وا ِنا إليه راجعون) ويكون الاقتباس مذموماً في الهزل ، كقوله

أوحى إلى عشاقه طرفه هيهات هيهات لما توعدون

وردف ينطق من خلفه لمثل هذا فليعمل العاملون

(٣١٣/١)

وكقول الشاعر الآخر :

ان كنت أزمعت على هجرنا من غير ما جرمٍ فصبرٌ جميل

وان تبدّلت بنا غيرنا فحسبنا الله ونعم الوكيل

وكقول القائل الآخر :

لا تكن ظالماً ولا ترض بالظلم وأنكر بكل ما يستطاع

يوم يأتي الحساب ما لظلوم من حميم ولا شفيع يطاع

وكقول بعضهم :

ان كانت العشاق من أشواقهم جعلوا النسيم إلى الحبيب رسولا

فأنا الذي أتلو لهم يا ليتني كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

وكقول الشاعر :

ارحلوا فلستُ مسائلا عن دارهم أنا باخعٌ نفسي على آثارهم»

وكقول الآخر :

ولاح بحكمتي نور الهدى فيالِهِ للضلالة مدلهمّه

يريد الجاهلون ليطفئوه ويأبى الله إلا أن يتمَّه

ومثاله من الحديث في (النثر) قول الحريري : شاهت الوجوه ، وقبح اللكع ومن يرجوه – وكقول الحريري أيضاً ، وكتمان الفقر زهاده ، و «انتشار الفرج بالصبر» عباده ، ومثاله من الحديث في (الشعر) ، قول الشاعر :

قال لي إن رقبي سيء الخُلق فداره

قلت دعني وجهك الجنة حُفَّت بالمكاره»

وكقول الشاعر الآخر :

فلو كان الأخلاق تحوى وراثة ولو كانت الأراء لا تتشعبُ

لأصبح كل الناس قد ضمّهم هوى كما أن كل الناس قد ضمّهم أب

ولكنها الأقدار لا ميسرٌ لما هو مخلوق له ومهيَّقبُ

وكقول القائل :

لا تعادِ الناس في أوطانهم قلّما يرعى غريبُ الوطن

وإذا ما شئت عيشاً بينهم خالق الناس بخلقٍ حسنِ (١)

---

(١) وينقسم الاقتباس : إلى ضربين ، الأول – ضرب منه لا ينقل فيه اللفظ المقتبس عن معناه الأصلي إلى معنى آخر – كما تقدم .اثاني – ما ينقل إلى معنى آخر ، كقول ابن الرومي

لئن أخطأت في مديحك ما أخطأت في منعي

لقد أنزلت حاجاتي بواد غير ذي زرع

فقد كنى بلفظ (واد) ، عن رجل لا يرجى نفعه ، ولا خير فيه ، وهو في الآية الكريمة : بمعنى (واد) لا ماء فيه ولا نبات ، وقد أجازوا تغيير اللفظ المقتبس بز يادة فيه أو نقص أو تقديم أو تأخير – كما سبق واعلم أن الاقتباس ثلاثة أقسام :

١– مقبول – وهو ما كان في الخطب والمواعظ

٢– ومباح – وهو ما يكون في الغزل والرسائل والقصص.

٣– ومردود – وهو ما كان في الهزل – كما تقدم ذكره

(٢) والتضمين – هو أن يضمن الشاعر كلامه (شيئاً من مشهور شعر الغير) مع التنبيه عليه (١) إن لم يكن مشهوراً لدى نقّاد الشعر ، وذوي اللُّسن ، وبذلك يزداد شعرهُ حسناً –كقوله الصاحب بن عبّاد :

أشكو إليك زماناً ظل يعر ُ كني عرك الأديم ، ومن يعدو على الزمنِ
وصاحباً كنت ُ مغبوطاً بصد ُ حبته دهراً فغادرني فرداً بلا سكن ِ

---

(١) أما تضمينه بلا : تنبيه عليه لشهرته : فكقوله :
أولى البرية طرا أن تواسيه عند السرور الذي واسك في الحزن
(إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا من كان بألفهم في المنزل الخشن) .
وكقوله : قد قلت لما اطلعت وجناته حول الشقيق الغض روضة آس
أعذاره الساري العجول ترفقا ما في وقوفك ساعة من باس
فالمصراع الأخير ، مطلع قصيدة مشهورة لأبي تمام :
ما في وقوفك ساعة من باس تقضي حقوق الأربع الأدراس.
وأحسن التضمين : أن يزيد المضمن في كلامه نكتة لا توجد في الأصل كالتورية والتشبيه ، كما في قول ابن أبي الاصبع : مضمنا
إذا الوهم أبدى لي لماها وثغرها «تذكرت ما بين العذيب وبارق»
ويذكرني من قدها ومدامعي «مجرى عوالينا ومجرى السوابق»
فالمصرعان الاخيران مطلع قصيدة لأبي الطيب المتنبي :
تذكرت ما بين العذيب وبارق مجرى عوالينا ومجرى السوابق
يريد المتنبي : أنهم كانوا نزو لا بين هذين الموضعين ، يجرون الرماح عند مطاردة الفرسان ، ويسابقون على الخيل ، أما الشاعر الآخر : فاراد بالعذيب تصغير العذب وعني به شفة الحبيبة ، وأراد ببارق ثغرها الشبيه بالبرق ، وبما بينهما ريقها ، وهذه تورية بديعة نادرة في بابها ، وشبه تبختر قدها بتمايل الرماح ، وتتابع دموعه بجريان الخيل السوابق :
(١) ولا باس من التغيير اليسير : كقوله :
أقول لمعشر غلطوا وغضوا من الشيخ الرشيد وأنكروه
هو ابن جلا وطلاع الثنايا متى يضع العمامة تعرفوه
وكقوله طول حياة مالها طائل تغص عندي كل ما يشتهي
أصبحتت مثل الطفل في ضعفه تشابه المبدأ والمنتهى
فلم تلم سمعي إذا خانني إن الثمانين وبلغتها

(٣١٥/١)

وباع صفو وداد ٍ كنت أقصد ُره عليه م ُجتهداً في السِّر والعلَن
كأنه كان مطوي ّا على إحن ٍ ولم يكن في قديم الدهر أنشَدني

(إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا من كان يألفهم في المنزل الخشن)

وكقوله :

ذا ضاق صدري وخفتُ العدا تمثلتُ بيتاً بحالي يليقُ

فبالله أبلغ ما أرتجى وبالله ادفع مالا أطيق

وكقول الحريري : يحكى ما قاله الغلام الذي عرضه (أبو زيد) للبيع :

على أنى سأنشد عند بيعي أضاعوني وأي فتى أضاعوا

فالمصراع الأخير (للعرجي) وهو محبوس – وأصله

اضاعوني وأي أضاعوا ليوم كريهةٍ وسدادِ ثغرِ

وصبر عند مُعترك المنايا وقد شُرعت أسنتها بنحري

(٣) والعقد – هو (نظم النثر) مطلقاً لا على وجه الاقتباس ، ومن شروطه أن يؤخذ (المنثور) بجملة لفظه أو بمعظمه ، فيزيد الناظم فيه وينقص ، ليدخل في وزن الشعر – فعقد القرآن الكريم ، كقوله :

أنلني بالذي استقرضتَ خطا وأشهد معشراً قد شاهدوه

فان الله خلاّق البرايا عنت لجلال هيبته الوجوه

يقول «إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه»

وعقد الحديث الشريف ، كقوله :

إن القلوبَ لأجنادٌ مجندة بالأذن من ربّها تهوى وتأتلفُ

فما تعارف منها فهو مؤتلفٌ وما تناكر منها فهو مختلف

وكقوله :

واستعمل الحلم واحفظ قول بارئنا سبحانه خلق الانسان من عجل

(٤) والحل –هو (نثر النظم) وإنما يقبل إذا كان جيد السبك ، حسن الموقع – كقوله :

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدّق من يعتاده من توهُّم (١)

(٥) والتلميح – هو الاشارة إلى قصة معلومة ، أو شعر مشهور أو مثل سائر ، من غير ذكره ، فالأول :

وهو الاشارة إلى قصة معلومة – نحو

يابدر أهلكَ جاروا وعلّموك التَجرى وقبحوا لك وصلى

وحسنّوا لك هجري فليفعلوا ما أرادوا فانّهم أهل بدر

---

(١) تقول في نثر هذا البيت – لما قبحت فعلاته ، وحنظلت بخلاته ، لم يزل سوء يقتاده ، ويصدق توهمه الذي يعتاده .

وكقوله تعالى (هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل) أشار (يعقوب) في كلام هنا لأولاده بالنسبة إلى خيانتهم السابقة في أمر أخيهم (يوسف) – ونحو قول الشاعر :

فو الله ما أدرى أأحلامنائم ألَمّت بنا أم كان في الركب (يوشع (١))

والثاني – وهو الاشارة إلى شعر مشهور – نحو قول الشاعر

لعمرو مع الرَّمضاء والنار تلتظى أرقُ وأحفى منك في ساعة الكرب

إشارة إلى قول الآخر :

ألمستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

والثالث – وهو الاشارة إلى مثل سائر من غير ذكره – نحو قول الشاعر :

من غاب عنكم نسيتموه وقلبه عندكم رهينه

أظنّكم في الوفاء ممّن صُحبته صُحبة السّفينه

(وحسن الابتداء ، أو براعة المطلع : هو أن يُجعل أول الكلام رقيقاً سهلاً ، واضح المعاني ، مُستقلا عمّا بعده ، مناسباً للمقام بحيث يجذب السامع إلى الاصغاء بكلّيته ، لانه أول ما يقرع السمع ، وبه يُعرف ممّا عنده قال ابن رشيق : إن حسن الافتتاح داعية الانشراح ، ومطية النجاح – وذلك كقول الشاعر :

المجد عوفى إذ عوفيتَ والكرم وزال عنك إلى أعدائك السَّقم

وتزداد براعة المطلع حسناً ، إذا دلت على المقصود باشارة لطيفة وتسمى براعة استهلال (٢) وهي أن يأتي الناظم ، أو الناثر : في ابتداء كلامه بما يدلّ على مقصوده منه ، بالاشارة – لا بالتصريح ، كقول (ابي محمد الخازن) مُهنّأ (الصاحب ابن عباد) بمولود

---

(١) اشارة إلى استيقاف (يوشع) للشمس ، يروى أنه عليه السلام : قاتل الجبارين يوم الجمعة ، فلما أدبرت الشمس خاف أن تغرب قبل أن يفرغ من قتالهم ، ويدخل يوم السبت ، فلا يحل له قتالهم فيه ، فدعا الله ، فابقي له الشمس ، حتى فرغ من قتالهم

(٢) وبراعة الطلب ، هي أن يشير الطالب إلى ما في نفسه ، دون أن يصرح بالطلب ، نحو (ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من أهلي) اشارة إلى طلب النجاة لابنه ، وكقوله

وفي النفس حاجات وفيك فطانة سكوتي بيان عندها وخطاب

بُشرى فقد أنجز الاقبال ما وعدا وكوكب المجد في أفق العلا صعدا

وكقول غيره : في التهنئة ببناء قصر

قصر عليه تحيّة وسلام خلعت عليه جمالها الأيام

وكقول المرحوم (أحمد شوقي بك) في الرثاء.

أجلٌ وان طال الزمان موافى أخلى يديك من الخليل الوافي

وكقول آخر في الاعتذار :

لنار الهم في قلبي لهيبُ فعفواً أيها الملك المهيبُ

وقد جاء في الأخبار أن الشعر قفل ، وأوّ له مفتاحه

(٧)والتّخلص – هو الخروج والانتقال مما ابتدىء به الكلام إلى الغرض المقصود ، برابطة تجعل المعاني آخذاً بعضها برقاب بعض ، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من نسيب ، إلى مدح ، أوغيره ، لشدة الالتئام والانسجام – كقوله :

وا ِذا جلست إلى المدَام وشربها فاجعل جديثك كله في الكاس ِ

وا ِذا نزعت عن الغواية فليكن (لله) ذاك النزع لا للناس

وا ِذا أردت مديح قوم لم تلم في مدحهم فامدح (بني العباس)

وقوله : دعت النوى بفراقهم فتشتّتوا وقضى الزمان بينهم فتبدّدوا

وقد يُنتقل مما افُتتح به الكلام إلى الغرض المقصود مباشرة ، بدون رابطة بينهما، ويسّمى ذلك (اقتضابا) – كقول ابي تمام :

لو راى الله أنّ في الشيب خيراً جاورته الأبرار في الخُلد شيبا

كل يوم تُبدى صروف اللّيالي خلقا من أبي سعيد غريبا

(٨) و «حسن الانتهاء» ويقال له «حسن الختام» هو أن يجعل المتكلم آخر كلامه ، عذب اللفظ ، حسن السبّك ، صحيح المعنى ، مشعراً بالتّمام حتى تتحقق (براعة المقطع) بحسن الختام ، إذ هو آخر ما يبقى منه في الأسماع وربما حُفظ من بين سائر الكلام ، لقرب العهد به.

ي يعلَن يكون آخر الكلام مُستعذباً حسناً ، لتبقى لذتُه في الأسماع مُؤذناً بالانتهاء ، بحيث لا يبقى تشوقاً إلى وراءه ، كقول أبي ذُوَ اس :

وا ِني جدير إذ بَلَغتك بالمنى وأنت بما أمَّلتُ فيك جدير

فان تُولِني منك الجميل فأهله وا ِلا فاني عاذرٌ وشكورُ

وقول غيره :

بقيت بقاء الدهر يا كهف أهله وهذا دعاء للبريَّة شامل

وقول ابن حجَّة :

(٣١٨/١)

عليكَ سلام نشره كلّما بدى به يقالى الطِّيب والمسك يختم

وقول غيره :

ما أسأل الله إلا أن يدومَ لَذَا لا أن تزيد معاليه فقد كمُلت

(۳۱۹/۱)